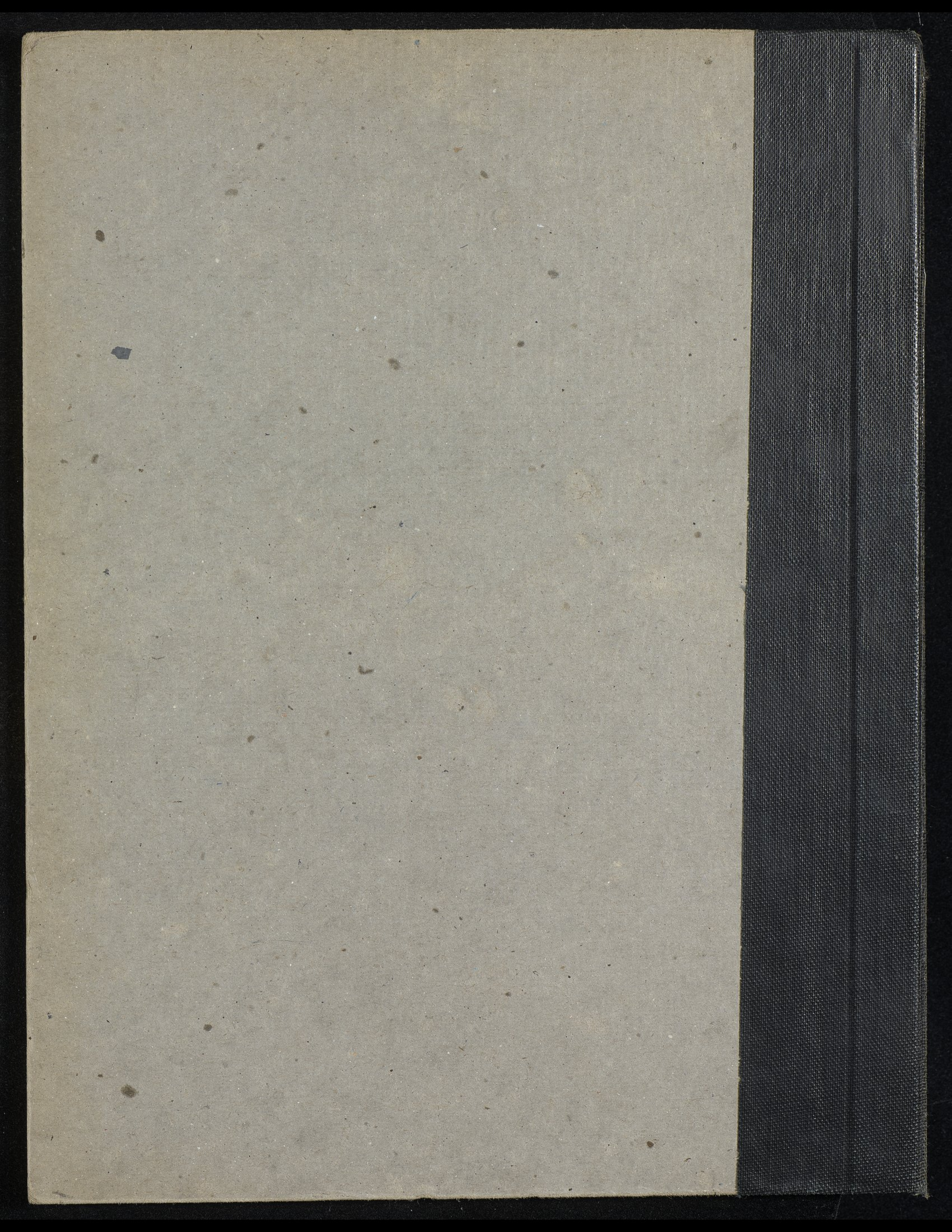
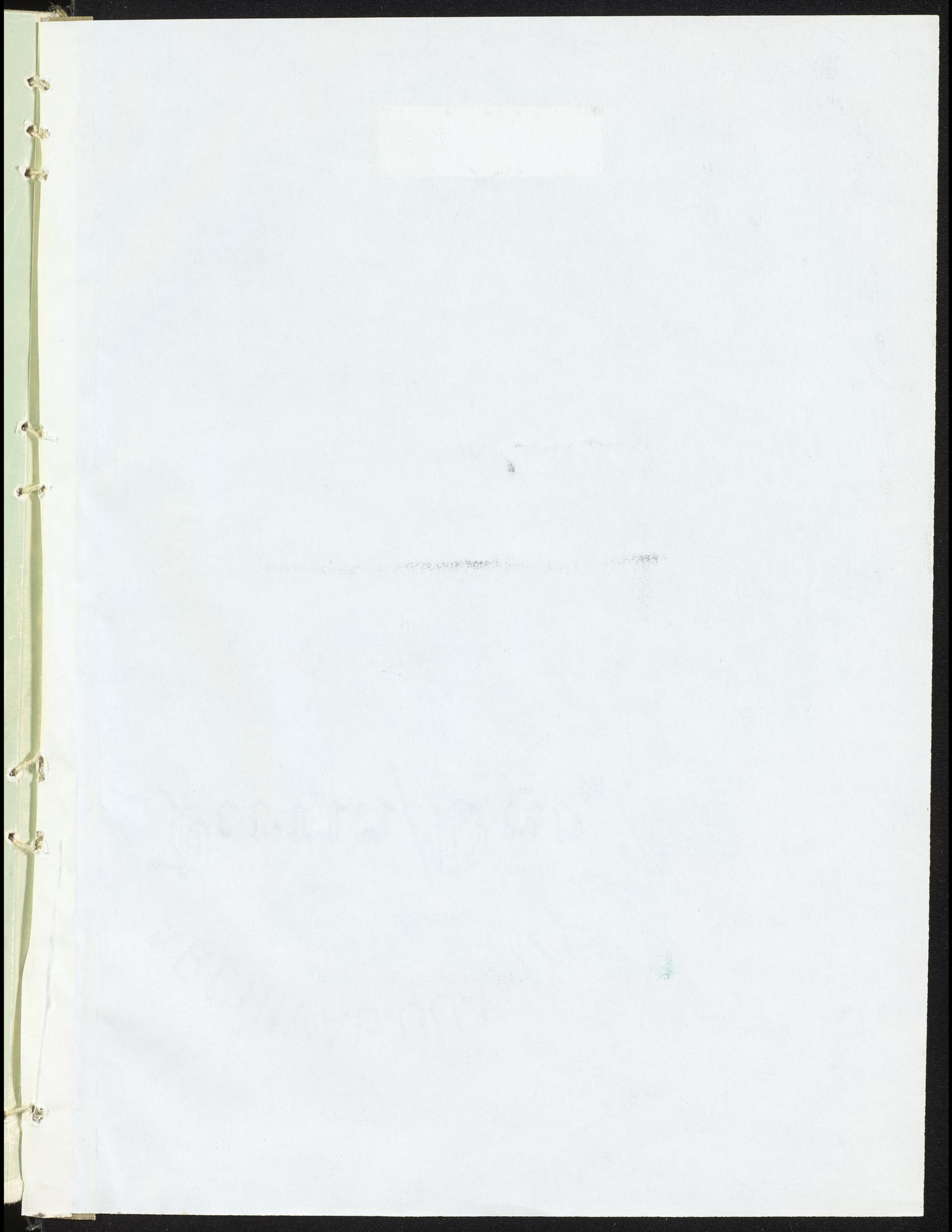



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 013578883



20,00

طبع بأمر من حضرة صاحب الجلالة مولانا أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

ترتيب المدارك وتقريب المسالك

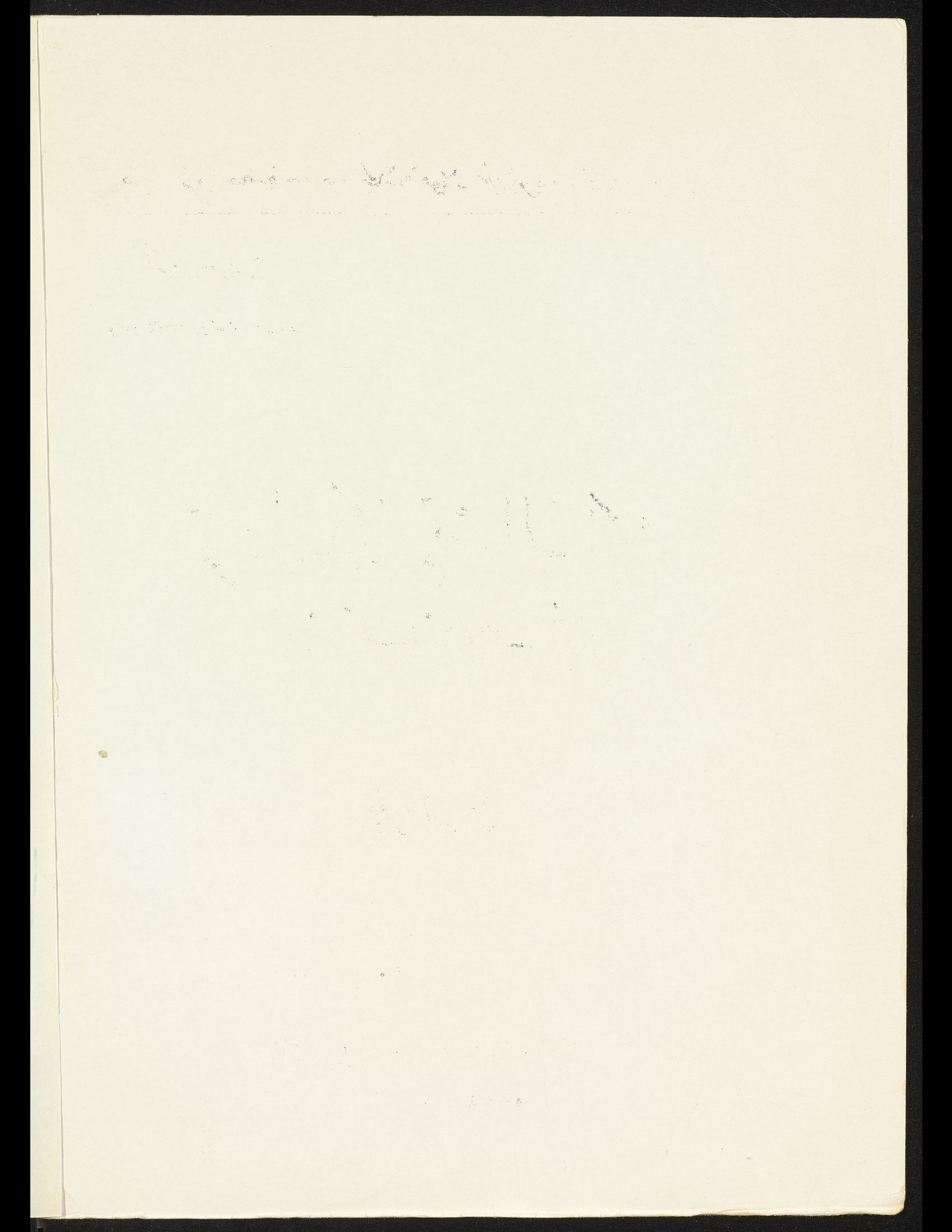
لمعرفة أعلام مذهب مالك

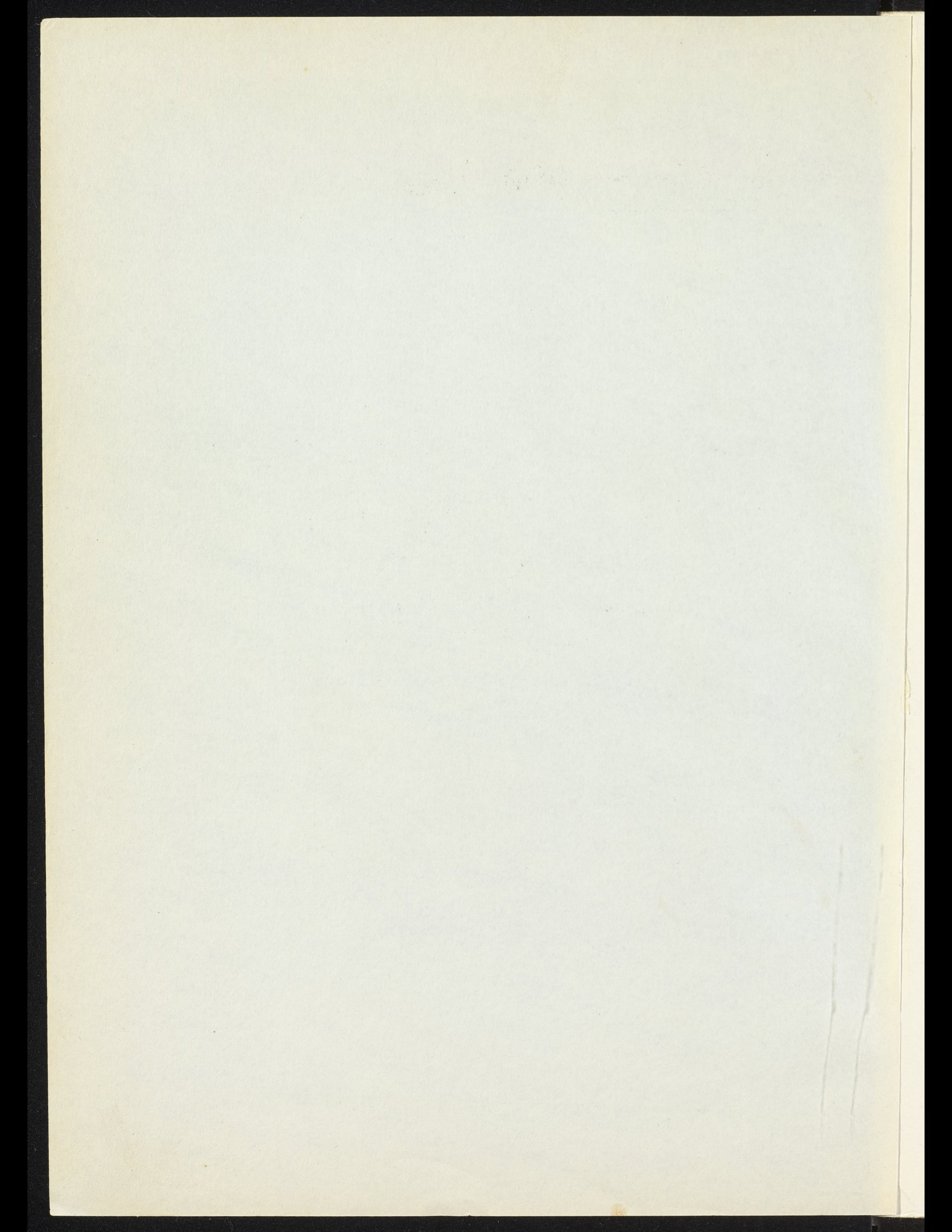
الجزء الرابع

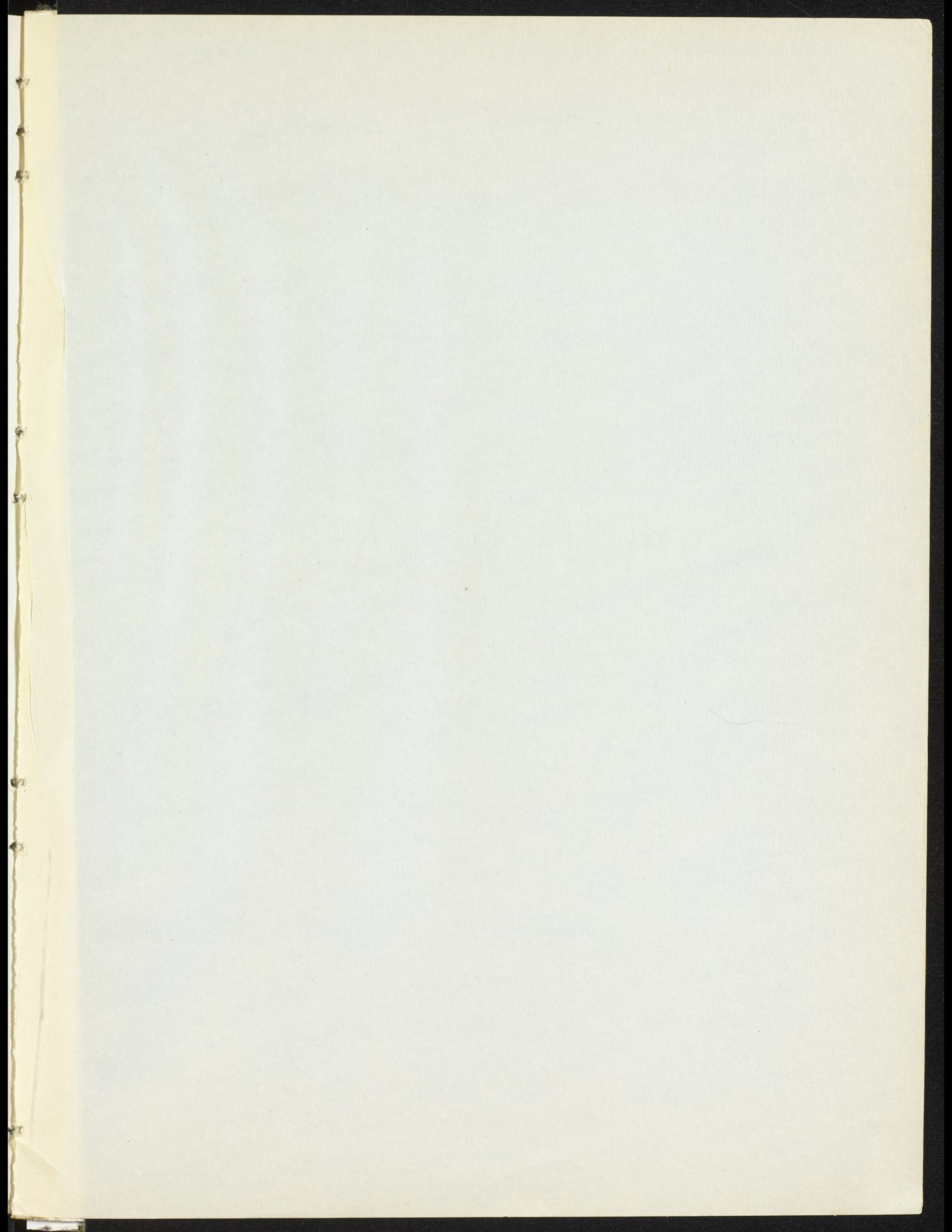
تأليف

القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي

المتوفى سنة 544 هـ







طبع بأمر من حضرة صاحب الجلالة مولانا أمير المومنين الحسن الثاني نصره الله

المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

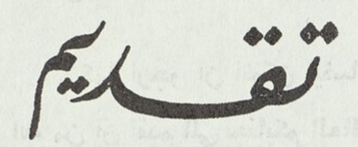
ترتيب المدارك وتقريب المسالك
لمعرفة أعلام مذهب مالك

الجزء الرابع

تأليف

القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي
المتوفى سنة 544 هـ

مطبعة فضالة - المحمدية



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

مولاي أمير المومنين ، وناصر الملة والدين ، جلالة الملك العالم ، الحسن الثاني ، نصركم الله وأيدكم ، ووفقكم ورعاكم ، وحفظكم بما حفظ به الذكر الحكيم ، وأبقاكم ذخرا للاسلام والمسلمين ، وأقر عينكم بولي عهدكم المحبوب الامير الجليل سيدي محمد ، واخوته الكرام ،

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف اليها ألف آمينا

*

وبعد ، فانه ليسعدني يا مولاي ، أن أقدم الى جنابكم العالي بالله ، الجزء الرابع من كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) لمفخرة المغرب ، وأحد رجال تاريخه العلماء الاعلام ، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي ، المتوفى سنة 544 هجرية ، تغمده الله برحمته، واسكنه فسيح جناته ، واحسن جزاءه فى أخراه ، على ما بذله طيلة حياته المباركة من مجهودات علمية ، تذكر فتشكر ، فى خدمة الدين الاسلامي الحنيف ،وفى خدمة الثقافة العربية الاسلامية .

واذا كان لي ما أرجوه بهذه المناسبة يا مولاي ، فهو أن أتمكن فى أقرب الآجال الممكنة ان شاء الله ، من أن أقدم الى جنابكم العالي بالله ، بقية أجزاء هذا الكتاب ، الذي يعتبر بحق ، موسوعة على جانب كبير من الأهمية ، فى تاريخ الامام مالك رضي الله عنه ، وتاريخ علماء المذهب المالكي فى مشارق الارض ومغاربها .

كما أرجو أن أتمكن أيضا ، وفى اقرب الآجال الممكنة ان شاء الله من أن أقدم الى جنابكم العالي بالله، بقية أجزاء كتاب (التمهيد لما فى الموطأ من المعاني والاسانيد) للامام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الاندلسي المتوفى سنة 463 هجـريـة .

وبصفة عامة ، فاني لأرجو يا مولاي ، أن يوفقني الله تبارك وتعالى لأكون دائما عند حسن ظن جلالتكم ، وأن يمدني جلت قدرته بعون من عنده ، للسهر باستمرار ، وللاشراف عن كثب ، على سير جميع أعمال التحقيق والتحرير والطبع والنشر ، التي تهتم بها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية ، وفق أوامر جلالتكم، وطبقا لتعليماتكم السديدة ، وللتخطيط المحكم الذي وضعتموه لهذه الوزارة ، المعتزة بعطفكم الخاص ، ورعايتكم الغالية .

*

وسواء تعلق الأمر بخدمة التراث ، والعمل على ابـــراز مساهمة العبقرية المغربية ، فى الماضي ، فى خدمة الثقافة العربية الاسلامية ، والحضارة الانسانية بصفة عامة ، أو تعلـق الأمـر بالتاليف والجمع والتدوين ، كما فى سلسلة (الدروس الحسنية) وغيرها من الكتب التي صدرت أو تصدر عن هذه الوزارة ، أو تعلق الامر بالأبحاث والدراسات الاسلامية العميقة ، التي تتمثـل فى مجلة (دعوة الحق) ، أو بالمقالات الدينية والأخلاقية والتوجيهية التي تتمثل فى مجلة (الارشاد) ، سواء تعلق الأمر بهذا أو ذاك ،

فانتم يا مولاي صاحب الفضل الأول والاخير فى كل ذلك ، فانما هو غرس يديكم الكريمتين ، وثمرة من ثمرات أعمالكم الطيبة المباركة، وسعيكم المحمود ، وتفانيكم فى خدمة الاسلام والمسلمين فى كل مكان ، وبجميع الوسائل الممكنة .

*

وسلام — يا مولاي — على مقامكم العالي بالله ، وحفظكم الله تبارك وتعالى بما حفظ به الذكر الحكيم ، والله خير حفظا ، وهو أرحم الراحمين .

أحمد بركاش

تصدير

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

وبعـــد ، فقد تم بحمد الله تبارك وتعالى وحسن توفيقه ، تحقيق الجـزء الرابع من كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) لمؤلفه مفخرة المغرب ، وأحد رجال تاريخه العلماء الأعلام ، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي ، المتوفى سنة 544 هجرية تغمده الله برحمته وأسكنـه فسيح جناتـــه .

*

وليس لدينا ، فيما يتعلق بالمنهاج ، ما نقوله زيادة على ما ورد فى مقدمة الجزء الثالث والجزء الثاني ، وانما نكتفي بأن نعيد الى الذاكرة مرة أخرى ، أن النسـخ الخطية التي نعتمدها هي التالية :

أولا : النسخة الخطية المحفوظة بالخزانة الملكية العامرة تحت رقم 335 ونحن نعتبرها هي النسخة الأم ، لذلك نشير الى أرقام صفحاتها عن يمين المتن أو يساره، كما اننا نرمز اليها فى الهوامش بحرف (أ) .

ثانيا : النسخة المصورة المحفوظة بالخزانة العامـة بالربـاط ، تحت رقم 2633 د ، ونرمز اليها فى الهوامش بحرف (ك) .

ثالثا : النسخة المصورة المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط ، تحت رقـم 2635 د ، ونرمز اليها فى الهوامش بحرف (ط) .

رابعا : النسخة المصورة عن نسخة مدريد ، وهي محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3402 د ونرمز اليها فى الهوامش بحرف (م) .

*

أما فيما يتعلق بتجزئة الكتاب ، فقد اتبعنا منذ البداية تجزئة نسخة مدريد ، وهي تقع فى سبعة أجزاء ، يختص الجزآن الأولان منها بالامام مالك رضي الله عنه ، وتختص الأجزاء الباقية بطبقات المذهب المالكي وتراجم أعلامه .

الا اننا فيما يتعلق بهذا الجزء بالذات (الجزء الرابع) وجدنا ان الأمر يدعو الى شيء من التصرف :

ذلك أن الجزء الرابع — حسب تجزئة نسخة مدريد — يبدأ بذكر (الطبقة الأولى من الذين انتهى اليهم فقه مالك والتزموا مذهبه ممن لم يره ولم يسمع منه) فيذكر منهم (أهل المدينة) و (أهل العراق) و (أهل مصر) و (أهل افريقية واقصى المغرب) و (أهل الأندلس) .

ثم يثني بذكر (الطبقة الثانية بعد هؤلاء) فيذكر منهم (من اهل المدينة) و (من أهل العراق) و (من أهل مصر) و (من أهل افريقية) و (من أهل الاندلس) .

ثم يتبع ذلك بذكر (الطبقة الثالثة) فيذكر منهم (من اهل المدينة) و (من أهل العراق والمشرق) و (من أهل مصر) و (من اهل افريقية) .

ولكنه لا يثبت من تراجم (أهل افريقية) هؤلاء الا ترجمة (ابن طالب القاضي) ويترك الى الجزء الذي يليه تراجم بقيتهم ، وتراجم (أهل الاندلس) ، من علماء هذه (الطبقة الثالثة) ومجموع أولئك وهؤلاء ، نحو من مائة وست وتسعين ترجمة ، بين كبيرة ومتوسطة وصغيرة .

وقد وجدنا ذلك غير طبيعي .

فاما أن ينتهي الجزء عند نهاية الطبقة الثانية ، ولكن حجمه فى هذه الحالة سيكون دون المعتاد .

واما أن يستمر الى نهاية (الطبقة الثالثة) وذلك يقتضي أن نضمنه التراجم

المائة والستة والتسعين الواردة فى بداية الجزء الخامس ، حسب تجزئة نسخة مدريد ، التي سرنا عليها منذ البداية كما سبقت الاشارة الى ذلك .

وقد آثرنا الحل الثاني ، فمضينا الى نهاية الطبقة الثالثة .

ومعنى ذلك أن هذا الجزء ، يشمل فى الواقع الجزء الرابع ، وطرفا مهما من الجزء الخامس ، كما هو واضح من قراءة التعليق رقم (380) الوارد فى هامش صفحة 331 من هذا المجلد .

ومعنى ذلك أيضا ، أنه قد يكون من الممكن ، اختصار عدد أجزاء الكتاب ، بحيث يتم طبعه ان شاء الله ، فى ستة أجزاء ، بدلا من سبعة ، كما كان مقررا من قبل.

فاذا كان ذلك كذلك ، فان الباقي بعد هذا المجلد ، انما هو جزآن اثنان ، الخامس والسادس .

*

وانا لنرجو أن يتم تحقيق وطبع الباقي من الكتاب فى أقرب الآجال الممكنة ، وان كانت مثل هذه الأعمال ، تتطلب كثيرا من الأناة والصبر وطول النفس ، وغير قليل من الوقت ، كما هو معلوم .

ومهما يكن ، فاننا لنرجو فى جميع الأحوال ، أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله الكريم ، وأن ينال رضى مولانا أمير المومنين ، جلالة الملك العالم الحسن الثاني ، نصره الله وأيده ، ووفقه لما يحبه ويرضاه ، وأعانه على النهوض ببلاده وشعبه ، وعلى خدمة الاسلام والمسلمين فى جميع المجالات .

*

واحقاقا للحق ، واعترافا بالفضل لأهله ، فانه لن يفوتنا أن ننوه هنا ، بما يبديه معالي وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ، السيد الحاج أحمد بركاش ، من عناية فائقة ، واهتمام بالغ ، بجميع أعمال التحقيق والتحرير والطبع والنشر ، التي تتم بالوزارة المذكورة ، وذلك امتثالا من سيادته لأوامر الجناب العالي بالله ، واجتهادا فى العمل على تنفيذها ، وتوفير أحسن الظروف الملائمة لتحقيقها .

*

وكلمة شكر اخيرة لابد منها ، نزجيها للسادة الأفاضل ، القائمين على الخزانـــة الملكية العامرة ، والسادة الأفاضل القائمين على الخزانة العامة بالرباط ، لما نجده منهم جميعا ، وفى جميع الظروف ، من روح الزمالة العلمية ، ومن حسن الاستقبال والتفهم ، ومن المساعدة القيمة .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون) .

الربـــــاط

17 ربيع الاول 1390
23 مايــــو 1970

عبد القادر الصحراوي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

قال القاضى الامام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ، رضى الله تعالى عنـــــه :

قد انتهى بنا القول فى الطبقات الثلاث من أصحاب مالك ، الذين أخذوا عنه وسمعوا منه ، منتهاه ، وبلغ بنا الذكر بعون الله تعالى لتعيين مـــن نصصنا عليه مداه ، واستوفينا من أنبائهم ومختلف أحوالهم ما شرطناه .

فلنعج على من بعدهم من أتباعهم ورواتهم ، الملتزمين مذهبهـــم ، الناهجين فى التفقه على مذهب مالك نهجهم ، وان كان منهم من قارن الطبقة الوسطى والصغرى من أصحاب مالك ، ومن تقدم بعضهـــم فى الزمـــان والظهور ، ولكن قدمنا أولئك لمراتبهم ، لصحبة امامهم ، وجئنا بهؤلاء ، ثم بمن جاء بعدهم الى زمننا ، مرتبا لهم على طبقاتهم من تقـــدم الزمـــان وتأخره ، ذاكرا لكل واحد ما بلغنى عنه من مفيد شمائله وخبره .

والله المعين لا رب غيره .



الطبقة الاولى الذين انتهى اليهم فقه مالك ، والتزموا مذهبه ، ممن لم يره ، ولم يسمع منه

فمن أهل المدينة :

أبو ثابت محمد بن عبد الله بن محمد بن زيد بن أبي زيد

مولى عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه .

روى عن ابن وهب ، وابن القاسم ، وابن نافع . قال الشيرازى : وبهم تفقه .

وروى عن أشهب ، وعن ابراهيم بن سعد ، وابراهيم بن على الرافقى ، وابن أبى حازم ، وحاتم بن اسماعيل ، وحماد بن زيد ، وغيرهم .

روى عنه اسماعيل القاضى ، وأخوه حماد ، والبخارى ، ومحمد بن ابراهيم . وأخرج البخارى عنه فى الصحيح .

قال أبو حاتم : صدوق .

قال القاضى اسماعيل : كان الاجماع ونحن بالمدينة ، انه ليس بها أفضل من أبى ثابت ، « وكان شريك القعنبى ، فكان أبو ثابت بالبصرة ، فسمع من حماد بن زيد ، وكان القعنبى بالمدينة ، فسمع من مالك ، ولم يسمع منه أبو ثابت .

قال أبو ثابت » (1) : رآنى ابن وهب عند أشهب بعد موت ابن القاسم ، فقال لى : أنت كما قال القائل :

« تبدلت بعد الخيزران جريدة »

البيت .

---

1) سقط من نسخة ك من قوله : « وكان شريك القعنبي » الى قوله : « قال أبو ثابت » .

ابو بكر بن وثاب المدني

من أصحاب محمد بن مسلمة ، وعبد الملك بن الماجشون .

(252) يحكى عنه القاضى اسماعيل بن اسحاق فى مبسوطه (*) .

نسبه ، ولم يسمه .

وكناه القاضى أبو عبد الله التسترى .

وقرأت بخط الفقيه أبى عبد الله بن عتاب : أن الكتب الثمانية التى أدخل أبو زيد القرطبى من سماعه عن عبد الملك ومطرف وأصبغ ، أن ابن وثاب أيضا رواها عنهم ، الا ما منها لاصبغ .

وقد روى ابن وثاب أيضا عن ابن بابين .

أبو شاكر محمد بن مسلمة (2)

ابن محمد ، بن هشام ، بن اسماعيل ، بن الوليد ، بن المغيرة ، بن عبد الله بن عمر ، بن مخزوم .

يروى عن أبيه .

روى عنه القاضى اسماعيل بن اسحاق ، وأخوه حماد .

يعقوب بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمان

ابن عوف الزهرى ، مدنى .

ذكر الخطيب أبو بكر ، عن محمد بن سعد : أن أبا يوسف هذا كان كثير العلم والسماع للحديث ، حافظا له .

قال : ولم يجالس مالكا ، ولكنه جالس من كان بعده من فقهاء أهل المدينة ورجالهم وأهل العلم منهم .

وكذا نسبه الخطيب فى النسخة التى وقعت الى .

---

2) ك ، م : أبو شاكر محمد بن مسلمة ـ أ ، ط : أبو شاكر بن محمد بن مسلمة .

ورأيت أنا فى كتاب محمد بن سعد ، فيه : يعقوب بن محمد بن عيسى .

قال الخطيب : وقدم بغداد ، فحدث بها عن عبد العزيز الدراوردى، وابن أبى حازم ، وابراهيم بن سعد ، ومحمد بن فليح ، وصالح بن قدامة ، وسفيان بن حمزة ، وحاتم بن اسماعيل ، وابن أبى فديك .

روى عنه الحرث بن أبى أسامة ، وعباس الدورى (3) ، وحجاج بن الشاعر ، وحاتم بن الليث الجوهرى ، وأحمد بن زياد السمسار ، واسحاق الحربى (4) ، وأبو العباس الكرسى (5) .

* * *

قال يعقوب : مررت ببغداد فعرض لى رجلان قاما من مجلس ، فأخذا بعنان دابتى ، ثم قالا : اختلفنا فى شىء فأردنا أن نعرف فيه قول أهل بلدك .

فقلت : ما هو ؟

فقال أحدهما : قلت : القرآن مخلوق .

وقال الآخر : قلت : ليس بمخلوق .

فقلت لهما : قول أهل بلدى ، لو أخذوكما لاوجعوكما ضربا .

* * *

---

3) أ ، ك : وعباس الدورى — ط : وعثمان الدورى — م : وعباس الدارى . وفى الخلاصة للخزرجي : « عباس بن محمد بن حاتم الهاشمي ، مولاهم ، أبو الفضل الخوارزمي ، نزيل بغداد ، الدوري ، أحد الحفاظ الاعلام ، مات سنة احدى وتسعين ومائتين ، انظر الخلاصة ص 160 .

4) أ : وأحمد بن زياد السمسار الحربي — ط : وأحمد بن زياد السمسار الحري — م : وأحمد بن زياد السمسار واسحاق الجرلى — ك : وأحمد بن زياد واسحاق الجذلي . ولعل الصواب ما اثبتناه «أحمد بن زياد السمسار ، واسحاق الحربي» وقد ورد فى تذكرة الحفاظ للذهبي ، ذكر الفقيه اسحاق بن الحسن الحربي ، راوي الموطأ عن القعنبي ، وقد توفي سنة أربع وثمانين ومائتين ، انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ، ص 644 .

5) أ ، ط ، م : وأبو العباس الكرسى — ك : وأبو العباس (ثم بياض مقدار كلمة)

وضعفه ابن حنبل ، وقال : ليس بشىء .

وسئل عنه ابن معين ، فقال : اذا حدث عن الثقات .

وقال أيضا : هو صدوق ، ولكن لا يبالى عمن حدثك .

وقال أيضا : أحاديثه تشبه أحاديث الواقدى .

وقال مثله صالح بن محمد ، وأبو زرعة الرازى .

قال ابن نافع : توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وكان أبوه محمد من سراة المدنيين ، وأهل المروءة منهم .

ومن أهل العراق :

أحمد بن المعذل

هو أحمد بن المعذل ، بن غيلان ، بن الحكم ، بن مختار ، بن ذهل، ابن عجل ، بن عمرو ، بن وديعة ، بن بكير ، بن أفصى (6) ، بن عبد القيس ، العبدى ، يكنى أبا الفضل ، بصرى ، وأصله من الكوفة .

وأبوه المعذل بن غيلان ، بذال معجمة مفتوحة مشددة ، كذا ضبطه الدارقطنى وغيره .

على أن أبا الحسن الدارقطنى ذكر اسمين فى هذا الباب : المعذل بن غيلان ، وأحمد بن المعذل ، ولم يقل انه ابنه ، وهو ابنه كما قدمنا .

وكان المعذل سريا نبيلا شاعرا .

قال الدارقطنى: روى المعذل بن غيلان البصرى ، عن فضيل بن مرزوق . روى عنه محمد بن شبيب (7) .

قال : وأحمد بن المعذل بن غيلان البصرى الفقيه المتكلم ، قال الشيرازى : هو من أصحاب عبد الملك بن الماجشون ، ومحمد بن مسلمة،

---

6) أ ، ك ، م : افصى — ط : أقضى

7) ط : محمد بن شبيب — أ : محمد بن شبة — ك محمد بن شعبة — وقد ورد فى الخلاصة ص 280 ذكر محمد بن شبيب الزهرائي البصري .

وكان مفوها ورعا متبعا للسنة ، وله مصنفات ، وكتاب فى الحجة (8)، وكتاب الرسالـــة .

*
* *

قال الامام أبو الفضل رضى الله تعالى عنه : وسمع أيضا مـــن اسماعيل بن أبى أويس ، وبشير بن عمر السندى (9) .

روى عنه (10) ابن أبى هارون وغيره ، وعليه تفقه جماعة من كبار المالكية ، كاسماعيل بن اسحاق القاضى وأخيه حماد ، ويعقوب بـــن شيبة (11) . وسمع منه ابنه محمد بن أحمد ، وعبد العزيز بن ابراهيم ابن عمر (12) البصرى .

ذكــر الثـــنــاء عليــه وفضائلــه

قال أبو عمر الصدفى : هو ثقة ، كان أبو حاتم يثنى عليه .

قال أبو سليمان الخطابى : أحمد بن المعذل مالكى المذهب ، يعد فى زهاد أهل البصرة وعلمائها . وكان أبو (*) خليفة الفضل بن الحبـــاب الجمحى القاضى يثنى على ابن المعذل .

(253)

قـــال أبو بكر النقاش : قال لنا أبو خليفة : أحمدنـــا ــ يعنـــى ابن المعذل (13) ــ أفضل من أحمدكم ــ يعنى ابن حنبل ــ والله أعلم .

قال أبو القاسم الشافعى المعروف بعبيد : كان ابن المعذل مـــن العلماء الادباء الفصحاء النظار .

---

8) أ ، ك ، م : فى الحجة ــ ط : فى المحبة .

9) أ : بشير بن عمر السندى ــ ك ، ط : بشير بن عمرو السندي ــ م : غيـــر واضحـــة .

10) قوله « روى عنه » ساقط من نسخ أ ، ك ، م ــ ثابت فى نسخة ط .

11) أ ، ك ، م : ويعقوب بن شيبة ، وكذلك فى الديباج فى ترجمة أحمد بن المعذل ص 30 ــ وفى نسخة ط : ويعقوب بن شبيب .

12) ك ، ط م : عمر ــ أ : عمرو

13) سقط من نسخة ط من قوله : « قال : أبو بكر النقاش » الى قوله : « يعني ابن المعذل » .

قال ابن حارث : كان فقيها بمذهب مالك ، ذا فضل وورع ودين وعبادة .

*
* *

ذكر الدينورى فى كتاب المجالسة : وجه المتوكل الى أحمد بن المعذل وغيره من العلماء ، فجمعهم فى داره ، ثم خرج عليهم ، فقام الناس كافة غير أحمد .

فقال المتوكل لعبيد الله : هذا لا يرى بيعتنا .

قال : بلى يا أمير المؤمنين ! ولكن فى بصره سوء . يريد العذر عنه .

فقال أحمد : يا أمير المؤمنين ! ما فى بصرى سوء ، ولكن نزهتك من عذاب الله . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » .

فجاء المتوكل ، فجلس الى جنبه .

*
* *

وقال الحسن بن عبد الرحمان بن عبيد البصرى فى كتابه : وممن كان يقرض الشعر من الفقهاء النساك ، أحمد بن المعذل ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم وأنسكهم وأصمتهم ، حتى نسب بذلك الى الكبر . وله مواعظ وأخبار حسان ، وكان أهل البصرة يسمونه لفقهه ونسكه ، الراهب ، وكان فقيها بقول مالك . لم يكن لمالك بالعراق أرفع منه ، ولا أعلى درجة ، ولا أبصر بمذاهب أهل الحجاز ، منه . وعنه أخذ اسماعيل ابن اسحاق ، وهو مفقهه .

*
* *

وذكر الحسن بن عبد الرحمان عنه ، وذكرها الجراحى أيضا — وأحدهما يزيد على الآخر — أنه كان يسكن مع أخيه عبد الصمد فى دار واحدة ، وكان عبد الصمد منهمكا فى الشراب ، وكان أحمد يبكر الى صلاة الصبح ، وكان امام المسجد ، فيمر سحرا بأخيه وهو سكران ،

فيحركه ويقول : « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم فى تقلبهم (14) » الآيات .

وفى الرواية الأخرى : « أفأمن أهل القرى أن ياتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون » (15) .

فيرفع عبد الصمد رأسه ويقول : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » (16) الآية .

*
* *

قال أحمد : دخلت المدينة ، فتحملت على عبد الملك بن الماجشون برجل ليخصنى ويعنى بى ، فلما فاتحنى قال : ما تحتاج أنت الى شفيع ، معك من الحذاء (17) والسقاء ما تأكل به لب الشجر ، وتشرب بهصفو الماء .

وكان أحمد يذهب الى البادية ويكتب عن الاعراب .

*
* *

قال المبرد : رأيت أحمد بعرفات مضحيا للشمس لا يستظل . فقلت: ما هذا يا أبا الفضل ؟

فقال :

ضحيت لكيما أستظل بظله — اذا الظل أضحى فى القيامة قالصا
فيا أسفا ان كان أجرك حابطا — ويا حزنا ان كان حجك ناقصا

وحكى الدينورى قال : كان أحمد بن المعذل اذا حج لا يستظل ، فلقيه بعض أصحابه بين مكة والمدينة وهو فى يوم صائف شديد الحر ، ليس له

---

14) الآيتان 45 — 46 من سورة النحل
15) الآية 17 من سورة الأعراف .
16) الآية 33 من سورة الانفال
17) ك : الحذاء ، وكذلك فى الديباج — ا : الحداء — ط ، م : غير واضحة .

مظلة ، وقد أحرقته الشمس ، فقال له : لو سترت نفسك من الحر !

فأنشأ يقـــول :

ضحيت له كـى أستظـل بظلـه اذا الظل أضحى فى القيامة قالصا

وعادت نفوس الناس عند حلوقهم يريقون ريقا غائر الماء شاخصـا

وما كنت ترجو أن ينالك حرهـا وقد كنت من حر الظهيرة حائصا(18)

لعمرى لقد ضاعت أمور لاهلها ليغتبطن بالسبق من كان خالصـا

قال : وكان أحمد بن المعذل اذا أحزنه أمر قام فى الليل يصلى ، ويأمر أهله بذلك ، ويتلو : « وامر أهلك بالصلاة » (19) (*) الآية . ثم ينشد : (254)

أشكو اليـك حوادثـا أقلقتنـى فتركتنـى متواصـل الاحـزان

لولا رجاؤك والـذى عودتنـى من حسن صنعك لاستطار جنانـى

من لى سواك يكون عند شدائـدى ان أنت لم تكلأ فمـن يكلانـى

وأنشد ابن عبيد لــه (20) :

التمـس الارزاق عنـد الـذى ما دونه ان سيل مـن حاجـب

من يغمر التـارك تسآلـه جودا ، ومن يرضى عـن الطالـب

ومن اذا قـال جـرى قولـه بغيـر توقيـع ولا كـاتـب

وله قصيدة مشهورة فى صفة النخلة ، ولاخيه أيضا أرجوزة مشهورة فيهـا .

وأنشد له الحصـرى والجراحـى :

أخو دنف (21) رمته نأقصدتـه سهام من لحاظـك لا تطيـش

---

18) ك ، م : حائصا ـ أ : حارصا ـ ط : خالصا .
19) الآية 132 من سورة طه .
20) ك ، ط : وأنشد ابن عبيد له ـ أ : وأنشد ابن عبيد الله ـ م : وأنشد ابن عبيدة لـــه .
21) م : أخو دنف ـ أ ، ك ، ط : أخو ذنب .

قواتل ، لاقداح سوى احـــورار | بهن ، ولا سوى اللحظات ريـــش
أصبن سواد مهجتـــه فأضحـــى | سقيما مـــا يمـــوت ولا يعيـــش
كئيب ان تحمـــل عنـــه جيـــش | من البلوى ألـــم بـــه جيـــوش

ذكر القاضى أحمد بن ابراهيم بن حماد ، قال :

خرج أحمد بن المعذل من البصرة الى طرسوس (22)، فأطال بها المكث، فكتب اليه ابنه : يا أبت ! أوحشت بقاعك ، وفقد اخوانك مكانك .

فكتب اليـــه أحمـــد :

أثامن بالنفس النفيســـة ربهـــا | وليس لها فى الناس كلهم ثمـــن
بها أملك الدنيا ، فان أنا بعتهـــا | بشىء من الدنيا ، فذلكم الغبـــن
اذا ذهبت نفسى بدنيا تنالهـــا | فقد ذهبت نفسى وقد ذهب الثمن
فبعها بهـــا ممن اليه مصيرهـــا | فانـــك فيهـــا للمنيـــة مرتهـــن
ودع لذة الدنيا لتنعـــم خالـــدا | لدى جنة لا خوف فيها ولاحـــزن
فتبذل شيئا لست تملـــك منعـــه | فيجزيك بالاحسان ذو الفضل والمنن

وأنشـــد له القاضى وكيـــع :

وقالت : سل المعروف يحيى بن أكتم | فقلت : سليه رب يحيى بن أكتما

وقال ابن الجراح فى كتاب الورقة : كان ابن المعذل فقيها نبيلا لـــه أشعـــار مـــلاح .

قال لى القاضى اسماعيل بن اسحاق ــ وكان أحمد أستاذه ــ : الا أنه كان ورعا حرجا .

---

22) ك ، ط ، م ، طرسوس ــ أ : طرطوس .

بقيـة اخبـاره وفضائلـه وآدابـه وشعـره

قال أبو اسحاق الحصـرى وغيره :

كان أحمد بن المعذل من الفقه والنسك والادب والحلاوة فى غاية ، وكان أخوه عبد الصمد يؤذيه ويهجوه ، فكتب اليه أحمد :

أما بعد ، فان أعظم المكروه ما جاء من حيث يرجى المحبوب ، ولقد كنت فينا مرجوا حتى شمل (23) شرك ، وعم أذاك ، فصرت فيك كأبى الابن العاق ، ان عاش نغصه ، وان مات نقصه ، واعلم ، لقد خشنـت صدر أخ ناصح ، والسلام .

وكان يقول له : أنت كالاصبع الزائدة ، ان تركت شانت ، وان قطعت ألمـت (24) .

وذكر أبو على القالى الكلام الاول بقريب من هذا اللفظ .

فأجابه عبد الصمد * : (255)

أطـاع الفريضـة والسنـه فتاه على الانـس والجنـه

كأن لنا النار مـن دونـه وأفـرده اللـه بالجنـه

وينظر نحـوى اذا زرتـه بعين حمـاة الـى كنـه

*
* *

قال أبو العباس المبرد : كان أحمد بن المعذل من الابهة ، والتمسك ، بالمنهاج ، والتجنب للعيب والتعرض لما فى أيدى الناس ، واظهار الزهد ، فيه على غاية ، فلما حمل الى بغداد فى جملة فقهاء البصرة ، وقبل الصلة ، نقم ذلك عليه ، فتسبب به أخوه الى أذاه ووجد سبيلا .

وذكر له فى ذلك أشعارا تركناها .

---

23) أ ، ك ، م : حتى شمل شرك ــ ط : حتى تمحص شرك
24) أ ، ك ، م : ألمت ــ ط : أدمت

قال الحصرى والجراحى ، عن القاضى اسماعيل : وكانت أم عبد الصمد طباخة ، فكان أحمد يقول اذا بلغه هجاؤه له : ما عسيت أن أقول فيمن ألقح بين قدر وتنور ، ونشأ بين زق وطنبور .

قال أبو العباس : وذكر الدولابى (25) فى كتاب نزهة الاسرار ، أن ابن المعذل قال له أهله حين ورد القاضى يحيى بن أكتم البصرة :

لو أتيت يحيى ؛ سألته – لضر أصابهم – فلم يجبها ، ثم قال هاذين البيتين :

تكلفنى اذلال نفسى لعزها   وهان عليها أن أذل فتكرما

تقول : سل المعروف يحيى بن أكتم   فقلت : سليه رب يحيى بن أكتما

وذكر الدينورى عن محمد بن موسى البصرى : كنا عند أحمد بن المعذل بالبصرة يوم مات ابنه ، فاسترجع ، ثم أنشأ يقول :

نؤمل جنة لا موت فيها   ودنيا لا يكدرها البلاء

وأنشد الجراحى له :

ألا أبلغ أبا سوار عنى   رسالة عاتب أهدى سلاما

أفى حق الاخوة أن أقضى   ذمامكم ولا تقضوا ذماما

وقد قال الحكيم مقال صدق   رآه الاولون لهم اماما

اذا أكرمتكم وأهنتمونى   ولم أغضب لذلكم ، فذا ، ما !!(26)

وأنشد له فى وصف الرطب :

انشق جيب قميصها   فالدمع منها واكف

---

25) ط : الدولابى – أ : الدلابي – ك : الدلاي – م : غير واضحة .

26) كذا فى نسخة م – وفى نسخة أ : لذلكم مداما – ط : لذلكم حراما – ك : لذلكم فداما ! ! ولعل المعنى أن يكون كما يلي : « اذا أكرمتكم واهنتموني ، ولم أغضب لذالكم ، فهذا ما لا ينبغي أن يكون ، أو ما لا يمكن أن يكون ، أو نحو هذا .

يلفى بقاع انائها حيث استقرت قاطف

ومن الغرائب أنها بكر عوان ناصف

قال القاضى اسماعيل : عرضت على أحمد بن المعذل هذه الابيات بكمالها ، فقال : هى هكذا ، الا البيت الاخير فانى لم أقله ، وينبغى أن يكون عبد الصمد قاله .

قال القاضى : فانظر توقيه التزيد فى هذا المقدار من الشعر .

وذكر أبو على البصرى ، عن المعذل ، والد أحمد ، أنه ركب الى الامير عيسى بن جعفر ، فوقف ينتظره ، فلما أبطأ عليه أقبل يصلى ، فخرج ، وكان المعذل لا يقطع الصلاة ، فناداه عيسى : يا معذل ! يا أبا عمرو ! وهو مقبل على صلاته ، فغضب عيسى ومضى ، فلما أتم الصلاة، لحق عيسى وأنشده شعرا ، منه :

قد قلت اذ هتف الامير يا أيها القمر المنير

حرم الكلام فلم أجب وأجاب دعوتك الضمير

وأنشد له ابنه أحمد فى كتاب الورقة :

(256) ولست بنظار الى جانب الغنى اذا كانت العلياء من جانب الفقر *

وانى لذو صبر على ما ينوبنى وحسبك أن الله أثنى على الصبر

وأنشد له ابن الجراح أيضا :

الى الله أشكو ، لا الى الناس ، أننى

أرى صالح الاعمال لا أستطيعها

أرى خلة فى اخوة وقرابة

وذى رحم ، ما كنت ممن أضيعها

وذكر ابن حارث، عنه ، أنه كان يقف فى القرآن .

ولعل ذلك تقية ، ولعله فى وقت المحنة ، أو كراهة للكلام فيما لم يتكلم فيه السلف . كما ذكرنا عن غيره .

وأما أبو الفرج الاصبهانى فى كتابه الكبير ، فنحله ما لا يقوله ولا يعرف له بوجه .

وجدت فى بعض الكتب انه توفى وقد قارب الاربعين .

اسحاق بن اسماعيل بن حماد

ابن زيد بن بابك ، البصرى ، أبو يعقوب ، الازدى ، الجهضمى ، مولى لآل جرير بن حازم ، والد اسماعيل القاضى (27) .

ولى المظالم بمصر أيام المأمون ، والخطابة ، والاشراف على المعتصم. وولى مظالم البصرة ، ولم يكن بالحافظ ، لكن ولده وآله تجردوا لمذهب مالك فى أيامه ، وتفقهوا فيه .

مولده سنة ست وسبعين ومائة ، وتوفى بالبصرة سنة ثلاثين ومائتين .

نقلت هذا كله من الاوراق المؤلفة للحكم بن عبد الرحمان فى ذكر المالكية من أهل العراق ، ومن كتاب ابن حارث .

وذكر أبو بكر الخطيب عن حماد بن اسحاق ، عن أبيه ، قال :

دخلت على ابن شكلة فى بقايا غضب المأمون عليه ، فقلت :

هى المقادير تجرى فى أعنتها   فاصبر فليس لها صبر على حال

يوما تريك خسيس الحال ترفعه   الى السماء، ويوما تخفض العالى

فأطرق ساعة ثم قال :

عيب الاناة وان سرت عواقبها   ألا خلود ، وأن ليس الفتى حجرا

---

27) سقط من نسخة ط قوله : « والد اسماعيل القاضي » .

قال : فما مضى ذلك اليوم حتى بعث اليه المأمون بالرضى ، ودعاه للمجالسة .

قال : فالتقيت معه فى مجلسه ، فقلت ليهنك الرضى .

فقال : « ليهنك مثله من متيم » جارية أهواها .

فحسن موقع كلامه عندى ، فقلت :

ومن لى بأن ترضى ، وقد صح عندها   ولوعى بأخرى من بنات الاعاجم ؟

*
* *

وجده حماد بن زيد امام البصرة مشهور ، كان أولا بزازا ، فلزم العلم فانتفع وانتفع به ، وارتفع ولده به .

قال الفرغانى : فلا نعلم أحدا من أهل الدنيا بلغ مبلغ آل حماد .

يعقوب بن اسماعيل بن حماد

أخوه (28) ، أبو يوسف .

قال محمد بن خلف القاضى فى كتاب طبقات القضاة : كان يعقوب هذا من حملة العلم ، أخذ عن يحيى بن سعيد ، وابن مهدى ، وغيرهما . وسمع أيضا من وهب بن جرير ، وجرير بن ضمرة .

حدث عنه ابنه يوسف ، ومحمد بن هارون .

وذكر أبو بكر بن ثابث البغدادى ، أن ابن ابنه القاضى أبا عمر (29) روى عنه أيضا حديثا ، وأخذ الفقه وهو ابن أربع سنين (30) .

قال الخطيب : ولى القضاء بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقدم بغداد ، فحدث بها عن سفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ، وابن

---

28) أي أخو اسحاق بن اسماعيل بن حماد صاحب الترجمة السالفة مباشرة قبل هذه .

29) أ ، ك : أبا عمر — ط ، م : أبا عمرو

30) كذا ورد فى نسخة أ — وورد فى ط ، ك م : روى عنه أيضا حديثا واحدا ، لقيه وهو ابن أربع سنين .

مهدى ، ووهب بن جرير ، وروح بن عبادة ، وأبى عاصم النبيل (31) وأبى أحمد الزبيرى .

روى عنه اسماعيل القاضى ، وعبد الله بن أبى سعد (32) الوراق، وابن أبى الدنيا ، وعبد الله * بن أحمد بن حنبل ، وابن ناجية ، وقاسم المطرز ، وغيرهم . (257)

قال ابن أبى حاتم : سألت عنه أبى فقال : صدوق ، وكتبت عنه (33) .

*
* *

وكان يعقوب فى صحابة المعتصم ، وقدم الى المعتصم وهـــو فى صحبته للعشاء هريسة ، فقال المعتصم : ليست بطيبة

فقال يعقوب : أنا آكلها . فأتى عليها .

فقال له المعتصم : أنت آكل الناس لهريسة ردية .

*
* *

قال ابنه : كان أبى يقول : أهل البيت اذا لم يأكلوا أو يصطلـــوا فكأنهم غضاب .

قال وكيع : ولاه المتوكل قضاء المدينة ، ثم صرفه .

قال ابن نافع : توفى بفارس (34) وهو يتولى قضاءه سنة ســـت وأربعين ومائتين .

---

31) أ ، ط : وأبى عاصم النبيل ــ م ، ك : وابن عاصم النبيل ــ وهو الضحاك بن مخلد بن الضحاك الشيباني أبو عاصم النبيل البصري . انظر الخلاصة للخزرجي ص 177 .

32) أ ، ك : بن أبي سعد ــ ط ، م : بن أبي سعيد .

33) أ ، ط : وكتبت عنه ــ ك ، م : وكتب عنه

34) أ ، ط ، م : بفارس ــ ك : بقباس .

ومـن أهـل مـصـر :

أصبـغ بن الفـرج بن سعيـد بن نافـع

مولى عبد العزيز بن مـروان .

قال أبو عمر الكندى فى موالى مصر : كذا زعم أصبغ ، وكثير من أهل مصر لا يصححون له ولاء . يكنى أبا عبد الله ، سكن بالفسطاط .

روى عن الدراوردى ، وابن سمعان ، ويحيى بن سلام ، وعبد الرحمان بن زيد بن أسلم .

كان قد رحل الى المدينة ليسمع من مالك ، فدخلها يوم مات ، وصحب ابن القاسم وأشهب وابن وهب ، وسمع منهم وتفقه معهم .

قال أبو أحمد الجرجانى : كان كاتب ابن وهب .

قال اللالكائى : كان وراقه وأخص الناس به .

روى عنه الذهلى ، والبخارى ، ويعقوب بن سفيان ، ومحمد بن أسد الخشنى ، وابن زنجويه ، وابن وضاح ، وسعيد بن حسان ، وأخرج عنه البخارى .

ذكر مكانـه مـن العلـم والثنـاء عليـه

قال ابن أبى دليم : كان فقيه البدن (35) ، طويل اللسان ، حسن القياس ، من أفقه هذه الطبقة (36) .

قال أبو حاتم الرازى : هو أعلى أصحاب ابن وهب . صدوق .

وقال ابن معين : ثقة .

وقال ابن وضاح مثلـه .

---

35) كذا فى جميع النسخ التي بين أيدينا ، وستتكرر هذه العبارة بنصها فيما يلي .

36) ا ، ك ، م : من أفقه هذه الطبقة ـــ ط : من أحسن هذه الطبقة .

قال ابن حبيب : كان أصبغ من أفقه أهل مصر ، وعليه تفقه ابـن المواز ، وابن حبيب ، وأبو زيد القرطبى ، والبرقى ، وابن مزين ، وعبد الاعلى القرطبى ، وغيرهم .

قال ابن أبى حاتم : روى عنه أبو حاتم الرازى .

قال ابن حارث : كان ماهرا فى فقهه ، فقيه البدن ، طويل اللسان ، حسن القياس ، من أفقه هذه الطبقة وأهل التبيان والبيان (37) . وتكلم فى أصول الفقــه .

قال ابن حبيب : كان أفقههم ــ بعد أن ذكر ابن القاسم وطبقته ، ثم ذكر أصبغ ، وعبد الله بن عبد الحكم .

قال أحمد بن صالح الكوفى : هو ثقة صاحب سنة .

حكى القاضى (38) أن أشهب مرض فدخل عليه عواده ، وفيهـم أصبغ ، فلما خرجوا قالوا له : من لنا بعدك ؟

قال : هذا الخارج عنا .

قال : وكان ابن وهب يقول : لولا أن تكون بدعة لسورناك يا أصبغ كما تسور الملوك فرسانها .

قال أبو عمر الكندى : كان أصبغ فقيها نظارا .

وسأل مطرف بعض المصريين عن عبد الله بن عبد الحكم . فقال : مـــات .

قال : فما فعل أصبغ ؟

قال : بـــاق .

---

37) ط ، م : من أفقه هذه الطبقة والتبيان والبيان ــ ك : من أفقه هذه الطبقة والبيان ــ أ : من أفقه أهل هذه الطبقة (بياض مقدار كلمة) والبيان ــ ولعل تصحيح العبارة أن يكون كما أثبتناه : « من أفقه هذه الطبقة وأهل التبيـان والبيان » .

38) م : حكى القاضي ــ أ : حكى المغامي ــ ك : حكى المقاصي ــ ط : حكـى المعافـى .

فقال مطرف : الحى عندنا أفقه من الميت .

قال ابن اللباد : ما انفتح لى طريق الفقه الا من أصول أصبغ .

وقد روى أن ابن القاسم قال : ان قبل أصبغ لرواية (39) .

قال عبيد بن سعيد : قدمت على أصبغ بن الفرج ، فلما كان توجهى الى المدينة ، كتب معى الى عبد الملك بن الماجشون يسأله أن يجيز لـه كتبـه .

قال : فقدمت على عبد الملك بكتابه ، وهو يومئذ قد كف بصره فقال لى : قل له : اشخص للعلم ان كنت تريده ، فانما العلم لمن شخص لـه .

قال : فذاكرته حال أصبغ ، فقال : ما أخرجت مصر مثل أصبغ .

قلت له : ولا ابن القاسم ؟

قال : ولا ابن القاسم — كلفا منه به — .

*
* *

وقال ابن مزين : لما قدمت على أصبغ ، سلمت عليه وهو محتب ، فأخرج يده من تحت حبوته — وكنت أعرف مروءة أصحابنا بالاندلس — فقلت فى نفسى : لقد ضاع سفرى الى هذا الرجل ، ثم جلست ، فلما خاض فى العلم قلت فى نفسى : ما يضرك لو أخرجتها عن طوقك .

(258) وكان * أصبغ يستفتى بمصر مع أشهب وغيره من شيوخه .

قال ابن غالب : خرجت عن الاندلس وأصبغ عندى أكبر أهل زمانه، لما كنا شاهدناه من تعظيم شيوخنا له .

وحكى الكندى عن المزنى والربيع ، قالا : كنا نأتى أصبغ قبل قدوم الشافعى ، فنقول له : علمنا مما علمك الله .

---

(39) كذا فى نسختي أ ، ك — وهي غير واضحة فى نسخة ط .والمعنى أن عند اصبغ رواية لا يستهان بها .

قال ابن معين : كان أصبغ من أعلم خلق الله كلهم برأى مالك ، يعرفها مسألة مسألة متى قالها مالك ، ومن خالفه فيها .

*
* *

ولاصبغ تواليف حسان ، ككتاب الاصول له فى عشرة أجـــزاء ، وتفسير غريب الموطأ ، وكتاب آداب الصائم ، وكتاب سماعه من ابــن القاسم اثنان وعشرون كتابا ، وكتاب المزارعة ، وكتاب آداب القضاة ، وكتاب الرد على أهل الاهواء .

*
* *

قال أبو بكر بن أصبغ : قال أبى : أخذ ابن القاسم بيدى يوما وقال لى : يا أصبغ ! أنا وأنت اليوم فى هذا الامر سواء ، فلا تسألنى عن هذه المسائل الصعبة بحضرة الناس ، ولكن بينى وبينك ، حتى أنظر وتنظر .

قال : وقدم طومار عليه من الاندلس أو من المغرب (40) ، فيـــه مسائل ، فقال لى : أجب فيها وائتنى بجوابك ، وقال لعيسى بن دينـــار مثله ، فجئنا بذلك ، وقرأناها عليه ، فأخذ جوابى وطبع عليه وأعطـــاه لصاحب المسألة ، وقال : أخبرهم أن هذا جوابى . وما غير منه شيئا .

جـمـل مـن أخـبـاره

قال أصبغ : خرجت الى مكة سنة تسع وسبعين للسماع من مالك ، فدخلت المدينة ، فلم ألق الا باكيا ، أو مسترجعا ، أو ضاربا يدا علـــى أخرى ، أو معددة (41) ، فقلت لبعضهم : ما شأن الناس ؟

فلم يكلمنى أحد ، وجعلت كلما لقيت فوجا (42) أسأله ، حتى قال لى رجل جالس متقنع يبكى ، وقد رأى حالى : أراك غريبا .

---

40) أ ، ط : من الاندلس والمغرب ــ ك : من الاندلس او المغرب ــ م : من الاندلس أو من المغرب .

41) ك : م : او محددة ! ــ ط : أو محدة ! ــ ولعل الصواب ما أثبتناه « أو معددة » من قولهم عددت المرأة ، اذا ذكرت مناقب الميت ــ والكلمة ساقطة أصلا من نسخة : أ .

42) أ ، ك ، م فوجا ــ ط : رجلا .

قلت : نعم ، الساعة دخلت .

قال لى : مات اليوم عالم المشرق والمغرب .

قلت : يرحمك الله ؛ ومن هو ؟

قال لى : أراك جاهلا ؛ أقول لك عالم المشرق والمغرب ، فتقول : من هـــو ؟

قـــال : فأسكتنــــــى .

فلما نظر الى وءد وجمت ، قال لى : مات مالك بن أنس .

قال : فصحت مات مالك ؛ ومضيت مع الناس الى منزله ، فاذا به قد مات ذلك اليوم ، فحضرت جنازته ؟

*
* *

وذكر أبو عمر الكندى فى كتاب الموالى ، قال : كانت بين عبد الله بن عبد الحكم وأصبغ منازعة ومباعدة .

وقال فى طبقات القضاة بمصر : ان أبا ضمرة الزهرى ، كان أشار بين يدى ابن طاهر بأصبغ للقضاء . وقال : أصبغ الفقيه العالم لها .

فلم يوافقه عليه ابن عفير ، وقال : ما بال أبناء الصباغين يذكرون هنـــا ؟

فأشار ابن عبد الحكم بعيسى بن المنكدر ، فولى ، ولم يكن له رأى فى أصبـــــغ .

فبلغ قول ابن عفير أصبغ ، فقال : من أخبره أن فى آبائى صباغا ؟

محـنـتـه

قال أبو العرب : قال يحيى بن عمر : اختفى أصبغ بن الفرج أيـــام الاصم وأخذه الناس بالمحنة فى القرآن ، فطلبه الاصم ، فاختفى فى داره ، وكان اخوانه يأتونه فيها الواحد بعد الواحد ، حتى مات .

وقال أبو عمر الكندى : ان المعتصم كتب فى أصبغ ليحمل فى المحنة ، فهرب الى حلوان فاستتر بها ، وفى ذلك يقول الجمل المصرى (43) فى مدحه للاصم .

وطويت أصبغ خيفة فى بيتـــه   فسترنه جدر البيوت الستـــر
أبدلتـــه برجالـــه وجموعـــه   خوفا ، مقاعدة النساء الخـــدر

وتوفى أصبغ بمصر سنة خمس وعشرين ومائتين .

قال ابن سحنون : وذلك يوم الاحد لخمس ليال بقين من شـوال ، منها . وقال نحوه الكندى .

وقال أبو نصر الكلاباذى : توفى سنة أربع وعشرين ومائتين .

قال الكندى : مولده بعد الخمسين ومائة .

أبـو زيـد بـن أبـي الغمـر

واسمه عبد الرحمان بن عمر بن أبى الغمر . كـــذا قال الكنـدى والدارقطنى وغيرهما . مولى بنى سهم .

(259) يروى عن يعقوب بن عبد * الرحمان الاسكندرانى ، والمفضل (44)، وابن القاسم ــ وأكثر عنه (45) ــ وحبيب كاتب مالك ، وابن وهب ، ومعاوية بن يحيى الاطرابلسى .

قال ابن أبى دليم : ورأى مالكا ولم يأخذ عنه شيئا . وحكى ذلـك الكندى عنـــه .

روى عنه ابناه : محمد وزيد ، والبخارى ــ وأخرج عنه فى الصحيح ــ وأبو زرعة ، وأبو الزنباع روح بن الفرج ، وأحمد بن رشديـــن ، ومحمد بن المواز ، وأبو اسحاق البرقى ، ومحمد بن عامر الاندلسـى ،

---

43) ك ، م : الجمل المصري ــ ط : الحمل المضري ــ ا : الحمل المصري .
44) ا ، ك ، م : والمفضل ــ ط : والفضل .
45) ا ، ط : واكثر عنه ــ ك ، م : واكثرهم عنه

وأبو الطاهر المصرى ، والحارث ، ويونس ، ويحيى بن عمر ، ومحمد بن عيسى الاعشى (46) .

وهو راوية الاسدية ، والذى صححها على ابن القاسم بعد ابن الفرات . وله كتب مؤلفة حسنة موعبة لطيفة (47) فى مختصر الاسدية وله سماع من ابن القاسم مؤلف .

قال ابن وضاح : لقيته بمصر . وهو شيخ ثقة .

قال الكندى : وكان فقيها مفتيا .

وذكر لسحنون ، فقال : ان أبا زيد لم يكن من أهل هذا الشأن ، يعنى الفقه .

قال ابن باز : والذى لا اله الا هو ، ما رأيت أفضل من أبى زيد بن أبى الغمر ، لا أحاشى أحدا .

وقال ابن أبى دليم : كان رجلا صالحا .

قال غيره : كان لا يرى مخالفة ابن القاسم .

*
* *

وكتب أبو زيد الى أبى سنان القيروانى : عليك يا أخى بنفسك ، فلها ناعمل ، وعلى حضها فاحرص ، وعلى دوام بقائها فى النعيم المقيم فقم لها بذلك ، فكأن قد حجبت عن القيام بما ذكرت لك ، فاغتنم ذلك ما كان لك مبذولا ، واعلم أنك لن تقوى على ذلك حتى تترك ما تحب الى ما تكره ، فعند ذلك تقوى على ما تريد ، ويهون عليك طلب ذلك ، وتقدر عليه ان شاء الله ، وأبعد ما تكون منه حين تعطى نفسك مناها ، وتدرأ عنها ما تكره ،

---

46) سقط من نسختي أ ، ط قوله : « ومحمد بن عيسى الاعشى »

47) سقط من نسختي أ ، ط قوله : « حسنة موعبة لطيفة »

واعلم أن ذلك بالله ومنه (48) ، فعليك بالاستعانة بالله فى ذلك (49) ، فلعلك تعطاه ان حسنت فيه نيتك .

قال ابن باز : سألت أبا زيد بن أبى الغمر عمن تزوج وشرط ان لم يأت بمهر الى كذا فأمرها بيدها .

فقال : النكاح جائز .

فقلت له : يروى عن مالك : لا يجوز .

فقال لى : ومن أعلم بقول مالك ، أنا أو أنت ؟

قلت : أنت ، ولكن أخبرنى سحنون عن ابن القاسم عن مالك أنه لا يجوز .

قال ابراهيم : ثم وجدتها رواية كما قال .

قال محمد بن عيسى : قال ابراهيم : صليت وراء أبى زيد بن أبى الغمر على جنازة ، فرفع يديه فى التكبير كله ، ثم صليت وراءه على أخرى فلم يرفع لا فى الاولى ولا فى غيرها .

وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين .
مولده سنة ستين ومائة .

أبو علي بن مقلاص

واسمه عبد العزيز بن عمران بن أيوب بن مقلاص الخزاعى . وهو ابن بنت سعيد بن أبى أيوب بن قلاص ، مولاهم ، من أكابر أصحاب ابن وهب ، أخذ عنه ، وعن الشافعى وعن لهيعة بن عيسى .

روى عنه أبو ابراهيم الزهرى ، ويعقوب بن سفيان ، وابن وضاح وجماعة من الاندلسيين ، وابن حارث ، وكان فقيها زاهدا صوفيا حسنا ، ذكره ابن أبى دليم والكندى .

---

48) أ ، ك : ومنه — ط ، م : وتوفيقه .
49) أ ، ط : فعليك بالاستعانة بالله فى ذلك — ك ، م : فعليك بالاستكانة اليه فى ذلك .

وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين .

وله ابن اسمه عمر ، روى عنه ابن قديد .

قال ابن وضاح : لقيته بمصر ، وكان كثير الرواية ، ضابطا للحديث، حافظا له ، نعم الشيخ ، ثقة .

وكان جده لامه سعيد بن أبى أيوب — ويكنى بأبى يحيى — من رواة الحديث ، يروى عن عقيل .

روى عنه ابن المبارك ، والمقرى ، وأبو مطيع معاوية بن يحيى .

قال ابن معين : هو مولى أبى هريرة ، ووثقه هو والنسائى .

توفى — فيما قاله البخارى — سنة تسع وأربعين ، وقال ابن بكير : سنة احدى وستين ومائة .

سعيد بن عيسى بن تليد

بفتح التاء ، أبو عثمان القتبانى ثم الرعينى ، مولاهم .

وقتبان قبيلة من رعين ، بقاف مكسورة ، بعدها تاء باثنتين من فوق ساكنة ، وباء موحدة مفتوحة ، وألف بعدها نون .

فقيه مشهور بمصر .

(260) قال الكندى فى كتاب الموالى : وهو عم مقدام بن داود * بن عيسى، وكان كاتبا لغير قاض بمصر .

يروى عن المفضل بن فضالة ، وبكر بن مضر ، وابن عيينة ، وابن وهب ، وابن القاسم ، والليث بن عاصم ، وغيرهم .

روى عنه ابن أخيه المقدام ، وأبو حاتم الرازى ، وعلى بن عمر النفيلى (50) ، والبخارى ، وخرج عنه فى صحيحه .

قال أبو حاتم : هو ثقة .

---

50) ا ، ك ، ط : النفيلي — م : البلقيني .

قال أبو عمر الكندى فى قضاة مصر : ولاه لهيعة بن عيسى على مسائله . وكان أول شأنه خياطا

وقال الجيزى : ان الفضل بن حاتم قاضى مصر ، استكتبه بعد أن أبى عليه ، فحلف له ان لم يفعل ليعاقبنه .

قال الدارقطنى : وتوفى سنة تسع عشرة ومائتين . وقال الكندى : سنة أربع عشرة .

أبو الزنباع روح بن عبد الجبار بن نصير

مولى مراد ، وهو أخو أبى الاسود . يروى عن ابن القاسم ، وكان مقبولا عند قضاة مصر ذكره ابن أبى دليم فى المالكية .

قال : وتوفى فى ذى القعدة سنة احدى وعشرين ومائتين .

وأخوه أبو الاسود النضر بن عبد الجبار ، كان يكتب للهيعة قاضى مصر ، ذكره الكندى فى علماء موالى مصر .

مولده سنة خمس وأربعين ومائة . وتوفى سنة سبع عشرة ومائتين.

وابن أخيهما محمد بن عبد الله بن عبد الجبار ، ويكنى بأبى العوام ، قال الكندى : كان فقيها مقبول الشهادة . توفى سنة ثمان وستين .

أبو عمرو الحارث بن مسكين

ابن محمد بن يوسف ، مولى محمد بن زيان بن عبد العزيز بن مروان

سمع من ابن القاسم ، وأشهب ، وابن وهب ، ودون أسمعتهم وبوبها ، وبهم تفقه ، وعد فى أكابر أصحابهم ، وله كتاب فيما اتفق فيه رأيهم الثلاثة .

ورأى الليث ، ومالكا ، والمفضل بن فضالة .

وروى أيضا عن سفيان بن عيينة ، وسعيد بن الجهم ، ويوسف بن عمر ، وحدث ببغداد وبمصر .

وممن روى عنه ابن زيان الحضرمى (51)، وأبو داود، وابنه، ويعقوب ابن شيبة ، وأبو حاتم الرازى ، ويحيى ومحمد ابنا عمر ، ومحمد بن رمضان ، والنسائى ، وابن وضاح ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، والقاسم ابن المغيرة الجوهرى ، وحمدان بن على .

سئل أحمد بن حنبل عن الحارث بن مسكين قبل أن يستقضى ، فأثنى عليه خيرا ، وقال : ما بلغنى عنه الا خير . قال : وكانوا يتساهلون فى الأخذ عن ابن وهب والمصريين تساهلا شديدا .

وقال يحيى بن معين : لا بأس به ، قال ابن وضاح : هو ثقة الثقات .

قال الكندى : كان مفتيا فقيها .

قال يحيى بن نصر : عرفت الحارث أيام ابن وهب وقبل وفاته (52) على طريقة زهادة وورع وصدق لهجة حتى مات .

قال أبو بكر الخطيب : كان فقيها على مذهب مالك ، ثقة فى الحديث ، ثبتا .

وحكى الخطيب عن على بن حسين بن حيان ، قال : وجدت فى كتاب أبى بخطه : قال أبو زكرياء : الحارث بن مسكين خير من أصبغ ، وأفضل من عبد الله بن صالح .

وقال النسائى : الحارث بن مسكين ثقة مأمون .

وللحارث بن مسكين كتاب حسن ، دون فيه سماع ابن القاسم وابن وهب .

قال أبو حاتم : هو صدوق .

وقال عبد الله بن محمد القاضى : كان الحارث من علماء هذه الطبقة بمصر ، مع خيره وفضله وثقته فى روايته ، وكان عدلا فى قضائه ، محمودا فى سيرته .

---

51) أ ، ط : ابن زيان الحضرمي — م : ابن ريان — ك : ابن رنان .
52) أ ، ط م : وقبل وفاته — ك : وبعد وفاته .

قال الكندى : وكان أصحاب الأصم قد أشاروا عليه بامتحان الحارث فى القرآن ، عند قدوم الحارث من العراق ، فقال لهم : السلطان لم يمتحنه هناك ، أنا أمتحنه ؟ اسكتوا عن هذا .

وذلك أن ابن أبى دؤاد كان أوصاه به ، لان الحارث حضر جنازة له، فشكر ذلـك لــه .

*
* *

قال الامير أبو نصر : حمل الى بغداد للفتنة ، فحبس بها الى أن ولى المتوكل ، فأطلقه .

(261) وقال * الخطيب مثله . وزعم أن الذى حمله ، المأمون .

وفيه يقول سعدان بن يزيد :

لو تراه وأبــا زيــد معــا	وهما للدين حصــن وعضــد
يدرسون العلم فى مسجدهــم	واذا جنهــم الليــل هجــد
واذا مــا وردت معضلــة	أسند القوم اليهم مــا ورد
نور اللــه بهــم مسجــده	بهم المسجد نــور يتقــد

ذكر ولايته القضــاء وسيرته فى ذلــك

قال الجيزى فى كتاب قضاة مصر : ولى الحارث بن مسكين قضـــاء مصر سنة سبع وثلاثين ، فى جمادى الاولى منها .

قال أبو عمر الكندى فى كتاب طبقات قضاة مصر ، وفى كتاب الموالى : ولى الحارث بن مسكين قضاء مصر من قبل المتوكل ، وأتاه كتاب القضاء وهو بالأسكندرية ، فلما قرأه امتنع من الولاية ، فأجبره أصحابه على ذلك، وشرطوا عونهم لـــه (53) .

فقدم الفسطاط وجلس للحكم ، وكان مقعدا من رجليه ، فكان يحمل

53) ا ، ك ، م : عونهم له ــ ط : لحوقهم له .

الى الجامع فى محفة ، ويركب حمارا مبرقعا ، وطولب بلباس السـواد فامتنع ، فخوفه أصحابه سطوة السلطان وتهمته بتولى بنى أمية ، فلبس كساء صوف أسود .

قال بعضهم : رأى بعض من بمصر كأن ابن أكثم ذبح الحارث بـن مسكين ، فلم يكن حتى جاءه قضاء مصر ، وكان على يدى ابن أكثم قاضى القضاة حينئذ .

*
* *

قال أبو محمد الضراب فى كتابه : روى الحارث عن ابن وهب عن مالك، فى الرجل يدعى للعمل فيكره أن يجيب اليه ، وخاف على دمه ، أو جلد ظهره، وهدم داره ، كيف ترى فى ذلك ؟

قال : أما هدم داره ، وجلد ظهره ، وسجنه ، فانه يصبر على ذلك ، ويترك العمل ، خير له . وأما أن يباح دمه ، فلا أدرى ما حد ذلك ، ولعله فى سعة من ذلك ان عمـل .

قال يونس : روى الحارث هذا الخبر ، وولى ، ووالله لقد سألنـى : ترانى أهلا للفتيا كما قال مالك ؟

وحكى القاضى يونس : ولى جعفر المتوكل ، الحارث ، قضاء مصـر بعد أن سجنه على ابائه ذلك زمانا .

قال محمد بن عبد الوارث : كنا عند الحارث ، فأتاه على بن القاسـم الكوفى المدنى ، فقال له: رأيت فى النوم الناس مجتمعين فى المسجد الحرام، فقلت : ما اجتماعكم ؟

فقالوا : عمر بن الخطاب جاء يقعد الحارث بن مسكين للقضاء .

فرأيته أخذه ، وسمر مقعده فى الحائط ، وانصرف ، فتبعته ، فلمـا أحس بـى قال : ما تريد ؟

قلت : أنظر اليـك .

قال : اذهب للحارث ، فاقرأه منى السلام ، وقل له : تقضى بين الناس ، بأمارة أنك كنت فى الحبس بالعراق ، فقمت من الليل فعثرت ، فنكبت أصبعك ، ودعوت بذاك الدعاء ، فنجيت من الغد (54) .

فقال له الحارث : صدقت ، وهذا شىء ما اطلع عليه أحد الا الله تعالى .

فسألته عن الدعاء ، فقال : يا صاحبى عند كل شدة ، ويا غياثى عند كل كربة ، ويا مؤنسى فى كل وحشة ، صل على محمد وعلى آل محمد ، واجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا .

*
* *

قال : ودعى الى لباس السواد فأبى من ذلك ، فخاطب الوالى المتوكل، فورد كتابه : ان لم يلبس السواد فاخلع وركيه .

فوجه الوالى وراءه رسلا ، فأسلمه القريب والبعيد .

قال الطحاوى عن محمد بن سعيد : فلقيته والرسل تزعجه ، وقد وله، فعلمت أنه قصد وجها من الحق خالف فيه هوى السلطان ، فدنوت منه ، وقلت له سرا : يا شيخ ! لا يهولنك ما ترى ، فان ابراهيم أسلمه أهل الارض فلم يضره ، لما كان الله له .

(262) فاعتنقنى وقال : (*) أحييتنى والله يا أخى بهذا الكلام ، فأحياك الله سعيدا .

فلما أتى به الى الوالى ، أمر بكتاب المتوكل فقرىء عليه ، فامتنع من لباس السواد ، فقال رجل من ناحية المسجد : ان الشيخ رأيته يلبس هذه الثياب العرجية ، التى تعمل باليمن .

فقال الحارث : بلى ! انى ربما لبستها .

فقال له الوالى : فالبسها

---

54) ط : فنجيت من الغد ــ أ ، ك ، م : فجئت من الغد .

قال : أما تلك فنعم .

وقنع منه بذلك ، وكتب به الى المتوكل ، وخلى عن الشيخ .

*
* *

قال الكندى : وأمر الحارث باخراج أصحاب الشافعى وأبى حنيفة ، ومنع أصحاب أبى حنيفة من الجامع ، وفض مجالسهم ، وأمر بنزع حصرهم بين العمد ، ومنع عامة المؤذنين من الاذان، ومنع قريشا والانصار من طعمة رمضان ، وعمر المساجد ، وبنى سقاية (55) ، وحفر خليج الاسكندرية ، ونهى عن تقبل المصائد ، وأباحها ، ونهى عن النداء على الجنائز (56) ، وضرب القراء الذين يقرأون بالالحان ، وهو أول من ولى على مصاحف الجامع أمينا ، وترك تلقى الولاة والسلام عليهم ، ولاعن ، وقتل ساحرين نصرانيين ، وقتل نصرانيا سب النبى صلى الله عليه وسلم، بعد أن جلده الحد ، ونفى وحد من سب عائشة ، ولم يكن فى ولايته خلل ، وهدم مسجدا كان بناه خراسانى بين القبور بناحية المقطب (57) فى الصحراء ، وكان يجتمع فيه للقراءة والقصص والتعبير .

وبمثل هذا أفتى يحيى بن عمر فى كل مسجد بنى نائيا عن القرية حيث لا يصلى فيه أهل القرية ، وانما يصلى فيه من ينتابه .

وبذلك أفتى فى مسجد السبت بالقيروان .

وبمثله أفتى أبو عمران بالمسجد الذى بنى بجبل فاس

*
* *

وحمله أصحابه على النظر فى أمر أبى بكر الاصم ، القاضى قبله ، وكانوا قد لعنوه لما عزل ، ورموا حصره ، وغسلوا من المسجد موضعه ،

---

55) أ ، ك : وبنى سقاية ، ط : وبنى سقائفه .

56) أ ، ك ، م : ونهى عن النداء على الجنائز — ط : ونهى عن القراءة على الجنائز .

57) ك : بناحية المقطب ، وكذلك فى الديباج ص 107 — أ : بناحية المنصب — وهي غير واضحة فى نسختي ط ، م .

فكان الحارث يوقف الاصم كل يوم ، فيضربه عشرين سوطا ، ليخرج ما وجب عليه من الاموال . أقام على ذلك أياما .

فقال بعضهم للحارث : انه قبيح بالقاضى أن يتولى مثل ذلك فخلى عنـه .

وألقيت اليه سحاءة ، فيها مكتوب : ميزان حرانى وصنجات ناقصة !

فلما قرأها استبدل بكتابه وأعوانه غيرهم .

وكان كاتب الحارث أبو اسحاق القسطال ، وعلى مسائله عمر ويزيد ابنا يوسف بن عمر .

* * *

وقال أبو عمر الكندى : وحكم الحارث فى حبس بمذهبه مذهب مالك، باخراج أولاد البنات منه ، فشكا أصحابه ذلك الى المتوكل ، فأفتى أهل العراق على مذهبهم ، وخطأوا الحارث ، ونقضت القضية ، فاستعفى الحارث اذ ذاك ، فأعفى .

وكان فى كتاب استعفائه : انتهى الى امير المؤمنين أن كتابا وصل باستعفائك فيما تقلدت من القضاء بمصر ، فأمر أيده الله باجابتك الى ذلك ، واعفائك مما تقلدت منه ، اسعافا لك بما سألت ، وتفضلا بما أدى الى موافقتك فيه ، فرأيك أبقاك الله فى معرفة ذلك والعمل على حسبه .

وذلك سنة خمس وأربعين ومائتين ، فكان أمد قضائه سبع سنين وأحد عشر شهرا .

وولى بعده بكار بن قتيبة ، فلم يكشف أحدا من أصحاب الحارث ، وقال : حارث فى فضله ودينه ، أعلم بأهل بلده منى ، الا أن تتبين لى جرحـة .

وذكر أبو عمر الصدفى : أن رجلا أتى الحارث برجل معه نصرانية ، معها ابن صغير ، أراد أن يبيعها من نصرانى ، فذكر ذلك للحارث ، فقال له الحارث : فما أصنع به ؟

فردد عليه الرجل الخبر ، والحارث يقول : ما أصنع ؟ حتى أكثر عليه.

فقال يزيد بن يوسف : أصلح الله القاضى ، هو رجل صالح .

فقال الحارث : اذا كان صالحا وأحمق فما أصنع ؟

قال بعضهم : حضرت جنازة ، فأخذ يونس بن عبد الاعلى فى كلام الزهاد ، حتى بكى بعض من حضر .

فقال الحارث : يونس ! يونس ! تحسن هذا كله وأنت تصنع ما تصنع ؟

فقال له يونس : أنت قاض ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين .

وذكر أن رجلا تقدم الى الحارث فى خصومة ، فناداه رجل باسمه ، وكان اسمه اسرافيل ، فقال له الحارث : ما حملك على أن تسمى بهذا الاسم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : لا تسموا بأسماء الملائكة ؟

فقال له : فلم سمى مالك بن أنس مالكا ، وقد قال الله تعالى : « ونادوا يا مالك » ؟

ثم قال له : والله لقد تسمى الناس بأسماء الشياطين فما عيب ذلك ، يعنى « الحارث » اسمه . ويقال هو اسم ابليس لعنه الله .

ذكر محنته وبقية أخباره

قال الكندى : لما قدم المامون مصر ، تلقاه الناس يرفعون على عمال مصر ، وجاء متظلم من ابن تميم وابن أسباط ، فجلس الفضل بن الربيع (58) فى الجامع ، وحضر مجلسه القاضى بن أكتم ، والقاضى بن أبى دؤاد ، واسحاق بن اسماعيل بن حماد — وكان على مظالم مصر — وجماعة من فقهاء مصر ومحدثيها ، وأحضر الحارث ليولى قضاء مصر ، فدعاه الفضل ، فسأله عن ابن تميم وابن أسباط .

58) ك ، م : الفضل بن الربيع — أ ، ط : الفضل بن مروان

فقال : ظالمين غاشمين !

فقال : ليس لهذا أحضرناك .

واضطرب المسجد ، فقام الفضل وسار الى المأمون ، وقال له : لقد خشيت على نفسى من قيام الناس مع الحارث .

فأرسل المامون الى الحارث فسأله عنهما ، فقال : ظالمين غاشمين .

فقال له : هل ظلماك بشىء ؟

قال : لا .

قال : فعاملتهما ؟

قال : لا .

قال : فكيف شهدت عليهما ؟

قال : كما شهدت أنك أمير المؤمنين ولم أرك قط الا الساعة ، وكما شهدت أنك غزوت ولم أحضر غزوك .

قال : اخرج من هذه البلاد ، فليست لك ببلاد ، وبع قليلك وكثيرك ، فانك لا تعاينها أبدا .

وحبسه فى رأس الجبل فى خيمة .

ثم انحدر لمحاربة بعض بلاد مصر ، وأحدره معه ، فلما فتحها سأل حارثا عن مسألته الاولى ، فرد عليه جوابه بعينه .

فقال له : فما تقول فى خروجنا هذا ؟

فقال : أخبرنى عبد الرحمان بن القاسم ، عن مالك ، أن الرشيد كتب اليه يسأله عن قتال أهل دهلك ، فقال : ان كانوا خرجوا عن ظلم من السلطان فلا يحل قتالهم ، وان كانوا انما شقوا العصا فقتالهم حلال .

فجاوبه المامون بجواب قبيح سبه فيه وسب مالكا ، وقال له : ارحل عن مصر .

فقال : يا أمير المؤمنين ! الى الثغور ؟

قال : الحق بمدينة السلام .

فقال أبو صالح الحرانى (59) : يا أمير المؤمنين تغفر زلته .

قال : يا شيخ ! شفعت ؟ ارتفع .

قال : وكان لما حضر ، قال له المأمون : يا ساع ! يرددها عليه .

فقال له : لست بساع ، وان اذن لى أمير المؤمنين فى الكلام تكلمت .

قال : تكلـــم .

قال : والله يا أمير المؤمنين ما أنا بساع ، ولكنى أحضرت ، فسمعت وأطعت حين دعيت ، ثم سئلت عن أمر فاستعفيت فلم أعف ثلاثا ، فلما رأيت أنه لابد لى من الكلام ، كان الحق آثر عندى من غيره .

فقال المأمون : هذا رجل أراد أن يرفع له علم فى بلده ، خذه اليك .

ثم حمله الى العراق ، وخرجت اليه امرأته ، وحمل ابنه ابراهيم الى الثغور ، فأقام الحارث بالعراق ست عشرة سنة ، حتى مات المـــأمون والمعتصم . وذكره الواثق لابن أبى دؤاد ، فقال له : هو حاضر .

فقال : ما ظننت أنه حى .

فأرسل الى الحارث وهو ببغداد يقول له : سل حاجتك ؟

قال : حاجتى أن لا تحملنى الى سر من رأى .

فقال ابن أبى دؤاد للواثق : هو شيخ ضعيف ، خفت أن أحملـــه فيموت .

قال : فاكتب اليه يتوجه حيث شاء .

فانصرف الى مصر ، سنة اثنين وثلاثين ومائتين ، فلما ولى المتوكل ولاه قضاءها .

---

59) ك ، م : ابو صالح الحراني ـــ ا ، ط : ابو صالح الهذلي

قال محمد بن عبد الحكم : قال لى ابن أبى دؤاد : لقد قام حارثكم مقام الانبيـــاء .

وكان ابن أبى دؤاد يحسن ذكره ويعظمه جدا ، ويكتب الى الاصـــم بالوصاة بـــــه .

وتوفى الحارث سنة خمسين ومائتين ، وقيل سنة ثمان وأربعين ، والاول الصواب ، وسنه خمس وتسعون ، وصلى عليه أمير مصر .
مولده سنة أربع وخمسين ، وقيل سنة ست وخمسين ومائة .

محمـــد بـــن أبـــي زكـــير

واسمه يحيى بن اسماعيل ، أبو عبد الله ، مولى آل خالد بن يزيد بن أسيد الصدفى (60) ، مولى لهم .

هو أبو مزاحم المحتسب ، قاله الكندى فى أعيان موالى مصر .

وقيل بل اسمه ركين بضم الراء مصغرا ، قاله الامير والدارقطنى .

كان فقيها من أكابر أصحاب ابن وهب ، ويروى عن الشافعى .

حدث عنه أبو ابراهيم الزهرى ، وأبو زكرياء البردعى ، والمصريون.

قال أبو عمر الصدفى : سألت عنه أبا جعفر العقيلى (61) ، وأبا بكر الحضرمى ، فقالا : ثقـــــة .

وابنه مزاحـــم : ولى الحسبة ، وكان مقبولا بمصر ، توفـــى سنة ثنتين وثلاثين ومائتين .

الـــوقــــار

قال ابن حارث : هو أبو يحيى زكرياء بن يحيى بن ابراهيم بن عبد الله من موالى قريش ، مصرى .

---

60) ط ، ك م : الصدفي — أ : الصدي
61) أ ، ك العقيلي — ط : العنبلى — م : غير واضحة .

قال غيره : هو مولى بنى عبد الدار .

روى عن ابن وهب ، وابن القاسم ، وأشهب ، وغيرهم ، وكـــان مختصا بابن وهب .

قال أبو العرب فى كتابه فى علماء افريقية : قدم علينا افريقية سنـــة خمسين ومائتين (62) ، وكان اذا حدث عن ابن وهب يقول : حدثنى سيدى ابن وهب .

قال : وفى حديثه لين وانقطاع ، وعن رجال شاميين غير أعـــلام .

وسمع عليه بأفريقية ، ثم انصرف الى مصر ، وكان يلقب بالبرطنج ، وقرأ القرآن على نافع المدنى ، وعنه أخذ أبو عبد الرحمان (63) المقرىء حرف نافع . قال : وأوطن أطرابلس .

قال أبو عمرو الدانى : أبو يحيى ، يلقب بالبرطنج ، مقرىء ، روى القراءة عندنا على نافع بن أبى نعيم ، وروى عنه القراءة محمد بن برغوث المقرىء .

قـــال : وأبو يحيى هذا مجهول .

قال الفقيه أبو الفضل عياض رضى الله عنه : وأبو يحيى هذا المجهول عند أبى عمرو ، هو أبو يحيى الوقار ، ولم يذكر أبو عمرو ، الوقـــار ، جملة ، وأراه لم يبلغه خبره ، أو لم يعلم أن البرطنج هو الوقار ، وقد بين أبو العرب وابن حارث ذلك بحمد الله .

قال أبو عمر الكندى : كان فقيها صاحب عجائب ، ولم يكن بالمحمود فى روايتـــه .

قال : وكان ممن خرج من مصر أيام أبى بكر الاصم ، وأخذه الناس بمحنـــة القـــرآن .

---

62) أ ، ك ، م : سنة خمسين ومائتين ــ ط : سنة خمس ومائتين وكذلـــك فى الديباج المذهب لابن فرحون فى ترجمة الوقار ، انظر الديباج ص 118 .

63) أ ، ك ، م : أبو عبد الرحمان ــ ط : أبو عبد الله .

قال ابن هلال : كان الوقار بمصر يقص ، فيجتمع اليه الناس ، وكان لا يقعد الى المزنى الا النفر اليسير ، فقلت فى ذلك للوقار — أو قيل له — فقال : ان كل من ترى حولى لو خطرت به دبة أو قردة افترقوا عنى ، ولو سقط المسجد على أصحاب المزنى لوجدوا حوله .

وسمع منه بمصر والقيروان ، وكأنه كانت فيه غفلة .

قال سهل القيروانى : لما أراد عبد العزيز بن يحيى المدنى الخروج عنا ، استعنا عليه أن يصبر علينا حتى يستوعب الناس سماعهم منه ، نصبر ، فقال لنا الوقار : انى أريد الخروج ، فان استعنتم على كما استعنتم على عبد العزيز جلست ، أو كما قال .

قال أبو اسحاق الشيرازى : كان الوقار يغلو فى مالك ويتعصب له على أبى حنيفة ، ويقول : ما مثله ومثل أبى حنيفة الا كما قال جرير :

يعد الناسبون الى معد ... بيوت المجد أربعة كبارا
يعدون الرباب وآل سعد ... وعمرا ثم حنظلة الخيارا
(265) ويذهب بيننا المرى لغوا ... كما ألغيت فى الدية الحوارا *

وعده أبو اسحاق الشيرازى فى صغار الآخذين عن مالك ، ولم يذكر ذلك أحد ، ولا أراه يصح .

وتوفى سنة أربع وخمسين ومائتين بمصر ، هذا المعروف ، والذى قاله الكندى وابن أبى دليم وغيرهم ، وقيل سنة ثلاث وستين .
وقال الامير أبو نصر : قتلته البجة بالحرس ، سنة سبع ومائتين ، وسيأتى ذكر ابنه أبى بكر بعد هذا .

أبو جعفر أحمد بن صالح

يعرف بابن الطبرى ، كان أبوه من أصحاب ابن الاشعث من عجم الجند ، من أهل طبرستان .
سمع ابن وهب ، وعنبسة بن خالد .

قال أبو عمرو المقرئ : كان حافظا للحديث ، وأخذ القراءة عن ورش، وقالون ، وابنى أبى أويس ، وحرمى بن عمارة .

كتب عنه أحمد بن حنبل ، والبخارى ، والذهلى ، وخرج عنه البخارى فى الصحيح ، وأحمد بن رشدين ، والحسن بن أبى مهران ، وأبو داود السجستانى ، وغيرهم .

وكان ابن حنبل والبخارى وابن نمير ، وابن المدينى ، ويحيى ، وأبو حاتم ، وغيرهم ، يوثقونه .

قال يحيى : هو ثبت ثقة .

وقال أحمد : هو ثبت ثقة صاحب سنة .

وقال مسلمة بن القاسم : الناس مجمعون على ثقته وخيره وفضله .

قال الكوفى : هو ثقة صاحب سنة .

قال الكندى : كان فقيها نظارا .

قال البخارى فيه : ثقة مأمون ، ما رأيت أحدا تكلم فيه بحجة .

وقال يحيى : سلوه فانه ثبت .

وقال محمد بن الحسن فيه : أبو جعفر أحد الائمة .

وذكر الرشدينى عنه أنه كان يقول فى المخيرة : انها واحدة وان اختارت ثلاثا ، وبذلك كان يأخذ ، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص.

قال أبو نعيم : ما قدم علينا فتى أعلم بحديث الحجاج منه .

قال أحمد : هو يفهم حديث المدينة.

قال ابن خلاد : هو ممن جمع الاقطار فى رحلته ، اليمن والعراق ، ومصر .

وتكلم فيه النسائى ، فضعفه .

قال : وكان سبب ذلك أن ابن صالح ، كان لا يحدث أحدا ، حتى

يشهد عنده رجلان من المسلمين ، أنه من أهل الخير والعدالة ، فحينئذ كان يحدثه ويبذل له علمه على مذهب زائدة وغيره ، فدخل عليه النسائى دون اذن ولا معرفة ولا تزكية ، فأنكره وأمر باخراجه .

قال العقيلى : كان النسائى يصحب قوما من أهل المدينة ليسوا هناك ــ أو كما قال ــ فأبــى أحمد أن يأذن له ، فلم يره ، فجمع النسائى أحاديث قد غلط فيها أحمد ، فشنع بها ، ولم يضر ذلك أحمد شيئا . هو امام ثقة .

قال أبو الوليد الباجى : أحمد بن صالح من أئمة المسلمين الحفــاظ المتقنين ، لا يؤثر فيه تجريح .

قال ابن نمير : حدثنا أحمد بن صالح . واذا جاوزت الفرات فليس أحد مثلــه .

وقال فيه أبو حاتم : ثقــة

قال ابن زنجويه : ذاكر أحمد بن صالح ، ببغداد ، أحمد بن حنبل ، فى حديث الزهرى ، فما رأيت مذاكرة أحسن منها ، وما يغرب أحدهما على الآخر . وذكر خبرا طويلا .

قال أبو داود : قلت لاحمد بن صالح : من قال القرآن كلام الله ، ولا يقول مخلوق ولا غير مخلوق ؟

قال : هذا شاك ، والشاك كافر .

قال ابن أبى دليم : كان فقيها صاحب مناظرة ، وألف فى الصحابة ، وكان يرى فى الجنب اذا لم يقدر على طهارة الماء من برد وخوف على نفسه ، أنه يتوضأ ويصلى ، ويجزيه ، على ما جاء فى بعض الروايات فى حديث عمرو بن العاص : (فتوضأ وصلى بهم) ولم يقل بهذا الرأى أحد من فقهاء الامصار سوى طائفة ممن ينتحل الحديث ، لهذا الحديث ، ولان الوضوء عندهم فوق التيمم .

قال ابن أبى دليم : كان فقيها صاحب مناظرة .

وتوفى فى ذى القعدة سنة ثمان وأربعين ومائتين ، ومولده سنة ثنتين وسبعين * ومائة ، قاله الكندى وغيره . (266)

وقال أبو عمرو المقرىء : مولده بمصر سنة سبعين ومائة .

عيسى بن المنكدر

ابن محمد بن المنكدر القرشى ، قاضى مصر أيام ابن طاهر ، أشار به عبد الله بن عبد الحكم ، وأعلمه أنه فقير ، فأجرى له سبعة دنانير كل يوم ، وأجازه بألف دينار ، وكان رجلا صالحا ، وكان قد أشار أبو ضمرة الزهرى بأصبغ بن الفرج (64) ، فرد عليه سعيد بن عفير ، فأشار عبد الله ابن عبد الحكم بعيسى .

واستكتب أبا الاسود النضر بن عبد الجبار ، وداود بن أبى طيبة (65) ، واستكتب أيضا — فيما حكاه ابن أبى دليم — أبا اسحاق القسطال . وكان القائم بأمره سليمان بن برد الى أن مات ، فولى بعده مسائله عبد الله بن عبد الحكم .

قال محمد بن عبد الحكم : أشار والدى على ابن المنكدر بوجوب اليمين للمدعي على المدعى عليه بالمال ، وان لم تقم بينة بخلطة ، وبه أخذ ، لان الناس قد فسدوا .

وذكر نحوه عن أصبغ ، فى الغرباء الذين يضربون فى الارض ، وهل يشترون ويبيعون الا ممن لم يعرفوه ويخالطوه ؟

قال ابن أخي ابن وهب : سمعت القاضى ابن المنكدر يصيح بالشافعى: يا كذا ! يا كذا ! دخلت هذه البلدة وأمرنا ورأينا واحد ، ففرقت بيننا . ودعا عليه .

---

64) سقط من نسخة م من قوله : « وكان رجلا صالحا » الى قوله : « بأصبغ بن الفرج »

65) ك : طيبة — أ : ظبية — ط : طبقة — م : طبية .

وكانت له طائفة من أصحابه يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فلما ولى ، كانت تأتيه فتعرفه بما حدث ، فيترك الحكم ، ويصير معهم لتغييـــــره .

فكان اذا عذله فى هذا أحد ، يقول : لابد من القيام بأمر الله .

وكان يتنكر بالليل ويمشى ، فيستخبر أحوال الشهود ، ويسأل عنهم، فولى نحو السنتين ، وعزله المعتصم عند قدومه مصر ، وأقامه للنـــاس ، وسجنه ، وأخرجه معه الى بغداد ، فمات بها مسجونا .

وكان سبب حقده عليه ، ما ذكرناه فى خبر عبد الله بن عبد الحكم ، قبل هـــذا .

ذكر هذا كله أبو عمر الكندى .

وقال الجيزى : قال ابن عبد الحكم : قال لى ابن طاهر ، حين طلبت منه لابن المنكدر : كم ترى أن نعطيه ؟

فخشيت أن أقول ما يريد أكثر منه ، فقلت : يقول الامير .

فقال : أمرنا له بألف دينار .

فكرهت أن أعظمها عنده ، أو أصغرها ، وليست بصغيرة ، فقلت : فى ألف ما أغناه .

فأمر له بها ، وأجرى عليه أربعة آلاف درهم فى الشهر . وكان أول قاض بها أجرى عليـــه

قال سعد (66) بن عبد الله بن عبد الحكم : لما ولى ابن المنكدر ، وكانت حاشيته الصوفية ، فكان اذا بلغ أبى أنه كان منه ما ينكره الناس ، بعث اليه أخى عبد الحكم ، ينهاه عن ذلك ، ويأمره بما يراه ، فبعث اليه مرة ، فالتفت الى أخى وقال : ما يظن أبوك الا أنه أعتق المنكدر !

---

66) أ ، ط ، م : سعد ــ ك : سعيد .

فأمسك عبد الله أن ينهاه عن شىء ، وغلبت عليه الصوفية ، فقالوا له: اكتب الى أمير المؤمنين تشتكى عمـــال الخـــراج .

فكتب ، ودفع المأمون كتابه الى المعتصم ـ وكانوا عمالـــه ـ فأغاظه ، فلما قدم مصر عزله وأوقفه للناس ، فجعلوا يثنـــون عليـــه ، ويصيحـــون .

فبعث الى اخوانه ، وذلك بعد موت ابن عبد الحكم فى السجن ، بسبب التهمة معه ، فاستشارهم فيما نزل به ، فقالوا : لم تحتج ، أنت تحفظ كل ما قضيت ، اذا ناظرك غدا ابن أبى داود ، فقل له : لم أقض لاحد ولا عليه، الا وقد كتبت قضيته فى الديوان ، فانظروها ، فان كان مما اختلف فيـــه العلماء ، فللقاضى أن يختار ، وان كان مما خرج عن أقاويل المسلمين، لزمنى غـــرمـــه .

فلما أصبح ، ووقف ، قال ذلك ، فقال ابن أبى داود لاصحابه : علم هذا الرجل ❋ ، خلاف ما كنا نعتقد (67) فيه . (267)

فأعلموا المعتصم ، فقال : يفتش الديوان ـ حنقا عليه ـ

فأرسل عيسى الى اخوانه فى ذلك ، فقالوا له : اذا سألوك ان تحضر الديوان ، فقل : هو ديوان أمير المؤمنين ، فان كان أمركم بذلك ، فهو بين أيديكم ، وأما أنا فلا أدخل يدى فيه .

فكره المعتصم هذا ، وخاف المأمون وأمر باشخاصه ، وذلك سنة أربع عشرة ومائتين .

ابو الازهر عبد الصمد ، وأبو هارون موسى ، ابنـــا عبـــد الرحمـــان بـــن القـــاسم

كانا فاضلين عابدين ورعين ، سمعا من أبيهما .

وغلب على عبد الصمد علم القرآن ، وله فى ذلك كتاب .

---

67) كلمة (نعتقد) ساقطة من نسختي ا ، ك ، ثابتة فى نسخة . ط

وغلب على موسى العبـادة .

روى عنهما ابن وضـــاح .

وروى عبد الصمد عن ورش ، وهو من جلة أصحابه المتصدرين ، ومن وقته اعتمد أهل الاندلس على رواية ورش .

وروى أيضا عن داود بن أبى طيبة ، وسمع سفيان بن عيينة

روى عنه الفضل بن يعقوب والمحاربى ، ومحمد بن سعيد الانماطى واسماعيل بن عبد الله النحاس ، وبكر بن سعيد الدمياطى ، وحبيب بـن اسحاق القرشى ، وابن باز ، وابن وضاح ، وغيرهم .

وقد روى الحارث بن مسكين عن أحد ابنى عبد الرحمان بن القاسم .

قال ابن اللباد : كان لابن القاسم ثلاثة من الولد : موسى ، وعبـد الصمد ، وابنة (68) .

فأما عبد الصمد ، فكان يقرأ مقرأ نافع .

وأما موسى فكان يروى موطأ مالك .

وكان موسى مع أخيه ، سدته مقابل سدته فى بيت واحد ، حتى ماتا شيخين ، ولم يتزوج واحد منهما .

قال الكندى : كانا يشهدان ، ثم امتنعا من الشهادة بعد . وكانا مـن أفضل الناس .

*
* *

ذكر محمد بن عبد الحكم ، عن عبد الصمد بن عبد الرحمان بن القاسم: حلف أخى بالمشى الى مكة ، فى شىء ، فسألت أبى عن ذلك ، وأخبرتـه بيمينه ، فاشتد عليه ، وأمره أن يكفر يمينه ، ولا يعود .

*
* *

---

68) قوله « وابنة » ساقط من نسخ أ ، ط ، م — ثابت فى نسخة ك

قال ابن يونس الصدفى : توفى عبد الصمد بن عبد الرحمان فى رجب سنة احـــدى وثلاثـــين .

وقال الكندى : سنة خمس (69) .

قالا : ومات موسى أخوه فى جمادى الآخرة ، سنة تسع وأربعين .

وقرأت أنا بخط بعض الشيوخ ، عن ابن القرطبى : أن موت موسى سنة ثمان وأربعين .

ومن أهل افريقية وأقصى المغــرب

أبــو سعيــد سحنــون بن سعيــد بن حبيــب التــنــوخــي

صلبية من العرب ، أصله شامى من حمص ، وقدم أبوه سعيـــد فى جنـــد حمـــص .

قال محمد ابنه : قلت : يا أبت ! أنحن صلبية من تنوخ ؟

فقال لى : وما تحتاج الى ذلـــك ؟

فلم أزل به حتى قال لى : نعم ، وما يغنى عنك ذلك من الله شيئا ان لـــم تتقـــه .

قال المهدى : قدم رجل من أهل الشام على سحنون ، فقال له : لـــو رأيت أهل بلدك بالشام لرأيت علماء يؤخذ بأنوفهم .

فانتهره سحنون وقال له : اسكت ، أتحاضر العلمـــاء بهـــذا فى مجالسهـــم ؟ (70) .

---

69) ك : سنة خمس ــ أ ، ط ، م : سنة خمسين

70) ك ، ط : اسكت ، أتحاضر العلماء بهذا فى مجالسهم ؟ ــ أ : أسكت أيخاض العلماء بهذا فى مجالسهم ؟ !

و (سحنون) لقب له ، واسمه عبد السلام .

سمعت بعض مشايخ أهل الحديث ،يحكى عن بعض شيوخ افريقية، انه قال : سمى (سحنون) باسم طائر حديد ، لحدته فى المسائل .

قال أبو العرب التميمى : وله أخ يقال له حبيب ، أسن منه ، سمع من ابن الاصم ، وابن فروخ ، وكان ثقة صالحا ، روى عنه أخوه .

وقد جمع الناس أخبار سحنون مفردة ومضافة ، وممن ألف فيها تأليفا معروفا أبو العرب التميمى ومحمد بن حارث القروى .

ذكر طلبه ورحلته

أخذ سحنون العلم بالقيروان عن مشايخها : أبى خارجة ، وبهلول ، وعلى بن زياد ، وابن أبى حسان ، وابن غانم ، وابن أشرس ، وابن أبى كريمة ، وأخيه حبيب ، ومعاوية الصمادحى ، وأبى زياد ❋ الرعينى . (268)

ورحل فى طلب العلم أول سنة ثمان وثمانين ومائة ، فيما قاله أبو العرب وابن حارث .

وقال ابنه : خرج الى مصر أول سنة ثمان وسبعين (71) ، فى حياة مالك ومات مالك وهو ابن ثمانية عشر عاما ، أو تسعة عشر ، وكانت رحلته الى ابن زياد بتونس وقت رحلة ابن بكير الى مالك .

قال سحنون : كنت عند ابن القاسم ، وجوابات مالك ترد عليه . فقيل له : فما منعك من السماع منه ؟

قال : قلة الدراهم .

وقال مرة أخرى : لحى الله الفقر ، فلولاه لادركت مالكا .

فان صح هذا ، فله رحلتان ، والا فما قال ابنه أصح ، فانه سمع ممن مات قبل ثمان وثمانين من المدنيين بها ، كابن نافع ، توفى سنة ست

---

71) ك ، ط : ثمان وسبعين — ، أ ، ثمان وتسعين — ويبدو أن ما أثبتناه هو الصواب كما يدل على ذلك ما يأتي من كلام القاضي عياض رحمه الله .

وثمانين ، فسمع سحنون فى رحلته الى مصر والحجاز من ابن القاسم، وابن وهب ، وأشهب ، وطليب بن كامل ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وشعيب بن الليث ، ويوسف، بن عمرو (72) ، وسفيان بن عيينة ، ووكيع ، وعبـــد الرحمان بن مهدى ، وحفص بن غياث ، وأبى داود الطيالسى ، ويزيد بن هارون ، والوليد بن مسلم ، وابن نافع الصائغ ، ومعن بن عيسى ، وأبى ضمرة ، وابن الماجشون ، ومطرف ، وغيرهم .

وانصرف الى افريقية ، سنة احدى وتسعين ومائة .

قال سحنون : سمع منى أهل أحدابية (73) سنة احدى وتسعين . وفيها مات ابن القاسم .

قال : وخرجت الى ابن القاسم ابن خمس وعشرين ، وقدمت افريقية ابن ثلاثين سنة ، وأول من قرأ على عبد الملك زونان .

ذكر أن البهلول بن راشد ، كتب الى على بن زياد أن يسمع سحنون، وقال له : انما كتبت اليك فى رجل يطلب العلم لله ، — وقد روى أنه انما كتب البهلول فى عبد المتعالى الجدرى — فسأله على عن موضعه ، ثم أخذ على ، الموطأ ، فأتاه ليسمعه فى موضعه ، وقال له : ان بهلولا كتب الــى يعلمنى أنك ممن يطلب العلم لله .

قال فرات : سمعت سحنون يقول : انغلقت على مسألة ، حتى أردت الرجوع فيها الى المدينة ، حتى اتضحت لى .

قال سحنون : لما حججت كنت أزامل ابن وهب ، وكان أشهب يزامله يتيمه (74) ، وابن القاسم يزامله ابنه موسى ، وكنت اذا نزلت سألت ابن القاسم ، وكنا نمشى بالنهار ونلقى المسائل ، فاذا كان الليل قام كل أحد الى حزبه من الصلاة ، فيقول ابن وهب: ألا ترون هذا المغربى يلقى بالنهار ولا يدرس بالليل ؟

---

72) أ ، ك : ويوسف بن عمرو — ط : ويوسف بن عمر

73) أ ، ط : أحدابية ، وكذلك فى الديباج فى ترجمة سحنون ص 160 — 169 ، وفى نسخة ك ، أجدابيـــة .

74) أ ، ك : يتيمه — ط : غير واضحة

فيقول ابن القاسم : هو نور يجعله الله فى القلوب .

ذكر مكانه من العلم والثناء عليه

قال محمد بن أحمد بن تميم (75) فى كتابه : كان سحنون ثقة ، حافظا للعلم ، فقيه البدن ، اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت فى غيره ، الفقه البارع، والورع الصادق ، والصرامة فى الحق ، والزهادة فى الدنيا ، والتخشن فى الملبس والمطعم ، والسماحة . وكان لا يقبل من السلاطين شيئا ، وربما وصل أصحابه بثلاثين دينارا أو نحوها . ومناقبه كثيرة .

*
* *

قال أبو بكر المالكى : وكان مع هذا رقيق القلب ، غزير الدمعة ، ظاهر الخشوع ، متواضعا ، قليل التصنع ، كريم الاخلاق ، حسن الادب ، سالم الصدر ، شديدا على أهل البدع ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، انتشرت امامته فى المشرق والمغرب ، وسلم له الامامة أهل عصره ، واجتمعوا على فضله وتقديمه . ومناقبه كثيرة ، قد ألف فيها أبو العرب التميمى كتابا مفردا .

وسئل أشهب : من قدم اليكم من المغرب ؟

قال : سحنون .

قيل : فأسد ؟

قال : سحنون والله أفقه منه بتسع وتسعين مرة .

وقال أشهب : ما قدم الينا من المغرب مثله .

---

75) ك : قال محمد بن أحمد بن تميم ـ أ ، ط : قال محمد بن أحمد بن نعيم والصواب ما أثبتناه ، وهو محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي ، أبو العرب ، المتوفى سنة 303 هـ ، له كتاب « فضائل مالك » وله كتاب مفرد فى مناقب سحنون كما ستأتي الاشارة الى ذلك ـ وقد ذكر صاحب الديباج هذا الخبر ، ولم يسم محمد بن أحمد بن تميم ، وانما ذكر كنيته « أبو العرب » .

وقد حثه ابن القاسم على أن يقيم عنده يطلب العلم ، ويدع الخروج الى الغزو ، لما استفرس فيـــه .

وقال ابن القاسم لابن رشيد : قل لصاحبك ــ يعنى سحنـــون ــ يقعد ، فالعلم أولى به من الجهاد وأكثر ثوابا * ، ويعطى هذه الخيل التى قدم بها لمن هو فى مثل حاله ، يؤديها عنه ، فما قدم علينا من أفريقية مثل سحنون ، ولا ابن غانم ! (269)

قال حمديس : رأيت أبا مصعب بالمدينة وغيره ، وبمصر أصحاب ابن القاسم ، وبمكة علماء وعلماء من أهل بغداد ، والله ما رأيت فيهم مثـــل سجنون ، ولا رأيته بعده .

وقال عمرو بن يزيد (76) : أول ما تعلمت مسائل الصلاة مــــن سحنون . وان قلت : ان سحنون أفقه من أصحاب مالك كلهم ، انـــى لصادق .

*
* *

قال أبو العرب : وكل من لقيت من أصحاب سحنون الذين سمعوا منه، وسمعنا منهم، من مشاهير الفقهاء والشيوخ، منهم يحيى بن عمر، وحبيب، وابن مسكين ، وابن أبى سليمان ، وابن سالم ، وابن الحداد ، وحمديس ، وجبلة ، وابن مغيث ، وغيرهم ، قال : ومنهم من سمع ممن هو أسن من سحنون ، ولقى أصحاب مالك ، وسفيان الثورى ، ورأى الناس فى الآفاق، كلهم يقولون : ما رأينا أحدا مثل سحنون فى ورعه وفقهه وزهده .

وكان يزيد بن بشير (77) يبجل سحنون ويعظمه ، وقال : كنـت بتونس ، فبلغنى مقامه من الاسلام وبركته . ويقدم الى الرجل من أصحابه فأعرف فيه الادب ، وربما قدم الى الرجل من عند حرملة فأعرف فيه قلــة الادب ، فأقول له : نهلا كنت مثل من يؤدبه سحنون (78) ؟

---

76) ك : عمرو بن يزيد ــ أ ، ط : عمر بن يزيد .
77) ك : يزيد بن بشير ــ أ ، ط : زيد بن بشير
78) أ ، ك : فهلا كنت مثل من يؤدبه سحنون ــ ط : فهلا كنت مثل من يرد مــن قبل سحنـــون .

قال أبو زيد بن أبى الغمر : لم يقدم علينا أحد أفقه من سحنون ، الا أنه قدم علينا من هو أطول لسانا منه ، يعنى ابن حبيب .

وقال يونس بن عبد الاعلى : هو سيد أهل المغـــرب .

فقال له حمديس : أو لم يكن سيد أهل المشرق والمغرب ؟

قال : قد كان رجلا نبيلا فاضلا خيرا ، من شأنه ومن شأنه . فأثنى عليه ورفع به ، أخذ من ابن وهب مغازيه اجازة ، يعنى سحنون .

*
* *

قال سليم بن عمران (79) :كنت اذا سألت أسدا عن مسألة ، أجابنى من بحر عميق ، ومعنى جوابه : لا تزد . واذا سألت سحنون ، أجابنى من بحر عميق ، ومعنى جوابه : زد فى سؤالك . وكان العلم فى صدر سحنون كسورة من القرآن لمن حفظه ، وكان سحنون رجلا صالحا .

وقال سحنون : انى حفظت هذه الكتب ، حتى صارت فى صدرى كأم القـــرآن .

وكان أبو عياش بن عيشون يقول اذا ذكره : قال الامام أبو سعيد .

وكان ابن طالب وغيره ، لا يسميه ، ويكنيه اجلالا له .

وكان ابن عبد الحكم يقول لبعض من يحضر مجلسه : ما يقول أبو سعيد فى هذه المسألـــة ؟

قال أبو بكر بن حماد (80) : سمعت سحنون يقول : عندى فى البيت سماع سنتين لسفيان بن عيينـــة .

وقال غيره : كنا عند ابن القاسم ، فقال : ان يكن يسعد أحد بهـذه الكتب ، فسحنون . ثم التفت الى ابن عبد الحكم ، فقال : وان قبل أبـى محمد لعلم . والتفت الى أصبغ ، فقال : وان قبله لرواية .

---

79) ك : سليمان بن عمران ـــ أ ، ط : سليم بن عمران

80) ك : قال بكر بن حماد ـــ أ ، ط : قال أبو بكر بن حماد .

قال فرات : وقد روى أصبغ أولا عن سحنون ، ثم ترك ذلك .

قال فرات : قال سحنون : عندى ستة ــ أو أربعة ــ وأربعون كتابا من البيوع ، منها كتابان أو ثلاثة أصلها أربع مسائل فى الموطأ .

قال ابن وضاح : كان سحنون يروى تسعة وعشرين سماعا ، وما رأيت فى الفقه مثل سحنون ، فى المشرق .

قال سعيد بن الحارث : كان سحنون عاقلا بمرة ، ورعا بمرة ، عالما بمذاهب المدنيين بمرة ، ولقد جالست الناس بهذا البلد منذ بلغت ، ما رأيت أجود غريزة من سحنون .

*
* *

قال محمد بن حارث : كانت أفريقية قبل رحلة سحنون قد غمرها مذهب مالك بن أنس ، لانه رحل منها أكثر من ثلاثين رجلا ، كلهم لقى مالك ابن أنس وسمع منه ، وان كان الفقه والفتيا انما كانا فى قليل منهم ، كما ذلك فى علماء البلاد ، ثم قدم سحنون ❊ بذلك المذهب ، واجتمع له مع ذلك (270) فضل الدين والعقل والورع والعفاف والانقباض ، فبارك الله فيه للمسلمين، فمالت اليه الوجوه ، وأحبته القلوب ، وصار زمانه كأنه مبتدأ ، قد امحى ما قبله ، فكان أصحابه سرج أهل القيروان ، فرأيته عالمها وأكثرهم تأليفا ، وابن عبدوس فقيهها، وابن غانم عاقلها، وابن عمر حافظها، وجبلة زاهدها، وحمديس أصلبهم فى السنة وأعداهم للبدعة ، وسعيد بن الحداد لسانها وفصيحها، وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث، وأشدهم وقارا وتصاونا، كل هذه الصفات مقصورة على وقتهم .

*
* *

قال محمد بن سحنون : قال لى أبى : اذا أردت الحج تقدم أطرابلس، وكان فيها رجال مدنيون ، ومصر ، وفيها الرواة ، والمدينة ، وفيها عشيرة مالك ، ومكة ، فاجتهد جهدك فان قدمت على بلفظة خرجت من دماغ مالك ، ليس عند شيخك أصلها ، فاعلم أن شيخك كان مفرطا .

قال سليمان بن سلام ، فى مجالسه : دخلت مصر ، فرأيت فيها العلماء متوافرين ، بنى عبد الحكم ، والحارث بن مسكين ، وأبا الطاهر ، وأبـا اسحاق البرقى ، وغيرهم ، ودخلت المدينة ، وبها أبو المصعب ، والفروى؛ ودخلت مكة ، وبها ثلاثة عشر محدثا ، ودخلت غيرها من البلدان ، ولقيت علماءها ومحدثيها ، فما رأيت بعينى مثل سحنون وابنه بعده .

وقال عيسى بن مسكين : سحنون راهب هذه الامة ، ولم يكن بـين مالك وسحنون أفقه من سحنون .

وقال أبو الحسن القابسى : انى لأجد فى نفسى من خلاف سحنـون لمالك ، ما لا أجده من خلاف ابن القاسم لمالك ، وكان يشق عليه مخالفـة مالك وسحنون ، ويقول : لا أقدر على مخالفتهما ، وأهاب ذلك هيبة عظيمة.

وقال سعيد بن الحداد : جالست المتكلمين ، وكل من لقيت من أهـل العلم ، فما رأيت منهم أصح غريزة من سحنون ، وكان وقورا مهيبا .

وقال بعضهم : دخلت على الملوك وكلمتهم ، فما رأيت أحدا أهيب فى قلبى من سحنون .

قال الشيرازى : اليه انتهت الرئاسة فى العلم بالمغرب ، وعلى قولـه المعول به ، وصنف المدونة ، وعليها يعتمد أهل القيروان ، وحصل له مـن الاصحاب ما لم يحصل لاحد من أصحاب مالك ، وعنه انتشر علم مالك فى المغرب .

قال أبو على البصرى : سحنون فقيه أهل زمانه ، وشيخ عصـره ، وعالم وقتـــه .

قال بعضهم : صحبت أسدا وابن فروخ ، فلم أر أنفع من هذا الشامى. يعنيـــه .

قال عبد الرحيم الزاهد : لما خرج أسد الى العراق (81) ، شاورته

---

81) أ ، ط : لما خرج أسد الى العراق — ك : لما خرج أسد الى الغزو — ولعل الصواب ما أثبتناه ، راجع ترجمة أسد بن الفرات فى الجزء الثالث من هذا الكتاب ص 291 وما بعدها .

فيمن أقصد بعده أسمع منه ، فقال : عليك بهذا الشيخ — يعنى سحنون — فما أعرف أحدا يشبهه .

قال ابن حارث : سحنون امام الناس فى علم مالك ، وكان فاضلا ، عدلا مباركا ، أظهر السنة ، وأخمد البدعة ، وثقف رسوم القضاء بعقله وعلمه .

ذكر بقية شمائله

قال أبو العرب : كان سحنون ربع القامة ، بين البياض والسمرة ، حسن اللحية ، كثير الشعر ، أعين ، بعيد ما بين المنكبين ، كثير الصمت ، قليل الكلام ، يتكلم كثيرا بالحكمة ، مهيبا جدا ، يأخذ من شاربه على المشط ، حسن اللباس (82) ، وكان به فتق فى جوفه ، فكان يعصبه بلبد ، وكان له برذون يركبه ، وقلما رئى متطوعا فى المسجد .

قال ابن بسطام : وكانت لسحنون قلنسوة طويلة ، ربما لبسها وساجا ، وربما حمل فى يده — وقد لبسها — حزم البصل وغير ذلك الى داره ، تواضعا .

قال سليمان بن سالم : رأيت لسحنون ساجا كحليا ، وساجا أزرق ، ورداء ، وقلنسوة حبرة ، وقلنسوة زرقاء ، وشيا ، وقلنسوة تشبه الاغلبى ، فاذا قعد للسماع لبس الرداء وقلنسوة الاغلبى ، واذا شهد الجمعة لبس الساج وقلنسوة الحبرة ، واذا حضر جنازة ، لبس الساج الازرق والقلنسوة الزرقاء . هذا كان ❋ أكثر فعله . (271)

وقال أبو العرب : وكان عريض الطوق نحو الاصبعين .

*
* *

قال سليمان بن سالم : أخذ سحنون بمذهب أهل المدينة فى كل شىء ، حتى فى العيش ، كان يقول : ما أحب أن يكون عيش الرجل الا على قدر ذات يده ، ولا يتكلف أكثر مما فى يديه ، وان احتاج الى امرأة ، طلبها على

82) سقط من نسخة أ ، من قوله « كثير الشعر » الى قوله هنا « حسن اللباس »

قدر ذات يده ، فى مؤونتها وقناعتها ، حتى يبقى فى يده ما يستغنى به ، فان كان له مال حلال اعتمد عليه وتفرغ للعبادة ، وان لم يكن عنده فعليه بكسب يده ، فذلك أولى به من مسألة الناس ، وان كان مستغنيا عن الزوجة فتركها أحب الى ، وأكل أموال الناس بالمسكنة والصدقة خير من أكله بالعلم والقـــرآن .

قال سليمان : كان سحنون يركب بلجام حديد ، ليس فيه فضة ، وكان له برنس أسود يلبسه فى المطر والبرد .

قال غيره : كان سحنون يجلس للسماع على باب داره ، ونجلس نحن بالارض ، الا من أتى منا بحصير ، فاذا أتممنا قال : قوموا قيمة رجـل واحد ، فنفترق .

*
* *

وقال عبد الجبار بن خالد : كنا نسمع من سحنون بمنزله بالساحل ، فخرج يوما علينا وعلى كتفه المحراث ، وبين يديه الزوج ، فقال لنا : ان الغلام حم البارحة ، فاذا فرغت أسمعتكم .

فقلت له : أنا أذهب وأحرث ، وتسمع أنت أصحابنا ، فــاذا جئـت قرأت على ما فاتنـــــى .

ففعل . فلما جئته قرب الى غذاءه : خبز شعير ، وزيتا قديما .

قال حبيب : خرج علينا سحنون يوما وعليه برنس ، وكان يلبـس الشاشيـــة والطويلـــة .

قال عيسى : كان سحنون ، صمته لله ، وكلامه لله ، اذا أعجبه الكلام صمت ، واذا أعجبه الصمت تكلـــــم .

قال ابن بسطام : دخلنا عليه فى مرضه الذى مات فيه ، وعند رأســه حقيبة ، وما فى بيته الا الحصيـــر .

قال غيره : قيل له : يا أبا سعيد ، كيف يسعك أن تترك الطلبة وحاجتهم اليك ، وتخرج الى البادية فتقيم بها الشهور الكثيرة ؟

قال : أتريدون أن تروا كتبى بهذا الغدير ؟ قال : أحتاج الى دراهم هؤلاء — يعنى السلاطين — فآخذها ، فتطرح كتبى .

قال ابن معتب : كان سحنون يشترى كل يوم ربع رطل لحم يفطر عليه ، ثم تركه اقتداء بالصالحين فى مطعمهم . ما عمل سحنون قط شيئا الا لله ، ولا تكلم بشىء الا لله ، فلذلك عظم خطره .

قال بعض العلماء : كان سحنون أعقل الناس صاحبا ، وأفضل الناس صاحبا ، وأفقه الناس صاحبا .

قال ابن حارث : كانت هذه الصفات صفات سحنون ، فتخلق بها أصحابه .

قال ابراهيم بن شعيب : كان سحنون يخرج علينا ونحن ننتظره فى مجلسه ، فوالله ما علمته يسلم فى مجلسه علينا قط ، وفى خلال ذلك يمشى بالاسواق ، فلا يمر بأحد الا التفت اليه وسلم عليه ، توقيرا للعلم ، وهيبة له عند طالبيه .

ذكر ولايته القضاء وسيرته

ولى سحنون قضاء أفريقية سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وسنه اذ ذاك أربع وسبعون سنة ، فلم يزل قاضيا الى أن مات .

قال أبو العرب : لما عزل ابن أبى الجواد ، قال سحنون : اللهم ول هذه الامة خيرها وأعدلها . فكان هو الذى ولى بعده .

وذكر عريب (83) الكاتب فى تاريخه : أن سحنون مر يوما بابن أبى الجواد ، فرأى منه ظلما ، فقال : اللهم لا تمتنى حتى أراه بين يدى قاض عدل يحكم فيه بالحق . فعزل ، وولى سحنون ، فامتحنه . فقال الناس : أجيبت دعوته .

*
* *

---

83) أ ، عريب — ك ، ط : غريب

ولما أراد محمد بن الاغلب أن يولى سحنون ، جمع الفقهاء للمشورة ، فأشار سحنون بسليمان بن عمران ، وأشار سليمان بسحنون ، وأشار غيرهما بسليمان .

فأدخلوا فرادى ، فقالوا كقولهم الاول ، وذلك أن أكثر الفقهاء اذ ذاك، كانوا على * رأى الكوفيين ، وكان سليمان يرى رأيهم . (272)

فقال سليمان : ما ظننت أنه يشاور فى سحنون ، حججت فرأيت أهل مصر يتمنون كونه بين أظهرهم ، وما يستحق أحد القضاء وسحنون حى .

وبعث ابن الاغلب ، ابن قادم ، الى سحنون ، يقول له : انى أريد أن أستكفيك قضاء رعيتى ، فأعلمه ، فقال : أصلح الله الامير ، لا أقوى عليه، أدلك على من هو أقوى : سليمان بن عمران .

قال محمد بن سحنون : ولى سحنون القضاء بعد أن أدير عليه حولا، وأغلظ عليه أشد الغلظة ، وحلف عليه محمد بن الاغلب ، بأشد الايمان ، فولى يوم الاثنين الثالث من رمضان سنة أربع وثلاثين ومائتين ، فأقام أياما ينظر فى القضاء ، يلتمس أعوانا ، ثم قعد للناس يوم الأحد بعده فى المسجد الجامع ، بعد أن ركع ودعا بدعاء كثير .

وقال سحنون : لم أكن أرى قبول هذا الأمر ، حتى كان من الأمير معنيان : أحدهما ، أعطانى كل ما طلبت ، وأطلق يدى فى كل ما رغبت ، حتى انى قلت له : أبدأ بأهل بيتك وقرابتك وأعوانك ، فان قبلهم ظلامات للناس وأموالا لهم منذ زمان طويل ، اذ لم يجترىء عليهم من كان قبلى .

فقال لى : نعم ، لا تبدأ الا بهم ، وأجر الحق على مفرق رأسى .

فقلت له : الله !

قال لى : الله ، ثلاثا .

وجاءنى من عزمه مع هذا ، ما يخاف المرء على نفسه ، وفكرت فلم أجد أحدا يستحق هذا الامر ، ولم أجد لنفسى سعة فى رده .

قال سليمان بن سالم : لما تمت ولاية سحنون ، تلقاه الناس ، فرأيته راكبا على دابة ، ما عليه كسوة ولا قلنسوة ، والكآبة فى وجهه ، ما يتجرأ أحد يهنيه .

فسار حتى دخل على ابنته خديجة ، وكانت من خيار النساء ، فقال لها : اليوم ذبح أبوك بغير سكين .

فعلم الناس قبوله للقضاء .

ولما ولى ، جاءه عون بن يوسف، فقال له : نهنيك أو نعزيك؟ ثم سكت. فقال : بلغنى أنه من أتاها من غير مسألة أعين عليها ، ومن أتاها عن مسألة لم يعن عليها .

فقال له سحنون : من ولته الشفاعة عزلته الشفاعة، ومن ولته الشفاعة حكم بالشفاعة .

فقال له رجل من الاندلس : انا لله وانا اليه راجعون ، وددنا أنا رأيناك اليوم على أعواد نعشك ، ولم نرك فى هذا المجلس قاعدا .

*
* *

وكتب عبد الرحيم الزاهد الى سحنون ، لما ولى القضاء : أما بعد ، فانى عهدتك وشأن نفسك عليك مهم ، تعلم الخير وتؤدب عليه ، وأصبحت وقد وليت أمر هذه الامة ، تؤدبهم على دنياهم ، يذل الشريف بين يديك والوضيع ، قد اشترك فيك العدو والصديق ، ولكل حظه من العدل ، فأى حالتيك أفضل ، الحالة الاولى أم الثانية ؟ والسلام .

فكتب اليه سحنون : أما بعد ، فانه جاءنى كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وانى أجيبك أنه لا حول ولا قوة فى شيء من الامور الا بالله تعالى ، عليه توكلت ، واليه أنيب . فأما ما كتبت أنك عهدتنى وشأن نفسى على مهم ، أعلم الخير وأؤدب عليه ، وأصبحت وقد وليت أمر هذه الامة ، أؤدبهم على دنياهم ، فلعمرى انه من لم تصلح له دنياه ، فسدت له أخراه ، وفى صلاح الدنيا اذا صح المطعم والمشرب صلاح الآخرة ، فكلا الأمرين

متصل بالآخرة . أدبهم فى معايشهم ، ودفع ظالمهم عن مظلومهم ، وأخذهم الأمور من وجوهها ، أدب لآخرتهم ، لأن بصلاح دنياهم تصلح لهـــم آخرتهم ، وبفساد الدنيا تفسد الآخرة . وقد حدثنى ابن وهب — ورفع سحنون سنده — أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : نعم المطية الدنيـا فارتحلوها فانها تبلغكم الآخرة . ولن تبلغ الدنيا الاخرة من عمل فى الدنيا بغير الواجب من حق الله . وأما قولك : « وليت أمر هذه الأمة » فانى لم أزل مبتلى ، ينفذ قولى منذ * أربعين سنة فى أشعار المسلمين وأبشارهم . (273)

حدثنى ابن وهب، أن عبد الله بن أبى جعفر قال: لن تزالوا بخير ما تعلمتم، فاذا احتيج اليكم ، فانظروا كيف تكونون . قال ابن أبى جعفر : فرأيت فى المنام : انما المفتى قاض ، يجوز قوله فى أبشار المسلمين وأموالهم . فعليك بالدعاء ، فألزم ذلك نفسك . والسلام .

*
* *

قال سليمان بن عمران : لما ولى سحنون قال لى : اذا ولى القاضـــى استفتى : كيف يكتب كذا ؟ فكتبت له ذلك . وكان سليمان يكتب لسحنون فى قضائه ، الى أن ولاه بجاية وباجة والاريس ، فلما مات سحنون ولـــى سليمان مكانه .

قال سليمان : قال لى سحنون ، ابتليتنى ، فوالله لأبتلينك . فولانى القضاء ، وقال لى : عليك يا أبا الربيع بالحجازية ، الحجازية .

فقلت : القاضى مفت ، فما كنت أفتى به فبه أقضى . فسكت عنـــى . وكان سليمان عراقى المذهب .

قال : فلما ولى سحنون سليمان القضاء ، دخل عليه من الغد ، فقال له سحنون : عزمت يا أبا الربيع ؟

فقال له : ان قلت : (لا) كذبتك ، أنا أريد .

فقال سحنون لمن عنده : انظروا ان كان دخله ريـــاء أو أظهـــر

تصنعا (84) ! مثلك يا أبا الربيع يكون ناظرا للمسلمين .

قال جبلة : كان سحنون لا يأخذ لنفسه رزقا ولا صلة من السلطان فى قضائه كله ، ويأخذ لأعوانه وكتابه وقضاته من جزية أهل الكتاب .

قال ابن سحنون : وسمعته يقول للأمير : والله لو أعطيتنى ما فى بيت مالك — أو قال له : لو ملأت مجلسك هذا لى دراهم أو دنانير — ما سألنى الله أن أقبل منك ذلك ، ولا آخذ منه شيئا . ويقول : لو أخذته لجاز لى ، ولكنه تورع .

وسمعته يقول للأمير : حبست أرزاق أعوانى وهم أجراؤك ، وقد وفوك عملك ، ولا يحل لك ذلك . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعط الأجير حقه قبل أن يجف عرقه .

*
* *

قال ابن مسكين : كان سحنون قبل أن يلى ، أشرف منه بعدما ولى ، ولقد امتنع من النظر ، وجلس فى بيته مدة ، حتى حضر جنازة ، فرأى منكرا ، فأمر بتغييره ، وانصرف فنظر بين الناس .

قال ابن سحنون : وكان سحنون يضرب الخصوم ، اذا آذى بعضهم بعضا بكلام ، أو تعرضوا للشهود ، ويقول : اذا تعرض للشهود كيف يشهدون ؟ ويؤدب الخصم ، ان طعن على الشاهد بعيب أو تجريح ، أو يقول : سل لى عن البينة فانهم كذا ، حتى يسأله هو عن تجريحه . ويقول للخصم : أنا أعنى منك بذلك ، وهو على ، دونك .

وكان اذا دخل عليه الشاهد ورعب منه ، أعرض عنه حتى يستأنس ويذهب روعه ، فان طال ذلك به هون عليه ، وقال له : ليس معى سوط ولا عصا ، ولا عليك بأس ، أد ما علمت ، ودع ما لم تعلم .

قال جبلة : كان سحنون يؤدب الناس على الأيمان التى لا تجوز من الطلاق والعتق ، حتى لا يحلفوا بغير الله ، ويؤدبهم على سوء الحال فى لباسهم ، وما نهى عنه ، ويأمرهم بحسن السيرة والقصد .

---

84) أ ، ط : تصنعا — ك ، م : تمنعا

قال ابنه محمد : وتخاصم اليه رجلان صالحان من أصحابه ممن نظر فى العلم ، فأقامهما ، وأبى أن يسمع منهما ، وقال : استرا عنى ما ستر الله عليكما .

*
* *

قال غير واحد : أول ما نظر سحنون فى الأسواق ، وانما كان ينظر فيها الولاة دون القضاة ، فنظر فيما يصلح من المعايش ، وما يغش من السلع ، ويجعل الأمناء على ذلك ، ويؤدب على الغش ، وينفى من الأسواق من يستحق ذلك ، وهو أول من نظر فى الحسبة من القضاة ، وأمر الناس بتغيير المنكر ، وأول القضاة فرق حلق أهل البدع من الجامع ، وشرد أهل الأهواء منه ، وكانوا فيه حلقا من الصفرية والأباضية والمعتزلة ، وكانوا فيه حلقا يتناظرون به ، ويظهرون زيغهم ، وعزلهم أن يكونوا أئمة للناس ، أو معلمين لصبيانهم ، أو مؤذنين ، وأمرهم ألا يجتمعوا ، وأدب جماعة منهم بعد هذا خالفوا أمره ، وأطافهم ، وتوب جماعة منهم ، فكان يقيم من أظهر التوبة منهم على البر أو غيره ، فيعلن توبته عن بدعته .

وهو أول القضاة جعل فى الجامع اماما يصلى بالناس ، وكان ذلك للامراء ، وأولهم جعل الودائع عند الامناء ، وكانت قبل فى بيوت القضاة ، وأول من قدم الأمناء فى البوادى ، فكان يكتب اليهم ، وكان من قبله يكتب الى جماعة الصالحين منهم ، فأخذت القضاة بهذه السيرة بعده .

وكان يجلس فى بيت فى الجامع بناه لنفسه اذ رأى كثرة الناس وكثرة كلامهم ، فكان لا يحضر عنده غير الخصمين، ومن يشهد بينهما فى دعواهما، وسائر الناس عنه بمعزل ، لا يراهم ولا يسمع لغطهم ، ولا يشغل باله أمرهم . فصار الجلوس فى ذلك البيت سنة لقضاة المالكية ، فاذا ولى عراقى هدمه ، واذا ولى مدنى بناه وحكم فيه .

*
* *

وكان سحنون يكتب للناس أسماءهم فى رقاع تجعل بين يديه ، ويدعو بهم واحدا واحدا ، الا أن يأتى مضطر أو ملهوف .

وكان يضرب بالدرة وما خف من الأدب فى الجامع ، فاذا أقام الحدود أخرجهم عن الجامع .

وكان كثيرا ما يؤدب بلطم القفا .

وقيد امرأة كانت تتهم بسوء ، حتى شهد عنده أنها تابت .

وضرب أخرى ، كانت تتهم بالجمع بين الرجال والنساء ، بالسوط فى قبة ، وبنى باب دارها ، ونقلها بين قوم صالحين .

وجاءت اليه امرأة من القصر غاب عنها زوجها ، فأرادت أن تقطع بشرطها ، فأبى ، ثم قال لها : اياك أن تشهدى أحدا من أهل القصر ، لا أقبل شهادتهم .

وكتب مرارا يأمر بقتل الكلاب ، وبث وراءها الأعوان بالحراب .

ويعطى الطابع لأهل العدوى ، فاذا جاءه المستعدى بصاحبه ، أخذ منه الطابع لئلا يعبث به الناس . ويضرب على اللدد .

قال عيسى بن مسكين : فحصل الناس بولايته على شريعة من الحق، ولم يل قضاء افريقية مثله .

قال سعيد بن اسحاق : كل من ولى قضاء افريقية اكتسب الا سحنون .

*
* *

وكان سحنون أيام قضاء ابن أبى الجواد يقول : ان لأمره لآخرا ، ولكنى أخشى أن الوالى بعده لا يحسن أن يقتص منه . فكان هو الوالى بعده .

وخاصم ابن أبى الجواد رجل بين يدى سحنون ، فحكم له على ابن أبى الجواد ، وحبسه ، وقال له : ان لم تؤد ضربتك بالسوط .

فقال : ما عندى مال .

فيقال : انه أخرجه وضربه فى جمعة بالسياط مائة سوط . (وقيل أكثر من ذلك) (85) حتى أسال دمه على كعبه ، فمر فى طريقه على صباغ، فصب عليه قصرية مصارة (86) ، وقال : اقتلوا الزنديق . ورد الى السجن فمات فيه .

وقيل : كان سبب ضربه ، أنه شهد عليه بقبض وديعة ، فأنكرها ، فضربه ثمانية عشر سوطا ، مجردا ، فى السماط . يضربه سبعة بعد سبعة، وهو متماد .

وقيل : انها وجدت بخطه ، فأنكره ، وشهد على خطه ، فحبسه أياما ، وضربه عشرة أسواط ، وكان يخرجه فى كل جمعة ، فيضربه عشرة كل جمعة الى أن مرض .

وقيل : بل فعل ذلك به لما كان عليه من البدعة .

وكانت أسماء ، بنت أسد بن الفرات ، زوج ابن أبى الجواد ، قالت لسحنون : أنا أهبه هذا المال يقضيه عن نفسه .

فلم يقبل ذلك سحنون ، وقال لها : حتى يقول : أؤدى ما لزمنى .

وقيل : فعل ذلك به لأن مالكا لا يلزم قبول الهبة ، ولو قالت : « أنا أقضى عنه ما طلب منه » لما رد ذلك سحنون ، والله أعلم .

وقيل : بل قالت له : أفدى به زوجى . فقال لها : ان أقر أن ذلك هو المال أو بدل منه ، أطلقته . فامتنع، وأبى سحنون من قبول المال الا باقراره.

(275) * ذكر اخباره مع الملوك وثبوته فى الحق

قال أبو العرب : كان لا يهب سلطانا فى حق يقيمه عليه ، ولما أكثر من رد الظلامات من رجال ابن الأغلب ، وأبى أن يقبل منهم الوكلاء على الخصومة الا بأنفسهم ، وجه اليه الأمير ــ وقد شكوه اليه بأنه يغلظ

85) قوله « وقيل أكثر من ذلك » ساقط من نسختي أ ، ط
86) أ ، ك : مصارة ــ ط : قصارة ــ م : مغارة ــ ويقال : « مصر الثوب ، أي صبغه بالمصر ، بكسر الميم ، وهو تراب أحمر ــ والمغرة بسكون الغين أو فتحها طين أحمر يصبغ بــه .

عليهم – فأرسل اليه ابن الأغلب وقال : انهم فيهم غلظة ، وقد شكوك ، ورأيت معافاتك من شرهم ، فلا تنتظر فى أمرهم .

فقال سحنون للرسول : ليس هذا الذى بينى وبينه ، قل له : خذلتنى ، خذلك الله !

فلما أنهى الرسول الرسالة الى الأمير ، قال له : ما نعمل به ؟ انما أراد الله .

*
* *

قال ابن أبى سليمان وغيره : ان المحتسبين لم يكونوا يعرفون بأفريقية ، حتى كان سحنون جالسا على باب داره، اذ مر به حاتم الجزرى، ومعه سبى من سبى تونس ، فقال سحنون لأصحابه : قوموا فأتوا بهم .

فذهبوا حتى خلصوهم من حاتم ، وأتوا بهم ، وهرب حاتم على برذونه، وخرق ثيابه ، ودخل على الأمير فشكا أمره ، فأرسل الأمير الى سحنون : أن اردد الى حاتم السبى .

فقال سحنون : انهم أحرار ، ولا سبى عليهم ، وقد أطلقتهم .

فرد الأمير الى سحنون : لابد من ردهم .

فأبى سحنون ، وقال للرسول : قل للأمير : جعل الله حاتما شفيعك يوم القيامة . وأقسم عليه ليبلغن ذلك الى الأمير .

ثم قال سحنون : هذا الأسود – يعنى حاتما – يمضى هكذا ! وأمر بسجنه . فطرحت عمامته فى عنقه ، وحمل الى الحبس ، فلحقه معتب ، فقال: يا حاتم ، لا تلق الشر بين الأمير والقاضى . وأعطاه معتب من عنده سبعة دنانير ، فخلى حاتم عن السبى ، وأخبر معتب سحنون بذلك ، فأمر باطلاق حاتم من السجن .

وحكى ابن اللباد : أن رجلين اختصما الى سحنون ، حلف أحدهما بالطلاق على صاحبه ، ليستوفين حقه فى حائط بينهما ، فأمر سحنون بصفع قفاه ، ثم قال له : تحلف بالطلاق ؟ فأرسل الى رجل يقال له عبد الله البنا ،

فسأله هل من يمينه مخرج فى الاستقصاء ؟ فقال : نعم ، بالخاتم والشعرة!

*
* *

قال ابن الحداد : كنت يوما عند سحنون ، اذ جاءه رسول الأمير محمد بن الأغلب ، يأمره برد النسوة على حاتم ، فانهن له .

قال سحنون : وان كن اماء ، فمثل حاتم لا يؤتمن على الفروج !

فانصرف ، ثم رجع فقال : يقول لك : أتعبث ؟ اردهن كما أمرتك .

فقام سحنون على قدميه وقال : أنا أعبث ؟ هو والله الذى لا اله الا هو يعبث ، ثلاثا ، والله لا أفعل حتى يفرق بين رأسى وجسدى .

وجاء محمد ابنه ، وقال له : لا تفعل يا أبت ، اكتب اليه ولاطفه . فكتب اليه وابنه يقول : « دون ذا » حتى فرغ من طبع كتابه وبعثه اليه .

فأخذه ابن الأغلب ، وضرب به الارض ثم قال : ما أدرى ، هو علينا أم نحن عليه ؟ واسود وجهه ، ولم يدخل عليه أحد الا بعد العصر ، فأذن لأصحابه بالدخول وقال لهم : ما أظن هذا الرجل يريد بنا الا خيرا ونحن لا نعلم . أرسلوا اليه ، يرسل الينا المحتسبة ، لنكتب لهم السجلات ، حتى يذهبوا بها الى أقصى عملى ، ليأخذوا من يجدونه من الحرائر .

فكان ذلك . ولم يرض سحنون حتى فض الكتب التى كتبها لهم ، وقرأها ، ورضيها .

وكتب سحنون الى أبى زكير البربرى ، أن يفتش الرفاق ، فاعترضها، وكشف البراقع ، فمن زعم أنه من سبى تونس ، رفعه الى سحنون ، فأطلق منهم عدة .

ولما ثار القوبيع على محمد بن الأغلب قال بعض القواد : اليوم يستمكن من سحنون ، اما أن يخسر دينه أو دنياه . فقالوا للأمير : سحنون داعية مطاع ، فأمره بنصرك على هذا الخارجى .

فبعث فيه الأمير وأعلمه بالأمر ، واستشاره فى قتاله ، وأن يعلم الناس بفرض ذلك عليهم .

(276) فقال له سحنون : غشك من دلك على هذا ، متى كانت * القضاة تشاورها الملوك فى صلاح سلطانها ؟ ونهض من عنده .

*
* *

وقال ابن اللباد عن أبيه : رأيت ابن أبى الجواد بين يدى سحنون ، وعليه كساء قرمسى وعمامة ، فقال : أصلحك الله ، بأى قول أخذتنى ؟ قاض ينظر منذ ثمانية عشر عاما ، يقال له : من أين وأين ؟ وقد أخبرنى أسد بن الفرات ، عن مالك ، فى القاضى يعزل ثم يلى آخر ، هل ينظر فيما نظر فيه؟ فقال : لا ، له فى نفسه ما يشغله . وفى رواية : فان الناس اختلفوا ، فلو كان للمتولى أن ينظر ، لما استقر قضاء ولا صح لأحد .

فرد عليه سحنون كلاما ، رده عليه ابن أبى الجواد ، فقال سحنون : الدرة !

فنزعت عمامته ، فقال ابن أبى الجواد : سألتك بالله أن تفعل . فتركه .

قال ابن طالب : شغلنى معنى قول سحنون لابن أبى الجواد : أضربك حتى تقول : أؤدى . قال : وسألت عنها ابنه وابن عبدوس ، فكلهم وقف ، حتى بان لى أن معناه ، أنه كان أظهر العدم ، وكان عند سحنون بذلك ملدا، فضربه ليرجع الى الحق ، ولم يقبل منه ما حاد اليه من أداء زوجته عنه ، اذ لو كان كما زعم ، عديما ، ما لزمه أداء شىء ولا أدى غيره عنه .

هذا معنى قول ابن طالب .

وعندى أنا ، أن امتناعه ، لقول زوجته : أفديه به ، وقوله : حتى يقر أنه المال أو بدل منه ، وابابة ابن أبى الجواد من هذا .

فهذا فقه حسن دقيق ، وحجة بينة لسحنون ، اذ مضمون فعله وفعل زوجته فداء له من مظلمة نزلت به ، وأنه بحكم المضغوط الذى لا يلزمه ما بذله ، فلم ير اطلاقه بهذا الوجه .

وذكر أنه لما مات من ضربه فى السجن ، توسوس سحنون ، وحفظ عنه أنه كان يردد : ما أنا قتلته ، الحق قتله .

ولو كان على ما ذهب اليه ابن طالب ، لكان من أدى عنه كمال وهب له ، يقضى به دينه ، فلا يكون حكمه حكم العديم .

وقد جاء فى كتاب سحنون الى محمد بن زياد قاضى قرطبة ، يأمره بالشد والمعاقبة لمن تفالس ، وتكرار الأدب والضرب عليه حتى يؤدى أو يموت . قال له : وبذلك أخذت فى ابن أبى الجواد ، ضربته أربعا وعشرين ومائة درة ، وأوقفته يوم الجمعة للناس فى صحن الجامع ، وسوف أضربه أبدا حتى يؤدى تحت الدرة أو يموت .

*
* *

وقال ابن حارث : قيل لسحنون : هذا منصور دخل تونس بالحرائر ، فركب وانتزع منه ما بيده . فدخل منصور على ابن الأغلب وقد شق ثوبه ، وشكا اليه ما نزل به . فأرسل ابن الأغلب الى سحنون ، أن تصرفهم على منصور ، مرة ، وثانية ، وثالثة .

فقال : لا أفعل .

وأقبل ابن الأغلب حتى دنا من موضع سحنون ، وضربت له قبة نزل فيها ، وقد استشاط غيظا لمصادمته اياه على منصور ، ودعا فتى فقال له : اذهب الى سحنون فقل له : اردد السبى على منصور ، والا فائتنى برأسه .

فجاء الفتى الى سحنون يبكى ويتضرع ، ويقول له : أمرت فيك بعظيم !

فأخذ سحنون رقا ، فكتب بعد الاسم : « ويا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار » (87) الآية . ودفع الكتاب للفتى ثم قال : ادفعه لابن الأغلب .

---

87) الآية 41 من سورة غافر

فلما قرأه ، أمر برفع مضربه ، واحتجب ثلاثا ، ثم قال لمنصور : سلنى عما شئت من حوائجك ، وأعرض عن خبر سحنون .

وكان ابن الاغلب يقول فى قضيته مع سحنون : ان سحنون لم يركب لنا دابة ، ولا أثقل كمه بصرة ، فهو لا يخافنا .

*
* *

وذكر بعضهم ، أن بعض قواد ابن الأغلب انصرف من بعض الحروب بعدد حرائر ، فأرسل سحنون الى جميع البوادى فى الصوفية ، فاجتمع اليه منهم نحو ألف رجل ، فقالوا : مر نا بما شئت .

(277) فقال : * تخيروا منكم مائة رجل .

فكانوا عنده الى المغرب ، ولا يعلمون غرضه ، فلما صلى ندبهم وقال: تمضون الى دار فلان فتضربونها عليه . فاذا فتح أبلغوه سلامى ، وأن يخرج الحرائر اللاتى أتى بهن من الجزيرة الساعة ، ولا تجعلوا له الى غلق الباب سبيلا ، لئلا يجتمع هو ومن معه فيدافعكم ، ويفضى الأمر الى اراقة الدماء . وان هو لاطفكم ، ومانعكم ، فاشغلوه حتى يلج سبع مشايخ منكم، حتى ينتهوا الى الباب الأوسط ، وينادوا بهن : أين الحرائر المسبيات بالجزيرة ، يخرجن الى القاضى . فاذا خرج جميعهن ، أتيتم بهن وتركتموه.

ففعلوا ما أمرهم به ، فلما أبى عليهم ، قبضوا عليه حتى أخرجهن الشيوخ كما حده سحنون لهم ، وحملوهن الى سحنون ، فركب القائد الى القصر ، فوجد الأبواب مغلقة ، فبات هناك حتى أصبح ، ودخل على ابن الأغلب ، وقد شق ثيابه ، ونتف لحيته ، وأخذ فى البكاء ، فسأله ، فأخبره، فأنكر ذلك ، ووجه فتى الى سحنون يأمره بردهن له .

فقال له سحنون : قل له : والله الذى لا اله الا هو ، ان أخرجتهن من دارى ، حتى تعزلنى عن القضاء ، ويعلم الله أنه لا نظر لى على رجلين من المسلمين .

ثم وجه ابنه محمدا بسجله مع الفتى الى الأمير ، وقال له : قل له : هذا سجلك ، (وجعل الله فلانا شفيعك يوم القيامة ، فوصل اليه وأبلغه ما قال ، فقال محمد : هذا سجلك) (88) بعثت به ، لتولى أمور المسلمين من تراه .

فقال أبو العباس : اقرأ على أبيك السلام وقل له : جزاك الله عن نفسك وعنا وعن الاسلام خيرا ، فقد أحسنت أولا وأخيرا ، ونحن نرضى قائدنا من أموالنا ، وامض على حسن نظرك .

فبلغ ذلك سحنون ، واجتمع اليه وجوه الناس وأهل الخير ، وشكروا فعله ، فقال لهم : ان الله قد أحب الشكر من عباده ، فتقدموا الى باب الأمير واشكروه على تأييد الحق ففى ذلك صلاح الخاصة والعامة . ففعلوا ذلك .

*
* *

قال سليمان بن عمران : ودخل سحنون على محمد بن الأغلب ، يشكو اليه رفع الخصوم عن بابه الى باب الطبنى . شريكه فى القضاء ، وذلك أن ابن الأغلب ، لما لم يمكنه عزل سحنون ، لمكانه من قلوب الناس ، وقصده من تحامل رجاله ، وضيق عليهم ، ولى الحكم معه الطبنى ، رجلا جافيا جاهلا ، مضادة لسحنون ، فكان يرفع الخصوم عن بابه الى الطبنى .

فلما ذكر ذلك لمحمد بن الأغلب ، قال محمد : ما عندى من هذا علم .

ثم التفت الى بعض جلسائه فقال : أعندك من هذا علم ؟

قال : لا .

فضرب سحنون بيده على لحية نفسه ، وقال : يتلعب بى وأنا امام فى العلم منذ ستين سنة ، وهذا يشهد لى ، يريد ابن عمران .

فقلت : وما حاجتك الى ذلك ؟ أدركت الناس بمصر ، وهم يتمنون أن لو كنت فيهم .

---

88) سقط من نسخة ط من قوله : « وجعل الله » الى قوله هنا : « فقال محمد هذا سلجك »

وأسمعه يعقوب بن المضا(89) ، كلا ما غليظا فيما ينفذه من الحــق عليهم ، بحضرة ابن الأغلب ، فقال له سحنون : أين أنت من هذا القول ، اذ جىء بك ، وفى عنق يعقوب حبل كالكلب ؟

ثم خرج سحنون ، فقال يعقوب للأمير : شيخ من مشايخك ، وعم من أعمامك ، يفعل بى سحنون بين يديك مثل هذا ، ولا يرى لمجلسك حرمة ؟

فقال الامير لأصحاب الأعمدة : لو قتلتموه ما كنت أصنع بكم . فعافاه الله .

*
* *

ولما رأى سحنون حال الطبنى ، وفهم المراد ، لزم داره مدة ، وترك الجامع ، وكان الطبنى يحكم فى الجامع ، وحبيب أيضا صاحب مظالــم سحنون ينظر ، الى أن بلغه أن الطبنى مد يده الى بعض أصحابه ، فخرج سحنون الى الجامع ، وسمع بذلك الناس ، فأتوا اليه من كل جهة ، فخرج الطبنى من الجامع الى داره ، فكان ينظر فى داره ، * وسحنون فى الجامع، (278) على عادته ، نحوا من أربعين يوما ، الى أن توفى رحمه الله تعالى .

وكتب زيادة الله بن الأغلب الى علماء أفريقية يسألهم عن مسألــة ، فأخبروه ، الا سحنون ، فعوتب فى ذلك ، فقال : أكره أن أجيبه فيكتب الى ثانية ، استثقالا لمعرفة الأمراء .

فقال له ابراهيم بن عبدوس فى مثلها : اخرج من بلد القوم ، أمس لا تصلى خلف قاضيهم ! واليوم لا تجيب فى مسألتهم !

فقال سحنون : أجيب رجلا يتفكه بالدين ؟ لو علمت أنه يقصد الحــق أجبتــه . وذلك قبل قضائه .

ذكــر محنتــه

قال غير واحد من العلماء بالأثر : كان سحنون قد حضر جنازة ، فتقدم ابن أبى الجواد الذى كان قاضيا قبله ، وكان يذهب الى رأى الكوفيــين ،

---

89) أ ، ط : يعقوب بن المضا . ك : يعقوب بن المضار .

ويقول بالمخلوق ، فصلى عليها ، فرجع سحنون ولم يصل خلفه ، فبلغ ذلك الأمير زيادة الله ، فأمر بأن يوجه الى عامل القيروان ، بأن يضرب سحنون خمسمائة سوط ، ويحلق رأسه ولحيته .

فبلغ ذلك وزيره على بن حميد ، فأمر البريد أن يتوقف ، ولطف حتى دخل على الأمير وقت القائلة وقد نام ، فقال له : ما شىء بلغنى فى كذا ؟

قال : نعـــم .

قال : لا تفعل ، فان العكى انما هلك فى ضربه للبهلول بن راشد .

فقال : وهذا مثل البهلول ؟

قال : نعم ، وقد حبست البريد شفقة على الأمير .

فشكره ولم ينفذ أمره .

وبينا سحنون يقرأ للناس ، اذ أتاه الخبر بما أزاح الله عنه ، وقيل له : لو ذهبت الى على بن حميد فشكرته !

قال : لا أفعل .

قيل له : فلو وجهت ابنك لذلك ! فأبى .

قيل : فاكتب اليه .

فأبى وقال : ولكنى أحمد الله الذى حرك على بن حميد لهذا ، فهو أولى بالشكـــر .

وأقبل على اسماعه ، فقال له قوم من أصحابه : بهذا والله كتب اسمك بالحبر على الرقـــوق .

قال ابن وضاح : كنت عند سحنون ، فجاء انسان فساره بشـــىء ، فتغير لونه ، ثم جاءه آخر فساره ، فرجعت اليه نفسه ، ثم قال : لم أبلغ أنا مبلغ من ضرب ، انما يضرب مثل مالك وابن المسيب .

ولما ولى أحمد بن الأغلب الامارة ، وأخذ الناس بالمحنة بالقرآن ، وخطب به بالقيروان ، توجه سحنون الى عبد الرحيم الزاهد بقصر زياد

فارا ، فكان عنده ، نوجه فى طلبه الى هناك رجلا يقال له ابن سلطـان ، وكان مبغضا فى سحنون فظا غليظا ، اختاره لذلك فى خيل وجهها معه ، فلما وصل الى سحنون ، قال له ابن سلطان : وجهنى الأمير اليك ، وقصدنـى لبغضى فيك لأبلغ منك ، وقد حالت نيتى عن ذلك ، وأنا أبذل دمى دون دمك، فاذهب حيث شئت من البلاد فأنا معك ، أو أقم وأنا معك .

فشكره سحنون وقال : ما كنت أعرضك لهذا ، بل أذهب معك .

وخرج ، فشيعه أصحابه ، فقال عبد الرحيم للرسول : قل للأمير : أوحشتنا من صاحبنا وأخينا فى هذا الشهر العظيم — وكان شهر رمضان — سلبك الله ما أنت فيه ، وأوحشك منه .

وفى رواية : عارضتنى فى ضيفى ، فوالله لأعرضنك على رب العالمين .

فلما وصل الى الأمير ، جمع له قواده ، وقاضيه ابن أبى الجـواد ، وغيره ، وسأله عن القرآن ، فقال سحنون : أما شىء أبتديه من نفسى ، فلا ، ولكنى سمعت من تعلمت منه وأخذت عنه ، كلهم يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق .

فقال ابن أبى الجواد : كفر ، فاقتله ودمه فى عنقى .

وقال مثله غيره ممن يرى رأيه .

وقال بعضهم : يقطع أربعا ، ويجعل كل ربع بموضع من المدينـة ، ويقال هذا جزاء من لم يقل بكذا .

فقال الأمير لداود بن حمزة : ما تقول أنت ؟

قال : قتله بالسيف راحة ، — ويقال قائل هذا هو على بن حميـد والحضرمى ورجال السنة من أصحاب السلطان — ولكن قتل الحياة ، نأخذ عليه الضمناء ، وينادى عليه بسماط القيروان ، لا يفتى ولا يسمع أحدا ، ويلزم داره .

نفعل ذلك ، وأخذ عليه عشرة حملاء .

ويقال : ان ابن أبى الجواد هو الذى أمر بأخذ الحملاء عليه ، حتى يتبين عليه .

فرجع ، ففعل ذلك ، وأمر الحرس أن يأخذوا ثياب من دخل عليه .

قال سهد : فدخلت عليه ومعى دراهم أشترى بها ثيابى من الحرس ان أخذونى ، فعافانى الله ، فقلت : البدعة فاشية وأهلها أعزاء !

فقال : أما علمت أن الله اذا أراد قطع بدعة أظهرها .

*
* *

قال جبلة : ولما قرب سحنون فى قصته هذه من القصر ، لقيه من الموالى رجل سكران ، على برذون ، بيده قناة ، فأدخلها بين رجلى برذون سحنون، ليثب بسحنون فيقتله ، فتحامل برذون السكران به ، وقفز ، فدخل زج القناة فى صدر المولى فمات ، وسلم سحنون .

وقيل : بل الأمير كان أوصى انسانا بركوب بغل شموس ، وقال : له : اقصد به سحنون ، بعد أن تحجبه ، فلعل الله يريحنا منه .

فلما قرب سحنون من القصر ، فعل الرجل ما أمر به ، فطرحه البغل الشموس فمات .

وكان فى طريقه نزل تحت شجرة ، والرسول الذى جاء به تحت أخرى ، فأتى رجل الى سحنون بقصعة ثريد عليها دجاجة ، فأكل سحنون ولم يدع الرسول ، فعاتبه فى ذلك وقال له : أحسنت صحبتك وتفعل هذا معى ؟

فقال له سحنون : ليس من السنة أن أدعوك الى طعام غيرى ، ولو كان لى لفعلت .

قال القاضى أبو الفضل عياض رضى الله تعالى عنه : ما قال سحنون، صواب ، ولكن لا أدرى لم لم يستأذن رب الطعام فى أكله معه ، كما فعل عليه الصلاة والسلام ، ولعله فعل ذلك فلم يأذن له .

وفى هذا الحبر قال : كان سحنون يقول فى طريقه : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم » (90) الآيـــة .

وحكى أنه لما دخل سحنون على ابن الأغلب ، قال له سحنون : قد كنت خائفا حتى دخلت عليك فأمنت ، فأمنه .

وكان ابنه محمد قد توارى معه ، فلما أتى باب القصر ، نفر الشرط الى انتهابه ، فأخذ لجام دابته ، فلما دخل على الأمير قال له : تكلم .

فقال : انما يتكلم من معه عقله ، وأما أنا فقد ذهب .

فسأله ، فأعلمه بما جرى عليه ، فأمنه ، وأمر بصرف لجامه .

قال ابن وضاح : دخلت مصر فلقيت الحارث بن مسكين ، فسألنى عن سحنون ، فقلت له : انه مغموم من قبل الأمير .

فقال الحارث : قال الأوزاعى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا أحب الله عبدا سلط عليه من يؤذيـــه .

ذكر بقايا فضائــل سحنون وتقــاه وخوفــه وزهده وتحريه فى الفتيــا وعبادته وفقر من كلامــه ووصايــاه وأخبــاره

قال محمد بن أحمد بن تميم : كان الذين يحضرون مجلس سحنون من العباد ، أكثر ممن يحضره من طلبة العلم ، كانوا يأتونه من أقطار الأرض.

قال بعض أصحابه : عرست ، فدعوت ليلة عرسى جماعةمن أصحابنا، وفيهم رجل من أهل المشرق من أصحاب ابن حنبل ، قدم علينا وكنا نسمع منه ، فكان أصحابنا فى أول الليل فى قراءة وبكاء وتعبد وخشوع ، ثم أخذوا بعد ذلك فى مسائل العلم ، ثم ابتدروا بعد ذلك الى زوايا بالدار يصلــون أحزابهم ، فقال الشيخ : أصحاب من هؤلاء ؟ ومن معلمهم ؟ فوالله ما رأيت قط أنبل منهم . وما صحبوا رجلا الا نبلوه .

فقالوا : أصحاب سحنون .

---

90) الآية 173 من سورة آل عمران .

فقال : والله لقد رأيت أصحاب العلماء عندنا بالمشرق ، فوالله ما رأيت مثل هؤلاء .

قال ابن عجلان الاندلسى : ما بورك لأحد بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما بورك لسحنون فى أصحابه ، انهم فى كل بلد أئمة .

قال ابن حارث : سمعتهم يقولون : كان سحنون أيمن عالم دخل المغرب ، كان أصحابه مصابيح فى كل بلدة ، عد له نحو سبعمائة * رجل ظهروا بصحبته ، وانتفعوا بمجالسته . وسمعتهم يقولون : كان سحنون أعقل الناس صاحبا ، وأفضل الناس فى باب الدين صاحبا ، وأفقه الناس صاحبا ، وصام سحنون بقصر زياد مرابطا ، خمسة عشر رمضان . (280)

وحكى ابن اللباد أن سحنون قال لابنه محمد: يا بنى سلم على الناس، فان ذلك يزرع المودة ، وسلم على عدوك ، وداره ، فان رأس الايمان بالله المداراة بالناس .

وحكى المالكى ، أنه نقب بيت سحنون وهو قائم فى تهجده ، وأخذ ما كان فى البيت وهو لا يشعر ، ثم أخذت القلنسوة من رأسه ، فلم يلتفت ، لشغله بما كان فيه .

وجىء اليه للصلاة على مقتول ، فقال : لم تحضرنى نية .

فأتى آخرون فقالوا له : فلان ــ أصلحك الله ــ قتل وطرح فى بئر ، وقد أخرجناه ، فصل عليه .

فقال : ومن قتله ؟

قالوا : هذا المقتول الذى سئلت ، قبل ، الصلاة عليه .

فصلى سحنون على هذا ، وكانت منه فراسة .

قال سليمان بن سالم : أتى رجل من صطفورة ، فسأل سحنون عن مسألة ، وتردد عليه ، فقال له : أصلحك الله ، مسألتى فى ثلاثة أيام !

فقال له : وما أصنع لك ؟ ما حيلتى ؟ مسألتك نازلة معضلة ، وفيهـا أقاويل ، وأنا أتخير فى ذلك .

فقال الصطفورى : وأنت ـ أصلحك الله ـ لكل معضلة .

فقال : هيهات ! ليس يا ابن أخى بقولك أبذل لك لحمى ودمى الــى النار ، ما أكثر ما لا أعرف ، ان صبرت رجوت أن تنقلب بمسألتك ، وان أردت غيرى نامض ، تجب من ساعتك .

فقال : انما جئت اليك ، ولا أبتغى غيرك .

قال : فاصبر عافاك الله .

ثم أجابه بعد ذلك .

وأرسل أسد بن الفرات وهو قاض الى سحنون ، وعون ، وابــن رشيد ، وموسى الصمادحى ، فسألهم عن مسألة من الأحكام ، فأجاب فيها ابن رشيد وعون ، وأبى فيها سحنون من الجواب . فلما خرجوا عذلاه فى تركه ، فقال لهما : منعنى أنكما بدرتما بالجواب ، فأخطأتما ، وكرهت أن أخالفكما ، فندخل عليه اخوانا ونخرج أعداء ، وبين لهما وجه خطأهـما ، فجزياه خيرا واعترفا ، ورجعا الى أسد فأخبراه برجوعهما .

قال القاضى : لعل سحنون عول على ما عرف من فضلهما ، من أنهما اذا بين لهما وجه خطأهما رجعا فأعلما أسدا برجوعهما ، كما فعلا ، وأن الحكم كان بعد لم يحن وقت نفوذه ، والا فهو فى فضله وورعه كـان لا يسكت على مثل هذا الارجاء أن يستبين الحق بلا نقلة ولا مخالفة .

قال سحنون : أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علما ، يكون عند الرجل باب واحد من العلم فيظن أن الحق كله فيه .

قال سحنون : انى لأسأل عن المسألة فأعرف فى أى كتاب وورقــة وصفح وسطر ، فما يمنعنى من الجواب فيها الا كراهة الجرأة بعدى على الفتيـــا .

قال سحنون : وأنا أحفظ مسائل ، منها ما فيه ثمانية أقاويل من ثمانى أئمة ، فكيف يسعنى أن أعجل بالجواب حتى أتخير ، وهو الأمر فى حبس الجواب ، أو كما قال .

قال عبد الجبار بن خالد : قال رجل من الطلبة لسحنون : جئت اليوم ولم أسمع منك شيئا .

فقال له : ان كنت فى وقت خروجك ممن شيعته الملائكة ، فقد سمعت وان لم تسمع ، وان كنت ممن لم تشيعه ، فلم تسمع وان كنت سمعت .

قال عيسى : قلت لسحنون : تأتيك المسائل مشهورة مفهومة فتأبى الجواب فيها !

فقال سحنون : سرعة الجواب بالصواب أشد فتنة من فتنة المال .

قال يحيى بن عمر : لما قدمت الى سحنون سألت عنه ، فقيل لى : خرج الى البادية ، فجئته فرأيت رجلا أشعر (91) ، عليه جبة صوف ، ومنديل ، وهو متول حرثه وشأنه ، فاستصغرته ، وندمت على ترك من تركت بالمشرق ، ومجيئى اليه ، وقلت : ما أراه يحفظ شيئا من العلم .

فرحب بى ، فلما جالسته فى العلم ، رأيت بحرا لا تكدره الدلاء ، والله العظيم ما رأيت مثله قط ❊ كأنما جمع العلم بين عينيه وفى صدره . (281)

وقال سحنون : ما أقبح بالعالم أن يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيه ، فيسأل عنه ، فيقال : هو عند الأمير ، هو عند الوزير ، هو عند القاضى ، فان هذا وشبهه شر من علماء بنى اسرائيل ، وبلغنى أنهم يحدثونهم من الرخص بما يحبون ، مما ليس عليه العمل ، ويتركون ما عليه العمل وفيه النجاة لهم ، كراهية أن يستثقلوهم ، ولعمرى لو فعلوا ذلك لنجوا ، ووجب أجرهم على الله ، فوالله لقد ابتليت بهذا القضاء وبهم ، فوالله ما أكلت لهم لقمة ، ولا شربت لهم شربة ، ولا لبست لهم ثوبا ، ولا ركبت لهم دابة ،

---

91) ك : أشعر — ا ، ط : أشقر — م : أسمر — ويقال : شعر بكسر العين ، يشعر ، شعرا ، كثر شعره وطال ، وقد تقدم فى صفة سحنون أنه كان ربع القامة ، بين البياض والسمرة ، حسن اللحية ، كثير الشعر ... الخ .

ولا أخذت لهم صلة ، وانى لأدخل عليهم فأكلمهم بالتشديد ، وما عليه العمل وفيه النجاة ، ثم أخرج عنهم فأحاسب نفسى فأجد على الدرك ، مع ما ألقاهم به من الشدة والغلظة وكثرة مخالفتى لهواهم ووعظى لهم ، فلوددت أنى أنجو مما دخلت فيه كفافا .

وقيل له : ان يعقوب بن المضا لا يحبك .

فقال : الحمد لله الذى لم يجمع حبى ، وبغض أبى بكر وعمر فى قلب واحد .

قال سليمان بن سالم : رأيت سحنون اذا قرىء عليه كتاب الجهاد لابن وهب ، وكتاب الزهد ، يبكى حتى تسيل دموعه على لحيته .

قال مرة لرجل : اقرأ على : (ويا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة) فقرأها ، فلما بلغ (فستذكرون ما أقول لكم) (92) قال : حسبك ، وهو يبكى .

قال بعضهم : خرج سحنون ، وابن رشيد ، وابن الصمادحى ، الى المنستير ، ومعهم ابن نعيم ، قال : فنظرت الى سحنون تسيل دموعه على لحيته ، ثم سكت الفتى ، فقال سحنون : « يرتجى أن يرفع صوته لو كان من يقول له » وأبى أن يقول له .

قال بعضهم : دخلت على سحنون ، وفى عنقه تسبيح يسبح به .

قال حبيب : كان سحنون يتمثل بهذه الابيات :

كل شىء قد أراه نكرا غير ركز الرمح فى ظل الفرس
وقيام فى حناديس الدجى حارسا للقوم فى أقصى الحرس

وحكى الأبيانى عن سحنون أنه قال فى الحديث فيمن أخاف أهل المدينة ، قال : ليس هم سكانها ، بل من قال بقولهم ، حيث كان .

---

92) الآيات 41 — 42 — 43 — 44 من سورة غافر .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : أراه ، والله أعلم ، من كان على سننتهم وهديهم ، وهم جماعة المسلمين .

قال ابن وضاح : وكان انسان يشرب قريبا من سحنون ويغنى، فلم يغير عليه ، فلما قدمت الأندلس ابتليت بمثله ، فأردت رفع أمره، ثم تذكرت أمر سحنون فاقتديت به وصبرت ، ثم لقيت سحنون بعد ذلك ، فلم أسمع جاره ذلك بعد ، فسألته عنه فقال لى : ماذا حملت منه ! ولقد كفانيه الصبر (93) ، وها هو مؤذن فى المسجد ، وكنت أقدر أن أغير عليه وأكلم السلطان فيه ، فخشيت أن يحملنى فى دينى ما هو أضر منه ، فرأيت أن أصبر ، حتى لا يكون للسطان على منة .

قال ابراهيم بن محمد بن باز : كنت أقرأ كتاب الهبات ، من النذور ، على سحنون ، فمرت مسألة فى الكتاب ، كان فى جانب كتابى فيها كلام لأصبغ ، فقرأته على سحنون .

فقال : ايه ؟

فظننت أنه استعادنى فقلت : قال أصبغ (94) .

فقال : ايه ؟

فأعدت ، فنظر الى ، وقال : من جرأك على ؟

قلت : أصلحك الله ، كذا هو فى حاشية كتابى ، وحدثنى بها سعيد بن حسان عن أصبغ .

فقال لى : تكذب ! سعيد بن حسان أعلم بالله ، يا أهل الأندلس ! ما تبالون عمن تأخذون دينكم ! قم ، والله لا قرأت لكم حرفا .

---

(93) ط : ولقد كفانيه الصبر ــ ك ، م ، أ : ولقد كفانيه الفقر .

(94) سقط هنا من نسختي : أ ، ط نحو 3.500 كلمة ، وذلك من قوله هنا (فقلت قال أصبغ) الى قوله فى آخر ترجمة أبى جعفر موسى بن معاوية الصمادحي : « وجعل يحتج له ، قال » ــ وذلك يتضمن بقية ترجمة سحنون ، وترجمة عون بن يوسف الخزاعي ، وقسما مهما من ترجمة أبي جعفر الصمادحي ــ وقد ترك ناسخ نسخة (أ) بياضا نحو من ستة أسطر ، وكتب فى الهامش ما يلي : « بقي هنا شىء والله أعلم » ــ ونحن نقتصر هنا فى مقابلة هذا القسم الساقط من نسختي أ ، ط ، على نسختي : ك ، م لانه ثابت فيهما .

فقمنا ، فلما كان بعد أيام ، لم نشعر الا وسحنون واقف على بيتي عليه فرو ، وبيده عصا ، فقال : السلام عليكم ، أى شىء تكتب ؟

فرددت عليه السلام ، وقلت له : أكتب كتابا من المدونة .

فقال لى : يا أهل الأندلس ، أنا أحبكم لأنكم قوم سنة وخير .

ثم مضى ، فجئناه يوما ثانيا ، وكنت أنا القارىء عليه وأخذتنى زكمة، فربطت رأسى وجلست ناحية ، فلما اجتمعنا قال : أين ذا ؟ قال : اقرأ .

فقلت : عرض لى شىء .

قال : اقرأ ، كما أقول لك .

قال : واستأذنه رجل أن يبنى قنطرة يجوز عليها الناس الى دار سحنون ، فأبى سحنون ، لأن كسبه كان من بلاد السودان .

وكان لا يشرب من المواجل التى يبنيها السلاطين تورعا ، ويفتي بجواز ذلك ، ويقول : انما هى حجارة جمعوها ساق الله اليها الماء .

وقال بعض أصحابه : خرج سحنون يوما على أصحابه للسماع مغضبا ، على وجهه كآبة ، اذ جاءه رجل بدوى — وفى رواية : غلام له — فساره بشىء ، فضحك سحنون ، وأمر بالقراءة ، ثم قال لأصحابه : انا أصبنا فى عامنا هذا ثمرة كثيرة وزرعا ، ولم أصب بمصيبة ، فخفت أن أكون سقطت من عين الله تعالى ، وان هذا جاء فأخبرنى أن أفره جمالى مات ، فسررت بذلك ، وعرفت أن الله ذكرنى ، ويخلف ما ذهب .

وفى رواية أخرى ، أن الغلام أخبره بموت زوجه وخادم ، وأهلك الريح مائة وخمسين شجرة .

*
* *

قال أحمد بن أبى سليمان : كان العلماء يأكلون طعام على بن حميد الوزير ، خلا سحنون ، وولده ، فلم يكن يأتيهم ، ولا يأكل طعامهم، ورغبوا اليه فى ترك ولده ، فقال : أخشى أن أعودهم عادة .

قال أحمد بن سليمان : كنا يوما جلوسا عنده اذ جاءه غلام بدرهم ونصف فضة ، باع له به زيتونا ، فقال : الحمد لله ، زيتوننا ، وغلامنا ، ودابتنا . ثم رمى بها وقال لنفسه : يا شقى ! تدرى ممن باعها لك ؟

قال ابن معتب : كان سحنون يتصدق على الرجل الواحد بالمال الذى تجب فيه الزكاة ، الثلاثين دينارا أو أكثر .

قال عبد الله بن سعيد الصائغ : دفع سحنون يوما لرجل صرة دنانير وهو فى بيته ، ثم قال له : اذهب فأول من تلقاه فادفعها اليه ، فجعل الرجل يتخلل الأزقة ، اذا برجل عليه ثوب أبيض وتحته شىء يحمله ، فدفع اليه الصرة ، فلما أخذها ألقى الذى بيده . وقال : هى ميتة كانت حلا لنا فحرمت الآن علينا .

فكانت فراسة من سحنون .

قال حمديس : دخلت عليه يوما وهو يأكل خبزا يبله فى الماء ويغطسه فى الملح ، فقال : أما انى لم آكله زهادة فى الدنيا ، ولكن لئلا أحتاج الى هؤلاء فأهون عليهم ، ثم صاح بجارية ، فأتت بصرة فيها عشرون دينارا، فقال : ادفعه لثلاثة رجال صالحين ممن يسكن عندكم ، فان لم تجد ثلاثة فالى اثنين ، فان لم تجدهما فالى واحد .

قال العنبرى : كانت غلة سحنون فى زيتونه ، خمسمائة دينار فى السنة ، فما تنقضى السنة الا والديون عليه لكثرة صدقته ومعروفه .

فصل فى حكمه وكلامه

كان سحنون يقول : ليس للأمور بصاحب ، من لم ينظر لها فى العواقب.

وكان يقول : ترك الحلال أفضل من جميع عبادة الله ، وترك الحلال لله أفضل من أخذه وانفاقه فى طاعة الله .

وقال: ترك دانق مما حرم الله، أفضل من سبعين ألف حجة، تتبعها سبعون ألف عمرة مبرورة متقبلة ، وأفضل من سبعين ألف فرس فى سبيل

الله بزادها وسلاحها ، ومن سبعين ألف بدنة يهديها الى بيت الله العتيق ، وأفضل من عتق ألف رقبة مؤمنة من ولد اسماعيل .

فبلغ كلامه هذا لعبد الجبار بن خالد ، فقال : نعم ! وأفضل من ملء الأرض الى عنان السماء ذهبا وفضة ، كسبت وأنفقت فى سبيل الله ، لا يراد بها الا وجه الله .

وكان سحنون يقول : مثل العلم القليل فى الرجل الصالح ، مثل العين العذبة فى الأرض العذبة يزرع عليها صاحبها ما ينتفع به ، ومثل العلم الكثير فى الرجل الطالح ، مثل العين الخرارة فى السبخة ، تمر الليل والنهار ، ولا ينتفع بها .

وكان يقول : انظر أى الأمرين يكون فيه الثواب ، فأثقلهما عليك هو أفضل .

وكان يقول : كل دابة تعمل على الشبع ، الا ابن آدم ، اذا شبع رقد، وقد قال مالك : ألا أدلكم على در بلا ثمن ! ؟

قيل : وما هو ؟

قال : صر الجوع فى كمك .

وكان سحنون اذا ضاق عليه أمر يقول : ضيقى تنفرجى ، يا مالك يوم الدين ! اياك نعبد واياك نستعين .

وكان سحنون يقول : من لم يعمل بعلمه ، لم ينفعه العلم .

وروى عنه عيسى بن أيوب أنه قال : اذا تردد الرجل على القاضى ثلاث مرات بلا حاجة فلا تجوز شهادته .

وكان سحنون يقول : من لم يعمل بعلمه لم ينفعه العلم ، بل يضره ، وانما العلم نور يضعه الله تعالى فى القلوب ، فاذا عمل به ، نور الله قلبه ، وان لم يعمل به وأحب الدنيا ، أعمى حب الدنيا قلبه ، ولم ينوره العلم .

وذكر أن سحنون اذا رأى اعراض الجهال عن العلماء يقول :

لمنزلة الفقيه من السفيه كمنزلة السفيه من الفقيه

فهذا زاهد فى قرب هذا وهذا فيه أزهد منه فيه

باب ذكر كرمه وجوده

قال محمد بن عبد الله الرعينى : لما سرت الى الغزو الى صفاقس مع سحنون ، فتح لنا مطمورة شعير ، لعلف دوابنا ، فما كنا نأخذ منها بكيل، سماحة منه فى ذات الله .

قال غيره : وفدى سحنون يومئذ أسارى المسلمين ، وظن أن الأمير يعطيه ما فداهم به ، وأخذ سحنون الأموال التى فداهم بها سلفا ، فلما قدم على الأمير أبى أن يعطيه الفداء ، فألزم سحنون الأسارى ما فدوا به ، وقال لهم : قد كنتم عبيدا للعدو ، ولا تملكون من أموالكم شيئا ، ولا تأمنون الفتنة على دينكم ، فمن أعطى تركته ، ومن أبى حبسته .

قال أبو داود القطان : باع سحنون زيتونا له بنحو ثلاثمائة دينار ، ودفع ذلك الى ، فكان يبعث الى البطائق ، يتصدق من ذلك المال ، الى أن نفذ ، فأتيته بتلك البطائق ليحاسبنى عليها ، فقال لى : أبقى من المال شىء ؟

فقلت : لا .

فرمى البطائق ولم يحاسبنى ، وقال : اذا فرغ المال فلم أحاسبك ؟

*
* *

قال حمديس : ماتت لأبى خادم ثمنها ثمانية وعشرون دينارا ، فعرض على سحنون ثمنها لأشترى منه لأبى خادما ، فقلت : أنا عن هذا غنى .

وحكى المالكى ، عن الجزرى ، قال : بينما أنا عند سحنون ، اذ أتاه رجل فسأله عن مسألتين أو ثلاثة ، ثم قال : ما اليوم ؟ وما غد ؟ وما بعد غد ؟

فقال له سحنون مجيبا : اليوم عمل ، وغدا حساب ، وما بعد غـد جـــزاء .

فلما ولى تبعته ، حتى دخل المقبرة ، فلما خفت فواته قلت له : بالله قف لـــى !

فقال : ما تريد ؟ أنا رجل من الجان ، كنت أغشى مجلس أبى سعيد ، أسأله عن مسائل ، فقد حرمتنى المسائل .

ثم غاب عنى ، فحضرنى الخروج الى الحج ، فبينا أنا فى الطواف ، اذ جبذ بثوبى من ورائى ، فالتفت ، فاذا بالجنى ، فسلم على ، وأخبرنــى بخبر من خلفته ، ثم قال لى : رأيت الطلبة يختلفون الى شيخ !

فمضيت الى الرجل معه ، فلما أشرفنا على الجماعة ، جبذنى الجنى بثوبى ، وقد تغير لونه ، وقال لى : هذا ابليس ، والله لو رآنى لقتلنى .

قلت له : فما العمل ؟

قال : ارجع فالطمه للرأس ، وقل له : يا لعين ! يا ملعون ! ايش أتى بك ها هنا ؟

ففعلت ، فاضمحل حتى صار مثل الدخان ، وأخبرت الطلبة بالقصة ، فعجبوا ، وخرقوا ما كتبوا عنه .

وحكى ابن اللباد هذه الحكاية ، وزاد فى أولها : كان فتى يغشــى مجلس سحنون ، ذو سكينة وصمت ، لا يتكلم ، فاذا كان آخر المجلس ، سأله عن ثلاث مسائل أو أربعة ونحوها ، ويستغرب (95) ، لا يعرفه أحد من الطلبة ، فشغل أحد الطلبة به نفسه ، واتبعه حتى خرج .

وذكر الحكاية ، وفيها زيادة ألفاظ ، وفيها : وها هنا قوم من صالحى الجن ، فهم يرسلوننى أسأل لهم عن دينهم وما يحتاجون اليه ، فقد قطعت حظهم من ذلك . (96) .

---

95) ك : ويستغرب — م : ويستقري

96) سقط من نسخة م من قوله هنا : « من ذلك » الى قوله : « عهدي بهم » وذلك نحو من عشرين كلمة .

وفيها : أنه أخبره حين لقيه فى الطواف بحال أهله وولده وقال له : عهدى بهم بالأمس .

وفيها : فقال له : ها هنا شيطان قد تمثل فى صورة شيخ ، وحوله جمع يكتبون عنه ، فاذا جئته فلا تهبه ، وارفع العصا عليه .

وذكر تمام الخبر بمعناه .

*
* *

قال القاضى أبو الفضل عياض رضى الله تعالى عنه : وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود ، أن الشيطان يتمثل فى صورة الرجل ، فيأتى القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب ، فينصرفون عنه ، فيقول الرجل منهم : سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أدرى من هو .

وفيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : ان فى البحر شياطين مسجونة ، أوثقها سليمان عليه السلام ، يوشك أن تخرج ، فتقرأ على الناس قرآنا .

*
* *

وحكى أبو الحسن القابسى ، قال : أتى رجل الى سحنون ، فجلس حتى انصرف الناس ، فأخذ فى البكاء ، فسأله سحنون عن سبب ذلك ، فذكر له أنه رأى أمرا استعظمه ، فلم يزل به حتى ذكر له أنه رأى كأن القيامة قد قامت ، وحشر الناس ، وأتى سحنون ، فرأى أنه ألقى فى النار بعد أن لقى من الاغلال والنكال أمرا عظيما .

فصبره سحنون ، وأرسل فى رؤساء كنيسة النصارى ، فجاء اليه منهم اثنان ، فسألهم : هل مات لكم ميت ممن تعظمونه ؟

قالوا : نعم .

فقال : أرأيتم له شيئا ؟

قالوا : نعم ، رؤيا كثيرة . ووصفوا فيها من الخير والترفيع .

فصرفهما ، ثم قال للرجل : هل تشك أن هؤلاء وميتهم من أهل النار ؟

قال : لا .

فقال له : فاعلم أن الشيطان يأتى للمؤمن بما يثبطه على الخير، ويمقت له أهله ، والى الكافر بما يغبط اليه حاله ويثبته على كفره ، وقد رآك تختلف الينا فأراد أن يضرك .

* * *

ورأى سحنون الناس يقبلون يد ابن الأغلب ، فقال له : لا تعطهم يدك ، لو كان هذا يقربك من الجنة ما سبقونا اليه .

وستأتى مثل هذه الحكاية فى أخبار ابن وضاح ، ان شاء الله تعالى .

ذكر وفاة سحنون رحمه الله تعالى ومرائي ريئت له

لم يختلف أن سحنون توفى فى رجب سنة أربعين ومائتين .

قال أبو على : يوم الأحد قبيل نصف النهار ، لثلاث خلون منه .

وقال غيره : لسبع خلون منه .

ودفن فى يومه ، وصلى عليه الأمير محمد بن الأغلب ، ووجه اليه بكفن وحنوط ، فاحتال ابنه محمد حتى كفن فى غيره ، وتصدق بذلك .

واستعفى رجال ابن الأغلب من الصلاة عليه ، وقالوا : قد علمت ما بيننا وبينه ، وأنه يكفرنا ونكفره ــ لأن أكثرهم كانوا معتزلة ــ وانما خرجنا طاعة لك ، فان صلينا عليه رأى الناس أنا رضينا حاله .

فأعفاهم ، فتقدم وصلى فى عبيده ، وعامة أهل السنة ، وجماعة المسلمين .

وكان سنه يوم مات ثمانين سنة .

مولده

سنة ستين ومائة .

ويقال : احدى وستين .

وقال له رجل : يا أبا سعيد ! الناس يقولون : انك دعوت الله ألا يبلغك سنة أربعين . يعنى : ومائتين .

فقال : ما فعلت ، ولكن الناس يقولونه ، وما أرى أجلى الا فيها .

قال أبو بكر المالكى : لما مات سحنون ، رجت القيروان لموته ، وحزن له الناس .

قال سليمان بن سالم : لقد رأيت يوم مات سحنون ، مشايخ من أهل الأندلس ، يبكون ويضربون خدودهم كالنساء ، ويقولون : يا أبا سعيد ! ليتنا تزودنا منك نظرة نرجع بها الى بلدنا .

قال بعضهم لأبى بكر الحضرمى : رأيت فى نومى رجلا صعد الى السماء الدنيا ، ثم من سماء الى سماء ، حتى صار تحت العرش .

فقال : ينبغى أن يكون هذا سحنون .

فقال الرائى : هو ذاك .

وقيل ان الرائى رأى الحضرمى فى النوم ، فسأله عنها ، ففسرها له بمثل ما ذكرنا . وفى أولها : رأيت بابا فتح فى السماء ، ونودى بسحنون ، فأوتى به ، فصعد .

وقال آخر : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم مقبورا ، والناس يجعلون على قبره التراب ، وسحنون ينبشه ، فقال : قل لسحنون : هم يدفنون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت تحييها .

قال عيسى بن مسكين : رأيت فى المنام كأن سحنون يبنى الكعبة ، فغدوت عليه ، فوجدته يقرأ للناس كتاب مختصر المناسك ، له (97) .

---

97) كلمة (له) ساقطة من نسخة م ثابتة فى نسخة ك .

قال عبد الله بن الخشاب الأندلسى ــ وكان ثقة ــ : رأيت فى المنام النبى صلى الله عليه وسلم يمشى (98) فى طريق ، وأبو بكر خلفه ، وعمر خلف أبى بكر ، ومالك خلف عمر ، وسحنون خلف مالك .

قال ابن وضاح : فذكرتها لسحنون ، فسر بذلك .

قال غيره : رأيت سحنون فى النوم ، بيده لواء قد بلغ السماء ، وقد امتلأ الفضاء فراشا ، فكنت أسأل بعض الحضور ، فيقال لى : هذا لواء محمد ، وهذا الفراش ملائكة .

وذكر ابن ابن الحارث ، أن رجلا من أهل طرابلس كان على بدعة ــ وفى رواية : كان يقرأ كتب أهل العراق ــ فرأى فى النوم كأنه فى ماء قد غرق فيه الى الذقن ، ويكاد مع ذلك أن يموت عطشا ، ولا يقدر على الشرب ــ وفى رواية : فاذا شرب صار فى فيه دما ــ فأتاه فى تلك الحال رجل ، فسقاه حتى روى .

قال : فانتبهت ، وبقيت صورة ذلك الرجل فى نفسى ، فجعلت أمشى فى البلاد ، وأتأمل وجوه الناس ، لعلى أرى تلك الصفة ، حتى رأيت سحنون فعرفته بتلك الصفة ، فصحبته ، وتركت مذهبى ، وصرت الى مذهبه .

قال ابن حارث : أقام سؤدد العلم فى دار سحنون نحو مائة عام وثلاثين عاما ، من ابتداء طلب سحنون وأخيه ، الى موت ابن ابنه محمد بن محمد بن سحنون .

قال أبو الأحوص المتعبد : رأيت سحنون فى المنام ، وقد تهيأ للخروج الى المصلى مع ابنه محمد ، فأتيته بثوب أبيض ، فقال لى : أما علمت أنى لا أقبل الهدية ؟

فقلت : ليس بهدية ، ولكن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أدفعه اليك .

---

98) كلمة (يمشي) ساقطة من نسخة م ــ ثابتة فى نسخة ك .

فقال لى : وأين رسول الله ؟

فقلت له : ها هنا جالس (99) .

فما أقام سحنون الا يسيرا حتى مات .

ورأى بعض المتعبدين قائلا يقول : من أراد أن يشرب من ماء الحياة فليسمع من سحنون .

قال ابن أبى سليمان : رأيت فى شأن سحنون قبل موته رؤيا ، فقصصتها على معبر يقال له ابن عياض ، فقال : هذا رجل يموت على السنة .

ورثاه عبد الملك بن فطر الهذلى بقصيدة أولها (100) :

من يبصر البرق فوق الأفق قد لمعا
لما تسربل ثوب الليل وادرعا

ولى لعمرى بأرض الغرب قاطبة
ميت له البدو والحضار قد خشعا

لله أنت اذا ما هاب فاصلة
من القضاء كليل الحد فارتدعا

هناك برزت يا سحنون منفردا
كسابق الخيل لما بان فانقطعا

فاذهب فقيدا حباك الله جنته
واحصد من الخير ما قد كنت مزدرعا

---

99) ك : ها هنا جالس — م : ها هو جالس

100) وردت هذه العبارة فى نسخة ك كما يلي بالحرف : « ورثاه عبد الملك الهذلي بقوله كذا ، ورثاه أيضا عبد الملك بن فطر بقصيدة أولها »
ووردت فى نسخة م كما يلي : « ورثاه عبد الملك الهذلي بن فطر بقصيدة أولها » .
ولعل الصواب ما أثبتناه : « ورثاه عبد الملك بن فطر الهذلي بقصيدة أولها » .

عـون بن يوسـف الخزاعـي أبو محمـد

من أهل القيروان .

قال أبو العرب : كان أسن من سحنون بعشر سنين .

قال : قدمت المدينة سنة ثمانين ومائة ، بعد موت مالك بسنة ، فأدركت بها أربعين رجلا من معلمى ابن وهب ، منهم عبد الرحمان بن زيد بن أسلم.

وسمع من المفضل بن فضالة ، وابن وهب ، وابن غانم ، والبهلول ، وغيرهم .

سمع منه ابنه ، وبكر بن حماد ، وابن طالب ، وسليمان بن سالم ، وجماعة من أصحاب سحنون ، وغيرهم .

وقال الشيرازى : وبابن وهب تفقه .

قال بكر بن حماد : لما فرغت لقراءة كتب ابن وهب ، على عون ، قلت: يا أبا محمد ! كيف كان سماعك من ابن وهب ؟

فقال : يا بنى ! أتقال فيها أحد شيئا ؟ ثم قال لى : والله ما أحب أن يعذب الله أحدا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالنار ، أبطل الله سعيه وصومه وصلاته وسائر عمله ، ان كنت أخذتها من ابن وهب شيئـــا الا قراءة قرأتها عليه ، وقرأ هو على ، ولو كانت اجازة لقلت اجازة ، ولقـد حضرت ابن وهب ، فأتاه رجل يتلبس ، فقال : يا أبا محمد ! هذه كتبك .

فقال له ابن وهب : صححت وقابلت ؟

فقال له : نعـــم .

فقال له : اذهب فحدث بها ، فقد أجزتها لك ، فانى حضرت مالكا فعل مثـــل ذلـك .

قلت : يا أبا محمد ! وكتاب الأهوال سمعته منه ؟

قال : لا (101) ، حدثنى به رجل عنه .

وكان عون يفرق بين السماع والاجازة ، فيقول فى السماع « حدثنا » وفى الاجازة « أخبرنا » .

ذكر فضله وثناء العلماء عليه

كان ابراهيم بن محمد بن باز ، يفضل عون بن يوسف ، ويذكر دينه، وكان ابن وضاح يفضله ، وكان سحنون يقع فيه ويعيب الأخذ عنه ، ويقول : لم يسمع من ابن وهب ، وانما أخذ عنه اجازة .

قال ابن وضاح : كان عون ، والله ، خيرا منه ، وأتقى لله .

قال أبو العرب : كان عون رجلا صالحا ثقة مأمونا ؟

وكان أحمد بن خالد يعجب به .

وكان يبيع الكتان فى حانوت ، ومعه حبة شعير ، اذا أعطى الدراهم جعلها مع المثقال ، واذا أخذها جعلها مع الدراهم ، حتى يعطى زائدا بحبة، ويأخذ ناقصا بحبة .

وكانت عنده قفة تين ، اذا جاءه السائل أعطاه تينتين ، لا يزيد عليهما، ولا يرد السائل .

وحكى أبو مروان بن مالك (102) الفقيه عنه ، أنه قال : كنت أجهر بالقراءة ، فسمعت من الليل (103) قراءة جار لى من الجن ، يقرأ معى فى سورة الرعد .

وكان ما بينه وبين سحنون فاسدا ، وكان الوالى يكره سحنون ، ويدس من يرفع عليه ، فقيل له ما بينه وبين عون ، وقد أضر به سحنون، فطمع أن يجد السبيل بشهادة عون عليه ، فأرسل فى عون ، فسأله عن سحنون وما يتردد عليه من الشكاية به .

---

101) كلمة (لا) ساقطة من نسخة م ثابتة فى نسخة ك

102) قوله (بن مالك) ساقط من نسخة م ثابت فى نسخة ك .

103) قوله (من الليل) ساقط من نسخة م ثابث فى نسخة ك .

فقال عون : سبحان الله ! مثلي يكشف ــ أو يسأل ــ عن سحنون ؟ والله ان سحنون لأفضل وأخير من أن يسأل مثلي عنه .

فزاده ذلك شرفا ، فاندفعوا عنه .

قال ابن وضاح : لو لم يكن له غير هذه (104) .

وكان يقول : والله انى لأحب أن ألقى الله وأنا طالب .

ويقول : الخلائق كلهم أعداء بنى آدم ، والخلائق وبنو آدم كلهم أعداء المسلمين ، وجميعهم أعداء أهل السنة .

وكان يعود الأصدقاء ، ويتعاهدهم ، ويعود المرضى .

قال ابن حارث : نزلت نازلة أحضر لها ابن الأغلب فقهاء القيروان ، فتقدم عون ، فقال له ابن الأغلب : تقدم يا أبا محمد ، فلك السن والجلالة ، ألم يقل مالك كذا ؟ ألم يقل ؟ وهو يقول : نعم .

وحكى عون عن أبى محمد الضرير ، قال : لى جار من الجن ، جزاه الله عنى خيرا ، انى لأقوم من الليل أقرأ ، فيسايرنى بالقراءة .

قال سحنون : وأنا أجد ذلك آخر الليل .

قال بعضهم : كان عون شديدا على أهل البدع ، قائما بالسنة .

قال سليمان بن سالم : كنت جالسا عنده اذ جاءه ثلاثة رجال ، فأخبروه أن رجلا مات عندهم يقول بخلق القرآن .

فقال : ان وجدتم من يكفيكم مؤنته فلا تقربوه .

فسكتوا ، ثم سألوه ثلاثا ، كل ذلك يجيبهم بمثله .

فقالوا : لا نجد .

قال : اذهبوا فداروه من أجل التوحيد .

---

104) هكذا وردت هذه العبارة فى النسخ التي بين أيدينا ، وعليه يكون جواب « لو » محذوفا ، ويكون المعنى : لو لم يكن لعون بن يوسف الخزاعي الا هذه الفضيلة التي ظهرت منه فى هذا الموقف ، حيث أثنى عاطر الثناء على سحنون ، وهو خصم له ، لكفاه ذلك شرفا وفضلا .

وفـــــاتـــــه

ومات يوم الأحد ، ثانى جمادى الأولى ، سنة تسع وثلاثين ومائتين ، قبل وفاة سحنون بنحو عام على ما قاله أبو العرب .

وذكر ابن الجزار وابن يونس ، أن وفاته كانت سنة أربعين .

قال أبو العرب : ومولده سنة سبع وأربعين ومائة .

وقال الآخر : سنة خمسين .

وأوصى عون ابنه يحيى ، أن يصلى عليه ، فان سحنون يزعم أنى كذاب لم أسمع من ابن وهب .

فلما قدم للصلاة ، تقدم سحنون ليصلى عليه ، فتقدم ابنه يحيى وقال له : أوصى ألا يصلى عليه غيرى .

فضرب سحنون رأسه بالسوط ، وصلى عليه ظهرا .

قال سليمان بن سالم : ابتدأنا القراءة على سحنون يوم مات عـــون بيسيـــر .

فقال سحنون للقارىء : ما أفهم عنك ما تقرأ ، انصرفوا . وظهر عليه الحـــزن .

ورأت امرأة بيسير من موته ، كأن القيامة قامت ، وحشر الناس ، وقد جىء بثلاثة أفراس بسرجها ولجمها ، مكللة بأنواع الجوهر ، ويقال : هذه لسليمان المؤذن (105) المقتول غدا شهيدا .

ثم يؤتى بخمسة ، وصفتها بأحسن من الأولى ، فيقال : هذه لعون .

فأقول : هذا شهيد له ثلاثة ، ولعون خمسة ! ؟

فيقال : فضل عليه بالعلم .

وأعلمت بذلك عونا ، فبكى وقال : لو أن لى دنيا تصدقت بها شكرا لله تعالى لهذه الرؤيا ، وما أملك الا هذين الثوبين اللذين على .

---

105) ك : لسليمان المؤذن — م : لسليمان بن المؤذن .

أبو جعفر موسى بن معاوية الصمادحي

مولى آل جعفر بن أبى طالب .

قال ابن أبى دليم : يقال : معاوية بن أحمد ، بن عون ، بن معاوية ، بن عون ، بن عبد الله ، بن جعفر ، بن أبى طالب .

ويقال : ان عون بن عبد الله أودع جارية له مالا فجحدته ، فأخرجها الى غلام له اسمه صمادح ، فقدم بها الى افريقية وهى حامل من عون فيما يقال ، فقال الناس : ابن جعفر ، على هذا ، والله أعلم ، فاستوطن القيروان.

وقال ابن اللباد عن شيوخه : ان معاوية بن عون بن عبد الله بن جعفر ، قدم على عبد العزيز بن مروان ، فوصله واتخذ عنده جارية ، فأولدها ولدا سماه عونا ، فمات ، فغيبت المال ، وتزوجت غلاما له يقال له الصمادحى ، فقدم به افريقية ، واشترى له ضياعا كثيرة ، فعرف بالصمادحى .

قال : ويقال : ان موسى بن معاوية الصمادحى ، ابن الفضل بن عون ابن عبد الله بن جعفر .

رحل موسى من افريقية فى طلب العلم ، فى رجب سنة أربع وثمانين ومائة ، وانصرف الى القيروان سنة تسع وثمانين .

ثناء العلماء عليه وفضله

قال أبو العرب : وكان على فقهه ثقة مأمونا ، عالما بالحديث والفقه ، كثير الأخذ عن رجاله المدنيين والكوفيين والبصريين وغيرهم ، سمع وكيع ابن الجراح ، والفضيل بن عياض ، وعلى بن مهدى ، وطبقتهم ، وجرير بن عبد الله ، وأبا معاوية الضرير ، وسمع من ابن القاسم وغيره .

سمع منه سحنون ، وعامة أهل افريقية ، وسمع منه ابن وضاح ، وأحمد بن يزيد القرشى .

وعمى بعد قدومه من المشرق بيسير ، ثم أصابه الفالج .

قال أبو الحسن الكوفى : لم يكن بأفريقية محدث الا موسى بن معاوية الصمادحى ، وعباس الفارسى .

قال معتب : قلت لسحنون : ان موسى جلس . يعنى : فى الجامع .

فقال سحنون : ما جلس فى الجامع منذ ثلاثين سنة أحق بالفتوى منه.

وكان سحنون يجله ويعظمه ، ويعرف حقه فى العلم ، ويقدمه بين يديه فى المجالس .

قال فرات عن سحنون : كنا نرابط بالمنستير فى جماعة ، فكان موسى أطولهم صلاة وأدومهم عليها (106) ، فاذا كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان ، طبقها (107) من أولها الى آخرها ، فاذا أصبح ، قال : توجهوا بنا الى القيروان .

فنقول له : أقم حتى نتعبد (108) ها هنا .

فيقول : كان النبى صلى الله عليه وسلم ، يجتهد فى العشر الأواخر ، فاذا مضت ليلة سبع وعشرين ريئت فيه الفترة .

قال سحنون : فلا نجد بدا من مساعدته .

بقيـــة أخبـــاره

ولقى موسى محمد بن الحسن ، فلم يأخذ عنه ، فسئل عن ذلك ، فقال: لو ملىء لى مسجدى هذا ذهبا وفضة ما سمعت منه حرفا . وذكر أنه بلغه عنه شىء من مخالفة السنة .

وامتحنه ابن أبى الجواد ، قاضى القيروان ، وكان معتزليا ، فسأله عن القرآن ، فقال موسى : سمعت فلانا وفلانا ــ وذكر جماعة من أهل العلم ــ يقولون : من قال (القرآن مخلوق) فهو كافر .

---

106) ك : وأدومهم عليها ــ م : وأدومهم مجلسا .
107) م : طبقها ــ ك : طلبهـــا .
108) ك : حتى نتعبد ــ م : حتى نتعيد .

فقال له ابن أبى الجواد : لقد أعمى الله قلبك كما أعمى بصرك .

وكان موسى اذا نزل عنده اسماعيل بن رباح الزاهد ، يستنجد له الطعام ، فلا يأكل اسماعيل منه شيئا ، فيذهب موسى الى السوال وأهل الطريق ، فيجمعهم اليه ، ويقرب الطعام اليهم ، فاذا رآهم اسماعيل كذلك، أكل معهم .

وألف موسى بن معاوية كتاب الزهد ، وكتاب مواعظ الحسن .

قال ابن أبى دليم : والأغلب عليه الحديث والرواية . وكان من أهل الورع والدين ، منافيا لأهل البدع .

وذكر لبعض الشيوخ نقص الفقه ، مع كثرة الرواية ، فقال : هذا الصمادحى ، على كثرة جمعه ، عرضت له مسألة فى حمار ، فما عرف ما يجب له ، حتى استفتى .

قال فرات : حضرت الأمير زيادة الله يسأل الصمادحى عن عمود فى مسجد خرب ، أراد تحويله الى الجامع ، فقال : لا تحركه من موضعه ، وجعل يحتج له .

(282) قال (109) أبو الفضل * بن حمزة : كنا نسمع من الصمادحى وقد كف بصره ، فاستدعى ماء ، فجئت الى الماجل ، فاذا فيه ماء قليل وفأر كبير (110) ، فأعلمناه ، فقال : ايتونى منه ، فاستشمه ، فلم يجد له رائحة فقال : كيف ترون الماء ؟

فقلنا : صافيا .

---

109) لقد سبق أن نبهنا فى التعليق (94) على سقوط نحو 3500 كلمة من نسختي أ ــ ط وذلك من قوله هناك : (فقلت : قال أصبغ) الى قوله هنا : (وجعل يحتج له ، قال) ــ وذلك يتضمن قسما مهما من ترجمة سحنون ، وترجمة عون بن يوسف الخزاعي بكاملها ، وقسما مهما من ترجمة أبى جعفر موسى بن معاوية الصمادحي ــ وقد اقتصرنا فى مقابلة هذا القدر الساقط من النسختين المذكورتين على ما ورد فى النسختين الاخريين : ك ، م ــ لانه ثابت فيهما كما سبقت الاشارة الى ذلك ــ ونعود الآن الى المقابلة على النسخ الاربع : أ ــ ط ــ ك ــ م

110) أ ، ط : وفار كبير ــ ك ، م : وفأر كثير .

فشرب منه وشربنا ، وتوضأ وتوضأنا .

وتوفى يوم الاثنين لخمس بقين من ذى القعدة ، سنة خمس ، وقيل سنة ست وعشرين ومائتين . وسنه خمس وستون سنة . قال ابن سحنون فى تاريخه : ويقال أربع وستون ، بعد أن أصابه ريح أبطله ، فكان كالخشبة الملقاة .

مولده — فيما ذكر أبو العرب — مولد سحنون ، بينهما ليلة وقيل سنة .

وكان موسى اذا رأى تقديم سحنون له ، يقول : ما أبرك علينا تلك اللية ! يريد أن بسببها كان يجله سحنون .

وأما أبوه معاوية ، فله سماع من الثورى ، وابن أنعم ، وحنظلة ابن أبى سفيان ، وكان معدودا فى شيوخ افريقية .

روى عنه ابنه ، وسحنون ، وأبو داود العطار ، وكان ثقة ، ورمى برأى الصفرية ، ولعله لا يصح عنه .

وتوفى معاوية والد موسى ، سنة تسع وتسعين ومائة .

محمد بن رشيد

مولى عبد السلام بن الفرج الربعى العابد . قال المالكى : مولى رعين. يكنى أبا زكرياء .

كانت رحلته ورحلة سحنون الى الحجاز ، والى ابن القاسم الى مصر ، واحدة ، وكان سماعهما واحدا ، وانما فاته سحنون برجال الشام ، لانه رحل اليها دونه .)

قال ابن سحنون : كان فقيها نبيها طويل اللسان حسن البيان .

قال غيره : كان من أهل العلم والفقه ، ثقة فى نقله .

قال أبو سعيد بن يونس : روى عن سفيان بن عيينة ، وابن القاسم، وابن وهب .

قال ابن حارث : كان فقيها ، وصاحبا لسحنون عند ابن القاسم ، وكان ابن القاسم اذا تكلم فى العلم ، أسرع ابن رشيد الى فهمه ، وكان سحنون يتباطأ ، غير أنه كان اذا فهم رسخ فى قلبه .

قال أبو العرب : وكان أهل الأندلس فى أول أمره يسمعون منـــه ، فيأتونه أكثر مما كانوا يأتون سحنون ، ثم رخص فى المعاملة بالعينـــة ، فاجتنبه كثير من الناس .

قال أبو العرب : وأما فى نقله للعلم فكان ثقة .

وكان رشيد أبوه صقلبيا (111) ، رجلا صالحا ، رأى فى منامه ، كأنه أتى مسجد الجامع فبال فى محرابه ، فقص رؤياه على البهلول بن راشد ، فقال له : يخرج من صلبك ولد يكون اماما ، فولد له محمد .

وذكر أن الفرج ، والد أصبغ بن الفرج ، رأى مثلها .

قال حبيب لما مات ابن رشيد كره سحنون أن ينظر فى تركته ، وأمرنى فنظرت فيها . فمات محمد وسحنون قاض ، فيما قاله أبو العرب .

وذكر ابن الجزار ، أنه توفى سنة احدى وعشرين ومائة ، وغلط ابن حارث هذا القول ، ولم يسم قائله (112) ، قال : والصواب ما رآه أبـــو العـــرب .

وقال ابن يونس : توفى سنة اثنين ومائتين ، وصوب المالكى هذا ، وخطأ ما قاله أبو العرب وابن حارث .

حـــماد بـــن يحيـــى

أبو يحيى السجلماسى ، عداده فى أهل القيروان .

سمع عبد الله بن بكير السهمى ، وابن الماجشون ، وهو أول من قدم بفقه ابن الماجشون القيروان .

---

(111) أ ، م : صقليا ـــ ط ، ك : صقلبيا .

(112) سقط من نسخة ـــ أ ـــ من قوله هنا : (ولم يسم قائله) الى قوله : (وصوب المالكى هذا) وذلك نحو من عشرين كلمة . وهو ثابت فى النسخ الاخرى كلها.

قال محمد بن أحمد بن تميم : وقد سمع منه سحنون ، وكان شيخا صالحا ، تاجرا ، وكان فى كتبه تصحيف كثير ، لم يكن يقوم بها ، سمع منه عامة أصحاب سحنون .

وكان له ابن اسمه حسن : روى عن أبيه ، مات قديما ، سمع من ابن بسطام .

زيد بن بشير بن زيد بن عبد الرحمان الازدي

صلبية ، أم أبيه مولاة لبنى شريح الحضرمى ، فجرى على أبيه العتق من قبلها ، فكان زيد يقر بولائهم مع صحة نسبه فى الأزد ، قاله الكندى .

يكنى أبا البشر ، أصله من أهل مصر ، وعداده فى أهل تونس ، وبها نزل .

قال أبو العرب : وقدم أولا القيروان فى قضاء سحنون ، فأتاه فسلم عليه ، ثم لحق بتونس ، وكان فقيها ، ثقة ، مأمونا ، عاقلا ، أديبا ، متصاونا * . (283)

سمع من زيد بن أنيس ، ومن ابن القاسم ، وابن وهب ، وأشهب ، وضمام بن اسماعيل ، ويحيى بن سليمان العلائقى (113) ، وبشر بن بكر، وغيرهم (114) .

رحل اليه الناس ، سمع منه روح بن الفرج ، ويعقوب بن سليمان ، وسليمان ابن سالم ، ويحيى بن عمر ، وسعيد بن اسحاق ، وغيرهم .

قال أبو بكر المالكى : كان رجلا كريم النفس ، كثير التواضع ، حسن الأدب ، وعده ابن شعبان فيمن لقى مالكا ، ولا أراه يصح ذلك .

قال الكندى : كان فى حجر ابن لهيعة ، ولم يسمع منه شيئا .

---

113) م : يحيى بن سليمان الطائفي . أ ، ط : يحيى بن سليمان العلائقي .

114) سقط من نسخة — أ — من قوله هنا (وغيرهم) الى قوله بعد ذلك (قال أبو بكر) وذلك نحو من ثلاثين كلمة ، وهو ثابت فى النسخ الاخرى .

قال : وكان فقيها من أكابر أصحاب ابن وهب ، وعده الشيرازى فى فقهاء هذه الطبقة .

قال ابن وضاح : كان ثقة الثقات .

ذكر جمل من أخباره وفضائله

والذى أخرجه للناس حتى سمعوا منه ، وعرفوا مكانه ، محمد بن وضاح .

وقال : قال لى سحنون فى زيد بن بشير : تؤجر فيه .

وكان من أكرم الناس ، انصرف ليلة من الجامع بتونس ، فانقطع شسع نعله ، فوثب اليه حائك من حانوته ، فأعطاه شسعا ، فأصلح نعله ، ونظر فى وجه الحائك الى قنديل معه ليعرفه فيكافئه ، فكان بعد ذلك كلما مر الى الجامع بجماعته ، مال الى الحائك ، وسأله عن حاله ، وسلم عليه ، شكرا لفعله.

وقيل : بل دخل الحمام سحرا ، وفيه زحمة فقام اليه رجل فأجلسه موضعه ، فنظر وجهه الى القنديل ، فسأله الرجل عن ذلك ، فقال : أريد مكافأتك .

*

* *

قال ابن أخى هشام : كان طريق زيد بتونس ، الى الجامع ، على الخرازين . فأقبل يوما مع الطلبة ، اذا بشاب من الخرازين قائم على دكانه، وقال لجار له : ألق الستر ، ما رأينا أوحش من هذا الشيخ ، ولا أوحش لباسا منه ــ وكان زيد يلبس المفرج ــ فنكس زيد رأسه .

فلما انصرف من الجامع ، عاوده الفتى بقبيح ، فلم يلتفت اليه زيد ، وهم طلبته بضرب الفتى ، فبلغ ذلك زيدا ، فسألهم عنه ، فقالوا : هو ما قيل ، أصلحك الله ، لاستخفافه بحقك ، وامتهانه علمك .

فقال لهم : أعطى الله عهدا ، لئن تقدم اليه أحد لأقصينه ولا وطىء لى بساطا ، أنا أصلح شأنه .

وصر فى صرة عشرة دراهم ، وجعلها فى جيبه ، واستعمل لفرد نعل قبالا واهيا ، ثم توجه الى الجامع ، فلما مر بالشاب ، قام كعادته ، وتكلم بقبيح قوله ، فلما حاداه الشيخ ، اتكأ على نعله فقطع القبال ، ثم مال الى الشاب فسلم عليه ، وقال : أى بنى ! لعل عندك قبالا .

فأعطاه قبالا ، فأدخل زيد يده فأخرج الصرة من جيبه ، ودفعها له ، فقال الشاب : ما هذا ؟

قال : صنعت لنا قبالا فكافأناك ، ولك عندنا أمثالها .

وسار الى الجامع ، فلما كان انصرافه منه ، ومر بالشاب ، قام على قدميه وقال : الحمد لله الذى خص بلدنا بهذا الشيخ الفاضل ، اللهم أبقه لنا، وأحرزه على المسلمين ، فلقد انتفع به شباننا وحظى به شيوخنا .

فقال له جار له : ما هذا ؟

فقال له الشاب : اسكت انه أعطانى عشرة دراهم على اصلاح قبالة نعله ، فليت له ببلدنا آخر !

*

* *

وكان سبب خروجه من مصر ، الفرار من المحنة فى القرآن ، بعد أن منع من السماع، فخرج سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، اذ كان أبو بكر الأصم على قضاء مصر ، وأخذ الناس بالمحنة، فاختفى زيد فى بيته، ثم خرج فارا.

قال ابن سالم عنه : لقيت بالمدينة محمد بن مالك بن أنس ، فقلت له : حدثنى عن أبيك .

فقال : ما أحفظ شيئا .

فقلت له : تذكر .

قال : انى سمعته يقول : أدركت مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، تقوم فيه طائفة من الناس الى ثلث الليل ، ثم تذهب ، وتأتى أخرى ، فتقوم الى ثلث الليل الآخر ، ثم تذهب فتأتى أخرى وتقوم الى الصبح .

قال زيد : استفتانى رجل فى مسألة ، فأفتيته بقول مالك ، ثم أدركنى ندم ، فقلت : تركت قول من هو خير من مالك : زيد بن ثابت !

وأصابنى شىء ، فغلبنى النوم ، فرأيت كأنى فى ظلمة ، اذ سقطت ، فبينا أنا أهوى اذ لقيتنى جارية ، فالتمستنى بكفها فقلت : من أنت ؟

قالت : بنت مالك بن أنس .

فانتبهت من رطوبة كفها .

(284) قال سليمان بن ✻ سالم : كنت عنده ، فسأله سائل عن رجل صلى الظهر ، فتذكر فى الرابعة سجدة لا يدرى من أين هى ، فقال له أبو البشر : يأتى بركعة ، بسجدتين ، ويسجد لسهوه .

قال سليمان : فرآنى أتحرك ، فقال : مالك ؟

قلت : أصلحك الله ثم جواب غير هذا .

قال : لعلك تريد جواب ابن القاسم : يسجد الآن سجدة ، على أن تكون من هذه ، ثم يأتى بركعة .

قلت : نعم .

فقال : انى رأيت السائل لا ينظر لمثل هذا ، فأفتيته بقول أشهب .

وتوفى بتونس ، سنة اثنين وأربعين ومائتين ، فيما قاله أبو العرب .

وقال الكندى : سنة أربعين .

شجرة بن عيسى المعافري

أبو سمرة ، ويقال أبو يزيد ، أصله من العرب .

سمع ابن زياد وابن أشرس ، وابن أبى كريمة ، وأباه عيسى ، وعداده فى أهل تونس .

وأبوه عيسى ، ممن روى عن مالك ، والليث ، وابن لهيعة ، وأصله أندلسى نزل بتونس ، قاله الأصيلى عن الأبيانى .

وولى شجرة قضاء تونس أيام سحنون وقبله .

قال سحنون : ما رأيت (115) أحدا من قضاة البلدان الا شجرة ، وشرحبيل قاضى أطرابلـــــس .

وأخذ عن شجرة جماعة من أصحاب سحنون ، وغيرهم .

وزعم بعضهم ، أنه ممن سمع من مالك ، وسماه شجرة بن عبد الله بن عيسى القيروانى ، فان صح ، فلعله آخر ، والله أعلم .

قال أبو العرب : وكان شجرة من خير القضاة وأعلمهم ، ثقة ، عدلا ، مأمونـــــا .

وكان يلبس الثياب الحسنة ، ويخضب لحيته وأطرافه بالحناء، ويركب الفرس الفاره ، ويجيد الركوب ، وكان كثير المعروف والفضائل ، ولـــه كتاب فى مسائله لسحنـــون .

وعمر حتى توفى سنة اثنين وستين ومائتين .

مولده سنة تسع وستين ومائة .

وابنه أبو شجرة عمرو بن شجرة ، ولى قضاء تونس ، وكـــان صالحا ثقة ، روى عنه يحيى بن عمر ، وقتل برقادة ، سنة احدى وثمانين ومائتين ، فى ثورة أهل تونس ، على ابراهيم بن أحمد بعد أن حبس .

ذكر ابن كدية : أن شجرة خرج يوما للسماع ، فنظر فى الناس ولده فلم يره ، فأمر داية ابنه أن تحركه للسماع ، فمضت ، ثم رجعت وقالت : هو نائم ، وكرهت أن تنبهه من نومه ، فأنشأ شجرة يقول :

شرب العشى ونوم بالغـــدوات   موكـلان باخـلاق المـــروءات

لا خير فيمن حوت كفاه مكرمـــة   فباعها بسمـــاع أو بلــــذات

ثم قال : اقرأوا ، رحمكم الله ، اللهم لاتفتنا ، وعافنا من العقاب ، فان ذلك بيدك .

---

(115) م : ما رأيت ــ ا ، ط : ما وليت

دحنــون بـن راشــد

كان من أصحاب البهلول بن راشد ، وكان ثقة من شيوخ أفريقية .

أبو سنــان زيــد بــن سنــان الاســدي

قال أبو العرب : كان ثقة ، وكان سعيد بن الحداد ، وسعيد بــن اسحاق ، واحمد بن يزيد ، يذكرونه بخير كثير ، وكان سعيد بن اسحاق يذكر فقهه .

سمع عبد الرحمان بن القاسم ، وكان ابن القاسم قد كتب اليه أيضا من مصر كتابا ، وسمع سفيان بن عيينة ، وأبا ضمرة ، وبهلول بن راشد، ولقى عبد الله بن عبد الحكم ، وعنده نزل بمصر ، وأدرك أبا معمر صاحب أنس بن مالك ، ولم يسمع منه ، ولم يسمع من سفيان غير أربعة أحاديث فيما ذكر .

سمع منه أبو عثمان بن الحداد ، وسعيد بن اسحاق ، وسليمان بن سالم ، وغيرهم ، وكان يفتى بالقيروان ، سمع سحنون فى أيام قضائه .

قال ابن الحداد : ما سمعت الدنيا قط تذكر عنده ، وكان خياطا ، وكان يحمل خبزه على يده الى الفرن ، ولا يترك طلبته تحمله ، تواضعا .

قال المالكى : كان رجلا صالحا ، ثقة ، مأمونا فقيها .

قال بعضهم : رأيت البهلول بن راشد فى النوم ، فقال : جزى الله عنى أبا سنان خيرا . فأخبرت بذلك أبا سنان فقال: رحم الله معلمى وجزاه خيرا.

قال أبو سنان : رأيت عبد الرحمان بن القاسم مكفنا فى النوم ، فرفعته فى حجرى ، فرجعت فيه الروح ، فأخبرت بذلك أسد بن الفرات ، فقال لى : سترجع الى علمه .

(285) **قال عيسى بن مسكين** ✻ : أتى أبو سنان الى مسجد سفيان بن عيينة، فلم يجده حينئذ ، ووجد أخاه ابراهيم ، فقال له : هلم أحدثك يا مغربى .

فقال له أبو سنان : فاذا مضيت الى بلدى ، فقلت حدثنى ابراهيم بن عيينة ، قالوا : من ابراهيم ؟

*
* *

حكى المالكى عن ابن الحداد ، قال : بلغنى أن سحنون لما ولى القضاء، لقى أبو سنان بعض أصحابه ، فقال له أبو سنان : ان من الأمور أمورا نحسات ، التقدم عليها هلكة ، والتأخر عنها هلكة ، وقد ولى هذا الرجل القضاء ، وقد كان يكره فتيانا قبل أن يصير الى هذا الأمر، فأحب أن تسأله، ان كان يرى لى الفتيا على نحو ما كنت أفتى ، فعلت ، وان رأى غير ذلك ، تركت .

فمضى الرجل الى سحنون فأخبره ، فجعل يقول : كيف قال الخياط ؟ من الأمور أمور نحسات ، التقدم عليها هلكة، والتأخر عنها هلكة ؟ — ويردد كلامه — ثم قال : نعم ، مره يفتى على نحو ما كان .

قال سليمان بن سالم : قال لى أبو سنان : اذا كان طالب قبل أن يتعلم مسألة فى الدين ، يتعلم الوقيعة فى الناس ، متى يفلح ؟

وكان لا يتكلم أحد فى مجلسه بغيبة فى أحد ، فاذا تكلم بذلك ، نهاه ، وأسكته .

وتوفى ، سنة أربع وأربعين ومائتين .

مولده سنة خمس وخمسين ومائة ، قاله أبو العرب ؟

ودفن بالقيروان . وقال ابن يونس البصرى : توفى بسوسة .

ومن أهل الاندلس :

عبد الرحمان بن دينار

ذكر الرازى فى كتاب الاستيعاب فى أنساب أهل الأندلس ، قال : دينار بن واقد الغافقى ، أبو أمية ، غلبت عليه كنيته ، وكان عالما زاهدا .

وذكر عبد الرحمان ، فقال : كان فقيها عالما حافظا ، يكنى أبا زيد ، شوور بقرطبة (116) .

قال فى كتاب آخر : وكانت له رحلات ، استوطن فى احداهن المدينة . وهو الذى أدخل الكتب المعروفة بالمدنية ، سمعها منه أخوه عيسى ، ثم خرج بها عيسى ، فعرضها على ابن القاسم .

قال : وكان عبد الرحمان قد أخذ بالأندلس ، عن محمد بن يحيى السبائى ، وابن الصغير .

روى عن محمد بن ابراهيم بن دينار المدنى وغيره .

توفى يوم الجمعة ، لسبع خلون من المحرم ، سنة احدى ومائتين .

ومولده ، سنة ستين ومائة .

وكان هو وأخوه ، يتوليان الى يزيد العبسى .

وذكر أن أصلهم من طليطلة .

وبنو دينار ، معروفون فى العلم .

قال غيره : هو عبد الرحمان بن دينار ، بن واقد ، بن رجاء ، بن عامر، ابن مالك الغافقى .

وذكر أنه لقى ابن القاسم فى رحلته الأخرى ، وروى عنه سماعه ، وعرض عليه المدنية (117) ، وفيها أشياء من رأيه .

وكان من الأخيار الصالحين ، والحفاظ المتقدمين . استوطن قرطبة .

عيسى بن دينار أخوه

قال ابن الفرضى : سكن قرطبة ويكنى أبا محمد ، وقد رحل فسمع من ابن القاسم ، وصحبه ، وعول عليه ، وانصرف الى الأندلس ، وكانت

---

116) أ ، م : شوور بقرطبة — ط : شهر بقرطبة .
117) أ ، ط : المدنية — م المزنية .

الفتيا تدور عليه ، لا يتقدمه فى وقته أحد بقرطبة ، وكانت له بها رياسة ، وذلك بعد انصرافه من المشـــرق .

قال ابن أبى دليم : كان ابن القاسم يعظمه ويجله ، ويصفه بالفقــه والورع ، وكان لا يعد فى الأندلس أفقه منه فى نظرائه .

قال الرازى : كان عيسى عالما زاهدا متفننا ، حج حجات ، وولى قضاء طليطلة للحكم ، والشورى بقرطبة .

وقال محمد بن عبد الملك بن أيمن : كان عيسى عالما متفننا ، وهو الذى علم أهل مصرنا المسائل ، وكان أفقه من يحيى بن يحيى ، على جلالــة قـــدر يحيى وعظمتـــــه .

قال ابن مزين وابن لبابة : فقيه الأندلس عيسى .

قال أبو عمر الصدفى : هو من أهل الفقه والفضل التام والورع .

قال ابن حارث : كان عيسى فقيها بارعا غير مدافع، من مقدمى العلماء بالأندلس ، خيرا ، فاضلا ، عابدا ، ناسكا ، ورعا ، من أهل العلم والعمل والخشيــــة .

(286) قال أصبغ بن خليل : كان مجاب الدعوة ، مضت له أعوام ❊ صلى فيها الصبح بوضوء العتمة، وسمعته يقول ــ وما قاله فخرا ــ : والله الذى لا اله الا هو ، ما أعلم أنه كتب بينى ، وبين مخلوق ، ذنب فى ظلم ، أو ميل عليه بهوى ، أو اعتقاد سوء ، منذ ألبسنى الله العلم .

قال أبو زيد عبد الرحمان بن ابراهيم : خرجت الى المشرق ، ومعى كتاب البيوع من سماع عيسى ، فأريته ابن الماجشون ، وقرأته عليه فصلا فصلا ، فكان لا يمر بفصل الا قال : أحسن والله !

قوله (من سماع عيسى) وهم ، فليس فى سماع عيسى كتاب بيوع معينة ، ولا غيرها ، وانما هو تخليط ، وانما كتاب البيوع من تأليف عيسى،

من كتاب المدنية (118) ، وهو الذى يدل عليه ثناء عبد الملك ، اذ انما يثنى على فقهه وتأليفه ، لا سماعه .

وقال الشيرازى عنه : انه صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة .

وشيعه ابن القاسم عند انصرافه عنه ثلاثة فراسخ ، فعوتب فى ذلك، فقال : تلوموننى أن شيعت رجلا ، لم يخلف بعده أفقه منه ، ولا أورع .

ووصاه ابن القاسم عند ذلك ، وقال له : عليك بأعظم مدائن الأندلس، فانزلها ، ولا تنزل منزلا يضيع فيه ما حملت من العلم .

وقال ابن القاسم : أتانا عيسى ، فسألنا سؤال عالم .

قال أصبغ بن خليل : وهو أول من أدخل الأندلس رأى ابن القاسم .

قال غيره : كان أكثر فقهه بالأندلس ، قبل رحلته ، على أخيه عبد الرحمان .

قال ابن الفرضى : وكان عيسى عابدا فاضلا ورعا ، كانوا يرون أنه مستجاب الدعوة ، وكان ينتجع بلده طليطلة ، وبها توفى سنة اثنتى عشرة ومائتين ، وقبره هناك مشهور .

قال غيره : توفى منصرفه عن طليطلة ، وكان لحقته محنة الهيج ، ومبتدأ فتنة الربض بقرطبة ، ففر واستخفى ، الى أن أمنه الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية .

وامتحن أيضا ، أول وصوله من المشرق الى بلده طليطلة ، ومال الناس اليه ، حتى شرق بمكانه القاضى والوالى ، وكتبا الى الأمير : عندنا رجل يعرف بابن دينار — ورفعوا عليه — فوجه الأمير فيه ، وسجن بقرطبة نحو عام ، الى أن علم الأمير أنه عيسى ، ومكانه من الناس ، واختلاف أهل العلم اليه للسجن ، فأطلقه وأحضره واعتذر اليه ، فقال عيسى : هذا ذنب عجلت عقوبته لى ، وأخبره بوصية ابن القاسم له ، وتحذيره اياه من

---

118) أ ، ط : من كتاب المدنية — م : من كتاب الهداية .

سكنى طليطلــة ، ــ وقد وصفها له ــ وأن يسكن دار السلطان ، فلم آخـذ بوصيته فعوقبت ، فسكن حينئذ قرطبة .

وغلط بعض أصحاب التاريخ من الأندلسيين ، وهو أبو عبد الملك بن عبد البر ، فى شأن عيسى ، بأن جعله ممن رحل الى مالك ، وعده مع زياد ، ويحيى بن مضر ، وقرعوس بن العباس .

قال : فأما زياد فسمع منه الموطأ ، وأما عيسى ويحيى وقرعوس ، فلم يبلغنا أنهم سمعوا منه الموطأ ، ولا ندرى ما الذى منعهم منه ، الا أن نظن أن لقاءهم كان قبل أن يكمله ويخرجه ، فانصرفوا كلهم ، الا عيسى ، فانه تلوم بعدهم بالمشرق ، ولزم عبد الرحمان بن القاسم ، فأخذ منه سماعه فى الرأى عن مالك ، فجمع علما عظيما .

ثم قال : فانتشر بيحيى وبه ، علم مالك بالأندلس ، ورجعت الفتيا بها الى رأيـــه .

*

* *

قال القاضى أبو الفضل : ولم يذكر أحد من أصحاب علم الرجال والأثر سماعا لعيسى عن مالك ، ولا أثبتوه ، ولا روى أحد من الفقهاء وعلماء الرأى والمسائل له عن مالك مقالا ، ولا رفعوا له عنه فتيا ، ومثل عيسى فى شهرته لا يخفى مثل هذا من فضائله ، ويعد أولى مناقبه ، كما عد لغيره ممن لم تكن له شهرته . وقد ذكرنا من خبر يحيى بن مضر وقرعوس غير ما ذكر من روايتهما للموطأ عن مالك ، ولاشك أن ما ذكر من أن رحلته كانت مع أولئك الأكابر ، وأنه تلوم بعدهم ، ولم يدر ما الذى منعه من سماع الموطأ مــن مالك ، وهم كله ، فقد ذكر أبو محمد بن حزم أن رحلة ❋ عيسى كانت فى حدود تسعين ومائة ، وهذا بعد موت مالك بنحو عشر سنين . (287)

ويصحح هذا ، أنه لم يرو عن أحد من أكابر أصحاب مالك الذين ماتوا فى هذه المدة ، كالمغيرة ، وابن أبى حازم ، وابن نافع الصائغ ، وغيرهم ، انما روى أقوالهم عن أخيه عبد الرحمان ، وكانت رحلة أخيه أيضا بعد موت مالـــك .

قال ابن حارث : رحل عيسى فأدرك أصحاب مالك متوافرين : ابن القاسم ، وابن وهب ، وأشهب ، فسمع من ابن القاسم واقتصر عليه ، واعتلت فى الفقه طبقته ، وكان من أهل الزهد الفائق ، والدين الكامل .

قال : وأحواله فى العلم البارع والفضل الكامل مشهورة ، مع قوته فى التفقه بمذهب مالك وأصحابه ، فلقد كان ابن وضاح يقول : هو الذى علم أهل الأندلس الفقه .

وقال ابن وضاح : حضر عيسى ويحيى بن يحيى جنازة ، فلما صلى عليها ، أقبل الناس على عيسى وحفوا به ، فقال له يحيى : ما أشك أن الذى ألقى الله لك فى قلوب الناس ، لخبيئة صالحة عند الله .

قال أصبغ بن خليل : كنا نقرأ على عيسى ، فاذا مر بذكر الجنة والنار، لم ننتفع به يومنا .

وكان ذا هيئة حسنة ، وعقل رصين ، ومذهب جميل .

ولما أصلح سحنون على ابن القاسم كتب أسد ، وكان عيسى قد أتى بها ، وحضر سؤال أسد لها لابن القاسم ، فكتب عيسى الى ابن القاسم، فى رجوعه عما رجع عنه من ذلك مما بلغه ، وسأله اعلامه بذلك ، فكتب اليه ابن القاسم : اعرضه على عقلك ، فما رأيت حسنا فأمضه ، وما أنكرته فدعه . وهذا يدل على ثقة ابن القاسم بفقهه .

وذكر ابن لبابة عن أبان بن عيسى : أن أباه أجمع فى آخر عمره على ترك الفتيا بالرأى ، والاعتماد على الأثر ، فأعجلته المنية .

ولعيسى سماع من ابن القاسم ، عشرون كتابا .

ولعيسى تأليف فى الفقه ، يسمى بكتاب الهدية (119)، كتب به الى بعض الأمراء ، عشرة أجزاء .

قال ابن عتاب : وكتاب الجدار من كتاب الهدية .

توفى سنة اثنتى عشرة ، وأنجب أولادا فقهاء يأتى ذكرهم .

---

119) م : يسمى بكتاب الهدية ـ أ ، ط : يسمى بكتاب المدنية .

ومن غريب خبره وكراماته ، أنه ذكر أنه سئل فى مرضه وحضـور موته : من يصلى عليه ؟ فقال : ابنى فلان . فحملت جنازته وابنه غائب ، فلما وضعت ، التمسوا من يصلى عليها ، فاذا رجل راكب على حمار ، مقبلا نحو الجنازة ، فنزل وصلى عليها ، فاذا هو ابنه .

وقد ذكرت هذه الحكاية أيضا عن ابراهيم بن محمد بن باز ، فاللـه أعلـم .

عبـد الملـك زونـان

وهو عبد الملك بن الحسن ، بن محمد ، بن زريق ، بن عبيد الله ، بن أبى رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

من أهل قرطبة ، يكنى أبا مروان ، وقيل أبا الحسن ، ويعرف بزونان بضم الزاى ، وبعد الواو نون .

قال الحسن : ويقال : اسم جده زريق ، بتقديم الزاى وتأخيرها .

سمع بالأندلس من صعصعة بن سـلام .

ورحل فسمع من أشهب ، وابن القاسم ، وابن وهب ، وغيرهم مـن المدنيـين .

وهو أقدم هؤلاء كلهم طبقة ، وأولهم فى الظهور فى العلم والفتيـا ، أفتى فى أيام هشام بن عبد الرحمان ، وابنه الحكم ، وابنه عبد الرحمان بن الحكم ، وطال عمره حتى توفى أخريات أيام عبد الرحمان ، مع يحيى بن يحيـى .

قال ابن الفرضى : كان يذهب أولا مذهب الاوزاعى ، ثم رجع الـى مذهب مالك ، وكان الأغلب عليه الفقه ، ولم يكن من أهل الحديث .

قال ابن أبى دليم : كان فقيها فاضلا ورعا ، أدخل العتبى سماعه فى المستخرجة ، وزعم الرازى أنه لقى مالكا ، ولم يذكر هذا غيره من علمـاء الرجال والجامعين لرواة مالك من أهل الأندلس وغيرهم ، ولا أراه يصح ، ولم يرو الفقهاء عنه مسألـة .

(288) قال أبو عمر الصدفى : له فضل ❋ وخير ، ومذهب جميل جدا ، من طبقة يحيى ، وسعيد بن حسان ، وعليه كانت تدور الفتيا .

قال الحسن : كان فقيها زاهدا .

قال ابن حارث ، كان فاضلا ، وكان الزهد أغلب خصال الخير عليه .

وكتب للقاضى بقرطبة ابراهيم بن العباس ، بـرأى يحيى بـن يحيـى (120) .

وولى أيضا قضاء طليطلـة .

وكان يحيى بن يحيى يعجب من كلام زونان، أنه قال له : يا أبا محمد! ما أشقى من لم تسعه رحمة الله التى وسعت كل شىء ، وضاقت عليه الجنة التى عرضها السماوات والأرض !

وتوفى سنة ثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، فيما قاله ابن الفرضى .

وقال غيره : سنة أربع وثلاثين .

سعيد بن حسان الصائغ

مولى الأمير الحكم بن هشام ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا عثمان ، رحل الى المشرق سنة سبع وتسعين ومائة (121) ، فروى عن عبد الله بن نافع الزبيرى ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وأشهب بن عبد العزيز ، ومنه استكثر ، سمع منه سماعه من مالك ، وكتب رأيه وغير ذلك ، وانصرف الى الأندلس سنة أربع ومائتين .

قال ابن أبى دليم وابن حارث : لم يكن فى زمانه أورع منه .

وقال ابن حارث : سعيد ، يقال انه كان مجاب الدعوة ، لفضلـه واجتهاده .

---

120) أ ــ ط ، ك: وكتب للقاضى بقرطبة ابراهيم ابن العباس بن يحيى بن يحيى ــ م : وكتب للقاضى بقرطبة ابراهيم بن العباس برأي يحيى بن يحيى ــ وقد اعتمدنا هنا ما ورد فى نسخة م ، ويكون المعنى على ذلك أن عبد الملك زونان ، تولى الكتابة لقاضى قرطبة ابراهيم بن العباس ، باشارة أو بترشيح من يحيى بن يحيـى .

121) أ ــ سبع وتسعين ــ ط سبع وسبعين .

قال ابن وضاح : رويت عنه مسائل ، وهو ثقة .

قال ابن الفرضى : وكان فقيها فى المسائل ، فاضلا ، زاهدا ، حافظا ، شوور مع يحيى بن يحيى وطبقته ، وكان منقطعا الى مؤاخاة يحيى بن يحيى ، آخذا بهديه ، معظما له ، لا يخالفه فى شىء يراه ، وكان الأغلب عليه حفظ رأى أشهب وفقهه وروايته عن مالك .

حدث عنه ابن باز وغيره .

ذكر ابن حارث ، أن سعيد بن حسان لقى قاضى قرطبة سعيد بن سليمان الشافعى ، وكان ابن حسان منقبضا عنه ، فقال له القاضى : أبا عثمان ! ما لك تتقبض عنى ولا تأتينى ، فوالله ما أريد الا الحق ، ولا أقصد غيره .

فقال سعيد بن حسان : والله لو علمت هذا ما قصرت عنك ، ولحملت هذه الخريطة بين يديك .

قال ابن باز : كنت أعرض على سحنون ، فمرت بى مسألة فى حاشية كتابى فيها كلام لأصبغ ، فذكرته لسحنون ، فقال : ايه ؟

فظننت أنه يستعيده ، فأعدته ، فقال : ايه ؟

فأعدته .

فقال : من جرأك على ؟

قلت : أصلحك الله ! هو فى جانب كتابى ، أخبرنى به سعيد بن حسان عن أصبغ .

فقال : تكذب ، سعيد بن حسان أعلم بالله من أن يروى عن أصبغ ، انا لا نعرف بالأندلس الا يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان ، وغيرهم حطب النار .

وأتاه نصر الفتى يوما ، فوجده يصلى متنفلا ، فطول صلاته، فانصرف نصر مغضبا يتوعده ، فلما أكمل صلاته كلم فى ذلك ، فقال : كنا بين يدى

الله نناجيه ، وسيكفينا أمره من كنا بين يديه، ما كنا لننصرف لنصر ، وندع ما كان أولى بنا .

ودخل سعيد بن حسان على يحيى بن يحيى ، فتعجل له الاذن، وكانت زوجة يحيى حاضرة ، فدخلت جنة البيت (122) ، وتركت نعلها فى البيت، وكانت زينته بالدر والياقوت ، وكانت من المياسير جدا ، فلما رآهما سعيد أنكر ذلك جدا ، ووبخه ، وقال له : هذا من السرف الذى يسأل عنه .

وكان متورعا فى فتياه ، وتوفى سنة ست وثلاثين ومائتين ، بعد يحيى بعامين .

وسيأتى ذكر ابنـــه .

حـارث بن أبـي سعيـد

مولى الأمير عبد الرحمان بن معاوية : قال ابن الفرضى ، يكنى أبا عمرو ، واسم أبى سعيد « سابق » .

رحل فسمع من ابن القاسم ، وابن كنانة ، وغيرهما من المدنيـين والمصريـين .

كان يفتى فى آخر أيام الحكم بن هشام ، وهو جد بنى حارث بقرطبة.

وولى الشرطة الصغرى ، وهو أول من وليها بالأندلس ، فلم يزل عليها الى أن توفى .

(289) قال ابن أبى دليم : وعليه مدار * الفتيا فى عصره .

قال أحمد بن سعيد : هو من أهل العلم والفتيا .

قال ابن حارث : واستفتاه ابن بشير .

وتوفى حارث ، سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، فيما قاله أحمد بـن عبـد البـــر .

---

122) ك ، م : فدخلت جنة البيت ، ط : بياض مكان كلمة (جنة) ــ أ : غيـر واضحة ــ والجنة بالفتح هى الحديقة ذات الشجر ، والجنة بضم الجيم هى الستـــر .

وقال ابن حارث : سنة أحدى وثلاثين .

وسيأتى ذكر ابنـــه .

حاتم بن سليمـان بن يوسـف بن أبي مسلـم الـزهـــري

قرطبى ، رحل مع الأعشى وحارث بن أبى سعيد ، فسمع من ابـن كنانة وغيره من المدنيين والمصريين .

قال ابن أبى دليم : وجل روايته عن ابن كنانة ، وكان ابن كنانة يصفه بالفقه ويثنى عليه ، وكان ذا زهد وتقى وورع وتواضع .

قال ابن الفرضى : وكان فقيها فى المسائل والرأى ، موصوفا بالفضل والزهد ، واليه ينسب المسجد الذى على مقبرة بلاط مغيث بقرطبة .

قال أبو سعيد الصدفى : توفى آخر أيام عبد الرحمان بن الحكم وذلك قبل الأربعين ومائتين .

محمـد بن عيسـى بن عبـد الواحـد بن نجيـح المعــافــري

المعروف بالأعشى ، قرطبى ، يكنى أبا عبد الله .

قال ابن الفرضى : رحل فى العام الذى مات فيه مالك ، وذلك سنة تسع وسبعين ومائة ، فسمع من سفيان بن عيينة ، ووكيع ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعيسى بن كنانة ، والمخزومى ، وغيرهم من العراقيين والمدنيين، وكان الغالب عليه الحديث والأثر ، وكان عاقلا ، سريا ، جوادا .

قال ابن أبى دليم : كان فى بصره شىء ، وكانت له وجاهة فى العلم ، مع فضل وورع .

قال الأعشى : دخلت مصر ، فرويت بها أربعين ألف مسألة . قال ابن حارث : يعنى عن ابن القاسم ، وابن وهب ، وأشهب سوى ما روى عـن أصحاب مالك المدنيين .

قال ابن الفرضى : وكان يذهب فى الأشربة مذهب أهل العـــراق ، وكانت فيه دعابة ، له فيها أخبار فاشية محفوظة ، من غرائبها التى كفت من غربه ، أنه كان يمازح كثيرا أبا عقبة الأسوار بن عتبة ، ويكنيه أبــا عقبة بفتح العين والقاف ، فلما ولى الأسوار القضاء بقرطبة ، أتاه محمد بن عيسى ، فشهد عنده مع آخر من أهل القبول ، فأعلم على اسم ذلك دونه ، وقال له : زدنى بينة . وذلك بمحضر الأعشى .

فقال له الأعشى : أظنك أكرمك الله لم تقبل شهادتى !

فقال له : أنت أكرمك الله جاد فى شهادتك هذه أو هازل ؟ فانى أعرفك كثير الهزل ، فعرفنى ، ان كنت صدعت بها عن حق ، فمثلك لا ترد شهادته، وان كانت من أهزالك فقد وقفتها .

فقام عنه الأعشى منقطع الحجة ، فكان يقول بعد ذلك : قاتل اللـــه الأسوار ، فلقد قطعنى عن كثير مما كنت استريح اليه من الدعابة بعـد مجلسى معه ، فلربما هممت بالشىء ، فأذكر كلامه لى ، فيقبضنى .

*
* *

قال أحمد بن سعيد ، وعوتب فى كثرة دعابته ، وأن يتركها ، فقال : على لم يتركها للخلافة ، فأتركها أنا للشهادة والعدالة !!

قال أحمد بن عبد البر : كان خيرا ، عاقلا حليما جوادا .

روى عنه بقى بن مخلد ، وأصبغ بن خليل ، ونظراؤهما .

وأصاب الناس مسغبة ، وغلا السعر جدا ، فأمر مناديا ينـــادى فى الناس : من أحب أن يبتاع طعاما بسعر يومه ، بتأخر عام ، فليأت وكيل محمد بن عيسى .

وأمر وكيله بذلك، فبادر الناس، فأخذوا منه، حتى أوقف الهرى (123) الذى أباحه لهذا .

---

(123) ط : الهري ــ أ ، ك : الهدي ــ م : غير واضحة ــ والهري بضم الهاء ، بيت كبير يجمع فيه القمح ونحوه ، والجمع أهراء .

ثم أمر مناديا ينادى : من كان لمحمد بن عيسى عنده شيء فقد وضعه عنه .

فقيل له : لو تصدقت به كان أفضل .

فقال : لو كان ذلك لم يأخذه الا من يأخذ الصدقة من الطوافين وشبههم، والآن أخذه الشريف المحتاج ، والمتعفف المستور ، ومن لا ينكشف لأخذ الصدقة .

ومن أهزاله ، أن صديقا له رد القاضى شهادته ، فجاء اليه مستغيثا به ، راغبا اليه فى أن يسير معه الى القاضى * فيعدله ، فركب ، وكان (290) ركوبه حمارا بسرج ، فلما كان فى بعض الطريق ، قال له : يا هذا ! كم من ركعة فى صلاة الاستسقاء ؟

قال : لا أدرى .

قال له : ففى صلاة الخسوف ؟

قال : لا أدرى .

فمضى معه هنيئة ، ثم قال : يا هذا ! كم فى البوق من ثقبة ؟

قال : لا أدرى .

فقال له : يا هذا ! لا الخير تدرى ، ولا الشر تدرى ، وتلوم القاضى أن يرد شهادتك ؟

فرجع وتركه .

واختلف فى وفاته : فقيل توفى سنة ثمان عشرة ، وقيل احدى وعشرين ، وقيل اثنين وعشرين ، ومائتين .

اسماعيل بن البشر

ويقال ابن بشير ، ويقال بشير بن محمد ، التجيبى ، أبو محمد ، قرطبى ، هو جد ابن الأغبش (124) .

124) م : الأغبش ـ ك : الأغبس ـ أ ، ط : غير واضحة .

قال ابن الفرضى : كان مفتيا أيام الأمير الحكم بن هشام وابنه عبد الرحمان ، وولى الصلاة لعبد الرحمان .

وقال ابن يونس : كان من طبقة يحيى بن يحيى ، ولى الصلاة أيام عبد الرحمان والحكم ، وفيها مات .

قال ابن حارث : كان القاضى ابن بشير يستفتى فى قضائه زونان ، ومحمد بن سعيد السبائى ، والغازى بن قيس ، والحارث بن أبى سعد ، واسماعيل بن بشر ، وقد ذكره ابن حبيب فى كتابه مع يحيى وعباس وطبقاتهم (125) .

محمد بن خالد بن مرتنيل

مولى عبد الرحمان بن معاوية ، يعرف بالأشج ، قرطبى ، نبيه.

رحل فسمع من ابن القاسم ، وابن وهب ، وأشهب ، وابن نافع ، ونظرائهم من المدنيين والمصريين ، وكان الغالب عليه الفقه ، ولم يكن له علم بالحديث .

وقد ذكره العتبى فى المستخرجة .

ولى الشرطة والصلاة والسوق بقرطبة .

قال الصدفى : قيل انه كان يخطب عند باب المقصورة من خارج ، وبيده عصا ، وكان صلبا فى أحكامه ، ورعا ، فاضلا ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فحمدت سيرته ، ولم يزل على وثيرة الى أن توفى ، وكان ينفذ حكمه على أصحاب السلطان ، وضرب منهم رجلا ، وحبسه (126) ، وشنع ذلك عليه عند الأمير ، فوجه اليه ، وأوصى اليه (127) ، لم فعلت هذا به ؟

فقال له : لم أفعله أنا ، الأمير أعزه الله فعله ، لأنه ولانى ، وأمرنى بنصفة الحقوق وتغيير المنكر على جميع الناس ، ولم يستثن هذا ولا غيره ، ولو استثناه كنت أفعل ما يأمرنى به .

---

125) ك ، م : مع يحيى وعباس وطبقاتهم ــ أ ، ط : مع يحيى بن عباس وطبقاتهم.
126) أ ، ك ، م : وحبسه ــ ط : وحلفه .
127) كذا فى جميع النسخ التى بين أيدينا .

فأعرض عنـــه .

وروى أنه عزله مرة ، فعزله غدوة ، ثم رده عشية ، لما رأى فى ذلك من الصلاح . وقال لأصحابه : تحفظوا منه .

قال يحيى : حملنى ابن بشير مسائل أسأل عنها ابن القاسم ، فأجابنى فيها ، ثم قدم محمد بن خالد من المدينة، فسأله أيضا عنها ، فخالفت روايتى روايته ، فغدوت على ابن القاسم فقلت له : يا أبا عبد الله ! وفدنا اليك بمسائل أنا وصاحبى ، وأهل بلدنا ينظرون الينا، وقد اختلفت روايتنا عنك، فمتى سرنا الى بلدنا عن رجل واحد ، بروايتين مختلفتين فى شىء واحد ، أدخلنا عليهم فتنة ، فتدارك النظر فيها .

فقال : صدقت ونصحت ، ثم أرسل الى صاحبى فقال له : أوهمـــت عليك ؛ فرد ما معك الى ما مع صاحبك . ففعلنا .

وتوفى سنة عشرين ومائتين ، وقيل سنة أربع وعشرين ، وله اثنان وسبعون سنة .

وبيته بقرطبة بيت نبيه فى العلم والسؤدد وصحبة السلطان .

وسيأتى ذكر ولده ان شاء الله .

قاســم بن هــلال بن يزيــد بن عمــران بــن مــالــك القيــســي

أبو محمد ، قرطبـــى .

سمع بالأندلس من زياد بن عبد الرحمان .

ورحل فسمع من ابن القاسم ، وابن وهب ، وغيره ، وأخذ من المدنيين والمصريين من أصحاب مالك (128) .

---

128) أ ، ك : ورحل فسمع من ابن القاسم وابن وهب وغيره ، وأخذ من المدنيين والمصريين من أصحاب مالك ــ م : ورحل فسمع من ابن القاسم وابن وهب، وغير واحد من المصريين والمدنيين من أصحاب مالك .

وكان عالما بالمسائل ، ولم يكن له علم بالحديث ، وكان رجلا مفضلا (129) وقورا ، ذا فضل وورع .

وكان سحنون يؤثر ابنه لاجتماعه معه عند ابن القاسم .

روى عنه بنوه .

(291) واختلف فى *وقت وفاته ، فقيل : سنة احدى ، وقيل سنة سبع ، وثلاثين ومائتين .

وبيته بيت نبيه فى العلم بقرطبة ، ساد هو وبنوه ، وسيأتى ذكرهم ان شاء الله .

سعيد بن محمد بن بشير

قد قدمنا فى ذكر أبيه نسبه وأوليته .

ولى القضاء بقرطبة بعد والده فيما قيل ، وكان رجلا صالحا عاقلا ، سمع من يحيى وغيره ، وكان يشاوره فى بعض المجالس ، وكان له على محبة وبر وصحبة .

قال ابن حارث : وكان نبيلا فاضلا ، معينا لأبيه على العدل ، بصيرته من بصيرة أبيه فى جميل المذهب ، واستقامة الطريقة .

وكان سبب ولايته القضاء ، أن ربيعا القومس ، أودعه وديعة ، فلما سخط عليه ، وهتف الأمير : « من كان لربيع عنده وديعة ولم يظهرها بعد ثلاث ، سفك دمه ونهب ماله » تحير ، فأتى يحيى بن يحيى فاستشاره ، فاستفظع يحيى الأمر ، ثم فكر طويلا فقال له : أرى والله ألا تخفر أمانتك، للحديث الذى جاء : (أد الأمانة الى البر والفاجر) .

وفشى الخبر حتى انتهى الى الأمير ، فدعا سعيدا وقال له : ما حملك على ما فعلت ، وقد سمعت النداء والعزيمة ؟

---

129) ط : مفضلا — أ : مغفلا — ك ، م : معقلا .

فقال سعيد : للحديث الذى جاء ــ وذكره ــ قال : ولا أفجر مــن ربيـــع .

فقال الأمير للوزراء : هذا رجل مأمون ، فولاه القضاء .

توفى فيما قاله الرازى سنة عشر ومائتين ، وقال ابن حارث : سنة احدى عشرة .

حسين بن عاصـم بن كعـب بن محمـد بن علقمـة

ابن حباب ، بن مسلمة ، بن عدى ، بن مرة ، بن عوف ، الثقفى .

ويقال : عاصم بن مسلم ، بن كعب ، بن حباب ، بن علقمة ، بن هلال، ابن كعب ، بن يوسف ، بن الحكم ، بن أبى عقيل ، بن عروة ، بن مسعود الثقفى .

ويقال : انه مولى عبد الرحمان بن يعقوب أبى الحكم الثقفى ، وهو المشهـور .

أبو الوليد ، قرطبى حسيب .

أبوه عاصم يعرف بالعريان ، لأنه أول من شق نهر قرطبة وهو عريان، بين يدى الأمير عبد الرحمان بن معاوية الداخل ، عند قصده قرطبة .

رحل حسين فسمع من ابن القاسم ، وأشهب ، وابن وهب ، ومطرف ابن عبد الله ، وعبد الله بن نافع ، ونظرائهم ، وأدخل العتبى سماعــه فى المستخرجة ، وأسقطه منها قوم .

قال الشيرازى عنه : كان فى سن عيسى بن دينار ، ويعتمد عليه ابن حبيب فى الأسمعة ، ولم يقل الشيرازى شيئًا فى هذا .

قال ابن أبى دليم : كان من الفقهاء بقرطبة ، وعدة من ذكر فى هــذه الطبقة (130) .

---

130) ط : وعدة من ذكر فى هذه الطبقة ــ ك . وعده من ذكر فى هذه الطبقة ــ م : وعده من ذكر من هذه الطبقة .

وتوفى فيما ذكره أصحاب التاريخ : سنة ثمان ومائتين .

وأما ابن عبد البر : فزعم أنه ولى السوق أيام الأمير محمد ، وكان شديدا على أهلها فى القيام بضرب الباعة على ذلك ضربا مبرحا ، أنكر عليه، فسقط بذلك .

وزعم أنه توفى سنة ثلاث وستين ، أيام الأمير محمد ، وهذا بعيد من الخلاف .

وقال غيره : توفى سنة ثمان وستين ومائتين ، وزعم أن سنه يوم توفى سبعون سنة .

وهذا أبعد ، اذ لو صح هذا ، لما صح له سماع من ابن القاسم ، وابن وهب ، لأنه ان كان مات سنة ثلاث أو ثمان وستين ، وسنه سبعون ، فلم يولد الا بعد موتهما ، لأن ابن القاسم مات سنة احدى وتسعين ، وابن وهب سنة بضع وتسعين على خلاف فى تعيين سنة موته فى ذلك ، أو يكون مات ابن وهب ، وهو من السن فى حيز من لا سماع له، كيف ولم يكن ببلده، وانما رحل اليه فى سن من تصح رحلته ، فالأشبه ، والله أعلم ، أن وفاته كانت متقدمة ، واثبات العتبى سماعه فى المستخرجة ، يبعد تراخى موته الى هذا الوقت ، لأن * العتبى توفى سنة خمس وخمسين ومائتين ، قبله — على هذا — بمدة . (292)

وتوفى ابنه ابراهيم ، بن حسين بن عاصم ، سنة ست وخمسين ، وكان أيضا قد تصرف فى الولاية ، للأمير محمد ، وبلغ فى الشدة مبلغا حاد فيه عن سنن القضاء . وسيأتى ذكره ، فلعل من أجل اشتباه هذا ، دخل هذا الوهم والخلاف ، والله أعلم .

ومات ابن القاسم ، وقد بقيت على حسين مقابلة كتبه بأصوله ، بعد تمام سماعه منه ، فجاء أصبغ بن الفرج (131) ، وقال له : أنت خلف أبى عبد الله ، فلو أخليت نفسك ، قرأت عليك ما بقى على .

---

131) ط : فجاء أصبغ بن الفرج — أ ، ك ، م : فكاد أصبغ بن الفرج ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، وهو الذي يستقيم عليه المعنى .

فقال له أصبغ : أشهب وابن وهب شيخان حيان .

فقال : أنت عندى أجل .

فأسعفه ، فلما تم له مراده ، قال له : انما ذهبت الى المقابلة لصحة كتبك ، وأما السماع فلا تحسب ذلك ، فانى أقدم منك سماعا وعنايـــة ، آفأعود الى الحافـرة ! ؟

قال ابن وضاح : قلت لسحنون : ان ابن عاصم يحلف الناس بقرطبة بالطـــلاق .

قال : ومن أين أخذ هذا ؟

قلت له : من قول مالك : « يحدث الناس فتحدث لهم أقضية » .

فقال سحنون : ابن عاصم يتأول هذا التأويل ؟

قال الصدفى : وابن عاصم المذكور ، هو هذا .

عبد الملك بن حبيب

قال القاضى أبو الوليد بن الفرضى فى كتابه فى رجال الأندلس : هـو عبد الملك بن حبيب ، بن سليمان ، بن هارون، بن جلهمة (132)، بن عباس، ابن مرداس ، السلمى ، يكنى أبا مروان .

ونقلت عن خط الحكم المستنصر بالله : أنه عبد الملك بن حبيب ، بن ربيع ، بن سليمان .

وقال على بن معاذ عن على بن الحسن : انه عبد الملك بن حبيب ، بن سليمان ، بن حبيب السلمى ، وكان يعرف أبوه بحبيب العطار .

قال ابن الفرضى : قيل انه من مواليهم .

قال ابن حارث : من أنفسهم ، كان بألبيرة .

قال بعضهم : كان يعصر الأدهان ، ويستخرجها .

---

132) ط ، ك ، م : ابن جلهمة ــ أ : ابن حليمة ، وفى الديباج ، ابن جناهمة .

كان أصلهم من طليطلة ، وانتقل جده سليمان الى قرطبة ، وانتقل أبو حبيب واخوته فى فتنة الربض الى ألبيرة .

وروى بالأندلس عن صعصعة بن سلام ، والغازى بن قيس ، وزياد بن عبد الرحمان .

ورحل سنة ثمان ومائتين ، وقيل سنة سبع ، فسمع ابن الماجشون ، ومطرفا ، وابراهيم بن المنذر ، وعبد الله بن نافع الزبيرى ، وابن أبى أويس ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وعبد الله بن المبارك الخزامى ، وأصبغ ابن الفرج ، وأسد بن موسى ، وجماعة سواهم ، وانصرف الى الأندلس سنة عشر ، وقد جمع علما عظيما .

قال ابن حارث : فنزل بلدة ألبيرة ، وقد انتشر سموه فى العلم والرواية ، فنقله الأمير عبد الرحمان بن الحكم الى قرطبة ، ورتبه فى طبقة المفتين بها ، فأقام مع يحيى بن يحيى زعيمها فى المشاورة والمناظرة ، وكان الذى بينهما سيئا جدا .

وقال غيره : وتقدمه يحيى للممات ، فانفرد عبد الملك بعده بالرئاسة مديدة .

سمع منه ابناه : محمد وعبد الله ، وسعيد بن نمير ، وأحمد بن راشد ، وابراهيم بن خالد ، وابراهيم بن شعيب ، ومحمد بن فطيس ، وروى عنه من علماء القرطبين مطرف بن قيس ، وبقى بن مخلد ، وابن وضاح ، والمغامى ، فى جماعة ، وكان المغامى آخرهم موتا .

ذكر مكانه من العلم وثناء الفضلاء عليه

قال ابن الفرضى : كان عبد الملك حافظا للفقه على مذهب مالك نبيلا فيه ، غير أنه لم يكن له علم بالحديث ، ولا معرفة بصحيحه من سقيمه .

وقال ابن لبابة ــ ويروى مثله عن ابن مزين ــ : عبد الملك عالم الأندلس .

وسئل ابن الماجشون : من أعلم الرجلين : القروى التنوخـــى ، أم الأندلسى السلمى ؟

(293) فقال : السلمى مقدمه علينا ❋ ، أعلم من التنوخى منصرفه عنا . ثم قال للسائل : أفهمت ؟

قال أحمد بن عبد البر : كان جماعا للعلم ، كثير الكتب ، طويـــل اللسان ، فقيه البدن ، نحويا ، عروضيا ، شاعرا ، نسابة ، أخباريا ، وكان أكثر من يختلف اليه ، الملوك وأبناؤهم وأهل الأدب .

وقال مثله ابن فحلون . قال : وكان يأبى الا معالى الأمور .

وقال ابراهيم بن القاسم بن هلال : رحم الله عبد الملك بن حبيب ، فلقد كان ذابا على قول مالك .

وذكر أنه لما رحل ، قال عيسى : انه لأفقه ممن يريد أن يأخذ عنـــه العلـــم .

قال سعيد بن نمير : حدثنا المأمون عبد الملك بن حبيب ، لا أراه الله فى آخرتـــه قبيحـــا .

قال غيره : رأيته يخرج من الجامع ، وخلفه نحو من ثلاثمائة ، بين طالب حديث ، وفرائض ، وفقه ، واعراب .

وقد رتب الدول عليه كل يوم ثلاثين دولة ، لا يقرأ فيها عليه شىء ، الا تواليفه وموطأ مالك (133) .

وذكروا أنه كان يلبس الخز والسعيدى .

قال ابن نمير : وانما كان يفعله اجلالا للعلم وتوقيرا له ، وانه كان يلبس الى جسمه مسح شعر تواضعا ، وكان صواما قواما .

---

133) هكذا وردت هذه العبارة فى نسخ ــ أ ، ط ، م : « وقد رتب الدول عليه كل يوم ثلاثين دولة ، لا يقرأ فيها عليه شيء ، الا تواليفه وموطأ مالـــك » ــ ووردت فى نسخة ــ ك ــ كما يلي : « وقد رتب الاول عليه كل يوم ثلاثين دولة .. الخ » ووردت فى الديباج فى ترجمة عبد الملك بن حبيب ص 154 كما يلى : « وقد رتب الدول عنده كل يوم ثلاثين دولة ... الخ » .

قال : وعذلته على مآخذه (134) على قلة ماله ، فقال لى : قيل لابى حازم : ما مالك ؟

قال : مالان . القناعة بما فى يدى ، واليأس مما فى أيدى الناس . وأنا أقول : لى مالان ، غنى فى ظاهر أمرى ، وقصد فى خاصة نفسى .

قال غيره : أكثر فقهاء الأندلس وشعرائهم ، فعن عبد الملك أخذ ، ومن مجلسه نهض .

قال المغامى : لو رأيت ما كان على باب ابن حبيب ، لازدريت غيره .

وذكر الزبيرى أنه نعى الى سحنون ، فاسترجع ، وقال : مات عالم الأندلس ، بل — والله — عالم الدنيا . وبهذا يرد ما روى عنه من خلاف هذا .

وذكره الشيرازى فقال : فقيه الأندلس .

وذكره أيضا ابن الفرضى فى كتابه المؤلف فى طبقات الأدباء ، فجعله صدرا فيهم ، وقال : كان قد جمع الى امامته فى الفقه ، التبحر فى الأدب (135) ، والتفنن فيه ، وفى ضروب العلوم ، وكان فقيها مفتيا نحويا لغويا نسابة أخباريا عروضيا فائقا شاعرا محسنا مرسلا حاذقا مؤلفا متقنا

ذكر بعض المشيخة : أنه لما دنا من مصر فى رحلته ، أصاب جماعة من أهلها بارزين لتلقى الرفقة على عادتهم ، فكلما أطل عليهم رجل له هيأة ومنظر ، رجموا الظن فيه ، وقضوا بفراستهم عليه ، حتى رأوه ، وكان ذا منظر جميل ، فقال قوم : هذا فقيه ، وقال آخرون : بل شاعر ، وقال آخرون : طبيب ، وقال آخرون : خطيب .

فلما كثر اختلافهم ، تقدموا نحوه ، وأخبروه باختلافهم فيه ، وسألوه عما هو .

---

134) أ ، ط : وعذلته على مآخذه — ك : وعذلته على مأخذة — م : غير واضحة .

135) ك ، م : التبجح فى الأدب . وكذلك فى الديباج — أ : السمح فى الأدب — ولعل الصواب ما أثبتناه : « التبحر فى الأدب » وهو الذي يقتضيه السياق .

فقال لهم كلكم قد أصاب ، وجميع ما قررتم أحسنه ، والخبرة تكشف الخبرة ، والامتحان يجلى عن الانسان .

فلما حط رحله ولقى الناس ، شاع خبره ، فقصد اليه كل ذى علم يسأله عن فنه ، وهو يجيبه جواب متحقق ، فعجبوا من ثبوت علمه .

وقصدته طائفة من المتفقهة ، وقد أعدوا له مسائل من الحج ، لا يزالون يقتنصون بها متفقهة الأندلس ، ففطن لمرادهم ، وكان عهده بعيدا بمطالعة كتب الحج ، فلما فاتحوه بها آخر مجلسهم ، اعتذر بقيامه فيما لابد للغريب منه ، ووعدهم لغد يومه ، وأتى رحله ، وسهر ليلته على مطالعة مسائل الحج ، حتى أحكم النظر فيها ، فلما كان من الغد تهافتوا على مطارحته صعابها ، فأجابهم عنها جواب عالم . وذكر أنهم أخذوا عنه وعطلوا حلق علمائهم .

قال ابن وضاح : كنت عند الخزامى ، فقيل له : ابن حبيب سمع التاريخ ؟

فقال رحم الله أبا مروان (136) ، فانه وانه — يثنى عليه .

(294) ذكر ابن حارث أن ابن ❋ المواز أثنى عليه بالعلم والفقه .

وكان ابراهيم بن قاسم يقول : رحم الله عبد الملك ، لقد كان ذابا عن قول مالك ، وان خالفه فى البعض ، ما نزع الا الى الحق ، ولا أخذ الا بالصواب .

وقال العتبى — وذكر الواضحة — : رحم الله عبد الملك ، ما أعلم أحدا ألف على مذهب أهل المدينة تأليفه ، ولا لطالب أنفع من كتبه ، ولا أحسن من اختياره .

وقال محمد بن أبى زيد ، فى صدر النوادر — وذكر اختيار سحنون وأصبغ وعيسى وابن عبدوس وابن سحنون وابن المواز — قال : وليس يبلغ ابن حبيب فى اختياره وقدره رواياتهم (137) مبلغ من ذكرنا ؟

---

136) ط : رحم الله أبا مروان — أ : حفظ الله أبا مروان .

137) أ ، ك : رواياتهم — ط : روايته — م : روايتهم .

وقيل للمغامى : لو أوضحت هذا السماع فى واضحة ابن حبيب ــ يريد ما لم يوضحه ابن حبيب من كتابه ــ فقال المغامى : حاولت ذلك ، فوجدت نفسى معه كمرقع الخز باللبود !

وقال بعضهم : ركبت البحر الى الأندلس مع ابن حبيب ، فهال علينا، وخشينا العطب ، فرأيت ابن حبيب متعلقا بحبال السفينة ، وهو يقول : اللهم ان كنت تعلم أنى انما أردت بما ابتغيته وجهك وما عندك ، فخلصنا برحمتك وانفع بما أتيت به عبادك .

فما كان الا يسير ، حتى سكنت الحال ، ووصلنا سالمين بحمد الله .

ذكــر تواليفــه

وألف ابن حبيب كتبا كثيرة حسانا فى الفقه والتواريخ والأدب ، منها الكتب المسماة بالواضحة فى السنن والفقه ، لم يؤلف مثلها ، والجوامع ، وكتاب فضائل الصحابة ، وكتاب غريب الحديث ، وكتاب تفسير الموطأ ، وكتاب حروب الاسلام ، وكتاب المسجدين ، وكتاب سيرة الامام فى الملحدين ، (138) وكتاب طبقات الفقهاء والتابعين ، وكتاب مصابيح الهدى .

قال بعضهم : فسمى ابن الفرضى هذه الكتب ، وهذه الأسماء ، وهى كلها يجمعها كتاب واحد ، لأن ابن حبيب انما ألف كتابه على عشرة أجزاء، الأول تفسير الموطأ حاشا الجامع ، والثانى شرح الجامع ، والثالث والرابع والخامس فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين . وكتاب مصابيح الهدى جزء منها ، ذكر فيه من الصحابة والتابعين ، والعاشر طبقات الفقهاء ، وليس فيها أكثر من الأولى ، وتحامل فى هذا الشرح على أبى عبيد والأصمعى وغيره ، وانتحل كثيرا من كلام أبى عبيد ، وكثيرا ما يقول فيه : أخطأ شارح العراقيين . وأخذ عليه فيه تصحيف قبيح ، وهو أضعف كتبه .

---

138) كذا فى جميع النسخ وكذلك فى الديباج .

ومن تواليف ابن حبيب أيضا كتاب اعراب القرآن ، وكتاب الحسبة فى الأمراض (139) ، وكتاب الفرائض ، وكتاب السخاء واصطناع المعروف وكتاب كراهية الغناء .

قال بعضهم : قلت لعبد الملك : كم كتبك التى ألفت ؟

قال : ألف كتاب وخمسون كتابا .

وقال عبد الأعلى بن معلى : هل رأيت كتبا تحبب عبادة الله (140) تعالى الى خلقه ، وتعرفهم به ، ككتب عبد الملك بن حبيب ؟ يريد كتبه فى الرغائب والرهائب .

ومنها كتب المواعظ ، سبعة ، وكتب الفضائل ، سبعة : فضائل النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة ، وفضائل عمر بن عبد العزيز ، وفضائل مالك بن أنس ، وكتاب أخبار قريش وأخبارها وأنسابها ، خمسة عشر كتابا ، وكتاب السلطان ، وسيرة الامام ، ثمانية كتب ، وكتاب الباه والنساء (141) ، ثمانية كتب ، وغير ذلك من كتب سماعاته فى الحديث والفقه ، وتواليفه فى الطب ، وتفسير فى القرآن (142) ، ستون كتابا ، وكتاب المغازى ، والناسخ والمنسوخ ، ورغائب القرآن ، وكتاب الرهون والمغارم (143) ، والحدثان (144) ، خمسة وتسعون كتابا ، وكتاب مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اثنان * وعشرون كتابا ، وكتابه فى النسب ، وفى النجوم ، وكتاب الجامع تأليفه ، وهى كتب فيها مناسك النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الرغائب ، وكتاب الورع فى العلم ، وكتاب

(295)

---

139) كذا فى جميع النسخ وكذلك فى الديباج .
140) أ ، ك ، م : تحبب عبادة الله — ط : تحبب الله .
141) هكذا ورد اسم هذا الكتاب فى الديباج المذهب لابن فرحون ص 155 — أما فى نسخ المدارك الخطية التي بين أيدينا فقد ورد كما يلي : أ : الباه والنسك — ط : أنباء والنسك ، ك : الباء والنساء — م : الباءة والنسائى .
142) أ ، ك ، م : وتفسير فى القرآن — ط : وتفسير القرآن .
143) ط : الرهون والمغارم — أ : الرهون والمعارى — ك ، م : الرهون والمغازي.
144) « والحدثان » هكذا وردت هذه الكلمة فى الديباج ، أما فى جميع النسخ الخطية التي بين أيدينا للمدارك ، فقد وردت هكذا : « والمديان » .

الورع فى المال ، وكتاب الرياء (145) وكتاب الحكم والعمل بالجـوارح ، وغير ذلـــك .

ذكــر ما تحومــل بــه عليــه

قال بعضهم : كان الفقهاء يحسدون عبد الملك بن حبيب لتقدمه عليهم بعلوم لم يكونوا يعلمونها ولا يشرعون فيها .

قال أحمد بن خالد : لم يخرج ابن وضاح لابن حبيب شيئا ، وكان لا يرضى عنـــه .

قال أبو محمد القلعى : سألت وهب بن ميسرة ، عن قول ابن وضاح فى ابن حبيب ، فقال : ما قال لى فيه خيرا ولا شرا ، الا أنه قال : لم يسمع من أســـد .

وحكى الباجى وابن حزم أن أبا عمر بن عبد البر كان يكذبه ، وقد ذكرنا فى أخبار ابن وهب بعد هذا قصته التى تحومل عليه بها ، وليس فيها ما تقوم به دلالة على تكذيبه وترجيح نقل غيره على نقله .

وكان أحمد بن خالد سىء الرأى فيه (146) .

قال ابن الفرضى : لم يكن لابن حبيب علم بالحديث ، وكان لا يعرف صحيحه من سقيمه ، وذكر عنه أنه كان يتساهل فى سماعــه ويحمــل على طريق الاجازة أكثر روايته .

قال ابن وضاح : قال لى الخزامى : أتانى صاحبكم ابن حبيـــب بغرارة مملوءة كتبا ، فقال لى : هذا علمك تجيزه لى .

فقلت له : نعم . ما قرأ على منه حرفا ، ولا قرأته عليه .

وفى رواية أخرى : رحم الله أبا مروان فانه وانه (147) ـ يثنـى عليــه .

---

145) أ ، ك ، م : الرياء ــ ط : الرباء .
146) أ ، م : سيء الرأي فيه ــ ط : يسيء الرأي فيه .
147) ط : وفى رواية أخرى « رحم الله أبا مروان فانه وانه ... الخ » . أ ، ك ، م : وفى رواية أخرى « فوالله ما ترون فانه وانه ... الخ » وقد تقدم فى بداية ترجمة عبد الملك بن حبيب ، صاحب الترجمة أنه كان يكنى أبا مروان .

قال ابن أبى مريم : كان ابن حبيب عندنا نازلا بمصر ، وما كنت رأيت أدوم منه على الكتاب ، دخلت اليه فى القائلة فى شدة الحر ، وهو جالس على سدة ، وعليه طويلة ، فقلت : قلنسوة فى مثل هذا ؟

فقال : هى تيجاننا .

فقلت : فما هذه الكتب ؟ متى تقرأ هذه ؟ (148)

فقال : ما أشتغل بقراءتها ، قد أجازها لى صاحبها .

فخرجت من عنده ، فأتيت أسدا ، فقلت : أيها الشيخ ! تمنعنا أن نقرأ عليك وتجيز لغيرنا ! ؟

فقال : أنا لا أرى القراءة ، فكيف أجيز ؟ انما أخذ منى كتبى يكتب منها ليردها على (149) .

قال خالد : اقرار أسد له بروايتها ، ودفع كتبه لنسخها ، هى الاجازة بعينها . وذكر عن يونس قال : أعطانا يونس كتبه عن ابن وهب ، فقابلنا بها ، فقلت : أصلحك الله ! كيف نقول فى هذا ؟

قال : ان شئتم قولوا حدثنا ، وان شئتم قولوا أخبرنا .

قال القاضى أبو الفضل رضى الله عنه : وقد قال مالك رحمه الله لمن سأله عن الأحاديث التى كتبها من حديث ابن شهاب ليحيى بن سعيد الأنصارى ــ وقال له : أقرأها عليك ؟ ــ فقال : كان أفقه من ذلك . أى أن مثل هذا يغنى عن القراءة .

وقد بينا هذا الأصل فى كتاب الالماع الى أصول الرواية وضروب السماع .

وحكى ابن الفرضى أنه ذكر أن ابن حبيب كان يأخذ بالرخصة فى السماع ، وأنه كان له جوار يسمعنه ، وقد عرض له الغزال الشاعر بذلك، فيما آذاه به من شعره ، وآذى به غيره من الفقهاء .

---

148) ط : فقلت : فما هذه الكتب ؟ متى تقرأ هذه ؟ ــ أ ، ك ، م : فقلت فما هذا الكتاب ؟ متى تقرأ هذا ؟

149) ط : ليردها علي ــ أ ، ك م : ليس ذا علي .

قال القاضى أبو الفضل رضى الله عنه : الأشبه بطلان هذه الحكاية ، فان لابن حبيب كتابا فى كراهة الغناء .

قال القاضى منذر بن سعيد : لو لم يكن من فضل عبد الملك ، الا أنك لا تجد أحدا ممن تحكى عنه معارضته والرد لقوله ساواه فى شىء . وأكثر ما تجد أحدهم يقول : كذب عبد الملك ، وأخطأ . ثم لا يأتى بدليل على ما ذكره .

ذكر باقي اخباره وفضائله ونوادر أشعاره

ذكروا أنه رفع الى الأمير عبد الرحمان بن الحكم أن قاضيه ابراهيم ابن العباس المروانى ، ويحيى بن يحيى ، وجماعة ، يعملون على خلعه ، وتقديم القاضى ابراهيم مكانه ، وأن القاضى لا يقبل من أهل قرطبة الا من أشار يحيى بقبوله ، وكان يحيى هو الذى أشار على الأمير بتوليته القضاء ، وأن يكون زونان كاتبه .

فوجه الأمير فى ابن حبيب وقال له : تعلم يدى عندك ، وأريد أن أسألك عن شىء فاصدقنى فيه .

فقال : نعم ، لا تسألنى عن شىء الا صدقتك فيه .

فقال له : انه رفع الينا عن يحيى ، والقاضى ، أنهما يعملان علينا فى هذا الأمر .

فقال له ابن حبيب : قد علم الأمير ما بينى وبين يحيى ، ولكنى لا أقول عليه الا الحق ، ليس يجىء من يحيى الا ما يجىء منى ، وكل ما رفع عليه فباطل ، وأما القاضى ، فلا ينبغى للأمير أن يشركه فى عدله من يشركه فى نسبه .

فعزل القاضى .

وقد رأينا أن يحيى قارضه أيضا بمثل هذا ، ولست أعلم أى قصة قبل صاحبتها .

وقد ذكر أن بعض جيرة ابن حبيب ، اشتكى اليه بأن بعض المتصرفين لبعض الوزراء ، يؤذيه ويستطيل عليه ، فأمر عبد الملك برصده، فجيء به اليه ، فضرب بين يديه ضربا مبرحا ، فشكا الى صاحبه ، فكتب الى يحيى وذكر له ما صنع ابن حبيب بخاصته وحاشيته ، وسأله تأييده عليه عند الأمير ، فكتب اليه يحيى : ما كنا لنعينك على العلم وأهله ، وأيم اللـــه لأقلامنا أبعد من سهامكم ، فانصرف عن رأيك ، والسلام .

وذكر أنه لما أراد أن يرحل ، سأل عيسى بن دينـــار أن يوصيـــه فى مذهبه فى رحلته ، فقال له عيسى : اذا صحبت عالما فلا تظهر له ما عندك فيحرمك ما عنده (150) .

*
* *

ومن فتاويه ، القصة المشهورة ، وذلك أن المعروف بابن أخى عجب ، كان قد تكلم بعبث من القول فى يوم غيم ، شهد به عليه ، فأمر الأمير عبد الرحمان بحبسه ، فكلمته عمة عجب فى اطلاقه (151) ــ وكانت مكينة عند الأمير فى حظاياه ــ فقال لها : يكشف أهل العلم عما يجب عليه .

وأمر والى المدينة باحضار الفقهاء ، فيهم القاضى موسى بن زياد ، وابن حبيب ، وأصبغ بن خليل ، وعبد الأعلى بن وهب ، وأبو زيد بــن ابراهيم ، وأبان بن عيسى ، فشاورهم ، فتوقفوا كلهم عن سفك دمه ، الا ابن حبيب وأصبغ .

ورفعت فتاويهم الى الأمير، فاستحسن قول عبد الملكوأصبغ، وخرج عليهم فتى يقول لصاحب المدينة : قد فهم الأمير ما أفتى به القوم فى أمر هذا الفاسق ، وهو يقول للقاضى : اذهب فقد عزلتك ، وأما أنت يا فلان ، فقد كان الشيخ يحيى يشهد عليك بالزندقة ، ومن كانت هذه صفته فحرى ألا تسمع فتياه ، وأما أنت يا فلان ، فأردنا أن نوليك قضاء جيان فزعمت

150) ط : فلا تظهر له ما عندك فيحرمك ما عنده ــ أ ، ك ، م : فلا تظهر له مع علمه علما فيحرمك ما عنده .

151) ط : فكلمته عمة عجب فى اطلاقه ــ أ ، ك ، م : فأبرمته عمته عجـــب فى اطلاقه .

أنك لا تحسن القضاء ، فان كنت صادقا فقد آن لك أن تتعلم (152) ، وان كنت كاذبا فالكاذب لا يكون أمينا ، وقال للآخر كلاما لم يروه الراوى .

ثم قال لصاحب المدينة : وقد أمرك أن تخرج الساعة مع هذين الشيخين عبد الملك وأصبغ ، فى أربعين غلاما ، لينفذوا فى هذا الفاسق ما رأيا .

فخرج عبد الملك وهو يقول : سب ربا عبدناه ، ان لم ننتصر له انا لعبيد سوء .

ثم أخرج ، ووقف على خشبة ، وهو يقول لعبد الملك : اتق الله فى دمى أبا مروان ، فانى أشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله .

وعبد الملك يقول : (الآن وقد عصيت قبل) (153) .

(297) فلم يزالا حتى صلب وقتل ❋ ، وانصرفا .

*
* *

فلما كان بعد هذا ، أقيم على هارون بن حبيب ، أخى عبد الملك بن حبيب ، بمثل هذا ، وكان ضيق الصدر ، كثير التبرم ، ساكنا بألبيرة ، متحاملا على أهلها ، يسىء القول فيهم . وكان طالع بعض كلام المتكلمين ، فشهد عليه قوم عند قاضى ألبيرة عبد الملك بن سلام المعافرى ، بشهادات، منها :

أن رجلا جاء يطلب منه سلما لصلاح مسجد ، فقال له : لو أردته لكنيسة أعطيتكه .

قال له الآخر : أما المسجد أولى ؟

قال : لا والله ، انى رأيت من تعلق بالله مخذولا، ومن تعلق بالشنيرة والقرابين (154) عزيزا حسن الحال .

---

152) ط : فقد آن لك أن تتعلم — أ ، م : فما آن لك أن تتعلم .
153) الآية 91 من سورة يونس .
154) كذا ورد فى نسختي ك ، م : « بالشنيرة والقرابين » وورد فى نسخة ط : « بالشهوة والقرابين » أما فى نسخة « أ » فانها غير واضحة .

ودخل عليه رجلان فى حال استقلاله من علة، فسألاه عن حاله، فقال لهما: أما الآن فلا بأس بى ، الا انى لقيت فى مرضى هذا ، ما لو قتلت أبا بكر وعمر ، لم أستوجب هذا كله .

فبعث قاضى ألبيرة بكتاب الشهادات الى الأمير عبد الرحمان بن الحكم ، بعد أن سجن هارون فى الحديد ، فاختلف الفقهاء فيما يجب عليه .

فبعث الأمير بالكتاب الى أخيه عبد الملك وغيره من الفقهاء .

*
* *

فأجاب فى ذلك عبد الملك بجوابه العريض الطويل ، المتضمن أوراقا كثيرة ، يتضمن حسن المخرج لكلام أخيه ، واسقاط الحد عنه والعقوبة .

فأسقط شهادة صاحب السلم ، بأن قال : لأنه شاهد واحد ، ولم يجعل الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم فى شهادة الواحد ، وان كان عدلا مرضيا ، مقطعا لحق ، ولا تجب بها على أحد عقوبة بحبس ، ولا ضربة بسوط ، فما فوقه ، بل لو شهد عليه واحد ، أنه كفر وزنى وسرق وسكر ، لما ضرب بشهادته سوطا .

قال : فكيف بما لو اجتمع عليه شاهدان لما وجب فيه شىء ، لتصرفه فى المعنى الى ما لا يجب به فيه شىء ؟

واحتج بقول عمر : لا يحل لامرىء مسلم يسمع الكلمة من أخيه المسلم — أو عن أخيه المسلم — أن يظن بها ظن سوء ، وهو يجد لها فى شىء من الخير مصرفا (155) .

ثم قال : ومن تصريف اللفظ أن يقول : عنيت بقولى : انى رأيت من تعلق بالله مخذولا عندكم ، ولا تعينونه ولا تعرفون حقه ، ومن تعلق بالقرابين كان عزيزا عندكم ، حسن الحال فيكم ، اذ كان البلد بلد عجم .

---

155) ط : مصرفا — أم : مصدرا .

واحتج على ما ورد من هذا المعنى ، بقول النبى صلى الله عليه وسلم: سيأتى على الناس زمان يكون الغنى الفاجر فيهم ، كالعالم الزاهد فيكم ، الحديث ، فيصرفه الى معنى فساد الزمان .

قال : ولو كان لا ينصرف الى هذا ، لوجب عليه القتل دون السوط ، لأنه كفــر .

وأجاب عن شهادة السائلين له عن حاله فى المرض ، وجوابه لهما ، بقوله : (لو قتلت أبا بكر وعمر ما استوجبت هذا كله) بأن قال : هــذا أخف من الأول ، ولكنه ليس من كلام العقلاء ، وانما هو من كلام السفهاء وأهل الجهالة ، ومثله من كلام كثير من الناس ، عند شدة تصيبه ، وينبغى أن يعنف قائله ويؤدب لسوء لفظه ، وينهى عنه ، بلا عقوبة تجب فى ذلك من ضرب ولا سجن ، ولا يحمل على تجوير الله .

وأطال الكلام فى نفى العقوبة عن المتشكين والحجة فى ذلك ، ثم قال : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول : (ادرأوا الحدود بالشبهات عن أمتى) فكيف ما لا حد فيه ولا عقوبة ، وما يتسع فيه المذهب والمعانى ؟ ولو كانت تجب عليه عقوبة ، لقد كان فى طول حبسه فى الكبول منذ ستة أشهر ما يستغرق كل عقوبة .

ثم ذكر أن له المدفع فيمن شهد عليه ، وبسط له فى ذلك .

*
* *

(298) وأجاب فى قصة هارون ❋ ابراهيم بن حسين بن خالد بضد ما أفتى به عبد الملك ، من التحريض على قتله ، وترك التأويل لكلامه ، وأودع ذلك جوابا طويلا فى أوراق ، قريبا من جواب عبد الملك فى القدر ، احتج فيــه بفعل عمر بصبيغ (156) ، وفعل على بمن اتهمه بالزندقة ، وقتل خالد بن الوليد لمالك بن نويرة بقوله : (ان صاحبكم) وأطال بمثل هذا .

---

156) م : بصبيغ ــ ط : بياض مكان الكلمة ــ أ : غير واضحة ــ ك : بصيغ ــ وهو عبد الله صبيغ العراقي ، كان يثير الكلام عن المتشابه فى القرآن فشدد عليه العقوبة فى ذلك أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ــ وقد ورد اسمه فى كتاب الموافقات للشاطبي الجزء 2 ، ص 87 هكذا (ضبيع) بالضاد والعين .

وصرح بأن كلام هارون تصريح لمن أبصر ، وتعريض عند من رق بصره . والتعريض كالتصريح يقتل بهما ، وأن قوله فى قصة أبى بكر وعمر، تجوير لله وتظلم منه ، ثم احتج فى هذا الفصل ، وفى أن التصريح كالتعريض .

ثم قال : لو أن سلطانا قتله بقصة السلم ، بشاهد واحد ما عنفته ولا خطأته ، لتكذيبه الله اذ يقول : (ومن يتول الله ورسولهوالذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) (157) مع ما هو معروف به من الاستخفاف بالله والجرأة عليه .

ثم قال : فليعزم الأمير فى أمره ، وليعز الله عند خذل الجاهلين الذين لم يعرفوا حرمة الله والدين ، وأطال من الطعن على هؤلاء ، وتحريض الأمير على الاضراب عنهم .

ثم قال : ولا يستشهدوا بحديث (158) (ادرأوا الحدود بالشبهات)، ونحوه ، فانهم لا يعرفون تأويله ، فقد كان ربيعة يقول : ان ما ورد فى الزنا ، لما أراد الله من ستره ، واستشهد بحديث عمر (159) : (انما جعل الله الأربعة سترا ستركم به من فواحشكم) .

وقال بعضهم : تفسيره ، ما لم يبلغ السلطان فى زلة ذى الهيئة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الا حدا من الحدود) وهذا حد . وهارون ليس من ذوى الهيئات .

وكثر من هذا ، ثم قال : وان لم يتبين للأمير قولى فليثخن ضربه ، ويخلد سجنه ، ويكتب الى المشرق بمسألته .

ومر على نحو هذا من الطعن على ابن حبيب وبيته .

وكتب فى ذلك ابراهيم بن حسين بن عاصم ، بقريب من جواب عبد الملك ، من اسقاط الواجب عليه فى قصة السلم ، بكونه بشاهد واحد ،

---

157) الآية 56 من سورة المائدة .

158) ط : ولا يستشهدوا بحديث .. الخ ــ ك : ولا تشبهوا بحديث .. الخ . ا ، م : ولا تشبهوا بحدود ... الخ .

159) كلمة (عمر) ساقطة من نسخة ط ، ثابتة فى غيرها من النسخ .

وبتأويل قصة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، واحتج بما احتج به عبد الملك من حديث عمر ، وتأويل كلامه الى التشكى ، وأنه لم يقدح فى أبى بكر وعمر بقبيح ، وانما ذكر فضلهما ، ولا ألحد فى دين الله ، والعفو عن الحدود أولى ، واحتج بقوله « ادرأوا الحدود بالشبهات » .

قال : ولا حد أعظم من القتل ، وقد التبس الأمر فى هارون والله يوفق الأمير للسداد .

وكتب القاضى بقرطبة اذ ذاك ، سعيد بن سليمان البلوطى ، بنحو جواب ابن عاصم ، قال فيه : جاءت الآثار المحكمة ، والسنة الماضية ، بالحدود الجارية فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، من قتل قتل ، ومن سب الله وأنبياءه قتل ، ومن غير دينه قتل ، ومن حارب قتل أو حكم فيه بما جاءت به الآية ، ولم نجد فيما لفظ به هارون شتما يوجب القتل ، وكان لقوله مذهب لا يوجب عليه القتل ، رأيت عليه الحبس والتثقيل فيه ، والشدة فى الأدب ، لما فاه به وخرق فيه .

وجاء من ابن حبيب جواب آخر طويل ، نحو الأول ، يناقض فيه ابراهيم بن حسين بن خالد ، فيما ناقضه به ، ويطلق عليه وعلى جميع المذكورين من الفقهاء والقاضى ، وانتقص علمهم (160) ، وثلبهم بما يوجب اسقاط فتواهم ، ويصفهم واحدا واحدا ، ويذكر الأمير بما يقتضى عداوته هو معهم ، من تألبهم عليه ، وتجريحه قبل هذا هو لهم ، وأنه أفتى بتجويز الظلم منهم ، وأن القاضى عزل فتواه مرتين ، وأن قاضى ألبيرة عدو لأخيه ، وأساء القول جدا فى الابراهيمين ، وابن حارث ، وعبد الأعلى ، وغيرهم ممن رأى قتله ، وممن لم يرى قتله ورأى ضربه ❋ . (299)

ثم قال : أيشك الأمير فى عداوتهم لى ولأهلى للمقام الذى قمت فيهم ؟ فكيف يشاورون فى ، أو فى أحد من أهل بيتى ؟ (والله ان كنت عند الأمير صادقا لما يحل له أن يستشيرهم فى أحد من الناس) (161) ، ولا يقبل لهم

---

160) ط : وانتقص علمهم — أ ، ك ، م : وينقص علمهم .
161) سقط من نسخة ك م قوله : « والله ان كنت عند الأمير صادقا لما يحل له أن يستشيرهم فى أحد من الناس » .

قولا ، ولئن كنت عنده فيما قلت كاذبا ، ما يحل للأمير أن يستشيرني ويقبل لى قولا أبدا .

فأوصى الأمير الى عبد الملك : انا أخذنا بقولك فى أخيك ، وأمرنا بالكتاب الى عاملنا باطلاقه .

فسأله عبد الملك أن يقدم به الى قرطبة ، فيكون بها مسجونا ، أدبا لجرأته وعصيانه .

قال المغامى (162) : طرقت عبد الملك بن حبيب يوما بغلس ، حرصا على الاقتباس منه ، واستأذنت عليه ، فأذن لى ودخلت ، فاذا به جالس فى مجلسه ، عاكفا على الكتب ، قد أحاطت به ، ينظر فيها ، والشمعة بين يديه تتقد ، وطويلته عليه ، فسلمت ، فرد على ، وقال لى : يا يوسف ! أو قد انبلج الصبح ؟

قلت : نعم ، وقد صلينا .

فقام الى صلاة الصبح ، فقضاها ، ثم رجع الى مقعده ، وقال لى : يا يوسف ! ما صليت هذه الصلاة الا بوضوء العشاء الآخرة .

قال المغامى : كانت لابن حبيب قارورة قد أذاب فيها اللبان مع العسل، يشرب منها كل غداة على الريق للحفظ .

وكتب ابن حبيب الى الرشاش الأديب ، يستهديه مدادا ، ووجه اليه بقارورة كبيرة :

احتجت من حبر الى سقية   فامدد لنا منه ، فديناكا
وابعث – وان قل – به طيبا   ولا يكن دونا ، فنلحاكا
ولا تهولنك قارورتى   فانها أقنع من ذاكا

---

162) أ : قال المغامي – ك ، ط : قال المقامي – م غير واضحة – والصواب ما أثبتناه ، وهو يوسف أبو عمر المغامي بن يحيى بن يوسف بن محمد . أنظر ترجمته فى الديباج ص 356 – قال : ومغام من ثغر طليلطلة ، أصله منها ونشأ بقرطبة وسكن مصر ، ثم استوطن القيروان الى أن مات .

وأنشد لـه الزبيـدى :

صلاح أمرى والـذى أبتغـى هين على الرحمـان فى قدرتـه

ألف من الصفر ، وأقلل بهـا ، لعالم أربـى علـى بغيتـه

زرياب قد يأخذها قفلـة (163) وصنعتى أشرف مـن صنعتـه

ويروى (يأخذها زرياب فى نوبة)

وأنشد له ابن الفرضى قصيدة كتب بها الى أهله من المشرق ، سنة عشر ومائتين :

أحب بلاد الغرب والغرب موطنى ألاكل غربـى الـى حبيـب

فيا جسدا أضناه شوق كأنـه اذا نضيت عنه الثيـاب قضيـب

ويا كبدا عادت رفاتـا كأنمـا يلذعها (164) بالكاويات طبيـب

بليت وأبلانى اغترابى ونأيـه وطول مقامى بالحجاز أجـوب

وأهلى بأقصى مغرب الشمـس دارهـم

ومـن دونهم بحـر أشـج مهيـب

وهـول كريـه ليلـه كنهـاره وسير حثيث للركـاب دؤوب

فما الداء الا أن تكون بغربـة وحسبك داء أن يقـال غريـب

فيا ليت شعرى هل أبيتن ليلـة بأكناف نهر الثلج حـين يصـوب

وحولى أصيحابى ، وبنتى وأمهـا ومعشر أهلى والرؤوف مجيـب

ولما بلغه من تحامل الفقهاء عليه، ما كان كتب الى الأمير عبد الرحمان:
أمتع الله الأمير كرامته ، وأعلى فى الجنة درجته ، ان العذرى ــ أكرم الله الأمير ــ قال أبياتا أعجب العلماء فيها مثل ❋ يضرب على الأمير فى خاصة (300)

---

163) أ ، ك ، م : قفلة ، وكذلك فى الديباج فى ترجمة عبد الملك بن حبيب ص 154 وما بعدها ــ وفى نسخة ط : غفلة .

164) أ ، ط : يلذعها ــ ك ، م : يلدغها . وكذلك فى الديباج .

نفسه ، واليسير من التعريض يكفى عنده عن التصريح (165) ، كما قال الشاعـر :

لذى اللب قبل اللوم ما تقرع العصا وما علم الأنسـان الا ليعلمـا

وهــى :

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيـه فالقوم أعـداء لـه وخصـوم
كضرائر الحسناء قلن لوجههـا حسـدا وبغيـا انـه لذميـم
تلقى اللبيب مشتما لـم يجتـرم شتم الرجال وعرضـه مشتـوم

وما هذا الا كما قال زهير :

وأخو التجنى ليس يبرح حامـلا ذنبا عليك عرفت أم لـم تعـرف

وكتب الى الأمير عبد الرحمان بن محمد فى ليلة عاشوراء :

لا تنس، لا ينسك الرحمان عاشورا واذكره لا زلت فى الأحياء مذكورا
قال الرسول صلاة الله تشملـه قولا وجدنا عليه الحق والنـورا
من بات فى ليل عاشوراء ذا سعة يكن بعيشته فى الحول محبـورا
فارغب فديتك فيما فيه رغبنـا خير الورى كلهم حيا ومقبـورا

---

165) وردت هذه العبارة فى النسخ الخطية التي بين أيدينا على صور مختلفة ، كلها غير مستقيمة فى الواقع .
— فقد وردت فى نسخة أ كما يلي : (ان العذر لي أكرم الله الأمير ، قال أبياتا أعجب العلماء ما فيها مثل يضرب على الأمير فى خاصة نفسي ، وألبسني من الحرص ويكفي عنده من التصريح) .
— ووردت فى نسخة ط كما يلي: (ان (كلمة غير واضحة) أكرم الله الأمير، قال أبياتا ، أعجب العلماء فيها مثل يضرب على الأمير فى خاصـة نفسه و (كلمة غير واضحة) من الخواص فكفى عنده من التصريح .
— ووردت فى نسخة ك كما يلي : (ان العذري أكرم الله الأمير قال أبياتا أعجب العلماء ما فيها مثل يضرب على الأمير فى خاصة نفسـه ، وألبسني من الحرص فكفى عنده من التصريح .
— ووردت فى نسخة م على صورة ما ورد فى نسخة ك ، مع تغيير طفيف جدا ، يتمثل فى وضع كلمة (يكفي) بدل (فكفى) .
وكل ذلك غير مستقيم كما هو واضح ، ولعل الصواب ما أثبتنـاه ، وهو توفيق بين ما ورد فى جميع النسخ السابقة الذكر ، كما انه هو الذى يقتضيه السياق .

وتوفى ابن حبيب فى ذى الحجة ، سنة ثمان وثلاثين ، وقيل تسع وثلاثين ومائتين ، وقد بلغ ستا وخمسين سنة (166).

وقال الشيرازى : ثلاثا وخمسين سنة .

وقبره بقرطبة ، بمقبرة أم سلمة ، فى قبلة مسجد الضيافة .

وصلى عليه القاضى أحمد بن زياد ، قاله ابن الفرضى .

وقال غيره : صلى عليه ابنه يحيى .

وقال محمد بن حارث : توفى سنة سبع وثلاثين ومائتين ، الى ستة شهور من ولاية الأمير محمد .

قال ابن لبابة : احتفر لابن وضاح الى جانب قبر ابن حبيب ، فانفتح ما بين القبرين ، فأدخل الحافر يده الى جنبه ، فوجده وافرا لم تأكله الأرض ، والتصق بيده من الكفن .

ورثاه أبو عبادة الرشاش بقوله :

لئن أخذت منا المنايا مهذبا ... وقد قل فينا من يقال المهذب
لقد طاب فيه الموت والموت غبطة ... لمن هو مغموم الفؤاد معذب

ولأحمد بن هانى (167) فيه :

ماذا تضمن قبر أنت ساكنه ... من التقى والندى يا خير مفقود
عجبت للأرض فى أن غيبتك وقد ... ملأتها حكما فى البيض والسود

وخلف ابنين : محمدا وعبيد الله .

سمع عبيد الله ، من والده ، وكان له حظ من العلم الا أن الزهد غلب عليه والعبادة ، فانقطع اليهما ، ولم يرغب فى الدنيا ، وعاد الى بلده ألبيرة، فلزمها الى أن توفى سنة احدى وتسعين ومائتين ، وقيل فى نيف عليها .

---

166) سقط من نسخة (أ) من قوله هنا : « وقد بلغ خمسا وستين سنة » الى قوله بعد ذلك : « سنة سبع وثلاثين ومائتين » وهو نحو من ستين كلمة

167) أ ، ط : ولأحمد بن هانى ــ ك ، م : ولأحمد بن ساجي .

حدث عنه محمد بن فطيس الألبيرى (168) ، وكان يثنى عليه، ويحيى ابن فطر (169) ، وغيرهما .

هـــارون بـــن ســالـــم

قرطبى ، يكنى أبا عمر (170) ، عده ابن دليم فى هذه الطبقة .

قال ابن عبد البر : سمع من عيسى بن دينار ، ويحيى بن يحيى ، ورحل الى المشرق فلقى أشهب ، وروى عنه ، وعن أصبغ ، وعلى بن معبد، وسحنـــــون .

روى عنه عامر بن معاوية القاضى .

وأدخل العتبى من روايته فى المستخرجة ، فى كتاب الأيمان بالطلاق .

وكان منقطع القرين فى الفضل والزهد والعلم .

وكان أحمد بن خالد يقول : انه مجاب الدعوة ، وان دعوته استجيبت فى غير شىء ، فكان بينه وبين ابن خالد قرابة من قبل الأم ، وكان يحفظ المسائل حفظا حسنا ، الا أن العبادة غلبت عليه .

(301) قال ابن أبى دليم : وكان ❊ اذا دخل رمضان قال لزوجه : اطــوى الفراش . فلا ينام على فراش حتى ينسلخ رمضان .

وتوفى فتى حدثا فى الأربعين من سنه ، متقدما لقرنائه ، سنة ثمان وثلاثين ومائتين ــ وكانت كتبه موقوفة (171) عند أحمد بن خالـــــد ــ وسنه أربعون سنة .

وقال ابن وضاح : ما رأيت هنا مثله ، كنت اذا رأيته يصلى رحمته .
قال غيره : كان اذا صلى يرتعد .

وهو خال بنى هلال .

---

168) أ ، م : الألبيري ــ ط : الآبيري
169) أ ، ك ، م : فطر ــ ط : غير واضحة .
170) ك ، م : يكنى أبا عمر ــ أ : يكنى أبا عمرو .
171) م : موقوفة ــ أ ، ك : موقفة .

موسى بن الفرج

قرطبى ، يلقب بالسنجيلة (172) .

روى عن أشهب بن عبد العزيز .

قال ابن خالد : كان فقيها فى المسائل على مذهب مالك .

قال ابن حارث : كان من أهل الفتيا ، وكان أبو صالح يصفه بالفقه .

قال ابن وضاح : أخبرنى سحنون وزيد بن البشر ، أن ابن القاسم دعا عليه ، وقال : لأعرضنه على الله ربى بالبكور والأسحار .

وكان دعاؤه عليه ، من سبب ما مشى بينه وبين أشهب ، حتى أفسد ما بينهما .

هشام بن حبيش

طليطلى ، بضم الحاء المهملة ، وبعدها باء .

كان صاحب رأى ومسائل ، ورحل فسمع من ابن القاسم وأشهب ، وكان من أهل الفتيا والاسماع ، بصيرا بالاعراب ، ذكره ابن حارث .

الفضل بن عميرة وابنه عبد الرحمان

قال أبو سعيد : فضل بن عميرة ، بن راشد ، بن عبد الله ، بن سعيد، ابن شريك ، بن عبد الله ، بن مسلم ، بن نوفل ، بن ربيعة ، بن مالك ، بن مسلم ، الكنانى العتقى ، من أهل تدمير ، يكنى أبا العافية .

قال ابن أبى دليم وغيره : رحل مع ابنه عبد الرحمان ، فحجا ، وسمعا من ابن القاسم ، وابن وهب ، ومطرف ، وابن الماجشون ، وكانا سمعا بالأندلس من يحيى بن مضر وغيره .

وولى الفضل قضاء تدمير ، فى امرة الحكم بن هشام ، الى أن توفى سنة سبع وتسعين ومائة .

---

172) أ : يلقب بالسنجيلة ــ ك : يلقب بالسلحيلة ــ م : يلقب بالشلحيلة .

ثم ولى مكانه القضاء بها ابنه عبد الرحمان ، ويكنى أبا المطرف ، وكان سمع من أبيه ، ومن شيوخ أبيه كما ذكرنـــا .

قال ابن حارث : وكان له طلب وعناية ، وتوفى سنة سبع وعشرين ومائتـــــين .

ولهما عقب فى العلم ، وبيت جليل فى السابقة الى وقتنا .

الـفـرج بـن كنـانـة

قال ابن حارث : هو الفرج بن كنانة ، بن نزار ، بن عثمان ، بن مالك ، الضمرى ، من ولد عمر بن أمية الضمرى الكنانى ، نسبه فى كنانـــة ، ومكتبه (173) فى جند فلسطين ، وكان مسكنه بشذونـــة .

قال ابن عبد البر : كنيته أبو القاسم .

قال ابن حارث : وكان من أهل العلم والعبادة ، وكانت له رحلة الى المشرق ، سمع فيها من عبد الرحمان بن القاسم وغيره من أهل العلم .

قال غيره : وسمع من ابن وهب .

ولاه الحكم بن عبد الرحمان قضاء قرطبة ، سنة ثمان وتسعين ، فكان قاضيها أيام فتنة الربض ، فاستنقذ الله بشفاعته كثيرا .

وتمكن من الأمير فقال له : ان قريشا حاربت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطردته ، وبالغت فى أذاه ، وهو يدعوهم الى الهدى ثم كان من صفحه عنهم لما أظهره الله عليهم ، ما علمت ، وأنت أحق الناس بالاقتداء به ، لمكانك من قرابته ، وخلافة الله فى عباده .

فسكن غضبه ، وبذل لباقيهم الأمان ، على الجلاء عن قرطبة .

وتردد القضاء فى عقبه ببلده مدة طويلة ، ولم يزل القضاء مترددا فى ولده بشذونة .

---

173) كذا فى جميع النسخ الخطية التي بين أيدينا .

قال : وكان الفرج مع فهمه فارسا شجاعا ، يتصرف للسلطان فى قود الخيل (174) ، وسد الثغور وقيادتها .

(302) وقد ولاه الأمير الحكم سرقسطة ، عند انتقاض طاعة بعض أهلها * من العرب ، لمكانه منهم ، فألف كلمتهم ، وصلحت به أحوالهم .

قال ابن عبد البر : كان فارسا شجاعا ، عربيا شريفا ، حكما ، جزلا ، خيرا ، فاضلا ، ولى اثر ابن بشير ، فسلك سبيله ، وكان صلب القناة فى حكومته يعطى طوابعه فى كل أحد من قرابة السلطان ووزرائه ، فلا يرد له طابع .

وولى سنة ثمان وتسعين ، واستعفى سنة مائتين ، فأعفى .

قال ابن أيمن : كان للفرج قدر جليل فى الناس ، ومكان مكين عند السلطان ، وله عقب فاش بشذونه ، ذوو نباهة ، تردد فيهم قضاء بلدهم.

يحيى بن معمر بن عمران بن متيس بن عبيد بن أنيف الالهاني

من العرب الشاميين ، من أهل اشبيلية ، كان منزله بمقرانة (175) .

قال ابن عبد البر : كنيته أبو بكر .

قال ابن حارث : وكان فى وقته فقيه أشبيلية وفارضها ، وله رحلة لقى فيها أشهب بن عبد العزيز وأخذ عنه وعن غيره من أهل العلم ، وكان ورعا زاهدا فاضلا عفا ، مقبلا على عمارة ضيعته .

باب ولايته القضاء وسيرته وفضله

قال ابن حارث : استقدمه الأمير عبد الرحمان بن الحكم ، ليوليه

---

174) ك ، م : فى قود الخيل ـــ أ : فى قود الجيش .

175) أ ، ط : بمقرانة ـــ ك ، م : بمغرانة ـــ ولعل الصواب « مقرينة » وهي قرية فى نطاق اشبيلية ، كما نص على ذلك فى كتاب (المغرب من حلي المغرب) فى فصل بعنوان : « كتاب النسرينة فى حلي مقرينة » ـــ ولم نجد فى معجم البلدان لياقوت الحموي « مغرانة » بالغين ، وانما فيه « مقرانة » بالقاف ، حصن باليمن ، وليست هي المقصودة هنا .

قضاء قرطبة ، فاعتد من خير القضاة فى قصد سيرته وحسن هديه وصلابة قناته ، لا يحفل بلومة لائم .

وكان اذا أشكل عليه أمر من أحكامه ، واختلف عليه فيه الفقهاء ، تأنى به ، وكتب فيه الى مصر الى أصبغ بن الفرج وغيره من نظرائه يكشفهم عنه ، فيجاوبونه بما يعمل عليه ، فكأنه يحقر بذلك فقهاء قرطبة ، فيذمونه، ويتبعون عثراتــــه .

وكان أشدهم عليهه زعيم الجماعة يحيى بن يحيى .

وكانت آفة هذا القاضى ، قلة رضاه عن الفقهاء ، وتتبعه سقطاتهم ، وقلة مداراته لهم ، حتى سجل على سبعة عشر رجلا منهم ، بالسخطة ، فتفرقوا عنه بأجمعهم ، ورفعوا عليه من كل جانب ، وسعوا عليه جهدهم حتى عــزل .

وذكر أنه لما عزل ، وأزمع على الرجوع الى وطنه أشبيلية ، أرسل اليه رجل من الوزراء ــ كانت له به خاصة ــ ولدا له بزوامل (176) وأعوان ، وقال له : عرفه بثباتى على حفظ عهده ، وسله أن يحمل على هذه الزوامل ثقلتــــــه .

فلما أتاه بذلك ، جزاه خيرا على فعله ، وقال له : ادخل حتى ترى مـــا عندنا من الثقلة ، لتقيم العذر فيما رددناه على أبيك من مكرمته .

فاذا بيته خلاء الا من حصير ، وخابية دقيق ، وقصعة ، وقلة للماء ، وقدح ، وفراش بتبن ، وسديدة (177) كان يرقد عليها .

فقال : هذه والله ثقلتى ، والله المحمود على اليسير .

ثم قال لخادمه : فرق الدقيق على من بالباب من الفقراء وادفع الحصير والآنية الى ضعفاء الحومة .

---

176) أ ، ك : بزوامل ــ ط : بزوافل ــ والزوامل الدواب من الابل وغيرها يحمل عليها .

177) أ ، ك : وسديدة ــ ط ، م : وسريرة .

ثم ركب منصرفا الى بلده .

قال ابن وضاح : صليت صلاة الكسوف ، مع ابن معمر فى جامع قرطبة ، سنة ثمان عشرة ومائتين ، فأحسن الصلاة ولم يقم لها ، وطولها ، بدأها ضحى ، وأتمها فى القائلة وقد تجلت الشمس ، وذلك فى الصيف .

بقية أخباره

قال يحيى بن يحيى : لما قام الناس على ابن معمر ، أتانى سعيد بن حسان فقال لى : ما ترى فى شهادتى عليه ؟

قلت : لا تفعل . وانتظر أن تشاور فيه ، فيكون رأيك أنفذ من شهادتك.

فغلبته شهوته وشهد فيه .

فلم أنشب أن أتانى كتاب الأمير يقول لى : تصفحت الشهادات فلم أر فيها شهادتك ، وقد وجهتها اليك لتتصفحها وتكتب برأيك فيها .

فكتبت الى الأمير : ما عندى من أخبار القاضى شىء ، لأنه لم يكن يحضرنى مجلسه ، ولا يشاورنى ، وأما الشهادات عليه فلو وقع * مثلها (303) على مالك والليث ، ما رفعا بعدها رأسا .

فأمسى معزولا .

قال ابن حارث : ثم ولى بعده الأسوار بن عقبة البصرى ، وكان من أهل الخير والتواضع والتحرى ، كان يحمل خبزه الى الفرن بنفسه ، ولما عزل وأريد صرفه ثانية ، أبى ، وقال : لى عيوب كثيرة : ضعف بدنى ، وكبر ولدى .

فقيل له : أو كبر ولدك من العيوب ؟

قال : من أشدها .

فولى يحيى بن معمر ثانية وذلك أن الأمير ورد أشبيلية فشاهد بعض حواشيه يحيى بن معمر فى جنة له ، يستقى الماء بخطارة ، ويسقى

بقل جنانه ، فذكر ذلك للأمير ، فقال الأمير : والله ما أشك فى فضل الرجل وورعه ، وانى لأظن الرافعين عليه ، تألبوا بالباطل .

وأمر من ساعته بتوجيهه الى قرطبة ، فلما قدم ، حلف ألا يستفتى يحيى بن يحيى ، ولا زونان ، ولا سعيد بن حسان .

فبقيت الأحكام معلقة الى مقدم الأمير ، فبلغه ، فأنكر ذلك ،فقال له : قد أقسمت على ذلك ، وفى ألبيرة رجل من أهل العلم والتقدم ، أستغنى به عنهم ، يعنى عبد الملك بن حبيب .

فأقدمه وانفرد بفتياه .

قال ابنأيمن عن عمه (178) : كنت يوما عند ابن معمر ، اذ دخل عليه ابن حبيب ، فلما اتخذ مجلسه قال له : قضية الآن ، أحب أن تنفذ فيها بما أشرت به عليك ، فهو الحق ان شاء الله .

وكان ابن معمر يريد أن يحكم فيها بقول ابن القاسم ، فأفتاه ابـــن حبيب بقول أشهب .

فقال له ابن معمر : والله لا أفعل ، ولا أخالف ما وجدت عليه أهل البلد من العمل على قول ابن القاسم .

فما زال التراجع بينهما حتى قام ابن حبيب مغضبا .

فقلت له : هذا الرجل قد انفرد عن أعدائك (179) ، كأنى به قد صار فى عددهم ، ثم يعزلونك ثانية .

فقال : بالعزل تخوفنى ؟ ليت بغلتى عجزت بى فى سهلة المــدور ، منصرفا الى أشبيلية .

وقد اختلفت الأخبار ، هل مات معزولا أو قاضيا .

---

178) قوله (عن عمه) ساقط من نسخة ــ ط ــ

179) ط : هذا الرجل قد انفرد عن أعدائك ــ أ ، ك ، م : هذا الرجل ابقه على أعــدائك .

قال ابن عبد البر : وكان أول ما ظهر من حذق ابن معمر ، أن تقديمه الى القضاء وافق ليلة فطر ، وأضحى فمشى صبيحتها الى المصلى ليقيم الصلاة ، وكانت الصلاة للقاضى ، وكان ابراهيم يومئذ أمر أن تقام للامام عنزة يصلى اليها ، اذ لم يكن للمصلى يومئذ محراب ، فاذا بأهل النباهة واليقظة من ذوى الهيئات قد احتوشوا العنزة ، ليتعرفوا خطبته ، فلما جاء ورآهم ، فهم الأمر ، فكادهم بأن قال لقومه : انى أرى الناس قد ازدحموا حول العنزة ، فقدموها الى الفضاء ليستوسعوا .

فقدموها ، وطاش أنشاط الناس وأخفاؤهم ، فاصطفوا قربها ، وتثاقل أولو الهيئات عن ذلك ، ومكثوا مكانهم ، فحصل قرب الشيخ من لم تكن عليه منه مئونة ، وقطع بأولائك .

وذكر عن عثمان بن سعيد الزاهد قال : لما احتضر يحيى بن معمر بأشبيلية ، قال لمولى له من أهل الصلاح : أقسم عليك بالله أجل الأقسام ، اذا أنا مت الا ما ذهبت ليحيى بن يحيى ، فقل له : يقول لك ابن معمر : « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » (180) .

ففعل ذلك ، فبكى يحيى وقال : انا لله وانا اليه راجعون ، ما أظنه الا خدعنا فى الشيخ ، وسىء بيننا وبينه .

ثم استغفر الله مليا ، ودعا لـــه .

وذكر ابن حارث أنه ولى القضاء بقرطبة مرتين ، احداهما سنة تسع ومائتين ، والأخرى بعد ذلك .

قال ابن الفرضى : وهو الصحيح .

قال ابن أبى دليم : وتوفى سنة ست وعشرين ومائتين .

---

180) الآية 227 من سورة الشعراء .

طبقة ثانية بعد هؤلاء

(304) ## * فمنهم من أهل المدينة :

ابو الحكم المعروف بالبربري

قال القاضى : اسماعيل بن اسحاق ، أبو اسحاق ، أبو الحكم المدنى ، المعروف بالبربرى ، وكان من أصحاب عبد الملك بن الماجشون ، وكان مشهورا بكنيته (181) .

روى عنه القاضى اسماعيل فى المبسوط ، مسائل من الأحباس ، ثم سأل عنها القاضى ابن أكثم ، عبد الملك بن الماجشون ، فأجابه فيها .

ومن أهل العراق :

يعقوب بن شيبة بن الصلت

ابن عصفور ، بن شداد ، بن هيمان ، السدوسى ، مولاهم ، أبو يوسف .

وقال الخطيب ، عن حفيده أحمد فى نسبه : عصفور بن ميدان ، مولى شداد بن هيمان السدوسى .

قال فى الكتاب ، الحكمى ، وابن حارث : انه كان بارعا فى مذهب مالك، ألف فيه تواليف جديدة ، أخذ ذلك عن ابن المعذل ، وأصبغ بن الفرج ، والحارث بن مسكين ، وسعيد بن أبى زيد ، ولقى جماعة من أصحاب مالك.

قال ابن كامل القاضى : كان من فقهاء البغداديين على قول مالك ، ومن كبار أصحاب أحمد بن المعذل والحرث ، وكان من ذوى السند وكثرة الرواية (182) .

---

181) ك ، م : وكان مشهورا بكنيته — أ ، ط : وكان مشهورا بكتبه .

182) أ ، ط : وكان من ذوي السر وكثرة الرواية — ك : وكان من ذوي السرو وكثرة الرواية — م : غير واضحة — ولعل الصواب ما أثبتناه : « وكان من ذوي السند وكثرة الرواية » . يؤيد ذلك قوله بعد هذا : « ويعقوب هذا أحد أئمة المسلمين وأعلام أهل الحديث المسندين » كما يؤيده كلام كثير فى معناه يأتي فى نفس الترجمة .

ويعقوب هذا أحد أئمة المسلمين ، وأعلام أهل الحديث المسندين ، يروى عن يزيد بن هارون ، ويونس بن محمد ، وهاشم بن القاسم، ويحيى ابن أبى بكير ، وجماعة ممن روى البخارى عن رجل منهم (183) ، فمن دونهم .

قال أبو بكر الخطيب فى تاريخ البغداديين : سمع يعقوب بالبصرة ، على بن عاصم ، ويزيد بن هارون ، وروح بن عبادة ، وعفان بن مسلم ، ويحيى بن عبد الله الأنصارى ، وهاشم بن القاسم ، ويحيى بن أبى بكير ، وأبا الوليد الطيالسى وجماعة ذكرهم .

وروى عنه ابن ابنه ، محمد بن أحمد، ويوسف بن يعقوب بن البهلول .

قال : وكان ثقة ، سكن بغداد ، وحدث بها وبسر من رأى ، ورماه أحمد بن حنبل بهوى وبدعة حين أمر المتوكل بسؤال أحمد عمن يتقلد القضاء فذكر له .

قال الخطيب : انما رماه بذلك لوقوفه فى القرآن .

قال ابن كامل : كان يقف فى القرآن ، وقرأت بخط الحكم — والله أعلم — أن يعقوب كان ممن يقف فى القرآن .

قال القاضى : لعل وقوفه فيه تقية ، أو سكوتا عن الكلام فيما لم يتكلم فيه السلف ، مع اعتقاده الحق ، والله أعلم .

قال ابن كامل : وكان لا يغير شيبه .

قال ابن عبد البر : يعقوب أحد أئمة الحديث ، وصنف مسندا معللا ، الا أنه لم يتمه .

قال الأزهرى : سمعت الشيوخ يقولون : انه لم يتم مسند معلل قط .

قال عبد الغنى بن سعيد : لم يتكلم أحد على علل الحديث بمثل كلام يعقوب ، وعلى بن المدينى ، والدارقطنى .

---

(183) ط : منهم — ا ، ك ، م : عنهم .

قال شيخنا أبو على القاضى : وكان أبو عبد الله محمد بن أبى نصر الحميرى يقول : لو وجد كلام يعقوب على أبواب الحمامات ، للزم أن يقرأ ويكتب ، فكيف ويوجد بسند لا مثل له ، اعجابا بكلامه .

وقد ذكر الخطيب عن الدارقطنى ، وأبى عمر بن حيوة ، أنهما قالا : لو كان كتاب يعقوب على حمام سطورا ، لوجب أن يكتب .

وذكر عن الأزهرى : أنه بلغه ، أنه كان فى منزل يعقوب ، أربعـــون لحافا معدة لمن يبيت عنده من الوراقين لتبييض كتابه ونقله ، ولزمه على ما خرج منه عشرة آلاف دينار .

قال : وقيل لى : ان مسند أبى هريرة منه ، وجد بمصر فى مائتى جزء.

قال الخطيب : والذى ظهر منه ، مسند العشرة ، وابن مسعـــــود ، وعمار ، وعتبة بن غزوان ، والعباس ، وبعض الموالى ، هذا الذى رأينا من مسنده ، حسب .

(305) قال الباجى ✽ : وقد كان وقع لشيخنا القاضى أبى على منه قطعـــة صالحـــــة .

✽
✽ ✽

قال يوسف بن اسحاق بن بهلول : قال يعقوب بن شيبة : أظل عيد من الاعياد رجلا ، وعنده مائة دينار لا يملك سواها .

فكتب اليه أخ يخبره أن العيد أظله ، ولا شىء عنده ينفقه علـــى الصبيان ، ويستدعى منه نفقة .

فوجه المائة اليه فى صرة قد ختمها .

فلم يكن حتى كتب أخ آخر الى ذلك الرجل ، يشكو له مثل شكواه هو للأول ، ويستدعى مثل ما استدعاه .

فوجه الصرة اليه بختمها ، وبقى الأول بلا شىء .

فكتب الى صديق له ، يستدعى منه نفقة ، ويذكر اضاقته (184)، فاذا به الثالث الذى عنده الصرة .

فوجه بها اليه فعادت للأول بختمها ، فعرفها ، واستراب شأنها .

فركب اليه ومعه الصرة ، وسأله عن شأنها ، فأخبره أنها وصلت اليه من صديقه فلان ، بعد ما استدعيت منه ما أنفقه، فلما وردت رقعتك، آثرتك بهـــا .

فقال له : قم بنا اليـــه .

فركبا جميعا الى الثانى ، ومعهما الصرة . فتواصفوا الحديث ، ثـم فتحوها فاقتسموها أثلاثا .

قال يوسف : والثلاثة : يعقوب بن شيبة ، وأبو حسان الزيـــادى ، وفلان سمـــاه .

وقد تقدم شبه هذه القصة للواقدى فى أخباره .

***

قال يعقوب : سألت أبا عمرو ، يعنى الحارث بن مسكين ، عن المراكب فى البحر ينفق عليها السلطان ، ويحمل فيها ما يكفى لمن يركب فيها ، مما يأكلون الى أن يرجعوا ، أترى للمطوعة أن يركبوها ؟

فكأنه كرهه ولم يعجبه .

وسألته عن مبايعة الجند والسلطان ، فكره ذلك للطعام والشـــراب وغير ذلك ، وأن يجلب الى عسكرهم شىء .

قال : الا أن يخرجوا فى غزو ، فأرجو ألا يكون بأس بمبايعتهـــم فى وجههـــم .

---

184) أ ، ط : اضافته ــ ك : اصانته ــ م : غير واضحة ــ ولعل الصواب مـــا أثبتناه (اضاقته) يقال : أضاق الرجل اضاقة بمعنى ، افتقر .

قال : وسألته عما أخرج السلطان مباحا للناس ، كالجسور والقناطير، والماء يوضع فى الطريق للشرب ، وشبهه .

فقال : أما ما لا يجد الرجل منه بدا ، كالمساجد الجامعة ، والجسور ، وشبهها ، فلا بأس به ، وقد يبسطون فى المساجد ، ويسرجون القناديل ، وأما ما وجد منه بدا ، فلا .

وتوفى فى ربيع الأول ، سنة اثنين وستين ومائتين .

مولده سنة اثنين وثمانين ومائة ، مع ابن عبد الحكم فى سنة واحدة .

وقال ابن عبد البر : مولده سنة أربع وثمانين .

ابو اسحاق ابراهيم بن محمد بن حمزة

النيسابورى ، المعروف بالقطان .

وكان من فقهاء المالكية ، وأئمة الخراسانيين فيهم ، ودرس المذهب بنيسابور ، وهو آخر من درس بها مذهب مالك رحمه الله ، ذكر ذلك أبو نصر بن ماكولا الحافظ .

قال : وتفقه بعبد الله بن عبد الحكم ، وسمع أبا عبد الله بن أخى ابن وهب ، ويونس بن عبد الأعلى ، وأحمد بن منيع ومحمد بن رافع .

وتوفى سنة تسع وتسعين ومائتين .

ومن أهل مصر :

أبو اسحاق البرقي

واسمه ابراهيم بن عبد الرحمان بن عمرو ، بن أبى الفياض ، مولى زهير .

قال عبد الله بن محمد بن أبى دليم القاضى : كان صاحب حلقة أصبغ، معدودا فى فقهاء مصر ، يروى عن أشهب ، وابن وهب ، وقد أخذ عن البرقى الناس بمصر (185) .

---

185) سقط من نسخة ط من قوله « يروي عن أشهب » الى قوله هنا « بمصر » .

وروى عنه يحيى بن عمر .

قال أبو عياش القروى : كنا عند البرقى بمصر ، فامتنع علينا من اسماع بعض ما سألناه ، فقلت لأصحابى : دعونا من هذا ، فقد تركنا خلفنا من يكفينا من الناس كلهم .

قال : من هو ؟

قلت : سحنون .

فلم ينكر ذلك .

وله مجالس ، وسماع كتب من أشهب ، حملت عنه .

قال ابن أبى دليم : وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين .

ذكر بني عبد الله بن عبد الحكم

وهم أربعة ، قد قدمنا ذكر أبيهم ، وجدهم ، ونسبهم وهم : عبد الحكم ، وعبد الرحمن ، وسعد ، ومحمد .

قال ابن حارث : وكانوا بمصر أربعة اخوة فقهاء علماء ، بنو عبد الله ابن عبد الحكم .

فأما :

عبد الحكم بن عبد الله أبو عثمان

فكان أكبر بنى عبد الله

قال ابن أبى دليم وابن حارث : ولم يكن فيهم أفقه منه ، ولا أجود خطا ، وكان خيرا فاضلا ، له سماع كثير من أبيه ، وابن وهب ، وغيرهما من رواة مالك ، وكان من أكابر أصحاب ابن وهب .

قال الكندى : كان فقيها .

قال أبو الطاهر : لم يكن فى أصحاب ابن وهب ، أتقى منه ولا أجود خطا .

حدث عنه الرمادى (186) .

وتوفى (187) بمصر فى سجن يزيد التركى وعذابه ، سنة سبع وثلاثين ومائتين .

قال زكرياء بن يحيى بن الحكم : شهدت يحيى بن عبد الحكم ، بن عبد الله بن عبد الحكم ، نقال لى أبوه : تحضر طعام ابن أخيك .

فأتى بثريدة ، فأكلنا ، ثم أتى بجفنة بطيخ (188) ، وكان عبد الحكم، هو الذى يخدمنا ويوضينا ، وكذلك كان طعامه للناس ، ووجه الى المساجد التى حوله فى صلاة المغرب ، لكل مسجد بثريدة ، وجفنة بطيخ .

ذكر محنته

كان القاضى بمصر ، ابن أبى الليث الأصم — وكان معتزليا — قد امتحن بنى عبد الحكم ، مع سائر الفقهاء وأهل الفضل ، فى القرآن ، كما قدمنا .

ثم وردت على الأصم كتب من العراق ، فى استخراج مال الجداوى (189) من عند بنى عبد الله بن عبد الحكم وغيرهم ، فشهد جماعة بذلك ، وشهد لبنى عبد الحكم آخرون ، أن الجداوى أبرأهم .

فتحامل عليهم ابن أبى الليث ، وحكم على بنى عبد الحكم بألف ألف دينار ، وأربعمائة ألف ، وأربعة آلاف دينار ، وحكم على زكرياء بن يحيى كاتب العمرى بثمانية آلاف ، وألزمهم المال .

---

186) أ ، ط : الرمادي ، وكذلك فى الديباج فى ترجمة عبد الحكم بن عبد الله ، ص 166 — ك ، م : الزيادي .

187) كلمة (وتوفى) ساقطة من نسختي أ — ط ثابتة فى نسختي ك ، م .

188) أ ، ط ، م : بجفنة بطيخ — ك : بحفنة بطيخ .

189) أ ، ط : الحروى — ك ، م : الجروي — وكل ذلك تحريف فيما يظهر ، ولعل الصواب ما أثبتناه (الجداوي) وهو علي بن عبد العزيز الجداوي الذي كان واليا وقائدا عسكريا على مصر — انظر مقدمة كتاب (فتوح مصر والمغرب) لعبد الرحمان بن عبد الحكم ، تحقيق عبد المنعم عامر ، وطبع لجنة البيان العربي .

ودفع القصة الى يزيد التركى ، الموجه فى المال من قبل المتوكل ، فألزم المال بنى عبد الحكم ، وشدد عليهم ، وسجنهم .

فعذب عبد الحكم بن عبد الله ، حتى مات فى عذابه ، لأربع بقين من جمادى الأولى ، سنة سبع وثلاثين .

واستصفيت أموال بنى عبد الحكم وأصحابهم ، ونهبت منازلهم ، وملئت السجون من الناس ، الى أن ورد كتاب المتوكل باخراجهم من السجن ، ورد أموالهم اليهم ، وسجن الأصم القاضى .

وقد كان قبل هذا ورد كتابه بسجنه ، وسجن أصحابه ، واستصفاء أموالهم ، ولعنه على المنبر ، فلعن ، ولعنته العامة على اثر ذلك ، ثم أخرج من السجن ، لينظر فى أمر بنى عبد الحكم . فوضع يده على بيت المال، فبدده ووهبه (190) وكان نحو مائة ألف وعشرين ألفا ، ودفع الى كل واحد من الذين سجنوا معه العشرة آلاف ونحوها ، فأمر المتوكل بسجنه ، وأمر بحلق رأسه ولحيته ، وضربه بالسوط ، وحمله على حمار باكاف ، وتطوافه بالفسطاط ، ففعل ذلك كله به ، حكى ذلك أبو عمر الكندى فى كتاب الموالى ، وفى كتاب القضاة .

وذكر غيره ، أن موت عبد الحكم انما كان بسبب المحنة فى القرآن ، وأنه دخن عليه بالكبريت حتى مات .

وقال المالكى : امتحنه الأصم وابن أبى داود (191) ، فلم يرجع ، فضرب فى مسجد مصر أقل من ثلاثين سوطا فى غلالة .

اخوه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم

أبو عبد الله ، سمع من أبيه ، وابن وهب ، وأشهب ، وابن القاسم ، وشعيب بن الليث ، وغيرهم من أصحاب مالك ، وصحب الشافعى وكتب عنه ، وأخذ عنه ، كان أبوه جمعه اليه ، وأمره أن يعول عليه وعلى (307) ✱ أشهب ، وكان محمد أقعد الناس فهما .

---

190) أ ، ط : فبدده ووهبه — ك ، فبدره ووهنه .

191) أ ، ط : وابن أبي داود — ك ، م : وابن أبي الجواد .

ويروى عن ابن أبى فديك وأنس بن عياض ، وشعيب بن الليث ، وبشر بن بكر ، وحرملة بن عبد العزيز ، واسحاق بن الفرات ، وخالد بن عبد الرحمان الخراسانى ، وأيوب بن سويد .

روى عنه أبو بكر النيسابورى ، وابراهيم بن محمد الحلوانى ، وأبو حاتم الرازى ، وابنه عبد الرحمان ، وأبو بكر الأصم ، وأبو اسحاق بن خزيمة ، وعيسى بن مسكين ، وسعيد بن اسحاق ، وعمر بن يوسف الأشبيلى ، وعمر بن حفص بن غالب ، ومحمد بن فطيس ، وعبد الله بن خالد الفارسى ، وأبو جعفر الطبرى ، ومحمد بن الربيع الجيزى ، وسعد بن معاذ .

ذكر مكانه من العلم والفضل

قال ابن حارث : كان من العلماء الفقهاء ، مبرزا من أهل النظر والمناظرة والحجة فيما يتكلم فيه ويتقلده من مذهبه ، واليه كانت الرحلة من المغرب فى العلم والفقه من الأندلس .

قال أبو عمر بن عبد البر : كان فقيها ، نبيلا ، جليلا وجيها فى زمانه.

وحكى أن ابن القاسم قال فيه : (ان قبل محمد لعلما) (192) وهذا يبعد ، لما نذكره .

قال الشيرازى : اليه انتهت الرئاسة بمصر .

قال ابن أبى دليم : كان فقيه مصر فى عصره على مذهب مالك ، وصحب الشافعى فرسخ فى مذهبه ، وربما تخير قوله ، عند ظهور الحجة له ، وكانت له مناظرة فى الفقه .

قال الكندى : كان أفقه أهل زمانه ، واليه انتهت الفتيا بمصر ، وناظره ابن ملول صاحب سحنون ، فقال لمن معه : صاحبكم أعلم من سحنون .

---

192) وردت هذه العبارة فى نسختي أ ، ط كما يلي : (ان قبل محمد لعلما) وكذلك وردت فى الديباج المذهب لابن فرحون . ص 231 — ووردت فى نسختي ك ، م : كما يلي (ان قيل بحر العلم فهذا) .

قال سعيد بن عثمان : محمد بن عبد الحكم ثقة فاضل عالم ، رأيتــه بمصر يركب حمارا قصيرا حقيرا منتوف الذنب ، ويقول بنفسه : (الطريق الطريق) ويروح الى الجمعة بقميص مرقوع بين كتفيه ، ولو شاء لبــس أرفع الثياب ، وركب أفره الدواب ، لسعة ماله ــ وذكر من فضله وتواضعه.

قال ابن أبى حاتم : هو صدوق ثقة .

وسئل النسائى عنه فقال : هو أظرف ــ أو أنظف ــ من أن يكذب .

قال محمد بن فطيس الألبيرى : لقيت فى رحلتى نحو مائتى شيخ ، ما رأيت فيهم مثل محمد بن عبد الحكم .

قال أبو عمر الصدفى : ورأيت أنا أهل مصر لا يعدلون به أحــدا ، ويصفونه بالفضل والعلم والتواضع ، ووجدت حلقته قائمة بجامع مصر ، قد جلس فيها ابن رمضان (193) .

وذكر الخطيب فى تاريخ البغداديين ، عن أخيه سعد بن عبد الله : كان الشافعى يأتى راكبا الى الباب ، يعنى باب بنى عبد الحكم ، فيقول : ثم محمــــد ؟

فيدعوه ، فيذهب معه الى منزله ، فيقيل عنده .

قال أبو بكر بن خزيمة : وهم أربعة اخوة . فسماهم . قال : ولم ندرك نحن منهم الا اثنين ، يعنى محمدا وسعدا .

قال : ومحمد أعظم من رأيت فى مذهب مالك ، وأحفظهم له ، وسمعته يقول : كنت أتعجب ممن يقول فى المسائل : (لا أدرى) . فأما الآثار فلم تكن بحفظه . وكان أعبدهم وأكثرهم اجتهادا وصلابة ، سعد .

وكان محمد من أصحاب الشافعى وممن يتعلم منه ، وله تواليــف كثيرة فى فنون العلم ، والرد على المخالفين ، كلها حسان ككتاب أحكـــام القرآن ، وكتاب الوثائق والشروط ، وكتاب مجالسه ، أربعة ، وكتاب الرد

---

(193) أ ، ط : ابن رمضان ــ م : ابن مضر ــ ك : ابن رمضر .

على الشافعى فيما خالف فيه الكتاب والسنة ، وكتاب الرد على أهل العراق، وكتابه الذى زاد فيه على مختصر أبيه ، وكتاب أدب القضاة، وكتاب الدعوى والبينات ، وكتاب اختصار كتب أشهب ، وكتاب السبق والرمى ، وكتاب الرد على بشر المريسى ، وكتاب العوم ❋ ، وكتاب الكفالة، وكتاب الرجوع عن الشهادات وكتاب المولدات . (308)

قال ابن حارث : وأراها مؤلفة عليه لأنها مسائل منثورة لم تضم لباب كالأسمعة .

ذكر أخباره

ذكر أبو اسحاق الشيرازى محمدا فى الشافعية ، ولم يذكره فى المالكية، ولا أدرى لم فعل هذا ؟ والتزامه لمذهب مالك وامامته فيه مشهورة، وتواليفه على مذهبه والرد على الشافعى وغيره معروفة ، مع أن غيره من أصحاب الشافعى ، يذكرون أنه كان أولا من أصحاب الشافعى ، وأنه رجع عنه آخرا ، ويذكرون لذلك سببا .

فذكر أبو حامد الطوسى الغزالى فى كتاب آداب الصحبة له ، أن سبب ذلك ، أن أصحاب الشافعى سألوا الشافعى فى مرضه : لمن يجتمعون اليه بعده ؟ فتطاول اليها ابن عبد الحكم ، وكان من أحب الناس الى الشافعى وأخصهم به ، فحضهم الشافعى على البويطى ، فانكسر لها ابن عبد الحكم وانحرف عند ذلك عن رأى الشافعى ، ورجع الى مذهب أبيه .

وهذا كله ظن منه ، والا فقد عرف درس ابن عبد الحكم لمذهب أبيه عليه ، وعلى أصحابه ، أكثر من درسه لمذهب الشافعى ، بل انه صحب الشافعى واستفاد منه ، واختص به .

وذكر أنه زار الشافعى فى مرضه ، فأنشد الشافعى :

مرض الحبيب فعدته   فمرضت من حذرى عليه
وأتى الحبيب يعودنى   فبرئت من نظرى اليه

وذكر أبو عمر الصدفى عن محمد : أن أباه قال له : الزم هذا الرجل – يعنى الشافعى – فانه كثير الحجج ، فليس بينك وبين أن تقول (قال ابن القاسم) فيضحك منك ، الا أن تخرج من هذا البلد الى غيره .

فكان كما قال : ما هو الا أن خرجت للعراق ، فتكلمنا فى مسألة ، فقلت لابن أبى داود : من يقول بقولك أنت ؟

قال : أبو يوسف .

وقلت أنا : قال ابن القاسم .

فقال لى : من ابن القاسم ؟

قلت : رجل يقال بقوله من مصر الى مغرب الشمس .

فكأنه اهتم حيث لم يعرفه .

فقال له كاتب لابن أكثم : هو من عبادهم وفقهائهم ؟

قال البلخى أبو عبد الله : كنت يوما عند محمد بن الحكم ، اذ خرج له صبى صغير عليه حلية ذهب ، فقلت : ما هذا ؟

فقال : انه صبى .

فقلت له : ان لم يكن متعبدا فى نفسه ، فأنت متعبد فيه ، بـأن لا تسقيه خمرا ، ولا تطعمه خنزيرا .

فقال : انه من فعل النساء ، يعنى أنهن فعلنه بجهلهن من غير أمره .

قال محمد بن عبد الحكم : قلت للشافعى : لأى شىء أخذتم أنه اذا مسح الانسان بعض رأسه وترك بعضه ، أنه يجزيه ؟

قال : من سبب الباء الزائدة . قال الله تعالى : وامسحوا برؤسكم) (194) ولم يقل رؤسكم .

---

194) الآية 6 من سورة المائدة .

قلت له : فأى شىء ترى فى التيمم اذا مسح الانسان بعض وجهه وترك بعضا ؟

قال : لا يجزيه .

قلت : لم ؟ وقد قال الله تعالى : (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) (195) .

فسكت .

وكان محمد يقول : التوقر فى الزهد ، مثل التبذل فى الحفلة .

قال بعضهم : أنشد محمد بن عبد الحكم :

لما عفوت ولم أحقد على أحد	أرحت نفسى من غم العداوات
انى أحيى عدوى حين رؤيته	لأدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشر للانسان أبغضه	كأنما ملء قلبى من محبات
ولست أسلم ممن لست أعرفه	فكيف أسلم من أهل المودات

وقد ذكر أبو بكر بن خزيمة ، قال : جرت بين محمد وبين البويطى وحشة ، فى مرض الشافعى الذى ❊ مات منه ، فتنازعا مجلس الشافعى ، كل واحد منهما يقول : أنا أحق بمجلسه منك .

(309

فجاء الحميدى فقال : قال الشافعى : ليس أحد أحق بمجلسى من يوسف — يعنى البويطى — فكذبه ابن عبد الحكم ، فرد عليه الحميدى ، فغضب ابن عبد الحكم ، وترك مجلس الشافعى ، وتقدم فجلس فى الطاق الثالث .

قال سعيد بن معاذ : حضرت محمد بن عبد الحكم ، يفتى فى المشى الى مكة بكفارة يمين ، وحكى ذلك عن ابن القاسم أنه أفتى به ابنه .

وذكر عنه أن قوما استشاروه فى الحج أو الجلوس الى السماع ، فأشار على بعضهم بالحج ، وبعضهم بالجلوس ، فسأله عن ذلك ، الذى أمره بالحج .

---

195) الآية 6 من سورة المائدة .

فقال : رأيت عند أصحابك فهما ، ورأيتك بخلافهم ولهذا الأمـــر فرســـان .

قال : انى ذاكرت الشافعى يوما بحديث وأنا غلام ، فقال : مـــن حدثك ؟

قلت : أنت .

فقال : فى أى كتاب ؟

قلت : فى كتاب كذا .

فقال : ما حدثتك به من شىء فهو كما حدثتك ، واياك والرواية عن الاحياء (196) .

وسئل محمد : هل للجن جزاء فى الآخرة على قدر أعمالهم ؟

قال : نعم . قال الله تعالى : (ولكل درجات مما عملوا) (197) .

وسئل محمد بن عبد الحكم : كيف يعزى الرجل المسلـم فى أمـــه النصرانية .

فقال : يقال له : الحمد لله على ما قضى ، قد كنا نحب أن تموت على الأســـلام ويسرك الله بذلك .

وسئل أيضا : عن مثل هذا فى القريب النصرانى يموت للمسلم : كيف يعزى عنه ؟

فقال : يقول : ان الله كتب الموت على خلقه ، والموت حتم على الخلق كلهـــم .

محـــنتـــه

قال القاضى أبو الفضل عياض رضى الله عنه : قد تقدم ما جرى عليهم فى (محنته) فى خبر مال الجداوى .

---

196) م : واياك والرواية عن الاحياء ــ أ ، ط : واياك والرواية عن الاجباء .
197) الآية 132 من سورة الانعام ــ والآية 19 من سورة الاحقاف .

وأما محنته فى القرآن ، فذكر أبو اسحاق الشيرازى ، أنه حمل فى المحنة بالقرآن الى بغداد ، الى ابن أبى داود ، ولم يجب الى ما طلب منه ، فرد الى مصر .

وقال غيره : ذكر أنه ضرب فى ذلك ، وأدخل الكبريت تحت ثيابه ، وأوقد على جوانب ثيابه (198) ، فاحترقت ثيابه فتنحوا عنه ، فهرب واستتر فى دار امرأة .

وقيل انه علق ودخن من تحته .

قال أبو عمر الكندى : لما أمر الواثق الناس بالمحنة فى القرآن ، ورد كتابه الى أبى بكر الأصم ، قاضى مصر ، بأخذ الناس بذلك ، فلم يبق فقيه، ولا مؤذن ، ولا معلم . الا أخذ بها ، فهرب كثير من الناس ، وملئت السجون ممن أنكرها ، وأمر القاضى أن يكتب (المخلوق) على أبواب المساجد .

فذكر بعضهم أنه رأى مطرا ، غلام الأصم ، يسوق هارون الأيلى بعمامته ، وهى فى عنقه ، وطيلسانه تحت عضده ، وهارون ينادى على نفسه بالمخلوق ، حتى أخرجه من المسجد ، وطاف به الطرق كلها كذلك .

وأتى مطر الى محمد بن عبد الحكم ، فأخذ برجله ، فوثب محمد ، فلما هم مطر أن يتناول قلنسوته ، بادر محمد فجعلها فى كمه ، فأطافه مطر ، وهو ينادى بالمخلوق ، فمضى به على حلقة المعتزلة ، فقالوا له : الحمد لله الذى هداك يا أبا عبد الله .

ففى هذا يقول الجمل المصرى من قصيدة ، يمدح الأصم :

ومحمد الحكمى أنت أطفته ... وأخاه ، ينعق بالصياح الأجهر
كل ينادى بالقران وخلقه ... فشهرتهم بمقالة لم تشهر
أعطتك ألسنة أتتك ضميرها ... وأتتك ألسنة بما لم تضمر

198) سقط من نسخة ط قوله : وأوقد على جوانب ثيابه .

وفـــاتـــــه

توفى فى ذى القعدة ، منتصفه ، سنة ثمان وستين ومائتين ، وقيل سنة تســـع .

مولده منتصف ذى الحجة ، سنة اثنين وثمانين ومائة .

(310) فيأتى أن سماعه من ابن القاسم ❋ كان وهو ابن تسعة أعوام ، لأن وفاة ابن القاسم فى صفر ، سنة احدى وتسعين ومائة ، ومن ابن وهب ، وهو ابن بضعة عشر عاما ، رحمه الله ، وهذا يضعف ما تقدم فيما حكى أن ابن القاسم قال فيه : (وان قبل محمد لعلما) فيبعد أن يقال ذلك لمن هو فى هذا السن جملة ، ولعل ابن القاسم ، انما قاله لأبيه عبد الله ، فقد روى عنه كثيرا ، أو أخيهم عبد الحكم ، والله أعلـــم .

أخوهما عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم

أبو القاسم . روى عن أبيه ، وعن ابن الماجشـــون ، وابن بكيــر ، والقعنبى ، وعن جماعة من أصحاب مالك ، وعن شعيب بن الليث ، وزيد بن الحسن ، وعبد الله بن صالح ، وسعيد بن عفير ، وعبد الله بن يزيد المقرى، وعن يونس بن يحيى بن نباتة ، وادريس بن يحيى الخولانى ، ووهب الله ابن راشد ، وأسد بن موسى ، وطلق بن السمح ، وهانى بن المتوكل .

كتب عنه أبو جعفر الطبرى ، وأبو عبد الله الحميدى ، وأبو حاتــم بمصر ، وفتح بن شحدب (199) .

وروى عنه أحمد بن بشير الدمشقى ، وعيسى بن مسكين ، وابراهيم ابن أبى روح .

وله كتاب (فتوح مصر) رواه عنه على بن قديد (200) .

قال الكندى : كان فقيها ، والأغلب عليه الحديث والأخبار .

---

199) أ ، ط : شحدب — ك : محدب — م : غير واضحة .

200) أ : قديد — ك ، م قرير — ط : بياض — وهو أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف بن قديد الأزدي — وانظر فى روايته لكتاب (فتوح مصر) لعبد الرحمان ابن عبد الحكم ، المقدمة التي كتبها للكتاب المذكور محققه عبد المنعم عامر .

وله كتاب آخر ، رواه عنه عيسى بن مسكين .

قال عبد الرحمان بن عبد الحكم : لما رميت جمرة العقبة قبل أن أفيض، دعوت بدهن (201) فمسست منه ، فقال لى أبى : ما تصنع ؟

قلت : أدهن به . فسكت .

واتبع عبد الرحمان فى ذلك حديث عائشة رضى الله عنها : « كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا محرمة قبل أن يحرم ، ويحله قبل أن يطوف بالبيت » .

فقيل لمحمد أخيه : أتقول بهذا الحديث ؟

فقال : والله انى أعظم ألا أقول (202) .

قال ابن أبى دليم : توفى فى محرم ، سنة سبع وخمسين ومائتين .

قال أبو زرعة الرازى : هو رجل صالح ، من أفاضل المسلمين .

قال عبد الرحمان بن أبى حاتم : عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم ، يقال انه من الأبدال (203) ، وهو صدوق .

أخوهم أبو عمر سعد بن عبد الله بن عبد الحكم

يروى عن وهب بن راشد ، ويحيى بن حسان التنيسى ، وابن نافع ، وعبد الملك بن الماجشون ، وعلى بن جعفر بن محمد ، وآدم بن أبى اياس العسقلانى ، وجل روايته عن أبيه ، وهو أصغرهم ، وكان من علماء هذه الطبقة .

قال الكندى : كان فاضلا .

قال أبو حاتم : هو صدوق .

---

(201) ط : دعوت بدهن — أ ، ك ، م : دعوت ببان .

(202) أ ، ط : والله اني أعظم ألا أقول — ك ، م : والله اني لأعظم ان اقول .

(203) يقال : رجل بدل بكسر الباء وسكون الدال ، وبدل بفتحتين ، بمعنى كريم شريف ، ج — أبدال وبدلاء .

قال أبو بكر بن خزيمة : كان أعبدهم وأكثرهم اجتهادا وصلاة ، وسمع منه .

وتوفى فى رجب ، سنة ثمان وستين ومائتين ، وهى السنة التى توفى فيها أخوه محمد . كذا قال ابن أبى دليم .

وقال ابن شعبان : توفى قبل أخيه محمد بستة أشهر .

وحكى أبو عمر الصدفى عن النسائى قال : سعد أقدم موتا من أخيه محمد . وكان موسى بن هارون الجمال (204) ينتحب عليه .

وروى عنه محمد بن القاسم المصرى ، وابراهيم بن محمد الحلوانى ، وابن أبى حاتم ، وأبو بكر بن خزيمة ، ومحمد بن الربيع ، وعمر بن حفص بن غانم .

مولده سنة احدى وتسعين ومائة .

محمد بن ابرهيم بن زياد الاسكندراني المعروف بابن المواز

قال أبو اسحاق الشيرازى : تفقه بابن الماجشون ، وابن عبد الحكم ، واعتمد على أصبغ ، وروى محمد أيضا عن ابن بكير ، وأبى زيد بن أبى الغمر ، والحرث بن مسكين ، ونعيم بن حماد .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : وقرأت فى كتاب القاضى ابن أبى دليم ، أنه روى عن ابن القاسم وابن وهب ، وأن مولده فى رجب سنة ثمانين * (311) ومائة ، فان صح ، فانما روى عن ابن القاسم صغيرا ، كما ذكرنا فى محمد ابن عبد الحكم ، والله أعلم .

قال الشيرازى : والمعول بمصر ، على قوله .

قال ابن حارث : كان راسخا فى الفقه والفتيا ، علما فى ذلك .

---

204) أ ، ط : الجمال — ك ، م : الحمال .

قال الشيرازى : وطلب فى المحنة بالقرآن ، فخرج هاربا الى الشام ، فلزم حصنا بها الى أن مات .

قال أبو الغصن السوسى : كنت ربما أقول لمحمد بن عبد الحكم : (قال سحنون فى هذه المسألة كذا وأنكر كذا) فيتلقى ذلك بالقبول ، ويعظم سحنون ويترحم عليه .

قال: وكان ابن المواز لا يتلقى ذلك بالقبول، ويقول لى : من هنا (205) خرج العلم ، ومن عندنا أتاكم العلم . ومثل هذا من القول .

*
* *

وذكر أبو عمر الكندى، أن سبب خروجه أن المعتمد، لما خرج للاجتماع بابن طولون أمير مصر ، فخرج أبو أحمد الموفق ، أخوه ، يريد صرف المعتمد عن طريقه ، ورده الى سر من رأى ، ووكل به، فبلغ ذلك ابن طولون بعد خروجه ، فانصرف الى دمشق ، وكتب الى جميع أعماله (206) باحضار الفقهاء والقضاة والأشراف ، وكتب اليهم بما جرى من قضية المعتمد ، وأنه فى حال المأسور ، وأنه يبكى .

وقام الخطيب بمصر يذكر ذلك يوم الجمعة ، وما نيل من الخليفة ، وقال : اللهم اكفه من حصره وظلمه .

وخرج من مصر ، بكار بن قتيبة القاضى ، ومنهال بن حبيب ، واسحاق بن محمد بن معمر ، وابراهيم المهلبى ، وفهد بن موسى ، ومحمد ابن المواز ، وعلى بن محمد بن عبد الحكم ، وآخرون .

فلما اجتمع الناس بدمشق ، أمر ابن طولون بالكتاب فى خلع أبى أحمد الموفق من ولاية العهد ، لمخالفة الخليفة وحصره ، وأنه قد وجب جهاده على الأمة ، وشهد فى ذلك جميع من حضر ، الا بكار بن قتيبة ، وابن المواز ، وفهد بن موسى .

---

205) أ : من هنا — ط ، ك ، م : من هذا .
206) أ ، ط : أعماله — ك ، م : عماله .

فقال بكار : لم يصح عندى ما فعله أبو أحمد .

وذلك سنة تسع وستين ومائتين .

*
* *

وله كتابه المشهور الكبير ، وهو أجل كتاب ألفه قدماء المالكيين ، وأصحه مسائل ، وأبسطه كلاما وأوعبه . وذكره أبو الحسن القابسى ، ورجحه على سائر الأمهات . وقال : لأن صاحبه قصد الى بناء فروع أصحاب المذهب على أصولهم فى تصنيفه ، وغيره انما قصد لجمع الروايات ونقل منصوص السماعات ، ومنهم من تنقل عنه الاختيارات فى شروحات أفردها ، وجوابات لمسائل سئل عنها ، ومنهم من كان قصده الذب عن المذهب فيما فيه الخلاف ، الا ابن حبيب فانه قصد الى بناء المذهب على معان تأدت اليه ، وربما قنع بنص الروايات على ما فيها .

وفى هذا الكتاب جزء تكلم فيه على الشافعى وعلى أهل العراق بمسائل من أحسن كلام وأنبله ، وهو من رواية ابن ميسر ، وابن أبى مطر عنه .

وفى بعض النسخ زيادة كتب على غيرها .

ونقص من أصل الديوان كتب ، منها الصلاة والطهارة ، الا أن له فى الصلاة كتابا ، فيه من أبواب السهو ، وقضاء الصلاة اذا نسيت ، وصلاة السفر .

وله كتاب الوقوف (207) ، وأن الكتاب رواه بكماله قوم من أهل تادمكة (208) .

---

207) ك ، م : كتاب الوقوف وكذلك فى الديباج ــ أ ، ط : الوقوت .

208) فى الديباج (وله كتاب الوقوف ، ذكر أنها ذهبت فى الغارة ، وأن الكتاب رواه بكماله قوم من أهل تادمكة) ــ وليس فى جميع النسخ الخطية التي بين أيدينا من المدارك عبارة (ذكر أنها ذهبت فى الغارة) مع أن السياق يقتضيها أو شيئا من قبلها ــ وقد ورد فى نسختي أ ، ط (تادمكة) وفى نسختي ك ، م : (مكة) .

وتوفى فيما قاله ابن حارث ، وابن أبى دليم بدمشق ، لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة ، سنة تسع وستين ومائتين .

وقال غيرهما : سنة احدى وثمانين .

ومولده سنة ثمانين ومائة .

قال ابن أبى مطر : ومولده فى رجب من سنة ثمانين ومائة .

محمد بن سلمة بن عبد الله بن أبي فاطمة

ابن الحارث ، مولى مراد .

(312) قال الكندى : كان فقيها ❋ ، روى عن ابن وهب وابن القاسم ، وكان يكتب للحرث بن مسكين فى قضائه .

وقال ابن أبى دليم : توفى سنة ثمان وأربعين ومائتين .

عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد

ابن عبد الرحمان ، مولى خالد بن ثابت ، الفهمى ، ثم الكنانى .

وجده الليث امام مصر فى وقته .

وأبوه شعيب من فقهائها .

ذكر عبد الملك هذا ، ابن أبى دليم وابن حارث فى هذه الطبقة من المالكية .

قال : وقال الكندى : كان فقيها ، وكان عسيرا فى الحديث ، وجل روايته عن أبيه عن جده . وكان من أصحاب ابن وهب .

وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين .

حبيش بن سليمان بن برد التجيبي

مولاهم ، تقدم ذكر أبيه ، وضبط اسمه بحاء مضمومة وباء بواحدة مفتوحة ، وياء التصغير ، وشين معجمة .

كنيته أبو القاسم .

يروى عن أبى ضمرة .

حدث عنه يحيى بن عثمان بن صالح .

توفى سنة خمس وأربعين .

ولسليمان ولد آخر اسمه (   ) (209) .

ولم نجد من ذكرهما فى الفقهاء ولكن ذكر الناس أولادهما .

وسيأتى ذكر ولده فى موضعه ان شان الله تعالى .

حرملة بن يحيى التجيبي

أبو حفص ، هو حرملة بن يحيى بن عبد الله ، بن حرملة ، بن عمران، ابن قراد (210) ، مولى بنى زميلة ، بزاى معجمة .

ذكره ابن أبى دليم فى فقهاء المالكية .

قال الكندى : كان فقيها ، روى عن ابن عيينة ، وعن ابن وهب ، والشافعى ، وبهما تفقه ، ويروى عن العلاء بن عاصم ، ولم يكن بمصر أكتب عن ابن وهب منه ، وكان سبب ذلك، أن ابن وهب حين طلب للقضاء، استخفى فى منزله مدة طويلة .

وكان أبوه يحيى ، قد ولى القصاص (211) والسوق ، وكان مقبولا عند القضاة ، وولى على الجزيرة .

وجده حرملة بن عمران ، من فقهاء مصر ، توفى سنة ست عشرة ومائتين .

---

209) بياض فى نسختي أ ، ط — وقد سقطت الكلمة نهائيا من نسخة ك دون ترك بياض مكانها — وسقطت كذلك من نسخة م وورد مكانها اشارة تشبه الفاصلة (،) .

210) أ ، ك ، م : بن قراد — ط : بن قران وقد ذكره الخزرجي فى الخلاصة ص 63 وذكره ابن أبي حاتم الرازي فى الجرح والتعديل ، القسم الثاني من المجلد الأول ص 274 — وذكره الذهبي فى تذكرة الحفاظ ج 2 ص 486 — ولم يصل أي واحد منهم بنسبه الى ذكر « قراد » هذا .

211) ط : القصاص — أ ، ك ، م : القصص .

وكان يحجب الأمراء ، وكان يعرف بالحاجب .

حدث عنه عبد الله بن يزيد المقرىء (212) ، وعبد الله بن المبارك ، وقال فيه : كان من ذوى الألباب .

قال عبد الله بن يزيد ، جئناه فى يوم بسبب السماع ، فخرج علينا راكبا ، وقال : هذا يوم لا أشتغل فيه بغير المقابر .

قلنا له : وما تصنع فى المقابر ؟

قال : أبكى على أهل الشرف ، فانما الدين مع الشرف ، فاذا ذهب الدين ذهب الشرف .

قال ابن حنبل وابن معين : هو ثقة ، توفى سنة ستين ومائتين .

روى عن حرملة بن يحيى ، الناس : مسلم بن الحجاج وخرج عنه فى صحيحه ، وذكره البخارى فى تاريخه ، وروى عنه الرازيان أبو حاتم وأبو زرعة ، وأبو على القستانى (213) ، والرمادى ، ويحيى بن عمر ، وابن وضاح ، وعده أبو اسحاق الشيرازى فى أصحاب الشافعى ، وكان راوية كتبه الأخيرة .

قال : وكان حافظا للحديث ، وصنف المبسوط والمختصر .

قال ابن أبى دليم : كان رسخ فى مذهبه ، ثم ترك الفتيا به ، فكان لا يفتى الا بمذهب مالك .

قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به .

قال يحيى بن معين : كان أعلم الناس بابن وهب . وتكلم فيه .

---

212) أ ، ط : عبد الله بن يزيد المغربي ــ ك : عبد الله بن يزيد المقرى ــ م : غير واضحة ــ ولعل الصواب ما أثبتناه « عبد الله بن يزيد المقرىء » فقد ترجم له الذهبي فى تذكرة الحفاظ ، فسماه « المقرىء الامام » وقال فيه : « المحدث، شيخ الاسلام ، أبو عبد الرحمان ، عبد الله بن يزيد العمري العدوي ، مولاهم ، المكي ، ولد فى حدود سنة عشرين ومائة » ثم ذكر أنه سمع من حرملة بن عمران ، جد المترجم له .

213) كذا فى جميع النسخ .

قال الحاكم : هو شيخ جليل القدر والمحل فى الحديث والفقه معا ، ومثله لا يترك .

وقال ابن وضاح : قلت يوما لحرملة : مثلك يا أبا حفص ، وأنت تذهب مذهب أصحابك المصريين ، تقرأ مثل هذه الكتب ؟ يعنى كتب الشافعى .

فقال لى : يطلبها منى هؤلاء .

فقلت له : أوكل ما طلب منك تخرجه ؟

قال : أستحيى — والله — منهم .

قال الكندى : ونظر أشهب الى حرملة فقال : هذا خير أهل المسجد .

قال حرملة : عادنى ابن وهب ، من رمد ، فقال لى : يا أبا حفص : انه لا يعاد من الرمد ، ولكنك من أهلى .

(313) وشرح حرملة الموطأ ، بما سأل عنه * ابن وهب .

قال حرملة : سمعت سفيان — وسئل عن قول الناس : (السنة والجماعة) — ما تفسير ذلك ؟

فقال : الجماعة ما أجمع عليه أصحاب محمد من بيعة أبى بكر وعمر ، والسنة الصبر على الولاة وان جاروا وان ظلموا .

وتوفى حرملة سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

قال الأمير : مولده سنة ست وستين ومائة .

ابو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله

ابن عمر ، بن السرح ، مولى عتبة بن أبى سفيان ، وقيل مولى نهيك ، مولى عتبة .

وكان سرح جده أندلسيا طباخا ، سكن أسيوط .

قال أبو عمر : وجل روايته عن ابن وهب ، وغلب عليه الحديث ، وسمع من ابن عيينة ، وبشر بن بكر ، وسالم بن ميمون وغير واحد .

وروى عنه أبو زرعة ، وأبو داود السجستانى ، وأبو حاتم ، ومسلم، وخرج له فى صحيحـــه .

قال أبو حاتم : لا بأس به ، كان صدوقا .

قال ابن أبى دليم : هو من متقدمى هذه الطبقة ، وكان ثقة .

قال الكندى : كان أبو الطاهر فقيها ، وكان موضحا كله ، وشرح موطأ عبد الله بن وهب .

وتوفى سنة خمسين ومائتين . وقيل سنة ثلاث وخمسين .

مولده سنة سبعين ومائة .

أبو بكـر عبد الكريم بن الحارث بن مسكين

ابن الحارث ، بن بابيه (214) ، الزهرى ، مولاهم ، وليس بولـد للحارث بن مسكين القاضى ، بل هذا حارث آخر .

قال عبد الله بن محمد : هو من أكابر أصحاب ابن وهب ، وعنه جل روايتـــه .

قال الكندى : وكان فقيها .

توفى سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وبيته بيت جلالة ونباهة بمصـــر .

يونس بن عبد الاعلى بن موسى بن ميسرة

ابن حفص ، بن حيان الصدفى ، أبو موسى من آل خالد بن يزيد بن أسيد الصدفى .

---

214) أ : ابن بابيه ــ ك ، م : ابن بابية ــ ط : ابن بابة .

سمع من ابن عيينة ، وابن وهب ، وأشهب ، ومعن بن عيسى، والوليد ابن مسلم ، ووكيع ، وعبد الله بن نافع الصائغ ، والشافعى ، وسفيان بن عيينـــة .

وروى عن العلاء بن عاصم ، وبشر بن بكـــر .

وقرأ على ورش ، وسقلاب وغيرهما .

كان أحد الرواة المشهورين ، رحل اليه الناس فسمعوا منه ، وطـال عمـــره .

قال ابن أبى دليم : وكان ثقة حافظا ، سمع منه أبو زرعة ، وأبـــو حاتم ، وابنه ، ومحمد بن عبد الله الأنصارى ، وأبو بكر بن خزيمة ، وأبو جعفر الطبرى ، وأحمد بن محمد الواسطى ، ومحمد بن الربيع ، ويونس بن سهل ، وأحمد بن كامل ، وفتح بن شخدب (215) ، وأبـــو بكـــر النيسابورى ، ومسلم بن الحجاج وخرج عنه ، ومن الأندلسيين سعيد بن عثمان الاعنانى (216) ، وابن خمير (217) ، ومحمد بن وليد ، وأسلم ابن عبد العزيز القاضى .

قال أبو حاتم الرازى : قدمت مصر ، فلقيت أبا الطاهر بن السرح ، فقال لى : كم لك هنا ؟

فقلت : شهـــر .

قال : ألقيت يونس بن ميسرة ؟

فقلت : لا .

فأنكر ذلك على ، وجعل يعظم من شأنه .

وقال أبو حاتم الرازى : هو ثقة ؟ ورفع من شأنه .

قال الباجى : هو من أجل أصحاب ابن وهب .

---

215) أ ، ط : شخدب — ك ، م : شحرف .
216) أ ، ط : الأعناني — ك ، م : الأعنابي .
217) أ ، ط ، ك : وابن خمير — م : وابن حميد .

قال الطبرى : كان فقيها ، وكان شديد التقشف فى أول أمره ، مقبولا عند القضاة .

قال ابن غلابة (218) : قال أبى : ما يدخل من باب هذا المسجد أعقل من يونـــس .

وقال يحيى بن حسان : يونسكم هذا من أركان الاسلام .

قال أبو عبد الله : هو ثقة وفوق الثقة . ورفع من قدره .

وكتب عن سفيان كثيرا . وكتبه الناس من حفظه .

قال النسائى : هو أوثق أصحاب ابن وهب .

(314) قال : وكان فقيرا ، وأقطعه محفوظ أرضا ، فكان يزرعها ❋ ، ولا يأخذ منه خراجا ، أقام على ذلك سنين كثيرة ، فكان ذلك أول غناه .

* * *

ولما حكم الحارث بن مسكين ، باخراج بنى البنات من حبس بنــى السائح ، وتشكوا الى المتوكل ، وأفتى أهل العراق بفسـخ حكمــه ، واستعفى الحارث على ما ذكرناه ، وولى القضاء بكار بن قتيبـة ، ورد كتاب المتوكل عليه ، فى النظر فى حكم الحارث فى هذه القضية ، وأحضر يونس لها ، فاستعظم بكار فسخ القضية ، اذ حكم الحارث فيها بمذهب أصحابه المدنيين ، فلم يزل به يونس ، حتى جهر (219) بالحكم بفسخها.

قال يونس : قال لى الحرث : ما علمت أحدا اختلف الى الشافعى ، شق على كما شق اختلافك اليه .

قال يونس : وانما أخذت عنه يسيرا من أحكام القرآن ، كتابا واحدا.

قال يونس : وجدت غير شىء ، فرأيت فى المنام قائلا يقول : « اسم الله الأكبر ، لا اله الا اللـــه » .

---

218) ك ، م : ابن علاثة ـ أ ، ط : ابن غلابة .

219) أ ، ك : (حتى حبس بالحكم) ـ ط ، م : (حتى جسر بالحكم) ولعـل الصواب ما أثبتناه (حتى جهر بالحكم) .

فقلتها عليه ، ومسحت بيدى ، فأصبحت معافى .

وقال ابن بكير لرجل شكا اليه الفقر : ألا أتيت يونس فدعا لـــك ؟ فوالله انى لأجد لدعائه بركـــــة .

وتوفى سنة أربع وستين ، وصلى عليه الأمير ابن طولون .

وقيل : فى هذه السنة توفى المزنى، وابن أخى ابن وهب ، وأبو بكربن الوقار ، ويزيد بن سنان .

مولده سنة احدى وسبعين ومائة ، وقيل سنة سبعين فى ذى الحجة .

محـــنتــــه

قال الكندى عن ابن عثمان : كان جعفر بن قادم ، أوصى الى يونس،

وكان ذا مال عريض ، فحبسه ابراهيم بن الجراح حتى استخرجها من يـــــده .

وقال غيره : أوصى أحمد بن أبى أمية ، الى يونس وثلاثة معه بمال، فصرف اثنان منهم الى يونس وصيتهما ، فطولب يونس بها عند ابن أبى الليث ، فسجنه فى ذلك ، فيقال انه بقى فى السجن ثمانى سنين من سنة ثمان وعشرين ، الى سنة خمس وثلاثين .

فلما قدم قوصرة ، من عند المتوكل ، ليكشف أمر ابن أبى الليث ، قيل له : ان يونس يشهد عليه ، وهو فى سجنه .

فأخرجه وسأله عنه ، فقال له : ما علمت الا خيرا .

قال : فانه قد سجنك منذ كذا وكذا سنة !

قال : لم يظلمنى هو ، وانما ظلمنى من شهد على .

فخلاه قوصرة .

ودخل يونس الى منزله ، فلما أخرج بن أبى الليث من السجن ليحكم فى قصة بنى عبد الحكم ، وحكم عليهم راعى ليونس مقاله ، وحكم له أنه برىء من تلك الوصية ، وكانت عدتها ثلاثة وثلاثين ألف دينار .

أحمد بن يحي بن الوزير

ابن سليمان ، بن المهاجر ، مولى الأزد ، ابن رفاعة التجيبى .

قال ابن أبى دليم : كان من أكابر أصحاب ابن وهب .

قال الكندى : كان فقيها ، من أعلم أهل زمانه بالشعر والغريب وأيام الناس .

مولده سنة احدى وسبعين ومائة .

وتقبل فانكسر عليه (220) مال ، فسجنه ابن مديد (221) .

وتوفى فى السجن ، بمصر سنة خمسين ومائتين .

وأخوه سليمان بن يحيى : كان صوفيا جلدا مقبولا عند قضاة مصر ، توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين .

أبو جعفر هارون بن سعيد بن الهيثم

ابن محمد ، بن الهيثم ، بن فيروز الايلى ، مولى عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدى ، من بنى سعد بن بكر بن قيس ، من أهل ايلة ، وأصلهم من بلبيس (222)

سمع ابن وهب ، وخالد بن نزار ، والقاسم بن مبرور (223) وأسد ابن موسى ، وأشهب بن عبد العزيز ، وأبا زيد بن أبى الغمر .

---

220) هكذا وردت هذه العبارة فى نسخ : أ ، ط ، م — ووردت فى نسخة ك : كما يلي : « وتقبل فأنكس عليه مال » .

221) ك ، م : ابن مديد — أ : ابن مدير — ط : ابن مدين .

222) أ :بلبيس — ط : بلبيش — ك ، م : بليش — وقد ورد فى معجم البلدان لياقوت الحموي : « بلبيس ، بكسر الباءين ، وسكون اللام ، وياء ، وسين مهملة ، مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ، على طريق الشام — أما ايلة ، بكسر الياء فتقع على البحر الأحمر شمالي العقبة .

223) ك ، م : « والقاسم بن مبرور » — وهو كما فى الخلاصة للخزرجي ص 267 : القاسم بن مبرور الأيلي ، بالفتح ، الفقيه ... مات بمكة ، سنة ثمان ، أو تسع ، وخمسين ومائة — ط : « القاسم بن مروز » — أ : « القاسم بن مرور » .

روى عنه مسلم ، وخرج عنه فى صحيحه ، والنسائى وأبو داود .

وقال النسائى : هو ثقة .

قال الكندى : كان فقيها من أصحاب ابن وهب .

(315) توفى سنة ثلاث ❋ ، وخمسين ومائتين .

وولد سنة تسعين ومائة .

قال الكندى : بعد السبعين ، وهو أصح .

قال الحارث (224) : مات وقد جاوز التسعين (225) .

أبو الربيع سليمان بن داود بن حماد بن سعيد

المهدى (226) ، مولى لهم ، بن أخى رشدين بن سعد ، ويعـــرف بالرشدينى .

يروى عن أشهب، وابن وهب ، وسعيد بن الجهم ، ويوسف بن عمر، وعن جماعة من أصحاب مالك ، وغيرهم ، وعن أبيه ، وبشر بن بكر ، وأبى الطاهر ، وأصبغ بن عبد العزيز ، ويوسف بن أبى ظبية (227) وأبى بشر بن قعنب ، والحارث بن مسكين ، والتنيسى ، وعلى بن المبـارك ، وسعيد الآدم ، وأبى رمح ، وأبى زيد بن أبى الغمر ، والدمياطى ، وأدرك خاله رشدين بن سعد صغيرا ، وحدث عنه .

قال : وصحب ادريس بن يحيى الخولانى ، وفضالة بن صيفـى ، وغيرهم من الزهاد .

---

224) ط ، ك ، م : قال الحارث — أ : قال : ابن الجزار .

225) أ ، ك ، م : التسعين — ط : السبعين .

226) أ ، ط ، م : المهدي — ك : غير واضحة . وقد ذكره ابن أبي حاتم الرازي في الجرح والتعديل ، المجلد الثاني من القسم الأول ، ص 114 ، فقـال : سليمان بن داود ، أبو الربيع ، ابن أخي رشدين ، وهو ابن داود بن حماد بن سعد المهدي .

227) ط ، ك ، م : ويوسف بن أبي ظبية — أ : ويوسف بن أبي طيبة .

وألف كتابا فى عباد المصريين ، فرويت عنه ، وليس هو دونه ، قاله يحيى بن عمر ، وهو رواه عنه (228) .

وأخذ القراءة عن ورش ، وكان متصدرا فيها .

وكان فقيها زاهدا ، ذكره ابن أبى دليم ، وأبو عمر والدانى (229) .

وروى عنه يحيى بن عمر ، ومحمد بن النفاخ (230) .

وأبو حاتم الرازى ، وأبو داود السجستانى ، ومحمد بن عبد الرحيم الأصبهانى ، وأبو عبد الرحمان النسائى .

ولد سنة ثمان وسبعين ومائة .

وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

قال أبو الربيع : شهدت جنازة ابن القاسم .

وقال أبو الربيع : كنت أمشى مع ادريس بن يحيى ، فالتفت الى ، وقال : يا ابن أخى : ما رأيت بلدا قط أفسد لعالم ولا لقارىء منها ، يعنى الفسطاط ، انما يكفيك أن يقال فلان ، فاستمسك (231) .

قال أبو الربيع : حضرت رشدين بن سعد ليلة توفى ، فأخبرت أنه دعا بماء يتوضأ للصبح فغسل وجهه ، فزالت شفته (232) من قرحة أصابته ، فرفع يديه وقال : اللهم اقبضنى اليك .

فما صلى الصبح حتى مات .

محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبي زرعة البرقي

مولى بنى زهرة ، كان من أصحاب الحديث والفهم .

والرواية أغلب عليه .

---

228) هكذا وردت هذه الفقرة فى جميع النسخ الخطية التي بين أيدينا .
229) أ : وأبو عمرو الداني — ط ، ك ، م : وأبو عمرو الرازي .
230) أ ، ك ، م : بن النفاخ — ط : بن اللفاح .
231) هكذا وردت هذه العبارة فى جميع النسخ .
232) أ ، م : فزالت شفته — ك : فرأيت شفته — ط : بياض

وبيته بمصر بيت علم .

وله تواليف فى مختصر ابن عبد الحكم الصغير ، زاد فيه اختلاف فقهاء الأمصار ، وكتاب فى التاريخ ، وفى الطبقات ، وفى رجال الموطأ ، وفى غريبه .

يروى عن عبد الله بن عبد الحكم ، ولم يلق ابن وهب فيما قاله الكندى .

ويروى أيضا عن أشهب ، وابن بكير ، وعثمان بن صالح ، وعبد الله ابن صالح ، وعمر بن يوسف ، وحبيب كاتب مالك ، وسعيد بن أبى مريم، ونعيم بن حماد ، وأصبغ بن الفرج ، وابن هشام ، وأسد بن موسى ، ويحيى بن حسان التنيسى ، وعمرو بن أبى سلمة (233) ، وخالد بن نزار ، ويحيى بن معين ، وادريس بن يحيى الخولانى ، ومحمد بن يوسف الفريابى (234) وسعيد بن منصور .

وروى عنه أبو حاتم الرازى ، وابن وضاح ، وابراهيم بن يوسف ، والخشنى ، ومطرف بن عبد الرحمان بن قيس ، وعبيد الله بن يحيى بن يحيى ، وقاسم بن محمد ، ومحمد بن عمر ، وأبو على الجروى (235) وقاسم بن أصبغ .

توفى سنة تسع وأربعين ومائتين .

أخوه عبد الرحيم :

يروى عن ابن هشام .

---

233) أ ، ك ، م : وعمرو بن أبى سلمة ــ ط : وعمر بن أبي سلمة ، وفى الخلاصة للخزرجي ص 245 : عمرو بن أبى سلمة الهاشمي الدمشقي نزيل تنيس ... مات سنة أربع عشرة ومائتين ، وهو المقصود هنا ، وقد ذكره الذهبي فى تذكرة الحفاظ ، فى ترجمة محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي ، الترجمة رقم 593 ــ وفى الخلاصة : أيضا ، فى صفحة 240 : عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني .

234) م : الفريابي ــ أ ، ط ، ك : الفرياني . وفى الخلاصة ص 312 : محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي .. أبو عبد الله الفريابي بكسر الفاء ، وآخره موحدة .. قال البخاري : مات سنة اثنتي عشرة ومائتين .

235) أ ، ك ، م : وأبو علي الجروي ــ ط : الحروي .

وروى عنه ابن الورد (236) ، ومحمد بن بسطام .

وأخوهما أحمد بن عبد الله :

ألف فى الصحابة ، والتاريخ ، والرجال .

يروى عن عمرو بن أبى سلمة ، والحميدى ، وقد روى عنه أيضا .

توفى سنة سبعين ومائتين .

(316) سمع منه أبو حفص بن * غالب ، وابن غالب الصفار ، من الاندلسيين ، والقاضى أسلم .

قال أبو جعفر العقيلى : محمد بن عبد الله البرقى واخوته كلهم ثقات، ما بهم من بأس ، من بيت علم وخير .

وقال غيره ، ومحمد أكبرهم وأجلهم .

قال ابن وضاح : كتبت عنه بمصر حديثا واحدا . وكان لا يرضاه .

والحديث الذى روى عنه ، أنه قال : كنت جالسا عند وراق بمصر ، فلما أردت القيام خدرت رجلى ، فجلست ، فقال لى محمد بن البرقى : ناد بأحب الناس اليك .

نقلت له : تذكر فى هذا شيئا ؟

فحدث أن رجلا خدرت رجله عند ابن عمر ، فقال له ذلك ، فقال : يا محمد ! فذهب خدرها .

فلما قام ، قال لى الوراق : ما رأيت أكذب من هذا ! ما حدثه به أحد، انما رآه الساعة عندى فى هذا الكتاب .

قال : نص الحديث يروى عن ابن عمر ، وأنه هو خدرت رجله ، وجرت له القصة .

وأبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبد الله البرقى :

---

236) أ ، ك ، م : ابن الورد — ط : ابن الوردي

يروى عن أبيه ، وله كتاب مختصر على مذهب مالك ، وبعض الناس يضيف اليه زيادة اختلاف فقهاء الأمصار فى مختصر ابن عبد الحكم .

يحـي بن سليمـان الجعفـي

أصله من الكوفة ، وسكن مصـر .

وهو يحيى بن سليمان ، بن يحيى ، بن سعيد ، بن مسلم ، بن عبيد الله ، بن مسلم ، ابن بنت مسلم (237) ، قائد الأعمش ، يكنى أبا سعيد ؟

سمع من ابن وهب ، وحفص بن غياث ، وأبى بكر بن أبى عياش .

قال ابن أبى دليم : وكان ثقة .

روى عنه ابن وضاح ، وقاسم بن محمد ، وأحمد بن رشدين، وروح ابن الفرج ، وغيرهما .

توفى سنة تسع وثلاثين ومائتين .

عبيـد بـن معاويـة الجعنـاوي

من أصحاب أصبغ بن الفرج ، أبو محمد ، مولى قريش ، ومـن جملة (238) هذه الطبقة .

يروى عنه يحيى بن عمر فقهه ، ويعتمد عليه ، وحكى عنه مسائل .

توفى سنة خمسين ومائتين .

أبو محمد الربيع بن سليمـان بن داود بن ابراهيم

الجيزى الأزدى ، مولى قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة ، سكـن الجيـزة .

قال ابن أبى دليم : كان فقيها دينا ، روى عن ابن وهـبونظرائه .

قال الكندى : رأى ابن وهب ولم يتقن السماع منه، وكان فقيها دينا،

---

237) ط ، ك ، م : ابن بنت مسلم ـــ أ : ابن بنت أبي مسلم .
238) أ ، ط : ومن جملة ـــ ك ، م : ومن جلة .

ويروى عن أسد بن موسى (239) وعبد الله بن عبد الحكم ، وهانى بن المتوكل ، وابن أبى أويس ، وخالد بن نزار وغيرهم ، ثقة .

مات سنة ست وخمسين ومائتين .

روى عنه ابنه محمد ، وابراهيم الحلوانى ، وعبد الله بن وهب الدينورى .

أبو محمد عبد الغني بن عبد العزيز بن سلام

المعروف بالغسال ، مولى قريش .

روى عن أبى عيينة ، وابن وهب ، والشافعى ، وكان حافظا .

وروى عنه روح بن الفرج .

وقال : سمعت ابن وهب يقول : قراءة أهل المدينة سنة .

قيل له : قراءة نافع ؟

قال : نعم .

قال الكندى : كان فقيها مفتيا .

وذكره ابن أبى دليم .

توفى فى المحرم سنة أربع وخمسين ومائتين وسيأتى ذكر ابنه .

وكان أخوه محمد مقبولا بمصر .

أبو محمد صالح بن سالم الخولاني

مولى لهم ، كان أسود .

روى عن ابن وهب ، والشافعى ، وأشهب ، وكان حافظا للفقه ، وتفقه بالشافعى ، ثم مال الى المالكية .

---

(239) ط ، ك ، م : أسد بن موسى . ا : أسيد بن موسى . — وفى الخلاصة ص 26: أسد بن موسى بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي ، صاحب المسند ، يقال له : أسد السنة ... قال ابن يونس : توفي سنة اثنتي عشرة ومائتين ، عن ثمانين سنة .

توفى سنة سبع وستين ومائتين .

اسحاق بن المتوكل بن اسحاق

مولى بنى مخزوم ، أبو يعقوب .

يروى عن ابن وهب ونظرائه .

قال ابن أبى دليم : وكان فقيها على مذهب مالك .

قال الكندى : كان مقبولا عند قضاة مصر ، وولى المظالم ، وكان وجهه صغيرا جدا ، فكان يلقب لقمة .

(317) وتوفى * سنة عشرين ومائتين .

وقال ابن أبى دليم : توفى سنة خمسين ومائتين .

عبد الله بن أبي رومان

عبد الملك ، بن يحيى ، بن هلال المعافرى ، أبو محمد ، مولاهم ، من أهل اسكندرية ، وأصله من مراقية (240) من أصحاب ابن وهب .

ذكره فى هذه الطبقة ابن أبى دليم ، وابن حارث .

قال الكندى : ولم يكن بالمجود فى روايته .

توفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

احمد بن أبي زيد بن أبي الغمر

أبو جعفر ، مولى لهم .

ذكره ابن أبى دليم فى هذه الطبقة ، وسماه أحمد .

---

(240) أ ، ك ، م : مراقبة — ط — مواقبة — ولعل الصواب ما أثبتناه « مراقية » وهي كما فى معجم البلدان لياقوت الحموي ، بفتح الميم ، وكسر القاف وياء مفتوحة مخففة ، قال : اذا قصد القاصد من الاسكندرية الى افريقية فأول بلد يلقاه مراقية ، ... ينسب اليها عبد الله بن أبى رومان .. الاسكندري المراقي .

ورأيت فيمن روى عنه ، ابناه : محمد وزيد (241) والله أعلم .

وتوفى أحمد فى ربيع الأول سنة خمس وخمسين ومائتين .

أبو محمد اسماعيل بن عمرو بن يزيد الغافقي

مولى لهم .

كان يروى عن أشهب ، وكان من أصحابه ، وعن ابن وهب .

قال ابن أبى حاتم : وكان حافظا لأقاويل الناس .

قال الكندى : كان فقيها .

توفى سنة ثمان وأربعين ومائتين .

مدلـج بن عبد العزيز بن رجـاء المدلجـي

أندلسى ، أبو خندف ، سكن مصر ، وكان ذا علم وأدب ، ودخـل العراق فسمع بها علما كثيرا .

أخذ عنه بمصر .

وتوفى يوم الخميس ، آخر صفر ، سنة تسع وخمسين ومائتين .

ذكره أبو سعيد البصرى ، وابن أبى دليم فى المالكية .

أبو اسحاق ابراهيم بن أبي أيوب بن عيسى بن عبد الله القسـطـال

وقيل : ابن عيسى بن أيوب ، مولى سلمة من عبد الملك الطحاوى ، مولى الأزد .

ويقال : مولى قريـش .

من أصحاب ابن وهب ، وعنه جل روايته ، وعن الشافعى .

---

241) هكذا وردت هذه العبارة فى جميع النسخ الخطية التي بين أيدينا .

وكتب لعيسى بن المنكدر ، وهارون الزهرى ، والحارث بن مسكين ، قضاة مصر ، وكان من قبطها (242) .

قال الكندى : وكان فقيها .

وتوفى صدر ستين ومائتين .

عيسى بن ابراهيم بن عيسى بن شروح الغافقي

مولاهم ، أبو موسى .

يروى عن ابن القاسم، وابن وهب، ورشدين بن سعد، وابن عيينة، وحجاج بن سليمان ، وغيرهم .

روى عنه النسائى ، وقال : مصرى لا بأس به .

توفى سنة احدى وستين ومائتين ، قاله : ابن يونس .

وذكره فى هذه الطبقة ابن أبى دليم .

قال الكندى : كان مقبولا عند ابن أبى الليث (243) ، وكان فقيرا ، فقيل له : ما حملك على أن شهدت عند ابن أبى الليث ؟

فقال : كان بى برا وصولا ، ما ذقت الفقر حتى انقطعت أيامه .

أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمان بن أخي عبد الله بن وهب

جل روايته عن عمه ، وروى عن شعيب بن الليث ، وبشر بن بكر .

قال عنه محمد بن عبد الحكم : ما رأيت الا خيرا .

وقال مثله عبد الملك بن شعيب بن الليث .

وقال أبو حاتم : صدوق ، كتبنا عنه وأمره مستقيم ، ثم خلط ، ثم جاءنا الخبر أنه رجع عن التخليط .

قال أبو زرعة : رجوعه مما يحسن حاله ، ولا يبلغ به منزلته قبل .

---

242) أ ، ك ، م : وكان من قبطها — ط : بياض مكان كلمة « قبطها » .
243) أ ، ك ، م : كان مقبولا عند ابن أبي الليث — ط : كان مقبولا عند ابن وهب

وقال العقيلى ، والحصرى : ليس بشىء .

قال محمد بن قاسم : ليس بثقة عندى ، وأهل مصر يرمونه بالكذب.

وكان مشايخ الأندلس : سعيد بن معاذ ، ومحمد بن فطيس، وسعيد ابن عثمان ، الأعناقى يحسنون الثناء عليه .

وعنف سعد منهم النسائى فى تحامله عليه .

قال الأمير : وأخوه عبد العزيز بن عبد الرحمان أبو السرى ، روى عن أسد وغيره .

توفى سنة ثمان وستين ، وقيل أربع وستين ومائتين .

عمرو بن يوسف بن عمرو بن يزيد الفارسي

أبو محمد ، تقدم ذكر أبيه . مولده بمصر .

أخذ عن جماعة من أصحاب مالك .

يروى عن عبد الله بن محمد بن المغيرة .

(318) وتوفى سنة ستين ومائتين ❋ .

وأخوه يزيد بن يوسف :

قال ابن يونس : كان هو وأخوه على مسائل الحارث بن مسكين ، وأمره كله ، وكان يرفع بهما .

شيب بن حفص بن اسماعيل الفهري

مولى لهم فيما يقال ، وأنكر هو ذلك ، يكنى بأبى الأصبغ .

قال الكندى : كان فقيها .

توفى بمصر منصرفه من الحج سنة ست .

وذكره ابن أبى دليم فيهم .

بكـر بن ادريـس بن الحجـاج بن هـارون

مولى أبى الكنود الأزدى ، أبو القاسم ، يعرف بالحمراوى .

قال ابن أبى دليم : جل روايته عن عبد الله بن عبد الحكم ، وروى عن غيره .

قال الطحاوى : وكان فقيها مفتيا .

توفى سنة سبع وستين ومائتين .

ابو بكـر محمـد بن أبي يحيـى زكريـاء الوقـار

كان حافظا للمذهب ، وألف كتاب السنة ، ورسالته فى السنـــة ، ومختصرين فى الفقه ، الكبير منهما فى سبعة عشر جزءا .

قال سلمة بن سعيد الأشج : رأيت أهل القيروان ، يفضلون مختصر أبى بكر الوقار ، على مختصر ابن عبد الحكم .

قال الشيرازى : تفقه بأبيه ، وابن عبد الحكم ، وأصبغ .

وروى عنه اسحاق بن ابراهيم بن نصر ، ومحمد بن مسلم بن بكار الفيومى ، وأبو الطاهر محمد بن سليمان القوصى (244) ، وأبو الطاهر محمد بن جعفر البرسيمى (245) .

وتوفى سنة تسع وستين ومائتين ، وقيل ثلاث ، وقيل أربع وستين.

القـراطيـسـي

اسمه يزيد بن كامل بن حكيم ، مولى عبد العزيز بن مروان ، كنيته أبو زيد ، وأصله من الروم .

ذكره ابن أبى دليم .

---

244) أ ، ك ، م : القوصى ــ ط ــ : الفرضي . والقوصي نسبة الى قوص ، ببلاد الصعيد بمصر ، انظر معجم البلدان لياقوت الحموي .

245) أ ، ك ، م : البرسمي ــ ط ــ اليرسيني ــ . ولعل الصواب ما أثبتنـاه « البرسيمي » نسبة الى « برسيم » بفتح الباء وكسر السين وياء ساكنـة وميم ، زقاق بمصر ، انظر معجم البلدان .

يروى عن عبد الله بن عبد الحكم ، وأسد بن موسى ، ويعقوب بن أبى عباد القلزمى .

روى عنه ابن أبى الأصبغ ، وابن الورد ، وأبو بكر محمد بن يحيى بن حكيم ، وأبو العباس الرازى ، وأحمد بن سلمة الهلالى ، ومحمد بن كامل الحضرمى ، وجماعة .

روى عنه الناس .

قال أحمد بن خالد : لم ألق من الناس بالمشرق الا من مس ، أو تكلم فيه ، الا القراطيسى ، ويحيى بن أيوب العلاف ، فانهما ثقتان ، لا متكلم ميهما لأحد ، والقراطيسى من أوفى الناس ، لم أر مثله . ورفع من شأنه .

وعمر ، وتوفى سنة سبع وثمانين ومائتين .

مولده ، سنة سبع وثمانين ومائة .

مسعود بن ابي مسعود

واسم أبى مسعود مسعدة .

قال ابن أبى دليم : كان ذا علم ورئاسة ، مقدما فى المالكية بمصر .

توفى سنة سبع وستين ، وهو ابن أربع وستين .

ومن أهل افريقية :

محمد بن رزين

قال أبو العرب : كان ثقة صالحا ، سكن بسوسة .

سمع من أسد ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وابن بكير ، وأسد بن موسى ، ونعيم بن حماد ، وزهير بن عباد .

وسمع أيضا من عبد الله بن نافع الزبيرى ، وأصبغ بن الفرج ، وعلى ابن معبد .

وكان عنده حديث كثير .

سمع منه سليمان بن سالم ، وبكر بن حماد ، وسعيد بن اسحاق وأبو الغمر (246) .

وروى سحنون عنه حديثا يرويه عن ابن نافع ، فوجه فيه وقال له : أنت سمعت من ابن نافع الصائغ ؟

فقال له : أصلحك الله ، انما سمعت من ابن نافع الزبيرى .

فقال له : فلم دلست ؟

ثم قال سحنون : ماذا يخرج بعدى من العقارب !

وذلك أن ابن رزين لم يدرك عبد الله بن نافع الصائغ ، وانما أدرك عبد الله بن نافع الزبيرى ، مات الصائغ قديما ، وتأخر موت الزبيرى ، وقد ذكرناهما .

وكان ابن رزين يقول : ما نزلت بى حسرة ما نزلت بى فى محمد بن يوسف الفريابى ، وكنت رحلت اليه فوجدته يقبر .

قال : وابن رزين أول من باع من أهل العلم دارا بسوسة ، اذ كانوا لا يرون بيع * دورها . (319)

قال بعضهم : رأيت محمد بن رزين خرج فى عيد بثياب مهينة ، فسألته عن ذلك .

فقال : رأيت نعيم بن حماد فى عيد ، كذا .

فعلمت أنه تبذل لله ، فاتبعته .

قال ابن حارث فى تاريخ الافريقيين : وتوفى ابن زرين بسوسة ، سنة خمس وخمسين ومائتين .

محمد بن شبيب

أبو يوسف ، من أهل تونس .

---

246) ك ، م : وأبو الغمر ــ أ : وأبو الغفصن ــ ط : وأبو القصر .

ذكره ابن أبى دليم فى المالكية ، قال : وله سن عالية ، وسماع من أسد ، وعلى بن زياد ، وولى قضاء تونس .

وذكره أبو العرب فى طبقاته بمثله ، وشك فى سماعه من على .

قال : وحدثنى عبد الله بن خليل قال : كنت أجىء الى أبى يوسف ، فأجده ملقى من الكبر ، فأجتذبه بفروه حتى أقعده على نفسه ، فأسمع منه ، ولم يذكره الا بخيـــر .

قال ابن حارث : وتوفى سنة ست وسبعين ومائتين .

وابن أخيه محمد بن سعيد بن شبيب :ولى قضاء صقلية ، وذكر عنه خير وعفة وعــدل .

محمــد بــن تميــم العنبــري

من أهل قفصـــــة .

قال أبو العرب : كان ثقــة .

سمع من أنس بن عياض كثيرا ، ومن عبد الله بن وهب ، وابــن بكير ، وكان يقدم سوسة ، فيأتيه أهل القيروان يسمعون منه .

روى عنه ابنه هبة الله ، وسليمان بن سالم ، وأبو جعفر بن زياد .

وعمــر ، توفى سنة ستين ومائتين .

ومات ابنه هبة الله قريبا من هذا .

قال أبو العرب ولم أسمع أحدا ذكر ابنه بسوء .

عبد الله بن سهل القبرياني

أبو محمد ، وضبط اسمه بقاف مكسورة ، وباء موحدة ساكنة ، وراء مكسورة ، بعدها ياء باثنتيين من تحتها ، وبعد الألف نون .

من أهل القيروان ، وأصله من العجم .

قال محمد بن أحمد التيمى : كان شيخا ثقة ، فاضلا ، فقيه البدن ، صحيح الكتب ، لقى ابن الماجشون ، وسمع ابن سلام ، ويحيى ، وأسد ابن الفرات ، وسحنون بن سعيد ، وعليه كان اعتماده ، وكان معدودا فى قدماء أصحابه ، قريبا فى السن منه .

ولاه سحنون قضاء قصطيلية ، وقفصة ، ونفزاوة (247) ، وعملها .

وكان عدلا فى قضائه .

وولى بعد سحنون قضاء صقلية .

شهد له حماس بالفقه البارع .

سمع منه سهل ابنه ، وغير واحد .

قال ابن حارث : كان عالما بالمذهب ، حسن الحفظ ، جيد القريحة، من ذوى المال والجاه العريض .

توفى سنة ثمان وأربعين ومائتين ، فيما قاله أبو العرب .

وقال ابن أبى دليم : سنة تسع وأربعين .

مولده سنة اثنين وسبعين ومائة .

عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي

المعروف بالزاهد ، أبو محمد ، قال أبو العرب : كان ثقة ، وكان فى السن قريبا من سحنون ، ومعدودا فى أصحابه .

سمع منه ، ومن أسد بن الفرات .

وحكى المالكى أنه كان أكبر من سحنون بليلتين ، وكان سحنون يعرف له فضله ، ويعظمه ، ويسأله الدعاء له ، وكان يقول : رأيت ابن القاسم وفلانا ، وفلانا — وذكر شيوخه — فما رأيت مثل عبد الرحيم — يعنى هذا — وذلك أنى علمت ظواهر أولئك ، وعلمت باطن هذا وظاهره .

---

247) « ونفزاوة » ساقطة من نسخة ط .

وكان أولا بزازا ثم لزم الرباط حتى مات .

أخذ عنه عيسى بن مسكين وغيره من أصحاب سحنون .

وقال سحنون لرجل فاته بعض السماع منه : أين أنت من الشيخ ؟ يعنى عبد الرحيم ، اسمعها منه ، فكأنك سمعتها منى .

قال ابن حارث : كان ثقة فاضلا .

ويقال انه مستجاب الدعوة .

وكان عبد الرحيم كثير التهجد طول ليله ، بين راكع وساجد ، فكان السهر قد غيره * ، فكأنه مبهوت . (320)

ومن كراماته ما حكاه المالكى ، أن سحنون بلغه أن عبد الرحيم أقام ستة أشهر لم يشرب ماء ، فأنكر ذلك سحنون ، وركب مع جماعة من الشيوخ اليه ، فبات عنده ، وسأله عما بلغه ، واستشنع عليه .

فقال له : ومن لا يأكل ولا يشرب ؟

فلما انصرف عنه سحنون ، رجعه ، وقال له : سألتنى عن شىء فكتمته ، ثم حاسبت نفسى ، والذى قيل لك صحيح ، ولى ستة أشهر لم أشرب ماء ، وذلك أنى كنت أصلى ، فأصابنى عطش شديد ، فقلت : أفرغ من حزبى وأشرب ، فلما فرغت مددت يدى للقسط ، فانقلب ، وذهب ما فيه من ماء ، وكانت ليلة كثيرة الريح والبرد ، والماجل أسفل القصر ، فكبر على النزول ، وقلت : يا رب : ان هذا شغلنى عن حزبى ، فاحمل عنى المؤونة .

فأجابنى من زاوية البيت ، ولا أحد فيه ، يقول : أنا من مؤمنى الجن، أصلى بصلاتك مدة ، فمر هذه الليلة شيطان مارد ، وهم علينا أمر مما هم عليكم ، فحسدك ، ورمى لك فى القسط شيئا ، فلو شربته لعرض فى جسمك ما لا طاقة لك به ، فلما مددت يدك الى القسط سبقتك اليه فأهرقته .

قال عبد الرحيم : فأخلصت لله الدعاء ، فحمل عنى المؤونة ، وان احتجت الماء بعد شربته .

فنزل سحنون الى الناس ، وقال : عبد سأل مولاه حاجة فقضاها له.

وقد ذكرنا رسالته الى سحنون حين ولى القضاء .

قال المالكى : كان من أهل الزهد والاجتهاد ، شهر بالاجابة ، وكان سحنون يقصده كثيرا ، وقصده ابنه بعده ، وغيره ، وسنذكر خبره معه.

قال عبد الرحيم : لما أراد أسد الخروج الى صقلية ، قلت له : على من ترى أعتمد ؟

فقال لى : ان أردت الله والدار الآخرة ، فعليك بعلم مالك .

قال ابن حارث : ومناقبه كثيرة .

وذكر أنه كان بقرب قصره رجل له فرس ، يطلقه فى زرع المرابطين، فنهوه ، فلم ينته ولا سأل ، فأتوا الى عبد الرحيم ، فرفع عينيه الى السماء وقال : اللهم اجعله آية للعالمين ، واكف المسلمين شره .

فطارت عينا الفرس .

وكان سأل الله أن لا يبيت أحدا فى قصر زياد بالجوع ، فكان ييسر الله لكل من احتاج فيه ما يأكله .

وحدث اللبيري عن بعضهم ، أنه فنى زاده فيه ، وأخذه الجوع ، فقال : أين ما يذكر عن عبد الرحيم ؟

فبينا هو كذلك ، اذ دخل عليه صاحب له بطعام واسع .

فقلت : هذه دعوة عبد الرحيم .

وحكى سليمان بن سالم ، عن محمد بن صباح ، قال سرت أسيح على البحر ، حتى صرت الى قصر عبد الرحيم ، فدخلت اليه قرب المساء، فلما رآنى سلم على وأجلسنى وهو يقول : الحمد لله الذى كنت أنت — يكرر ذلك — .

فقلت له : ما هذا ؟

فقال : أرسل الى أخى بحمام البرية ، فأمرت بطبخه ، فرأيته سمينا، فقلت : اللهم سق لى وليا من أوليائك يأكل معى ، فلما رأيتك حمدت الله اذ كنت أنت هـــو .

وذكر أنه خرج مرة الى المنستير ، فنزل القصر الكبير ، فلما كان العشى سمع حس المهارس ، فقال : ما هذا ؟

فقالوا : المرابطون يدقون التوابل لقدورهم .

فاسترجع وقال : ما هكذا أعرف المنستير ، حاله أنا أعرفها ، عند أهلها شىء من دقيق شعير وزيت ، فاذا جاء وقت الافطار لثوا الدقيـــق بالزيت وأكلوه ، لله على ألا أبيت فى شىء منه .

فخرج منه ، فغابت له الشمس بقصر لمطة ، ولم يعد اليه بعد ذلك .

قال المالكى : وكان يقال : انه يجتمع مع الخضر صلى الله عليه وسلم.

وذكر اللبيرى أن فقيرا نزل بعبد الرحيم ، فلم يجد عنده شيئا الا قرصا * أعدها لافطاره ، فقدمها اليه ، وبقى بلا شىء ، فقيـــل له : (321) أصلحك الله : ما يكون منك وأنت لا تقبل من أحد شيئا ؟

فقال لهم : ان الله لا يتركنى بلا شىء .

فلما كان بعد ساعة سمع كلام ، فدخل عليه ، فلم يوجد عنده أحد ، وبين يديه قرص سخن وتمر ؟

فقال عبد الرحيم للرجل : كل .

فسأله : بالله من أين ؟

فقال : أتانى به الخضر ، وقال لى : هـــذا تمر أتيتـــك به مـــن أجرانية (248) .

قال : وكان عبد الرحيم يأخذ الفتات فى يده ويبسطها ، فينزل عليها الغراب فيأكلها .

---

(248) ط . م : أجرانية ــ ا : احدابية ــ ك : ابرانية .

وأتى رجل الى سحنون يسأله عن مسألة ، ومعه عبد الرحيم ، فسبقه عبد الرحيم بالجواب ، فسكت سحنون ، فلما ذهب السائل ، وقام عبد الرحيم ، قال : تجد الرجل يصبر على الصيام والصلاة ، ويتورع فى الحاجات (249) ، فاذا جاءت الفتيا لم يصبر !

قال المؤلف رضى الله عنه : وسكوت سحنون على جوابه دليل على صوابه ، وأنه كان ممن يفتى مع سحنون وبحضرته .

وقال له رجل : أوصنى بكلمات ينفعنى الله بها ويأجرك عليها .

فقال : أوصيك يابنى أن تتقى الله ، وتجتنب محارم الله ، وتؤدى فرائض الله ، وتحسن الى عباد الله ، وان زدت زادك الله .

ويذكر أنه ما تزوج قط ولا تسرى ، وكانت له جاريتان تقومان به وتخدمانه .

فقيل له : ألا تتسرى باحداهما ، فانهما تصلحان لذلك ؟

فحلف أنه لا يعرف صفة وجوههما ، لشغله بعبادة ربه عز وجل .

وكان يقول : زيارة الاخوان نقص من العمل (250) .

قال بعضهم : يريد أنه يقطع عما يكون فيه الانسان من عمل .

وهو الذى بنى قصر زياد ، وأنفق فيه اثنى عشر ألف دينار ، ستة آلاف من عنده ، وستة آلاف من عند اخوانه .

وكان قد استشار سحنون فى الخروج الى غزو صقلية مع أسد ، فكسره عن ذلك ، وقال له : كنت ذكرت أنك تحب بناء قصر زياد ، وأن عندك أخبارا توجب الخوف فى البر والبحر .

فذكر ذلك لاسد ، فقال : صدق سحنون .

وكانت لعبد الرحيم ضيعة واسعة .

---

(249) قوله « فى الحاجات » ـــ ثابت فى نسخة ط . ساقط من نسخ أ . ك . م .

(250) أ ، ك ، م : من العمل ـــ ط : من العمر .

وذكر أنه كان له سبعة عشر ألف، أصل من الزيتون ، وكان لسحنون اثنا عشر ألف أصل .

وكان عبد الرحيم قد استشار سحنون ، فى بيع ضيعته والتصدق بهـا ، فنهـــاه .

وتوفى سنة ست ، ويقال سبع ، وأربعين ومائتين .

ورثاه بعضهم بقصيدة أولها :

ما بال عينك للشجا لا تدمـــع　　　اذ هد ركن الديـــن أم لا تجـــزع
فابكى على عبد الرحيم فقد ثـــوى　　　فى برزخ ، قد فاز ذاك الموضـــع

ورثاه آخر بقوله ، وهو حاتم الجيبانى (251) المتعبد :

قل للتقى والدين بعـــد محمـــد　　　جودا على عبد الرحيم فقد غبـــر
ما كان أتقاه وأحســـن أمـــره　　　فى الله يسعى قد تشمر واتـــزر
أما النهـــار فصائـــم متهجـــد　　　والليل يهتف بالقران الى السحـــر

وقال الصدفى فى أرجوزتـــــه :

بنى بقصـــر المرتضـــى الامـــام　　　عبد الرحيم الصائـــم القـــوام
ما كان الا علـــم الاســـلام

أبو الســـرى واصـــل العابـــد الخمـــى

من قصر خمة ، قال سعدون الخولانى ــ وكان يخدمه ــ : كـــان واصل من رجال مالك ، يعنى من أصحابه .

(322) وذكر غيره * سبب طلبه للعلم ، وكان أولا مشتغلا بالعبادة .

قال أبو العرب : كان مجتهدا فى العبادة ، له مناقب كثيرة ، لم أعلم أن العلم روى عنه .

---

(251) ط م : الجيباني ــ ك : الجيامي ــ أ : الجينياني .

قال أبو ميسرة : قال واصل : جئت الى جامع سوسة يوم جمعة ، فصليت ، وسحنون قريب منى ، فأذن المؤذن وقد بقى على شىء من السورة ، فأتممتها وقد أخذ الامام فى الخطبة ، فلما سلم الامام سأل سحنون عنى ، فأخبر بى ، فنودى بى ، فقال : من أنت ؟

قلت : واصل .

قال : واصل الذى يقال !

قلت : أسأل الله بركة ما يقال .

فقال لى : رأيتك تصلى والامام يخطب ! أطلبت شيئا من العلم ؟

قلت : لا .

قال : اطلب العلم ، أو فلا تسكن فى شىء من هذه الحصون .

فاختلفت الى عون بن يوسف سبع سنين .

قال المالكى : فتفقه به ، وحفظ من العلم ما قمع به الشيطان ، ثم تشمر للعبادة وقيام الليل وصيام النهار حتى مات .

وكان أبو عبد الله بن سحنون يعظمه .

وكان واصل يسكن بقصر الطوب من سوسة .

ذكر عبادته وخوفه وزهده

ذكر سعيد بن الحداد (252) أن واصلا أقام أربعين سنة لم يدخر شيئا من الدنيا ، وانه ليقيم الايام لا يطعم شيئا ، فاذا أجهد خرج فأكل مباقيل الارض ، ثم عاد لمصلاه .

وحكى المالكى أنه خرج ليلة من المسجد ، فلما صارت احدى رجليه بخارج المسجد والاخرى داخله ، عرضت له فكرة ، فرفع رأسه وقال

(252) ك م : الجزار — أ الخراز — ط : الحزاز — ولعل الصواب ما أثبتناه : « سعيد بن الحداد » انظر الجزء الاول من هذا الكتاب ص 97 و ص 160 .

لنفسه : أطاعت السماوات والارض على عظمتهما وما فيهما ، وعصيت أنت على صغرك !

وبقى باهتا حينا طويلا ، ثم استرخى ، وسقط مغشيا عليـــه ، فصادف رأسه الحائط ، فجرحه ، فحمل وهو على حاله .

وذكر أنه قدم الى القيروان يوم جمعة ، فعرض له وهو فى صلاته شىء من فهم القرآن ، استغرقه حتى خطب الامام وصلى ، ولم يشعر .

فسأله سحنون عن ذلك .

فأخبره بما استغرقه .

فقال له سحنون : وصلت والله يا واصل !

قال : وقصده رجل من أهل المشرق سمع به ، فقال له أنت واصل ؟

قال : نعـــم .

قال له : قرصتك من أين ؟

قال : بين الكاف والنون .

قال : فأخبرنى ، أنت ساكن فى المسجد ، وليس لك ماء ولا غيره ، فاذا طبخ المرابطون قدورهم ، ودخلوا بها بيوتهم ، وسمعت حسا على الداموس ، تستشرف نفسك الى من يأتيك بما تأكل ؟

فقال واصل : ما لنا عند أحد شىء ننتظره يجيئنا به !

فقال : أنت واصل حقا !

وذكر أن واصلا كان قبل أن يتعبد ، يتجر فى حانوت بما يـــوزن ويكال .

فجاءته امرأة ، فساومته فى شىء ، فخالفها فيه .

فقالت له : كفاك ما أنت فيه من مكيال وميزان .

فقال لها : صدقتنى .

وترك جميع ما كان فيه ، ولزم قصر الرباط .

قال أحمد بن أبى سليمان : قلت لواصل : بلغنى أنك لم تشرب الماء دهـــرا !

فقال : لم أشربه ثمانية أشهر ، ثم غلبت ، وذلك أنى كنت أناله فى البسيس والمرق .

قلت له : فالخبز ، كم لك لم تأكله ؟

قال : أكثر من عشرين سنة ، جربته ، فلما استغنيت عنه تركتــه تأديبا لنفســـى .

قلت له : بلغنى أن ابليس كلمك !

قال : لا .

قلت له : أفرأيته ؟

قال : دخلت على جارية فى المسجد فى حلى وصباغ ، فقمت اليهـا بالعصا فهربت ، فاتبعتها الى باب المسجد ، فوجدت القصر مسـدودا ، فعلمت أنها ابليس !

ذكر بعـض ما يحكـى من كراماتـه

ذكر أنه لما نزل قصر الرباط بغير شىء (253) أقام فيه أياما مقبلا على الصلاة والصوم ، فتبين فيه أهل الحصن ✻ الضعف ، من كثــرة مداومته وقلة غذائه ، فأتوه ليالى بطعام يفطر عليه من الشعير والبقل ، فلما طال عليهم تركوه . (323)

فأقام ليلة وثانية لم يطعم فيها شيئا .

فلما كان فى الثالثة ، اذا بضارب يضرب عليهم بــاب القصــر ، فسألوه فقال : غلام فلان — رجل من مشاهير القيروان مذكور بخير —

---

253) ط : بغير شيء — أ ك م : لغير شيء .

وجهنى الى الشيخ واصل بطعام ، وقال لى : ان أوصلته اليه هذه الليلة أنت حر .

وكانت الحصون لا تفتح بالليل .

فشاوروا واصلا ، فقال : ما عليكم أن تفتحوا له وتعتقوه .

ففتحوا له ، فاذا ببغل عليه حمل فيه دجاج ، وفراخ ، وسنبوسج ، وعجج ، وحلوى ، وجرادق ، فمد يده الشيخ الى شىء منه فأكله ، ثم قال لهم : اقسموا جميعـــــه .

فقسموه فيما بينهم ، وقالوا : أبيتم أن تطعموه الشعير ببقل البرية ، حتى أطعمكم هذا الطعام الطيب !

وقيل فى مثل هذه الحكاية عنه : ان امرأة رأت فى المنام قائلا يقول لها : أخوك واصل جائع ، فابعثى اليه بطعام .

فقالت لعبد لها : ان وصلت اليه فأنت حر .

وأتت مرة مراكب الروم عند قصره ، فأرادوا أخذ الماء ، فمنعهـــم المسلمون ، فلما يئسوا بسطوا الانطاعواستسقوا فسقوا ، فبلغ ذلك واصلا فاشتد عليه ، وقال : اللهم غرقهم واجعلهم نفلا للمسلمين .

فأرسل الله عليهم للوقت ريحا شديدة ، فكسرت مراكبهم ، ورمت بهم الى البر ، فغنمهم المسلمون .

قال سعدون : قال لى واصل : مكثت احدى عشرة سنة أتعرف فيها حالى عند الله كل ساعة ، فما علمت أن الشيطان ظفر بى ولا ساعة واحدة الا فى ثلاث خطوات خطوتها فى طريق ، ثم عاد على العلم ببركته فرجعت.

وذلك أنى كنت أمشى فى طريق الساحل فلما كان آخر النهار، عارضنى طريقان ، أحدهما الى قرية رجل صالح غنى ، والآخر الى قرية رجـــل صالح فقير ، وهما صديقان لى .

فوقفت أنظر من أقصد ، فقالت لى نفسى : ان قصدت الفقير عساك لا تجد عنده شيئا يتعشى عياله وأطفاله ، وان كان عنده ضيقت عليهم وغممتهم ، وان قصدت الغنى وجدت عنده خبزا طيبا من القمح ، من أرضه الموروثة ، وزيتا من زيتونه ، وتينا فاخرا ، وعساه يذبح لك خروفا من غنمه ، وهى ترعى فى أرضه ، فتسره وتجد بغيتك ، وتأكل شهوتك .

فخطوت فى طريقه ثلاث خطوات ، ثم استيقظت ، فقصدت طريق الفقير ، فرحب بى وطيب ، وأخذ بيدى الى بيته ، فلما جلسنا لنتعشى دق الباب علينا ، فخرج فأتانى بصحفة ثريد من القمح ، عليها لحم خروف سمين ، فقال لى : كل .

فأكلنا حتى شبعنا ، وحمل البقية الى عياله .

ثم ضرب الباب ، فخرج ، فأتى بطبق فيه صحفة زيت ، وتين فاخر ، فأكلنا حتى شبعنا .

ثم سألته فقال : أتانى به جار لى .

فقلت له : صح لى بـــه .

فسألته عن السبب .

فقال : نعم ، كان عندنا خروف سمناه ، وكنا ننتظر به يوما نفرح الصبيان بذبحه ، فحل اليوم ذلك بقلوبنا ، فلما ذبحناه وثردنا ، ورأيتك نزلت بجارنا ، قلت لامرأتى : لا ينزل بصالح الا صالح مثله ، وليس له طاقة ، ونحن نجد العوض فى غد يومنا ، فهل ترين أن نطعمهم ايـاه ، ونسألهم دعوة لنا ولاولادنا ؟

فقالت : افعل .

فجئتكما به من على المائدة .

ثم قالت لى الزوجة : لابد من حلاوة ، فأعطتنى هذا التين والزيت .

قال أبو الحسن القابسى : ذكر أن ابن سحنون كان يوما ضحـوة يلقى على أصحابه المسائل ، وهو يشرح (254) ، اذ وجم ساعة ، ثـم نهض للقيام ، ثم ❊ قال : من حضرته نية لزيارة الشيخ واصل فليقم . (324)

وخرج من فوره ، فوصل عصر غده ، فأتى المسجد ، فدخل واصل فصلى بهم ، ثم خرج يتنفل الى جانب ابن سحنون ، فلما سلم ، وسلم ابن سحنون من ركوعه ، قال الشيخ لابن سحنون : أعد الركعتين ، فانى رأيتك أمررت يدك على لحيتك ، وهو عمل فى الصلاة .

فقال له محمد : وأنت فأعد ، لأنك شغلت سرك بى .

فقال له واصل : أظنك محمد بن سحنون !

قال : نعـــم .

فمد يده اليه وصافحه ، وقال : سألت الله أمس ضحوة من النهار أن يجمع بينى وبينك .

وأخبار واصل كثيرة ، وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين ومائتين .

محمـد بـن سحنـون

مر نسبه فى ذكر أبيه .

تفقه بأبيه ، وسمع من ابن أبى حسان ، وموسى بن معاوية ، وعبد العزيز بن يحيى المدنى ، وغيرهم .

ورحل الى المشرق ، فلقى بالمدينة أبا مصعب الزهرى ، وابن كاسب، وسمع من سلمة بن شبيب .

قال أبو العرب : وكان اماما فى الفقه ، ثقة ، وكان عالما بالذب عـن مذاهب أهل المدينة ، عالما بالآثار ، صحيح الكتاب ، لم يكن فى عصره أحذق بفنون العلم منه فيما علمت .

---

254) قوله « وهو يشرح » ساقط من نسخة ط ، ثابت فى النسخ الاخرى .

قال ابن أبى دليم : وكان الغالب عليه الفقه والمناظرة ، وكان يحسن الحجة والذب عن السنة والمذهب .

قال ابن حارث : كان عالما فقيها مبرزا ، متصرفا فى الفقه والنظر ، ومعرفة اختلاف الناس ، والرد على أهل الاهواء ، والذب عن مذهب مالك ، وكان قد فتح له باب التأليف ، وجلس مجلس أبيه بعد موته .

قال يحيى بن عمر : كان ابن سحنون من أكثر الناس حجة ، وألقنهم بها ، وكان يناظر أباه ، وكان يسمع بعض كتب أبيه فى حياته ، يأخذها الناس عنه قبل خروج أبيه ، فاذا خرج أبوه قعد مع الناس يسمع معهم من أبيه .

وقال سحنون : ما أشبهه الا بأشهب .

وقال : ما غبنت فى ابنى محمد (255) الا أنى أخاف أن يكون قصير العمر .

وكان يقول لمؤدبه : لا تؤدبه الا بالكلام الطيب والمدح ، فليس هو ممن يؤدب بالتعنيف والضرب ، واتركه على بختى (256) فانى أرجو أن يكون نسيج وحده ، وفريد أهل زمانه .

قيل لعيسى بن مسكين : من خير من رأيت فى العلم !

فقال : محمد بن سحنون .

وقال أيضا : ما رأيت بعد سحنون مثل ابنه ، وكان رأى جماعة بالمشرق وغيره .

قال حمديس القطان : رأيت العلماء بمكة والمدينة ومصر ، فما رأيت فيهم مثل سحنون ، ولا مثل ابنه بعده .

---

255) وردت هذه العبارة فى جميع النسخ الخطية التي بين أيدينا هكذا : « ما عنيت فى ابني محمد » ووردت فى الديباج المذهب لابن فرحون هكذا : ما غبنت فى ابنى محمد ــ انظر الديباج ص 234 و 235 .

256) م : « بختي » وكذلك فى الديباج ص 235 ــ أ : « بحتي » فوقها كلمة ــ كذا .. ــ ك : « فحتى » ــ ط : « نحتى » وفوقها علامة .

وذكر ابن مغيث(257) أن القاضى اسماعيل بن اسحاق ذكره له، فقال له فيه : الامام ابن الامام

وذكر مرة ما ألفه العراقيون من الكتب ، فقال له اسماعيل : عندنا من ألف فى مسائل الجهاد عشرين جزءا ، وهو محمد بن سحنون ، يفخر بذلك على أهل العراق .

قال ابن حارث : كان من الحفاظ المتقدمين المناظرين المتصرفين ، وكان كثير الكتب ، غزير التأليف ، له نحو من مائتى كتاب فى فنون العلم.

ولما تصفح محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، كتابه وكتاب ابن عبدوس ، قال فى كتاب ابن عبدوس : هذا كتاب رجل أتى بعلم مالك على وجهه ، وفى كتاب ابن سحنون : هذا كتاب رجل يسبح فى العلم سبحا .

قال ابن الجزار : كان ابن سحنون امام عصره فى مذهب أهل المدينة بالمغرب ، جامعا لخلال تلما اجتمعت فى غيره ، من الفقه البارع ، والعلم بالأثر والجدل والحديث ، والذب عن مذهب أهل الحجاز (325) ، سمحا بماله، كريما فى معاشرته ، نفاعا للناس ، مطاعا ، جوادا بماله وجاهه ، وجيها عند الملوك والعامة ، جيد النظر فى الملمات .

قال حمديس : جئت يوما الى محمد بن سحنون ، فأخرج الى كتاب الرجوع عن الشهادة ، فقال لى : خط من هذا ؟

قلت : خط سحنون .

وكان ابنا عبدوس أنكرا أن يكون لسحنون .

فقال لرجل : امض بالكتاب اليهما ، ولا يسماه ، وأرهما اياه ورقة ورقة ، وقل لهما : خط من هو ؟

ففعل الرجل ذلك ، فقالا : خط سحنون ، وما ظننا ذلك .

---

257) أ . م : ابن مغيث ـــ ط ابن مقيت ـــ ك : ابن معتب .

فقال : قل لهما : يا مساكين ! يكون مقامى مقامكما ! أنا معه فى الدار وأنتما بـــرا (258) .

ذكــر تــوالـيـفـه

وألف ابن سحنون كتابه المسند فى الحديث ، وهو كبير ، وكتابـه الكبير المشهور الجامع ، جمع فيه فنون العلم والفقه ، فيه عدة كتب ، نحو الستين ، وكتابا آخر فى فنون العلم .

ومنها كتاب السير ، عشرون كتابا ، وكتابه فى المعلمين ، ورسالته فى السنة ، وكتاب فى تحريم المسكر ، ورسالة فيمن سب النبى صلى الله عليه وسلم ، ورسالة فى أدب المتناظرين ، جزءان ، وكتاب تفسير الموطأ، أربعة أجزاء ، وكتاب الحجة على القدرية ، وكتاب الحجة على النصارى، وكتاب الاباحة ، وكتاب الرد على الفكرية (259) ، وكتاب الورع ، وكتاب الايمان والرد على أهل الشرك ، وكتاب الرد على أهل البدع ، ثلاثة كتب، وكتاب فى الرد على الشافعى وعلى أهل العراق ، وهو كتاب الجوابات ، خمسة كتب ، وكتاب طبقات العلماء ، سبعة أجزاء ، وكتاب الأشربـة وغريب الحديث ، ثلاثة كتب ، وكتاب التاريخ ، ستة أجزاء .

قال بعضهم : ألف ابن سحنون كتابه الكبير ، مائة جزء ، عشرون فى السير ، وخمسة وعشرون فى الأمثال ، وعشرة فى آداب القضـاة ، وخمسة فى الفرائض ، وأربعة فى الاقرار ، وأربعة فى التاريخ والطبقات، والباقى فى فنون العلم .

قال غيره : وألف فى أحكام القرآن .

بقيـة أخـبـاره وفضائـلـه

قال ابن سحنون : دخل على أبى وأنا أؤلف كتاب تحريم النبيذ ،

---

258) « وأنتما برا » هكذا وردت العبارة فى جميع النسخ الخطية التي بين أيدينا ، ولم يرد لها ذكر فى الديباج .

259) هكذا ورد اسم هذا الكتاب فى جميع النسخ التي بين أيدينا ، وورد فى الديباج ص 236 : وكتاب الرد على البكرية .

فقال : يا بنى : انك ترد على أهل العراق ، ولهم لطافة أذهان ، وألسنة حداد ، فاياك أن يسبقك قلمك لما تعتذر منه .

وذكر أبو القاسم اللبيرى (260) أن ابن سحنون ، أتى بعد موت سحنون هو وأصحابه زائرا الى عبد الرحمان (261) بن عبد ربه الزاهد ، فسلم عليه ، فرد عليه السلام وتركه جلس حيث انتهى به المجلس ، ولم يقبل عليه حتى انصرف .

فلما كانت الجمعة الأخرى ، استنهض محمد (262) أصحابه لزيارته ثانية ، فقالوا له : رأيناه لم يقبل عليك .

فقال : ليس هذه بغيتى ، هو رجل صالح ، ترجى بركة دعائه ، وقد كان سحنون يأتيه ويتبرك بدعائه ويلجأ اليه عند المهمات .

فعاد اليه ابن سحنون وأصحابه ، فلما رآه قام على رجليه ، ورحب به ، وأجلسه فى موضعه ، ولم يزل مقبلا عليه حتى انصرف .

فقيل له فى ذلك ، مع فعله الاول .

فقال : والله ما أردت بذلك الا الله ، رأيت اجتماع الناس عليه ، فخفت فتنته ، فعملت ما عملت ، لأجربه ، فرأيت فى ليلتى قائلا يقول لى : مالك لم تقبل على ابن سحنون ، وهو ممن يخشى الله ؟

وفى رواية : وهو ممن يحب الله ورسوله .

(326) فبلغت ابن سحنون ، فبكى بكاء * شديدا ، وقال : لعله بذبى عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما خرج الى الحج ، نزل بمصر على أبى رجاء بن أشهب بن عبد العزيز ، فقصده علماء مصر ووجوهها، يسلمون عليه ، وابن المدنى(263)،

---

260) ك م : اللبيري — ط : اللبري — أ : السدي .
261) أ . ك . م : عبد الرحمان — ط : عبد الرحيم .
262) أ : استنهض محمد أصحابه — ط ، ك . م : استنهض محمد وأصحابه .
263) أ ، ك : وابن المدنى — ط . م : وابن المزني .

فأطال الجلوس معه ليخلو به ، فلما خرج ، قال أبو رجاء : سألته عنه ، فقال : لم أر والله أعلم منه ، ولا أحد ذهنا ، على حداثته .

وكان اذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة ، وكتب اذ ذاك كتابى الامامة بماء الذهب ، ووجه بهما الى الخليفة .

قال عيسى بن مسكين : وما ألف فى هذا الفن مثلهما .

قال سليمان بن سالم : واختلف اذ ذاك المزنى (264) وهارون بن سعيد الأيلى ، فى مسألة ، فتحاكما الى محمد بن سحنون .

قال سليمان بن سالم : قدم رجلان من كنانة ، يسمعان العلم ، ويقصدان لابن أبى المنهال ، وابن قادم ، فباتا على ذلك ، فرأى أحدهما فى المنام أن سائلا سأله ، فأخبره عن قصدهما ولمن قصدا ، فقال : الى حتى أريكما ممن تطلبان (265) .

قال الرائى (266) : فأخذ بى على طريق منحرفة ، حتى أوقفنى على مسجد فيه شيخ ، والناس حوله ، فقال لى : هنا ، اطلب العلم من هذا ولا تعده .

فلما أصبح الرائى قال لصاحبه : سربنا الى حيث سير بى البارحة ، وأخبره بالرؤيا ، فمضى معى ، وسرت على المواضع التى رأيتها فى المنام، حتى أتى مسجد ابن سحنون ، فعرفه بالرؤيا التى رأى ، وعرفه ، وسلم عليه ولزمـــاه .

وحدث بعض سكان القصر ، أنه خرج ليلة فى القصر بعد العشـــاء الأخيرة ، فاذا بقارىء يقرأ فى بعض البيوت « وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور » (267) ويردد الآيـــة .

---

(264) ط . ك . م : المزني — أ « الرازي » وهي غير واضحة جدا .

(265) ط : فقال : الى حتى أريكما ممن تطلبان — أ : فقال لى : حي ، أريكما ممن تطلبان — ك : فقال لى : حتى أريكما ممن تطلبان — م : فقال لي : جيء ، أريكما ممن تطلبان.

(266) أ : الرائي — ك ، م : الرازي — ط : غير واضحة .

(267) الآيتان 21 و 22 من سورة الأعراف .

فرجع الرجل الى صلاة الصبح ، وهو على حالته .

قال : وأسمع وقع الدموع على الحصير ، الى أن خرج لصلاة الفجر مستور الوجه ، فلم أزل أرتقبه ، فاذا به محمد بن سحنون !

قال عيسى بن مسكين : قلت لابن سحنون : كيف الرش ؟ يعني النضح .

قال : تبسط الثوب ، ثم ترش عليه ، ثم تقلبه ، ثم ترش عليه ، ثم تجففه .

قيل لعيسى : الطاق الواحد من الناحيتين ؟

قال : نعم .

قال المؤلف رضى الله عنه : يحتمل ـ والله أعلم ـ أن يكون هذا فيما يشك فى نجاسته من الناحيتين ، أو من احداهما ، ولم يتيقن ، أو شك أن النجاسة داخلته .

قال : وقد رأيت لأبى الحسن القابسى فى صفة النضح قال : يرش الموضع المتهوم بيده رشة واحدة ، وان لم يعمه ، لأنه ليس عليه غسل فيحتاج أن يعمه .

قال : وان رشه بفيه أجزاه .

قال المؤلف رضى الله عنه : لعله بعد غسل فيه من البصاق (268) وتنظيفه ، والا فانه يضيف الماء ويغلب عليه .

قال عيسى : كنت قد أخذت منه كتابين أمهات (269) فحضرت الصلاة ، فقدمنى ، فأخرجتهما من كمى ووضعتهما ، فأخذهما محمد وأدخلهما فى كمه ، وصلى ، فأخجلنى بفعله .

---

268) قوله « من البصاق » ساقط من نسخة ط . ثابت فى النسخ الاخرى .

269) هكذا وردت هذه العبارة فى جميع النسخ الخطية التي بين أيدينا (كتابين أمهات) .

قال ابن اللباد : حج محمد بن سحنون سنة خمس وثلاثين ، فغلطوا في يوم عرفة ، فرأى محمد أن ذلك يجزىء من حجهم (270) .

واختلف فيها قول أبيه .

قال المؤلف رحمه الله : حكى الطائى عن أبى أسلم المالكى اجماع مالك وأبى حنيفة والشافعى ، على اجزاء هذه المسألة .

قال بعضهم : كنت عند محمد بن سحنون ، فجاءه يعقوب الجزرى (271) فأنشده :

محمد يا ابن من بالعدل قد نفذت قضاياه
ويا ابن مناصح لله يرجوه ويخشاه

أبوك أب أهان لجنة الفردوس دنياه
فمن والى أبوك بوده فالله مولاه

مناى ، وقد ينال المرء عفوا ما تمناه
كتاب منك تنجح حاجتى ان كنت أعطاه

(327) * فطل وامنن على به وحطنى حاطك الله

فقال له محمد بن سحنون : نعم وكرامة

وكتب له فى حاجته .

*
* *

قال أبو العرب : كان ابن سحنون من أطوع الناس فى الناس ، سمحا كريما ، نفاعا للناس اذا قصد .

قال ابن حارث : كان كريما فى نفسه (272) جوادا بماله وجاهه ، ويصل من قصده بالعشرات من الدنانير ، ويكتب لمن يعنى به الى الكور ،

---

(270) أ : يجزي من حجهم — ط : يجزيهم من حجهم — ك م : يخرجهم من حجهم — وفى الديباج ص 237 يجزىء من حجهم .

(271) أ ، م : الجزري — ط : الجريري — ك : الجدري .

(272) قوله « كريما فى نفسه » ساقط من نسخة ط .

فيعطى الأموال الجسيمة ، مقدما عند الملوك ، وجيها عند العامة ، نهاضا بالأثقال ، واسع الحيلة ، جيد النظر عند الملمات .

وهو كان السبب المقيم لسليمان بن عمران وعبد الله بن طالب ، وذلك أنه عنى بسليمان حتى استكتبه أبوه ، ثم ولاه قضاء باجة .

فلما مات سحنون ، وولى سليمان بن عمران قضاء القيروان مكانه ، فأساء صحبة محمد بن سحنون ، وفسدت الحال بينهما ، الى أن وجه عيه سليمان ، فأتاه محمد فى خلق ممن تبعه ، فأغلظ له سليمان فى القول ، فحفظ من كلامه : ما أحوجك الى من يمضغ قطن قلنسوتك هذه ! ولم يجسر عليه بمكروه .

وكان سليمان يلقبه ويؤذيه بالقول .

وجاء رجل الى ابن سحنون ، فقال له : يا أبا عبد الله ! الرسول يبلغ ولا يلام ، ابن القيار يقرأ عليك السلام ويقول : أتيت أقواما لو أن السماء أمطرت عليهم أربعين خريفا ما نبتوا .

يعرض بسليمان بن عمران .

فقال ابن سحنون : هذا جزاء من فعل شيئا لغير الله .

ولم تزل الحال تتزايد فى فساد ما بينهما ، الى أن توارى ابن سحنون خوفا على نفسه ، فكتب فى تواريه الى الأمير محمد بن الأغلب ، بما كتب به عثمان الى على رضى الله عنهما :

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلى والا تداركنى ولما أمزق

فقال ابن الأغلب : ومن يمزقه ؟ مزق الله جلده !

ثم رفع يد سليمان عنه ، وأمنه منه .

وقيل ان ابن سحنون ، لما طال تواريه ، لجأ بنفسه الى الأمير ، فركب متنكرا اليه ، ولقيه مؤدب أولاد الأمير ، فسأله ابن سحنون أن يستأذن له الأمير فى الخروج عن القيروان .

ففعل ذلـــك .

فقال الأمير : اذا أذنت لابن سحنون فى الخروج ، مع من أبقـــى ؟ أخبره أنى قد رفعت يد سليمان بن عمران عنه .

فظهر ابن سحنون ، وشق السماط الأعظم ، حتى أتى الجامـــع ، فصلى فيه ، فبلغ ذلك سليمان ، فعلم أنه أمن ، ورفعت يده عنه .

وظهر محمد بن سحنون ، وقامت رئاسته ، وشجى به سليمـــان وجماعة العراقيين ، ورد سليمان غيظه على أصحاب ابن سحنون ، فأخذ فرات بن محمد ، فضربه بالسياط .

وبينما محمد بن سحنون يمشى يوما، لقيه صاحب الصلاة بالقيروان، المعروف بابن أبى الحواجب ، وكان من أعدائه ، فأومأ الى أذنه ، فأمكنـــه ابن سحنون منها ، فقال له سر ، يا كذا يا ابن كذا ! سبا قبيحا .

فأجابه ابن سحنون جهرا : تقضى حاجتك .

يغالط من حضره .

وصار ابن أبى الحواجب ، فأخبر سليمان بن عمران بذلك ، فقال له: ان صدقت فتحنط !

وركب ابن سحنون الى أحمد بن محمد الحضرمى ، فسأله أن يزين للأمير تولية ابن طالب على الصلاة ، فأجابه الأمير اليه .

فخرج الحضرمى بذلك الى ابن سحنون ، فسأله ابن سحنون كتـــم ذلك الى وقت الخطبة .

ووجه ابن سحنون فى ابن طالب فأعلمه بذلك ، وقال له : تهيأ ، فاذا رأيت ابن أبى الحواجب قد خرج الى المقصورة ، فقم بين يديه ، وارق المنبر واخطب .

فلما كان يوم الجمعة ، هجر ابن أبى الحواجب الى الجامع ، فنـــزل فى المقصـــورة .

وأتى ابن طالب فركع الى جانب ابن سحنون وسليمان بن عمران عند المنبر .

(328) فلما خرج ابن أبى الحواجب * الى المقصورة ، وهى حجرة بقبلى الجامع ، ورفع رجله الى درجة المنبر ، صعد ابن طالب على المنبر وقد تقلد السيف ، ومد القيم يده الى ثوب ابن أبى الحواجب فجبذه .

وكان سليمان بن عمران قد نعس حينئذ ، فما راعه الا صوت ابن طالب ــ وكان فصيحا ــ يقول : الحمد لله الذى شكر على ما به أنعم ، والحمد لله الذى عذب على ما لو شاء منه عصم ، والحمد لله الذى على عرشه استوى ، وعلى ملكه احتوى وهو فى الآخرة يرى .

فعلت سليمان بن عمران كآبة ، وتهلل وجه ابن سحنون ، واستمر ابن طالب فى خطبته ، وتمت الصلاة .

فلما انصرف سليمان الى منزله ، جمع شيوخ القيروان ، وأمرهم أن يسيروا الى الأمير ، ليزكوا عنده ابن أبى الحواجب ، ويسألوه رده على الصلاة .

فبلغ الخبر ابن سحنون ، فوجه الى الحضرمى فأعلمه بالأمر ، فلما أطل القوم على القصر ، أرسل اليهم الحضرمى : أما تستحيون أن تسألوا الأمير أن يحط ابن عمه وقد أراد التنويه به ، ويشرف صاحبكم ؟ ــ وكان ابن طالب من بنى عم الأمير ــ انصرفوا ، فانا لم نسألكم عن تزكية ولا جرحة .

فانصرف القوم ، فكانت تلك أول نكبة سليمان ، ثم لم تزل أمور ابن طالب تنمى ، الى أن عزل سليمان ، وولى ابن طالب قضاء افريقية مكانه .

ووجه ابن الأغلب فى ابن سحنون ، فسأله : ما تقول فى يزيد ؟

فقال : أصلح الله الأمير ، لا أقول ما قالت الأباضية ، ولا ما قالت المرجئة .

قال : وما قالتا ؟

قال : قالت الأباضية : ان من أذنب ذنبا فهو من أهل النار ، وقالت المرجئة : لا تضر الذنوب مع التوحيد .

أتى يزيد عظيما جسيما ، ويفعل الله فى خلقه ما أحب .

ثـــم انصـــرف .

وذكر أن رجلا من أصحاب محمد ، دخل بمصر حماما عليه رجـــل يهودى ، فتناظر معه الرجل ، فغلبه اليهودى لقلة معرفة الرجل .

فلما حج محمد بن سحنون ، صحبه الرجل ، فلما دخل مصر ، قال له: امض بنا أصلحك الله الى الحمام الذى عليه اليهودى .

فلما دنا خروج محمد ، سبقه الرجل ، وأنشب المناظرة مع اليهودى حتى حانت الصلاة ، فصلى محمد الظهر ، ثم رجع معه الى المناظرة حتى حانت العصر ، فصلاها محمد ، ثم كذلك الى العشاء ، ثم الى العشـــاء الأخيرة ، ثم الى الفجر ، وقد اجتمع الناس ، وشاع : الفقيه المغربـــى يناظر اليهودى !

فلما حانت صلاة الفجر ، انقطع اليهودى وتبين له الحق ، وأسلم ، فكبر الناس وعلت أصواتهم .

فخرج محمد وهو يمسح العرق عن وجهه ، وقال لصاحبه : لا جزاك الله خيرا ، كاد أن تجرى على يديك فتنة عظيمة ، تناظر يهوديا وأنـــت ضعيف ، فان ظهر عليك اليهودى لضعفك ، افتتن من قدرَ الله بفتنته ، أو كمـــا قـــال .

*
* *

وذكر أن رجلا عراقيا كان يؤذى محمد بن سحنون ، وينال منه ، فاشتد عليه مرة الفقر ، فقام بباله قصده ، فنهته امرأته لما عرفته منه ، فلم يقبل منها ووصل اليه فقال : جئت أستعينك واستعفيك .

فقال : اذكر حاجتك .

فقال : ما جئت الا لهذا .

قال : لابد أن تذكر حاجتك .

فشكا اليه حاله .

فاسترجع محمد وقال : يا أخى ! بلغ منك هذا وأنا فى الدنيا ؟

وكتب له رقعة الى صيرفى بعشرين دينارا ، وقال : اشتر بها لأهلك ما يحتاجون .

ففعل الرجل ، وأخبر بذلك ابن سحنون ، فسر ، ثم قال له : تقدر على السفر ؟

قال : نعم ، فكتب له كتبا ، وقال له : تمضى بها الى قصنطينة .

(329) فمضى الرجل بها ❊ وأوصلها الى أصحابها ، فأكرم ، وأضيف ، وأعطى ثلاثمائة دينار .

فظن الرجل أنها لمحمد بن سحنون ، وأنه وجهه وراءها ، فلما وصل الى القيروان دفعها لمحمد بن سحنون ، وأجوبة القوم ، فقال محمد: انا لله وانا اليه راجعون ، حال الناس !

فقال له الرجل : يا سيدى ان كان بقى شىء رجعت اليه أقتضيه لك

فقال : ليست لى ، انما هى لك ، وما عهدناهم كذلك .

يستقلها لــه .

وفى حكاية أخرى أن رجلا من العراقيين كان يغرى به حتى قبل أصحابه ، يشتمه علانية وسرا اذا وجده مع الناس ، فشتمه يوما فى أذنه وهو فى أصحابه ، فقال : نعم وكرامة ، اذا تفرغت تقضى حاجتك .

وبلغ ذلك العراقيين ، فاتهموا صاحبهم وأضاعوه ، فشكا حاله الى بعض الصالحين ، فدله على محمد بن سحنون ، فسار اليه ، فأصغى اليه محمد أذنه ، وهو يظن أنه يجرى على عادته .

فقال له : والله ما جئتك الا تائبا منيبا .

فأجلسه ، فلما قضى مجلسه أخذ بيده ، وحمله الى منزله ، ودفع اليه عشرين دينارا ، ثم كتب له ثلاثين كتابا الى ثلاثين رجلا من أصحابه بالساحل ، يسأل كل واحد أن يشترى له جارية .

فوصلت اليه ثلاثون جارية ، فأمر ببيع خمسة منهن ، وأصلح بثمنهن حال خمسة وعشرين ، ودفعهن الى الرجل .

*
* *

وحكى المالكى قال : كانت لمحمد بن سحنون تسعة أسرة ، يريد لكل سرير سرية ، وكانت له سرية يقال لها أم مدام (273) ، فكان عندها يوما وقد شغل فى تأليف كتاب الى الليل ، فحضر الطعام ، فاستأذنته ، فقال لها: أنا مشغول الساعة .

فلما طال عليها ، جعلت تلقمه الطعام ، حتى أتى عليه ، وتمادى على ما هو فيه الى أن أذن لصلاة الصبح ، فقال : شغلنا عنك الليلة يا أم مدام ، هات ما عندك .

فقالت : قد والله يا سيدى ألقمته لك .

فقال لها : ما شعرت بذلك .

*
* *

قال سليمان بن سالم : قال لى محمد بن سحنون : دخلت مسجد مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، فاذا بحلقة عظيمة ، فيها شيخ متكىء، فجلست كما نزلت من المحمل بثياب السفر ، فوجدتهم يتنازعون فى مسألة من أمهات الأولاد ، فأدخلت عليهم فيها حرفا ، فنبههم الشيخ عليه ، واستوى جالسا ، ثم زدت حرفا آخر ، فقال لى : أين بلدك ؟

قلت : أصلحك الله ، رجل حاج .

فقال : أين بلدك ؟

---

273) أ ، ط ، ك : أم مدام — م : أم مدلج — وفى هامش هذه النسخة الأخيرة : « أم مراح » .

قلت : أفريقيـــــة .

فقال لى : ينبغى أن تكون ابن سحنون ، أو ابن أخى سحنون ، بالله من أنـــت ؟

قلت : ابن سحنـــون .

فقام الى الشيخ ، مع جميعهم ، فسلموا على ، وعتبونى اذ لم أعلمهم بنفسى ، فوالله ما خرجت من المسجد الا والشيخ يمشى يكتب المسألة وأنا أمليها عليه .

ذكـر مذهبـه فـى الايمـان (274)

كان محمد بن سحنون لا يستثنى فى مسألة الايمان ، وغالب ابـــن عبدوس (275) وغيره ، وكان يقول : أنا مؤمن عند الله .

وكان ابن عبدوس ، وأصحابه ، وأهل مصر والمشرق ، ينكرون ذلك عليه وعلى من يقوله ، وينسبون مسائله الى الارجاء .

وتكلم بذلك مرة بمصر رجل فى حلقة أبى الذكر الفقيه ، فأنكروا عليه، فقال أبو الذكر : وعندنا فرقة بالمغرب يقال لها السحنونية تقول ذلك .

وكان ابن سحنون يقول : المرء يعلم اعتقاده ، فكيف يعلم أنه يعتقد الايمان ثم يشك فيه ؟

(331) وبقى بين * أصحابه بعده وبين أصحاب ابن عبدوس وغيرهم فى المسألة تنازع ومجادلات ومطالبات، وكانوا يسمون من خالفهم الشكوكية، لاستثنائهم .

---

274) ورد هذا الفصل « ذكر مذهبه فى الايمان » فى نسخة (أ) وهي التي نعتبرها النسخة الأم ، متأخرا عن الفصل الذي يليه « ذكر وفاته » . أما فى النسخ الأخرى : ط ، ك ، م : فقد ورد العكس ، وهو الذي آثرناه هنا لاتفاق معظم النسخ عليه من جهة ، ولانه هو الترتيب المنطقي من جهة أخرى — وبما أننا ننبه على أوائل صفحات نسخة (أ) بالأرقام التي توجد على جانب المتن . فسيلاحظ أن رقم 331 يرد سابقا على رقم 330 .

275) أ ، ك ، م : وغالب ابن عبدوس — ط : يخالف ابن عبدوس .

وسيأتى من أخبار بعضهم وما جرى بينهم بعد هذا فى موضعه ما يليق بالكتاب .

* * *

قال المؤلف القاضى أبو الفضل رحمه الله : والمسألة قد كثر الخوض فيها وكلام الأئمة عليها ، والحقيقة فيها أنه خلاف فى ألفاظ لا فى حقيقة ، فمن التفت الى مغيب الحال والخاتمة وما سبق به القدر ، قال بالاستثناء، ومن التفت الى حال نفسه وصحة معتقده فى وقته لم يقل به .

* * *

ثم نشأ بينهم بعد اختلاف آخر ، بعد ثلاثمائة سنة ، فى القول فى الغير . هل يقال : هو مؤمن عند الله أم لا ؟

وجرى بين ابن التبان (276) ، وابن أبى زيد ، والممسى (277) ، وأبى ميسرة ، والداودى ، وغيرهم فى ذلك زحوف ومطالبات ومهاجرة، سنذكر منها فى أخبارهم عند ذكر طبقتهم .

والصحيح فى هذا أيضا ما قاله أبو محمد بن أبى زيد : ان كانت سريرتك مثل علانيتك ، فأنت مؤمن عند الله .

زاد الداودى : وختم لك بذلك ؟

وأما ابن التبان وغيره فأطلق القول بأنه مؤمن .

قال محمد بن أبى زيد — وكان يقول بقول ابن سحنون — : كان ابن سحنون ورعا ، لم ينسب هذا القول الى أبيه .

ذكر وفاته

توفى محمد بن سحنون رحمه الله ورضى عنه بالساحل ، سنة ست وخمسين ومائتين ، بعد موت أبيه بست عشرة سنة .

---

276) أ ، ط : ابن التبان — م : أبي البيان — ك : أبي البيار .
277) أ : والمسمى — ط : والمسيبسي — ك ، م : والمسيبي .

وكانت وفاته بالساحل ، وجىء به الى القيروان ، فدفن بها ، وسنه أربع وخمسون سنة .

مولده سنة اثنين ومائتين فيما قاله أبو العرب .

وقال ابن الحارث : مولده على رأس المائتين .

وفى رثاء أحمد بن سليمان له :

وقد عاش خمسا بعد خمسين حجة   يحامى عن الاسلام الا ثمانيا

وصلى عليه الأمير حينئذ ، ابراهيم بن أحمد بن الأغلب ، وضرب على قبره قبة ، وضربت الأخبية * حول قبره ، وأقام الناس فيها شهورا كثيرة ، حتى قامت الأسواق والبيع والشراء حول قبره من كثـــرة الناس (278) ، حتى خاف من ذلك ابن الأغلب ، وبعث الى ابن عـــم سحنون ، المعروف بابن لبدة ، ففرق الناس . (330)

ورىء فى النوم ، فسئل ، فقال : زوجنى ربى خمسين حوراء ، لمـــا علم من حبى للنساء .

ورأى بعضهم حين مات سحابة تظل القيروان ، والناس يعجبون من حسنها ، اذ قال قائل : تدرون من فوق هذه السحابة ؟

قلنا لـــه : لا .

فقال : محمد بن سحنون ، ويده بيد الله تعالى ! !

ورثاه الشعراء بمراثى كثيرة ، من ذلك قول محمد بن داود ــ وكان من أصحابـــه :

اذر الدموع على أغـــر محجـــل   بسطت له أيدى المنون حبالهـــا
ما ضرها لو أمتعـــت بمحمـــد   هيهات رب العالمين قضـــى لهـــا
يا عين جودى بالدموع على الذى   نشرت عليه المكرمات ظلالهـــا
ولقد رأيت الأرض يوم رأيتـــه   فوق المناكب زلزلـــت زلزالهـــا

---

278) قوله « من كثرة الناس » ساقط من نسخة ط .

قل للمنية بعد مـوت محمـد تكسو الخليقة بعـده آجالهـا
يا صاحب القبر الذى لبس البلى ورثت نفسى همها وخبالها(279)
لما رأت تعطيل مسجدك الـذى بازاء قبرك غالها مـا غالهـا
ذاك المحل الأرحب العالـى اذا أعطى البريئة ربهـا أعمالهـا

وقال آخر :

قد مات رأس العلم وانهد ركنه وأصبح من بعد ابن سحنون واهيا
فمن لرواة العلم بعـد محمـد لقد كان بحرا واسع العلم طاميا (280)
بنى لك سحنون من المجد مفخـرا وورثك العلم الذى كـان فانيـا
وأصبحت مخصوصا بكل فضيلـة وشيدت ما قد كان شيخك بانيـا
وكنت لأهل العلم حصنا وملجـأ فأصبح منك اليوم حصنك خاليـا

وقال أحمد بن أبى سليمان :

ألاف بك للاسلام ان كنت باكيـا لحبل من الاسلام أصبح واهيـا
تثلم حصن الدين وانهد ركنـه عشية أمسى فى المقابر ثاويـا
امام حباه الله فضـلا وحكمـة وفقهه فى الدين كهـلا وناشيـا
وزوده التقوى وبصره الهـدى فكان بلا شك الى النور هاديـا

وهى طويلـة .

أحمد بن لبدة

أبو جعفر ، ابن أخى سحنون ، ولبدة أخو سحنون .

سمع من عمه .

قال أبو العرب : هو ثقة ، أخذ الناس عنه ، وكان وجيها بافريقية ، ذا فضل ودين .

قال ابن حارث : ولم يكن فى الفقه هناك ، الا أنه قام له جاه فى البلد بعد موت سحنون بأبوته ومكانه منه .

---

279) هذا البيت ساقط من نسخة ط .
280) ط . م : طاميا ــ أ : هاميا ــ ك : ضافيا .

قال ابن نصر : كانت المسائل ترد عليه من كل جانب ، فمرة يلقيها الى، ومرة الى موسى القطان ، فنتولى الجواب عنه ، وكان الناس يقولون : ابن لبدة عالم الايسير (281) .

قال الأبيانى : كانت خديجة بنت سحنون من أحسن النساء وأعقلهن، فذكر لى أبو داود العطار ، أن أحمد بن لبدة أرسله لسحنون يخطبها عليه، فذكرت ذلك له ، فقال : هممت بذاك فأباه محمد ــ يعنى ابنه ــ ولا أصنع ما لا يحبه .

فسكت عنه الى أن توفى سحنون ، فأرسلنى الى محمد ، فذكرت ذلك له ، فقال : كيف أصنع ما لم يصنع أبى ؟

فسكت عنه حتى توفى محمد ، فأرسلنى اليها فقالت لى : ما لم يصنع أبى وأخى أنا أصنعه ؟ لا أفعل .

فماتت وهى بكر .

وتوفى ابن لبدة هذا سنة احدى وستين ومائتين (282) .

محمد بن ابراهيم بن عبدوس بن بشير

أصله من العجم .

قال أبو سعيد المصرى : وهو من موالى قريش .

قال المؤلف رحمه الله : هو من كبار أصحاب سحنون ، وأئمة وقته ، وهو رابع المحمدين الأربعة الذين اجتمعوا فى عصر من أئمة مذهب مالك ، لم يجتمع فى زمان مثلهم ، اثنان مصريان : ابن عبد الحكم وابن المواز ، واثنان قرويان : ابن سحنون وابن عبدوس .

---

281) ط : ابن لبدة عالم الايسير ــ أ : ابن لبدة عالم الابيسير ــ ك . م : ابن لبدة عالم الابسير .

282) قوله « وتوفى ... الخ .. » ساقط من ط . ك . م . ثابت فى نسخة (أ) وقد ورد فى الديباج ذكر تاريخ وفاته وهو نفس التاريخ المذكور هنا . انظر الديباج ص 31 .

ذكر مكانه من العلم والفضل

قال محمد بن أحمد بن تميم : كان محمد بن عبدوس ثقة ، اماما فى الفقه ، صالحا ، زاهدا ، ظاهر الخشوع ، ذا ورع وتواضع ، بذ الهيئة (283) ، من أشبه الناس بأخلاق سحنون ، فى فهمه ، وزهادته فى ملبسه ومطعمه ، وكان صحيح الكتاب ، حسن التقييد ، عالما بما اختلف فيه أهل المدينة وما اجتمعوا عليه .

قال حماس القاضى : ما رأيت مثل ابن عبدوس فى الزهادة والفقه .

وقال مثله محمد بن بسطام .

(332) وقال أحمد بن زياد ❋ : ما أظن كان فى التابعين مثله ، يعنى فى الفضل والزهد .

وهذا غلو .

قال ابن حارث : كان حافظا لمذهب مالك والرواة من أصحابه ، اماما، فقيها غزير الاستنباط ، جيد القريحة ، ناسكا ، عابدا ، متواضعا ، يقال انه كان مستجاب الدعوة ، وانه دعى على ابن الأغلب المعروف بأبى الغرانيق، فعرفت استجابته .

قال ابن حارث : وكان نظيرا لمحمد بن المواز ، وألف كتابا شريفا ، سماه المجموعة ، على مذهب مالك وأصحابه ، أعجلته المنية قبل تمامه ، وكان لدة محمد ابن سحنون ، وجارا لهم ، نشأ معه بين يدى سحنون رحمه الله .

وله أيضا كتاب التفاسير ، وله كتب فسر فيها أصولا من العلم ، كتفسير كتاب المرابحة ، وتفسير المواضعة ، وتفسير كتاب الشفعة ، وكتاب الدور .

---

283) ك : « بذ الهيئة » أي سيئها ، وسيأتي من الكلام ما يؤيد هذا المعنى — أ ، ط : فذ الهيئة — م : بز الهيئة .

قال أحمد بن زياد : شهدته يوما قد أخذ فى شرح أصل من اللعان ، فلما توسط كلامه ، فهم عمن كان يكلمه أنه لم يفهمه ، فقطع كلامه وقال : هذا الأمـر يمـوت مع أصحابه .

يعنى الفقـــه الجيـــد .

وذكر مرة عند حماس القاضى ، ففضلوه على محمد بن سحنون ، فقال حماس : كان ابن عبدوس يلقى علينا المسائل ، فاذا أشكلت شرحها ، فلا يزال يفسرها حتى نفقهها فيسر بذلك ، وان لم يرنا فهمناها غمه .

قال لقمان : بلغ ابن عبدوس ، أن محمد بن سحنون قال يومـــا : يتكلمون فى الفقه ، ولعل أحدهم لو سئل عن اسم أبى هريرة ما عرفه !

فكان ابن عبدوس ربما قال للرجل من أصحابه : افهم هذه المسألـــة ، فانها أنفع لك من معرفـــة اسم أبى هريرة .

وفى رواية عن حماس : هذا أحب الى من معرفة اسم أبى سعيـــد الخدرى .

تعريضا بابن سحنون ، لعلمه بالرجال .

وكان ابن طالب شديد الاعظام لابن عبدوس ، عارفا بحقه ، وعليه كان يعتمد فى أحكامه ، ويطالبه بالمشاورة فى كل وقت .

وكان سليمان بن عمران يقول لابن طالب : ان مات لك ابن عبدوس ، ايش تصنـــع ؟

قال لقمان : كان وجه ابن طالب الى ابن سحنون ، وقلبه الى ابـن عبدوس ، وكان ابن طالب يقول : اللهم أبقنى ما أبقيت محمد بن عبدوس ، أقتدى به فى دينــــى .

وكان يثنى عليـــه .

قال ابن حبيب (284) : كنت أسأل فى المسائل النازلة سحنون ، فان تعذر فابن عبدوس .

---

(284) ط : قال ابن حبيب ــ أ . ك . م : قال حبيب .

وبه تفقه جماعة من أصحاب سحنون ، فمن بعدهم ، واستجـــازه أخوه (285) فى المجموعة ، وألف كتبه فى المذهب هذه المسماة بالمجموعة ، وهو نحو الخمسين كتابا .

وله أيضا أربعة أجزاء فى شرح مسائل من المدونة ، ذكرناهـــا ، وكتاب الورع ، وكتبا بفضائل أصحاب مالك ، وكتاب مجالس مالـك ، أربعـــة أجــزاء .

وقد تضاف بعض هذه الكتب الى المجموعة .

ودخل يوما محمد بن عبدوس على سحنون ، وعنده ابنه محمد ، وأبو داود ، وعبد الله بن الطبية ، وعبد الله بن الفريابى ، وجماعة من كبـــار أصحابه ، وقد ألقى عليهم مسألة ، فبقى عليهم فى الجواب .

فقال : ايش تتكلمـــون ؟

فقال سحنون : فأخبروه .

فقال : قال فيها بعض أصحابنا كذا ، وبعضهم كذا . وذكر الجواب والاختلاف .

فقال سحنون : نعم ، انظروا من يدرس ، وأنتم تركتم الدرس .

وحكى الأبيانى أن ابن عبدوس أقام سبع سنين يدرس لا يخرج من داره الا الى الجمعة .

ذكـــر زهـــده

ذكر ابن اللباد أن محمد بن عبدوس صلى الصبح بوضوء العتمـــة ثلاثين سنة ، خمسة عشر من دراسة ، وخمسة عشر من عبادة ؟

وروينا عن غيره أنه رأى فى منامه أنه يقال له : مخضت فجبن .

فأتى بعض أهل العلم بالرؤيا ، فقال له : حضضت على العمل .

---

285) أ : أخوه ــ ك : أخي ــ ط . م : آخر .

(333) فقال : وأى ❀ عمل أفضل مما أنا فيه ، من تأليف المجموعة .

ثم لزم العبادة والعمل ، فمات الى سنة .

قال أحمد بن نصر : كنت اذا دخلت الى محمد بن عبدوس ، وجدته قد جلس محتبيا متواضعا زائلا من صدر فراشه ، فلا يعرف من لا يدريه أنه صاحب المجلـس .

قال غيره : وكان اذا سمعته يصلى علمت أنه ممن يخشى الله تعالى .

وكان يركب على السند .

قال حماس : فعاتبناه على ذلك وقلنا له : الناس ينظرون اليـــك ويقصــــدونك .

فما زلنا به حتى اشترى سرجا دنيا كالقتب ، بعض السنود خير منه .

قال محمد بن بسطام : كان مجلس ابن عبدوس فى ركن المسجد ، فاذا جاء السائل لم يعرفه ، حتى يقال : ما هو ؟

وربما كان على رأسه منديل مهلبى ، فيركب بين السلال اذا خرج الى منزلـــه .

ولما انصرف من الحج ، أعرض عن الكلام فى مسائله ، لئلا ينفتح له باب من الرأى يظهر له به نقص فى حجه .

قال محمد بن بسطام : كنت فى بيتى ليلة شاتية ، اذ دق على الباب ، فخرجت ، فاذا محمد بن عبدوس وعليه جبة صوف ، وقلنساة فرو ، فقال لى : يا محمد ! ما نمت الليلة غما بفقراء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه مائة دينار ذهبا ، غلة ضيعتى هذا العام ، احذر أن يمشى الليـل وعندك منها شىء ، وانصرف .

قال أبو الفضل المسى (286) : صلى رجل خلف محمد بن عبدوس ، فلما سمع قراءته سقط الرجل ، فلما فرغ ابن عبدوس قام الرجل يقضى صلاته ، فقال له ابن عبدوس : يا هذا ! لا تصل حتى تسبغ الوضوء .

---

286) أ : المسى ــ ك : السيسي ــ م : السبيسى ــ ط : الهبسي .

فقال : ما فقدت عقلـــى .

فقال له ابن عبدوس : فما استحييت أن تقطع صلاة فريضة غير مغلوب ؟

وكان سحنون استكتبه فى جملة من استكتب لأول ولايته ، فكتب مدة، ثم أنكر فى الديوان أثرا من فعل غيره ، فاعتزل عن الكتابة ، وحلـف : لا أكتـــب .

فأعفاه سحنون .

ويقال : بل هرب الى سوسة ، وكان صاحب كشف الشهود لسحنون .

ذكـر ما حكـي عنـه فـى مسألـة الايمـان

ذكر المالكى فى تاريخه ، أنه لم يكن فى أصحاب سحنون أفقه من ابنه وابن عبدوس ، وكان الناس بينهما طائفتين ، المحمدية والعبدوسية ، كل طائفة تتعصب لصاحبها ، ولما وقعت مسألة الاستثناء فى الايمان ، حكى عن ابن عبدوس فيها شىء ، فشنع عليه ، فكان أصحاب ابن سحنـــون يسمون العبدوسية بالشكوكية .

وحكى أبو الحسن القابسى أن رجلا ضرب عليه باب داره ، فسأله عن المسألة ، فقال ابن عبدوس : أنا مؤمن .

فقال له : عند الله ؟

فقال : قد قلت لك ، فأما عند الله فلا أدرى بما يختم لى .

فبصق الرجل فى وجه محمد بن عبدوس ، فعمى الرجل لوقته .

والذى صح عن ابن عبدوس أنه قال : أدين بأنى مومن عند الله فى وقتى هذا ، ولا أدرى ما يختم لى بـــه .

وقال أحمد بن أبى سليمان : قلت له : الناس يتكلمون فيك ، وزعموا أنك تشك فى نفسك ، وتقول : لا أدرى ، وأرجو أن أكون مؤمنا ان شاءالله.

فقال : والله ما قلته قط ، فلا جزى الله من حكى هذا عنى خيرا ، ما شككت قط أنى مؤمن عند الله ، ولقد قرئت علينا رسالة محمد بن سحنون ، فما عدا الحق عندى منها حرفا أكثر من أن قلت : لا تتكلموا فى هذا .

فقلت له : ان ابن سحنون يقول : ان ذلك بدعة .

فقال : والله انى لأخاف أن يكون كفرا .

وحكى عنه حماس مثل هذا .

(334) قال الداودى * : انه قد ذكر ذلك لابراهيم بن عبد الله القلانسى ، فقال : لم يقل ابن عبدوس كذلك ، انما قال له: من لم يكن مؤمنا عند الله فهو عند الله كافر .

فظن ابن أبى سليمان أنه قال له : نحن مؤمنون عند الله ، وانما عرض له بقوله .

وفـــاتـــه

وتوفى ابن عبدوس سنة ستين ومائتين فيما قاله ابن حارث وغيره.

وقال آخرون : سنة احدى وستين .

وصلى عليه أخـــوه .

مولده سنة اثنين ومائتين ، مع ابن سحنون فى سنة واحدة ، وقيل بعده بسنة ، على الخلاف فى مولد ابن سحنون ، والله أعلم .

اسحـــاق بـــن عـــبـــدوس اخـــوه

كان أكبر من محمد سنا ، ولكن محمدا أعلى منه فى الزهد والفقه ، وهو كان المشهـــور المقصود فى العلـــم .

وقد سمع من اسحاق بشر كثير .

وكان سماعه مع أخيه من سحنون ، وكان من أهل الملبس الحسن والمركب ، يروح الى الجمعة راكبا ، ويروح محمد فى تقشفه راجلا تحت ركاب أخيه .

ولما حضرت محمدا أخاه الوفاة ، استجازه اسحاق مجموعته .

قال ابن اللباد : وحضرت جنازة اسحاق بن عبدوس ، فصلى عليه ابن طالب ، فسمعته يجهر بالدعاء له ، وكان من شأنه يجهر بالدعاء على الميت ، فسمعته يقول فى التكبيرات الأربع: لا الاه الا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم ارحمه ، اللهم اغفر له .

ثم تمادى بالدعاء على هذا النحو .

قال أبو بكر ، وكذلك قال أشهب : يبدأ بالحمد لله ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو .

قال بعضهم : سمعت اسحاق بن عبدوس وقد ذكرت عنده التزكية .

فقال : من كف لسانه وأذاه فى زماننا فهو عدل .

وتوفى اسحاق فى رمضان سنة ست وستين ومائتين .

ومولده سنة احدى ومائتين .

سعيد بن عباد

أبو عثمان ، يعرف بمزغلة ، أصله من سرت ، وسكن القيروان ، من أكابر أصحاب سحنون .

قال أبو العرب : كان ثقة ، فقيه البدن ، ذا عبادة ، فقيرا متعففا .

قال ابن حارث : وكان الغالب عليه العبادة والصلابة فى السنة ، وكان من أهل النسك والنية الصالحة .

ويقال انه مستجاب الدعوة ، وهو امام (287) أصحاب سحنـــون ، دؤوبـــا .

قال عبد الجبار : كنا نختلف الى سحنون جماعة ، فكان ـ والله ـ سعيد خيرنا .

قال ابن بسطام : سعيد من السنيين . وذكره بخير .

وذكر أنه كانت لامرأة عنده شهادة ، فأتته ، فوجدته فى خمرة طين قد بلغت منه الى فوق الركبتين ، وهو يعجنها ، فدعته لأداء الشهـادة ، فقال لها : أنا مستأجر كما ترين وأنت مضطرة !

فقال له صاحب البناء : اذهب معها فأنت فى حـــل .

فسلب الطين عن ساقيه ، وتلفع فى كساء موصول مرقوع ، وقـــال للمرأة : أين القاضى ؟

فعرفت وكيلها ، فازدراه ، وكان أشهر من الشمس ، ولكنه لم يكن كثير يعرف شخصه .

فقالت له المرأة : هذا خير من كل من ترى .

فأدى الشهادة عند القاضى ، ولم يعرفه ، فازدراه ، وكان القاضى حنفيـــا .

فقال له القاضى : يا شيخ ! صلاتك بالصيف والشتاء واحدة ؟

فقال له : نعـــم .

وذكر له حديثا ، ثم قال له : والعراق يومئذ دار يضرب فيهـــا بالنواقيس ، وأنت لعاب ، والله لا شهدت عندك بشهادة أبدا .

وقام ، فأرتج عليه ، وعرف به ، فقال : أنا والله سمعته . والقاضى يصيح وراءه : يا أبا عثمان ! يا أبا عثمان ! ❋ فلم يلتفت اليـه . (335)

وذكر أبو العرب أن سحنون خلا به يوما فقال له : ألست بامامك ؟

---

(287) أ . ك . م : أقدم ـ ط : امام .

قـــال : نعـــم .

قـــال : وتقبـــل قولـــى ؟

قال : لو لم أقبله لم أختلف اليـــك .

فقال له : هذا قوتى وعينى (289) ، فحلف بالله ، وأراه صـــرة فى يده ، ذكر أن فيها ثلاثين دينارا ، وقال له : ما هى من سلطان ولا تجارة، ولا وصية ، وما هى الا من ثمرة شجرة غرستها بيدى ، فخذها تتقوى بها على أمر دينك ودنياك .

فقال : أنا عنها غنى . وكان مفرط الحاجة الى ما دونها .

فقال سحنون : فخذها سلفا ، فتتزوج منها وتنفق ، فان رزقك الله فردها أقبلها منك ، وان تعذر ردها فأنت منها فى حل .

فقال : ما كنت بالذى آخذ دينا فى ذمة من غير حاجة .

فقال سحنون : فاذا أبيت فلا تذكره لأحد ما دمت حيا .

قال ابن بسطام : أرسلنى ابن عبدوس الى سعيد بعشرين دينارا ، وقال : قل له : بلغنى أنك تريد الزواج ، فخذ هذه ان شئت هديـــة أو سلفا .

فجزاه خيرا ، وقال : قد عرضها سحنون قبلك ولم تقبل ، وما كنت بالذى يتعجل شهوة بدين فى ذمة .

وتوفى سعيد سنة احدى وخمسين ومائتين .

عبــد اللــه بــن الطبنــة

قال أبو العرب : كان فقيها ثقة من أصحاب سحنون .

روى عنـــــه حماس .

وأحسب موته فى نحو ستين ومائتين .

---

289) أ . ط : هذا قوتي وعيني — ك . م : هذا قوتي ويميني .

معتـــب بـــن أبـــي الازهـــر (290)

واسم أبى الأزهر عبد الوارث بن الحسن ، من الجند ، ينتمى الى الأزد ، قيروانى .

قال ابن حارث : كنيته أبو أحمد ، من أصحاب سحنون .

قال أبو العرب : هو ثقة ، قريب فى السن من سحنون ، وتردد العلم فى بيته زمنا طويلا .

وسيأتى ذكر ولده فى طبقاتهم ان شاء الله تعالى .

قال معتب : قال لى سحنون يوما : أحب أن أسر اليك سرا ، فاياك أن تفشيه .

قال : فقلت له : يا أبا سعيد ! اذ منزلتى عندك منزلة من تخاف منه ، فلا تفش الى سرك !

فقال لى : ليس الأمر كما ذكرت ، ولكن لكل انسان صديق يكـون موضع ثقته وراحته ، ولذلك الصديق آخر مثله، ومثل هذا يخرج الأسرار.

قال : وقال لى أبو القاسم عبد الله بن محمد البغدادى : وما حال صبيانكـــم ؟

قلت : ولـــع كثيـــر .

قال : ان لم يكونوا كذلك فعلق عليهم التمائم .

يريد أنه لا يكسرهم عن اللعب الا مرض .

وتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين . ويقال سنة أربع وخمسين .

محمـــد بـــن عامـــر القيســـي

أبو عبد الله ، أصله من الأندلس .

---

290) أ . ط : مغيث بن الأزهر — ك . م : معتب بن الازهر — ولعل الصواب ما أثبتناه : « معتب بن أبي الأزهر » .

قال أبو العرب : كان قبله علم كثير ، وكان فقيرا متعففا ، وكـان صدوقا ، وكان المغامى (291) يستضعفه فى عقله .

سمع من سحنون ، ومحمد بن عبد الحكم ، وغيرهم من محدثـى أهل المشرق .

وسمع منه عبد الله بن خليل المقعد ، وحسن بن محمد المكى .

وذكر أبو سعيد الصدفى فى تاريخه أنه سمع من ابن وهب ، وأنه مات بسوسة سنة سبع وخمسين ومائتين .

وقال أبو العرب : مات بالقيروان سنة خمس وخمسين .

محمد بن نصر

ويقال أحمد بن نصر بن حضرم ، من فقهاء القيروان وأصحـاب سحنون ، يكتب بالضاد وبالذال .

قال أبو العرب ' كان فقيها ، ثقة كثير الذب والاجتهاد ، كان محمد ابن سحنون يتعلم منه ، وكان سحنون يجله ويصلـه .

وكان له ابن يقال له أبو الحسن ، واسمه محمد ، أخذ عنه سليمان ابن سالـم .

قال ابن حارث : كان فقيها نظارا ذا جدل وصحة ، ويقال انه كان معلم ابن سحنون النظر .

وتوفى بصقلية ، فذكر أنه لما بلغت وفاته ابن سحنون ، قال : رحم الله أبا الحسن ! لقد كان معلمنا .

(336) قيل له : فلم لم تقل هذا ✻ فى حياته ؟

فقال : فنظمله حيا وميتا ؟

---

291) أ . م : المغامي — ك : المقامي — ط : العامي .

قال ابن حارث : ذكر بعض أهل العلم أن ابن حضرم تذاكر مع قوم — وقال غيره انه ابن وهب العراقى — : ما معنى قول مالك فى الرجل يقول لامرأته : قومى أو اقعدى ونحوه ، يريد أنها طالق .

فأنكر بعضهم هذا من قوله .

فقال ابن حضرم : ان ظاهر القول متصل بباطن النية ، ألا ترى ان الله قد أمر خلقه أن يقولوا لا الاه الا الله ، فلو قالها قائل ونوى بها المسيح كان كافرا باتفاق ، أفلا ترون كيف حكمت النية الباطنة على القول الظاهر ، فما أنكرتم أن يكون هذا مثله ؟

وتوفى فى حياة سحنون ، وقريبا من وفاته .

أحمد بن يلول (292)

قال الصدفى : هو تنوخى ، وكناه بأبى بكر .

وقال أحمد بن أحمد : هو من أهل توزر من بلاد قصطيلية .

سمع من سحنون ، ورحل فى طلب الحديث ، وكان مطاعا ببلده ، كثير الأتباع ، مذكورا بالخير ، ثقة ، مأمونا ، قديم الموت .

سمع منه بكر بن حماد ، وابنه سحنون بن أحمد ، وناس كثير من أهل القيروان وغيرهم ، ومن أهل الاندلس الأعناقى (293) .

قال ابن أبى دليم : كان من أهل الفقه ، وجها فى هذه الطائفة ، سئل عنه ابن عبدوس فقال فيه : ثقة ، سمع منه .

---

292) هكذا ورد هذا الاسم فى النسخ الخطية بين أيدينا ، وقد ترجم له صاحب الديباج ترجمة قصيرة تحت عنوان « أحمد بن ملول » أنظر الديباج ص 36.

293) وردت هذه العبارة وهي قوله : « ومن أهل الاندلس الأعناقي » فى النسخ الخطية التي بين أيدينا على أنها عنوان لفصل جديد ، وذلك خطأ من النساخ فيما يظهر ، لأن الكلام الذي يأتي بعد هذه العبارة ، انما هو تتمة لترجمة « أحمد بن يلول ، أو ملول » ، ثم ان أصحاب التراجم الثمانية التالية ليسوا من أهل الاندلس ، وانما هم من أهل افريقية كسابقيهم — والترجمة القصيرة التي عقدها صاحب الديباج لأحمد بن يلول أو ملول تؤكد ما ذهبنا اليه .

قال ابن حارث : كان فقيها عالما حسن المناظرة ، وناظر محمد بن عبد الحكم بمصر .

قال أبو العرب : ولم أعلمه يختلف فى ثقته .

وكان أكثر سماعه من الشاميين ، من أصحاب الوليد بن مسلم ، وأصحاب اسماعيل بن عياش .

وكان قد امتنع من قضاء قصطيلية (294) .

وألف رقائق الفضيل بن عياض ، وكتاب زهد سفيان الثورى ، وكتاب فضائل الأوزاعى ، وكتاب فضائل طاوس اليمنى .

وتوفى بتوزر سنة اثنتين وستين ومائتين .

وقد حدث الشيخ أبو محمد بن أبى زيد ، عن ابنه (295) سحنون ، عنه ، بالاجازة .

الحسن بن اسماعيل القرشاني

أبو على ، من رجال قصطيلية ، وسكن القيروان .

سمع من سحنون قديما ، ومن أصبغ بن الفرج ، وسعيد بن أسد بن موسى ، وغيرهم .

سمع منه أحمد بن أبى سليمان ، وموسى بن عبد الرحمان ، وغير واحد من أصحاب سحنون .

قال أبو العرب : كان ثقة حسن التقييد كثير الكتب ، لم يختلف فى ثقته .

قال أحمد بن أبى خالد فى كتاب التعريف : كان ثقة حافظا للعلم .

توفى سنة ثنتين وستين ومائتين .

ويقال سنة ثلاث ، منصرفه من الحج ، رحمه الله تعالى .

---

294) أ : قصطيلية — ك . م : طليطلة .
295) أ : عن ابنه — ك . م : عن أبيه .

سعيد بن يحيى يعرف بابن الفرا

كان بصقلية .

سمع من مطرف ، والقعنبى ، وابن سحنون .

ومات بصقلية .

عبد الحميد السدى (296)

معروف فى أصحاب سحنون ، وكان رجلا صالحا .

توفى بالقيروان ، سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

ابراهيم بن المضاء بن طارق الاسدي

أبو اسحاق ، قيروانى ، سمع من سحنون ، وكان رجلا صالحا ، وكان له مسجد يجتمع اليه فيه القراء والمعبرون ، ولم تقرأ الكتب عليه .

وقال أبو سعيد بن يونس : سمع أيضا من محمد بن على الرعينى .

وروى عنه يحيى بن محمد بن حشيش .

ذكر بعضهم قال : كنت فى مسجد ابراهيم بن المضاء ، والقراء والناس مجتمعون ، اذ أتى رجل فقال : يا معشر المسلمين انى رجل فقير ، ذو بنات، ولى دار جوار دار عامر بن عمرون بن زرارة من أصحاب السلطان ، وانه بنى علية ، وفتح أبوابا مطلة على دارى ، وبناتى * منكشفات منها ، ما عليهن كبير كسوة ، وهو وخدمه مطلون عليهن ، فادعوا الله لى عليه أن يكفينى مؤونته . (337)

فدعا ابراهيم ، ودعا الناس .

فما برحت حتى أتى رجل فقال : تفرقوا لا ينالكم من السلطان مكروه — أو نحو هذا — انهدمت علية عامر ، وضربته سارية طيرت دماغه .

فتفرق الناس .

---

296) أ : السدى — ك . م : السندي .

ومات ابن المضاء سنة خمسين ومائتين .

ومن دعائه : اللهم اجعلنا من الذين خلفوا الدنيا مع نفوسهم وراء ظهورهم ، فخفت عليهم الأثقال لما عندهم من الأعراض ، أولئك الذين يحجب عنهم البلاء بصبرهم ، وهانت عليهم المصائب بشكرهم .

سعيد الصنبري

أبو عثمان ، سمع من سحنون ، وكان من المتعبدين المتقشفين ، وكان أصحاب سحنون يذكرونه بخير ويحكون عنه .

مات فى نحو ستين ومائتين ، وقيل ثلاث وخمسين ، وقيل خمسين .

ابراهيم الزاهد الاندلسي

من سكان القيروان ، وكان خياطا ، وله سماع من سحنون .

وقد حكى عنه يحيى بن عمر مسألة سحنون .

وعند ابن عمر كانت كتبه بعد وفاته ، أحسبه كان حبسها ، قاله أبو العرب .

منصور القراد

من قدماء أصحاب سحنون ، صحيح الكتاب ، حسن التقييد ، يحكى عنه أبو عياش وابن الحداد .

موسى السبخي التونسي

قال أبو العرب : سمع أبا مصعب الزهرى ، وحرملة بن يحيى .

قتله ميمون الأسود بتونس حين دخلها .

ذكر أنه من ربيعة .

وكان فقيها ، حدث عنه محمد بن بدر الخدامى وأثنى عليه .

وكان قتله سنة احدى وثمانين ومائتين .

ومن أهل الاندلس :

أبو زكرياء يحيى بن مزين

مولى رملة بنت عثمان بن عفان ، أصله من طليلطة ، وانتقل الى قرطبة عند ثورة أهل طليلطلة ، فأقطعه الأمير عبد الرحمان قطائع شريفة ، وابتنى له دارا ووصله صلة جزلة .

وقيل بل طالبه أهل طليطلة ونالوا منه ، فخرج عنهم بأهله وولده ، ثم التفت الى طليطلة فقال : ما آواك لظالم ، وأطردك لمؤمن !

روى عن عيسى بن دينار ، ومحمد بن عيسى الأعشى (297)، ويحيى ابن يحيى ، وغازى بن قيس ، ونظرائهم .

ورحل الى المشرق ، ولقى مطرف بن عبد الله ، وروى عنه الموطـأ ، ورواه أيضا عن حبيب كاتب مالك .

ودخل العراق ، وسمع من القعنبى ، وأحمد بن عبد الله بن يونس .

وسمع بمصر من أصبغ بن الفرج وغيره .

وكان حافظا للموطأ فقيها فيه ، وله حظ من علم العربية ، مشاورا مع العتبى وابن خلاد وطبقتهم .

قال أحمد بن عبد البر : كان شيخا وسيما ، ذا وقار وسمت حسن .

روى عنه سعيد بن حميد ، وسعيد بن عثمان الأعناقى ، ومحمد بن عمر بن لبابـة .

قال أحمد بن عبد البر : كان جميع شيوخنا يصفونه بالفضل، والنزاهة والدين ، والحفظ ، ومعرفة مذاهب أهل المدينة ، وكان يحفظ الموطأ وكتبه حفظا ، ويتقن ضبطها .

وقال ابن لبابة : أفقه من رأيت فى علم مالك وأصحابه يحيى بن مزين، وأما العتبى فأحفظهم لمسألة كتاب ، وأما قاسم بن محمد فأقومهم بحجة ،

---

297) أ . ط : الأعشى ـــ ك . م : الأعمشي .

وأثبتهم فى مناظرة ، وأعلمهم باختلاف الناس ، وأما بقى بن مخلد فكان بحرا يحسن تأدية ما روى ، ولم يكن يتقلد مذهبا ، ينتقل مع الأخبار حيث انتقلت .

(338) قال ابن حارث ❋ : ومكانه من العلم لا يجهل ، كان قليل الرواية ، متقن الحفظ ، جيد العقل حصينه ، ولى قضاء طليطلة .

قال ابن أبى دليم : وكان من عقلاء الناس .

كتب ابن مزين الى ابن غانم صاحب المدينة :

جاء الشتاء ووقت هم الأفريه   هم لعمرك من عظيم همومه

فانظر هداك الله فى ايثارنا   للبرد فروا من وثير الأفرية

وله تواليف حسان ، ككتابه فى تفسير الموطأ ، وكتاب تسمية رجال الموطأ وهو كتاب المستقصية ، وكتاب فضائل العلم ، وكتاب فضائل القرآن.

قال أبو عبد الملك : ولم يكن له على ذلك علم بالحديث ، ولقاسم بن محمد عليه رد فى كتاب المستقصية ، ويخطئه لما أثبته فيها .

وذكر أن القارىء يوما صحف عليه حرفا تصحيفا منكرا ، فلم يبق فى المجلس الا من ضحك ، الا الشيخ فلم يضحك وقال لمن حضر : « كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم » (298) .

وتوفى فى جمادى الاولى سنة تسع وخمسين ومائتين .

وقال ابن أبى دليم وابن حارث : سنة ستين .

عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتنيل

أبو محمد ، قرطبى نبيه ، تقدم ذكر أبيه .

كان عبد الله هذا من أهل العلم ، سمع من أبيه ، وعيسى بن دينار ، ويحيى بن يحيى .

---

298) الآية 94 من سورة النساء .

ورحل فسمع من سحنون بن سعيد بالقيروان الأسدية ، قبل أن يدونها .

وسمع بمصر من أصبغ بن الفرج ، وعبد الملك بن هشام ، وتفقه ، ولم يكن له علم بالحديث .

سمع منه أبو صالح ، وابن حميد ، وابن لبابة ، وابن الجزار ، ونظراؤهم .

قال ابن عبد البر : وكان رأس المالكية بالاندلس ، والقائم بها، والذاب عنها ، وكان صليبا ، متدينا ، ورعا ، مهيبا ، مكينا من السلطان ، معظما للعلم ، لا يرى التقية ، ولا يبالى ما دار عليه ، وكان العامة والحكام على تعظيمه وتحقيقه جدا ، كأن الناس فى مجلسه على رؤوسهم الطير اجلالا .

قال ابن أبى دليم : كان ذا فضل وورع ، وحفظ للفقه ، وجلالة قدر ، وصلابة فى الحق ، مقدما على أصحابه لذلك ، مع أبوته .

قالوا : وكان أشد الناس على بقى بن مخلد .

وكان له ابن من أهل العلم ، اسمه أحمد ويكنى أبا عمر ، سمع أباه ونظراءه .

وروى عنه ابن أيمن ، وولى الصلاة بقرطبة ، واستسقى بالناس ، وكان فاضلا ، وبيتهم بيت جلالة وعلم .

وذكر ابن حارث ان فى أخلاقه وعورة ، وكانت له جلالة وصلابة .

*
* *

وذكر أن الأمير محمدا وجه فيه ليوجهه الى باجة ، لصلاح ما قام بها بين مضر واليمن من العصبية ، فحضر بيت الوزارة ، وخرجت اليه الوصية، فقال : اني لست أعرف من فيهم من مضر ولا من اليمن .

فقال هاشم الوزير — وكان ما بينه وبين عبد الله سيئا — للرسول : أد عنه .

فخرجت الوصية : يقول لك الأمير : تكتب الى القاضى يعرفك من لم تعرف منهم .

فقال : اذا كنت انما أمضى بكتاب، فصاحب رسائلى يقوم مقامى(299) والقاضى أحق بالنظر منى أنا .

فقال هاشم : أد قولــــه .

فخرجت الوصية : انا لم نبعث فيك نشاورك ، انما بعثنا فيك نأمرك فائتمر .

فغضب عبد الله ، وكان اذا غضب احمرت عيناه ، واتقى غضبه ، وقال : لم تبعث فى تشاورنى ! انما بعثت فى لتأمرنى فأئتمر ! امرأته طالق البتة ان مضيت (300) ثم أبدا .

فاغتنمها هاشم ، وقال : أد عنــه .

ثم قال له : هكذا عرفتك ، شرس بن أشرس .

(339) فقال له عبد الله : هكذا أنا وأبى ، اذ كسانا الله قميصا * أعراك الله منه أنت وأبــاك .

ثم خرجت الوصية بسجنه ، فسجن ثلاثة أشهر أو أربعة ، ثم أطلق ، فلم يبعث فيه لشىء بعد .

*
* . *

وذكر أن القاضى سليمان بن أسود ، أرسل فى عبد الله بن خالــــد ليشهده فى كتب الأمير محمد ، فأبى عبد الله أن يقوم اليه ، فكتب القاضى بذلك الى الأمير ، وكثر على عبد الله ، ووصف من تثاقله .

---

(299) سقط من نسخ ط . ك . م : من قوله « يعرفك من لم تعرف منهم » الى قوله « فصاحب رسائلي » وهو ثابت فى نسخة أ ــ ولا يستقيم السياق الا بــــه .

(300) أ . ك . ط : ان مضيت ــ م : ان قضيت .

فوقع الامير للقاضى : نحن أحق من عظم العلم وأهله ، فاذا أردت أن تشهد فى كتبنا فاجلس الى الفقيه عبد الله بن خالد .

وجرى له مرة مسألة مع هاشم بن عبد العزيز الوزير وابن عبد البر (301) ، وجه غيه من المقصورة ليقوم اليه ، فقال للرسول : ما لى اليه حاجة .

فقال له الرسول : له هو اليك حاجة .

فقال له : فيعنى فى حاجته .

فقال له : انها وثيقة للأمير .

فقال له : فلينفذ ما أمره به .

فرجع الرسول الى هاشم ، فلما خرج ، مر به فى موضعه فأشهده .

وتوفى عبد الله منتصف رجب ، سنة ست وخمسين ومائتين، من كتاب ابن الفرضى .

وقال ابن حارث : توفى سنة احدى وستين .

وذكر أن الأمير محمدا قال لما مات : الحمد لله الذى كفاناه ، ولم ينشبنا منه فى شىء .

وابناه محمد وعبد الله من أهل العلم والخير والفضل ، رويا عن أبيهما.

وكان محمد أكبرهما سنا وحفظا للفقه .

روى ابن أيمن عن أحمد (301 م) ، وولى الصلاة .

وتوفى محمد أولا سنة احدى وستين ، وهو ابن اثنين وسبعين .

ابراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل

ابن عمر ، قرطبى ، تقدم ذكر بيته فى هذه الطبقة والتى قبلها .

---

301) قوله « وابن عبد البر » ساقط من نسخة ا — ثابت فى غيرها .
301 مكرر) يقصد أحمد ، ابن المترجم له ، عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتنيل ، وقد سبقت الاشارة اليه .

كنيته أبو اسحـــاق .

قال ابن عبد البر : كان خيرا فقيها عالما بالتفسير ، له رحلة لقى فيها علي بن معبد ، وعبد الملك بن هشام ، ومطرف بن عبد الله ، ولقى سحنون بن سعيد وروى عنه

قال ابن أبى دليم ــ وذكره فى المالكية ــ : كان من أهل العلم بالفقه، بصيرا بطريق الحجة ، كان يناظر يحيى بن مزين ، قال غيره : ويحيى بن يحيى .

وولى الشرطة بقرطبة للأمير محمد ، وكان صليبا فى حكمه ، عدلا .

وله كتاب مؤلف فى تفسير القرآن .

قال ابن لبابة : كان ابراهيم يذهب فى الشاة اذا بقر بطنها ، ولـــم يطمع لها فى الحياة ، وأدركت ذكاتها ، أنها تؤكل ، وحاج فى ذلك سحنون ، وأعجب ابن لبابة ذلك ، وحكى أنه مذهب اسماعيل القاضى .

وكان يجيز النكاح على أن يكون الصداق اجارة ، وناظر فى ذلك يحيى ابن يحيى فى جنازة ، فقال له يحيى : لا يجوز .

فقال ابراهيم : ان الله قد حكاه فى كتابه عن نبيين : موسى وشعيب .

فقال يحيى : قال الله تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (302) فلا يلزمنا شرعهما .

فقال ابراهيم : ذلك اذا أتى عن نبينا نسخ ذلك ، والا فعلينا الاقتداء بهم ، قال الله تعالى « فبهداهم اقتده » (303) .

فسكت يحيى .

وكان يذهب الى النظر وترك التقليد .

---

302) الآية 48 من سورة المائدة .
303) الآية 90 من سورة الأنعـــام .

وحكى ابراهيم عن مطرف بن عبد الله : ليس فى الكرسنة (304) زكاة، لأنها علـف .

قال ابن لبابة : وحضرته وقد ضرب شاهد زور عند باب الجامـع أربعين سوطا ، وحلق لحيته ، وسخم وجهه .

قال ابن حارث : كان ابراهيم بن حسين صاحب نظر ، وكان على سوق قرطبة ، فحكم على بنى قتيبة بحكم خالفه فيه فقهاء وقته : يحيى ، وعبد الملك بن حبيب ، وزونان ، فتظاهروا عليه ، وأبانوا خطأه ، فاختار الأميـر قولهم ، وفسخ قاضيه معاذ بن عثمان الشعبانى ، حكمه فى ذلك .

(340) وحضر جنازة مع يحيى بن مزين ، فسئل * يحيى عن ذبيحة رميت عقدة حلقها الى أسفل .

فقال يحيى : حرام لا تؤكل .

فقال له ابراهيم : لاتقل حرام ، انما الحرام ما حرم الله ورسوله ، وأما ما اختلف العلماء فيه فلا ، وقد سمعت مطرف بن عبد الله يقول : لا بأس بأكلهـا .

وفيه يقول موسى بن سعيد :

لله در أبى اسحاق من حكـم	كم غاية نالها بالعدل لـم تنـل
يطير من خوفه قلب المخيـف اذا	بدا ويسكن قلب الخائف الوجـل
لا يقطع الليـل الا بالقيـام اذا	ذو اللهو قصره باللهو والجـدل
للخالديـن فى الدنيـا بدينهـم	فضل على غابر الأيام لـم يـزل

وكانت وفاته سنة تسع وأربعين ومائتين ، فى رمضان منها .

عثمـان بن أيـوب بن أبـي الصلت

من أهل قرطبة ، كنيته أبو سعيد ، وأصله من الفرس .

---

304) أ . ط : « الكرسنة » ــ ك : غير واضحة . والكرسنة بكسر الكاف ، وكسر السين أو فتحها ، وفتح النون المشددة ، نبات له حب فى غلف ، تعلفـه الدواب .

قال ابن الفرضى : روى عن الغازى بن قيس ، ورحل فسمع من سحنون بن سعيد بالقيروان ، وهو أول من أدخل المدونة بالأندلس ، وسمع بمصر من أصبغ بن الفرج ، وكان شيخا ورعا فاضلا ، أريد على القضاء فأبى ، وكان ابن لبابة يثنى عليه ، ويصفه بالعلم والورع ، وقد سمع منه .

قال غيره : وكان صديقا ليحيى بن يحيى .

وأثنى عليه أحمد بن خالد وغيره ، ووصفوه بالزهد والفضل .

وكان دقيق الأدب ، حليما ، حسن الخلق .

توفى سنة ست وأربعين ، وقيل سبع وستين ، وقيل لسنة أربعين ومائتين .

أبو وهب عبد الاعلى بن وهب

ابن عبد الأعلى ، مولى قريش ، قرطبى .

قال ابن الفرضى : سمع من يحيى بن يحيى ، ورحل الى المشرق فسمع من مطرف بن عبد الله بالمدينة ، ومن أصبغ وعلى بن معبد بمصر ، ومن سحنون بافريقية ، وانصرف فشوور بقرطبة مع الشيوخ : يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وعبد الملك بن حبيب وأصبغ بن خليل .

وسمع منه ابن لبابة ، وصحبه كثيرا .

وسمع منه ابن وضاح .

وكان رجلا عاقلا ، حافظا للرأى ، مشاركا فى النحو واللغة ، متدينا ، زاهدا ، ولم يكن له معرفة بالحديث .

وكان يزن بالقدر ، وكان قد طالع كتب المعتزلة ونظر فى كلام المتكلمين ، وكان يحيى بن يحيى وابن حبيب وابراهيم بن حسين بن عاصم يطعنون عليه بذلك أشد الطعن .

وقد ذكر أن يحيى كان يشهد عليه أشد شهادة ، وكان ابن لبابة صاحبه ينكر ذلك عليه ، الا أنه كان يثبت أنه يقول بموت الأرواح ، وبذلك كان يقول ابن لبابة .

قال الصدفى : كان نبيلا عاقلا فاضلا طيب الخلق عالما دينا ، لم يدخل فى مطالبة بقى بن مخلد ، واحتج عليهم فيها .

وله أخبار فى ورعه وتدينه يطول ذكرها .

* * *

وكان سبب تقديم أبى وهب الى الشورى ، تظافره مع الشيخين يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان على عبد الملك بن حبيب .

وذلك أن ابن حبيب كان يخالفهما كثيرا فى الفتيا ، فاتفق أن حضروا يوما عند القاضى فى مجلس شورى ، فأفتى فيها يحيى وسعيد بفتوى ، وخالفهما ابن حبيب ، وادعى قوله رواية عن أصبغ .

وكان عبد الأعلى قد لقى أصبغ فاستكثر منه ، فاجتمع به سعيد بن حسان ❋ ، وسأله عن المسألة ، وهل يذكر فيها عن أصبغ شيئا ، فأخبره (341) عن أصبغ بما وافق فتياه وفتيا يحيى ، وخلاف ما ذكر ابن حبيب ، واستظهر بالقرطاس الذى سمع فيه من أصبغ .

فاجتمع سعيد ويحيى على أن يسألا القاضى اعادة الشورى ، واحضار عبد الأعلى ، ففعل ذلك ، فأفتى ابن حبيب بمثل فتياه أولا عن أصبغ .

فقال له عبد الأعلى : كذبت . وأخرج كتابه عن أصبغ فأراه القاضى، فعنف ابن حبيب ، وقال : انما تخالف أصحابك بالهوى .

فرفع ابن حبيب بالأمر كتابا الى الأمير عبد الرحمان ، يشكو فيه تحامل يحيى وسعيد عليه ، ويغرى بالقاضى ، وأنه شاور عبد الأعلى دون اذنك .

فأنكر الأمير ذلك ، وأغلظ للقاضى ، ولحقت عبد الأعلى غضاضة ، فرفع الى الأمير كتابا يذكر فيه ولاءه ، ويصف رحلته وما عنده من العلم، ويستقيله من وكسه اياه ، ويستشهد بالشيخين والقاضى ، فاستعطفه بذلك ، وأمر بالحاقه مرتبة الشورى ، فتقلدها الى أن توفى فى أيام ابنه محمد .

وحضر باثر هذا فى مجلسهم عند الأمير عبد الرحمان ، فسألهم عبد الرحمان عن مسألة ، فبدر عبد الملك بن حبيب ، وقال : سمعت أصبغ بن الفرج يقول فيها كذا .

فقال عبد الأعلى : صدق ، سمعت أصبغ يقول مثله ، وفعل ذلك أحمد ، فعاتبه يحيى وسعيد وغيرهما، وقالا له : رجونا أن تكفيناه فصرت حزبا معه .

فقال لهم بالعجمية : لو أنى بدأت بتكذيبه ، استجفانى الأمير ، ورأيت ترك ذلك حتى يظهر للأمير منى علم ، ثم لن يفوت هذا .

فكان بعد يكذبه ويخالفه .

وكان أحد الأربعة من النقهاء الذين يدخلون فى الشهادات وغيرها على الأمير بقرطبة ، هو وابن مطروح ، وكان قوالا الحق ، ناصحا للأمراء.
سأله الأمير محمد مرة عن مسائل من الورع .

فقال له عبد الأعلى : أدل الأمير على باب من الورع هو أعود عليه من هذا .

قال : وما هو ؟

قال : يطلب أهل الربض ويرد عليهم غصوباتهم (305) وما أخذلهم ، أو قيمته .

فظهر على الأمير انكار ذلك ، وأمره بالقيام .

305) أ : غصوباتهم — ط . ك . م : مصرياتهم .

قال ابن لبابة : كنت يوما عند أبى وهب فى جنته ، بقرب مقبرة قريش ، وكان يعتمرها بيده فى نفر من الطلبة يسمع عليه ، اذ حضر غذاؤه ، فقدمه الينا نأكل معه ، اذ استأذن عليهم هاشم بن عبد العزيز الوزير ، فأذن له على تكره ، ودخل ونحن نأكل خبزا أدمه من بقل الجنة ، فجلس ، وجعل يداعب الشيخ لظرفه ، والشيخ لا ينبسط ، ويقول : أبا وهب ! أما تدعونا الى طعامك ؟ تخاف أن ننتهبه ؟

فقال : انه ليس من الأطعمة التى توافقك .

قال : وان لم يكن ، فأنا أتبرك به .

ومد هاشم يده الى لقمة من الخبز ، فغمسها فى البقل ، وجعل يلوكها ولا يسيغها .

فلما فرغنا سأل الشيخ عن مسألة فقه جاء لها ، فأجابه ، وقام هاشم لينصرف ، فتحركت لأقوم معه ، فضرب الشيخ على يدى وأجلسنى حتى خرج ، ثم قال لى : ما أردت ؟

قلت : اكرامه فى مجلسك .

فقال : بئس ما صنعت ، ان كنت تطلب العلم لله فأعزه يعزك الله ، وان كنت تطلبه للدنيا فكن خادما من خدمة هؤلاء ، متصرفا بين أيديهم ، فهو أنفق لك عندهم ، وأكسد لك عند ربك .

فحافظت بعد ذلك على وصاته .

وتوفى سنة احدى وستين ، فى صفر منها ، وقيل فى ربيع الأول .

(342) * محمد بن يوسف بن مطروح بن عبد الملك

ابن أبى السيرا ، عبد العزيز ، بن عبد الله ، بن مهران ، بن عدى ، ابن بكر ، بن وائل ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الله ، وكان أعرج ، وبذلك يعرف .

روى بالأندلس عن غاز بن قيس ، وعيسى بن دينار ، ويحيى بن يحيى ، وغيرهم .

ورحل فسمع من سحنون بالقيروان ، وأصبغ بمصر ، ومطرف بن عبد الله بالمدينة ، وسمع منه الموطأ .

وادعى السماع من أبى عبد الرحمان المقرىء بمكة .

وكان رحل مع ابن مزين ، وأبى وهب ، وعبد الوهاب بن ناصح الجزيرى ، وكانوا متوافقين ، فذكر ابن مزين وأبو وهب ، أنهما وجدا المقرىء قد مات قبل لقائهما بأيام .

وكانت الفتيا دائرة عليه مع أصبغ بن خليل ، وعبد الأعلى بن وهب.
ولاه الأمير محمد الصلاة بجامع قرطبة .

قال ابن أبى دليم : كان فقيها حافظا ، شوور مع الشيوخ : يحيى ، وابن حسان ، وابن حبيب .

قال ابن حارث : كان فقيها مبرزا .

قال ابن عبد البر : كان شيخا جليلا ، عالما بالفقه ، وكانت فيه صلابة .

أخذ عنه أحمد بن خالد ، ومحمد بن عمر ، وابن لبابة ، ومحمد بن أبى بكر ، وابن الزراد ، وأحمد بن بيطير ، ونظراؤهم .

قال أحمد بن حزم : كان يحلق فى الجامع ، ويفتى ، ويقرأ عليه العلم.

*
* *

وكانت فى ابن مطروح دعابة معروفة ، وفى خلقه زعارة .

ذكر أن خصيا قال له : ما تقول فى الكبش الأعرج ، أتجوز الضحية به ؟

قال : نعم ، والخصى مثله وشبهه !

قال القاضى رضى الله عنه : يريد ـ والله أعلم ـ ان كان عرجا خفيفا لا يمنعه السير .

وقال له رجل : تخرب جهنم ؟

فقال : ما أشقاك ان اتكلت على خرابها .

وكان أحد الفقهاء الأربعة الداخلين على الأمير للشهادة فى أموره ، وكان الأمير محمد يكرمه لسنه ومكانه .

قال ابن عبد البر : وكان صاحب رياسة الفتيا أيام محمد ، مع أصبغ، وعبد الأعلى .

قال غيره : وسأله خصى يوما عن مسألة فردد عليه فيها شيئا ، فقال لمن حوله : هذا من الذين قال الله فيهم : (وتقطعوا أرحامكم) (306) .

وكتب جامع بن وهب ، من كتاب محمد بن باز ، ثم سار اليه ليسمعه منه ، وابن مطروح فى مرتبة أشياخه ، فقال له ابن باز : لو بعثت الى يا سيدى مضيت اليك .

فقال له : لا ، فى بيته يؤتى الحكم .

وتوفى يوم عاشوراء ، سنة احدى وسبعين ومائتين .

أصبغ بن خليل

قرطبى ، يكنى أبا القاسم ، سمع بالأندلس من الغازى بن قيس ، ويحيى بن مضر ، وعيسى ، والأعشى ، ويحيى بن يحيى .

ورحل فسمع من أصبغ وسحنون .

حدث عنه أحمد بن خالد ، وابن أيمن ، ومحمد بن قاسم ، وقاسم ابن أصبغ .

قال ابن أبى دليم : كان له بصر بالوثائق .

---

306) الآية 22 من سورة محمد .

قال أحمد بن سعيد : هو من أهل العلم والفقه والورع والرياسة ، فيما قال لى أحمد بن خالد غير مرة ، فطنا بالمسائل والفقه ، حسن القريحة والقياس .

وقال ابن لبابة : كان والله من الحفاظ ، حسن القياس والتمييز .

قال ابن الفرضى : وكان حافظا للرأى على مذهب مالك وأصحابه . فقيها ، منسوبا الى الصلاح والورع ، بصيرا بالشروط ، دارت عليه الفتيا خمسين عاما ، وطال عمره .

قال ابن عبد البر : وكان لا يقبل من أحد هدية ، وكان مقلا ، وكان الأعناقى يثنى عليه ، وكان معاديا للآثار ، ليس له معرفة بالحديث ، شديد التعصب لرأى ❊ مالك وأصحابه ، ولابن القاسم من بينهم . (343)

وبلغ به التعصب ـ فيما قاله ابن الفرضى وغيره ـ أن افتعل حديثا فى رفع اليدين فى الصلاة بعد الاحرام ، وزعم أنه رواه عن غاز بن قيس ، عن سلمة بن وردان ، عن ابن شهاب ، عن الربيع بن خيثم ، عن ابن مسعود قال : صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبى بكر سنتين وخمسة أشهر ، وخلف عمر عشر سنين ، وخلف عثمان اثنتى عشرة سنة ، وخلف على بالكوفة خمس سنين ، فما رفع واحد منهم يديه الا فى تكبيرة الاحرام وحدها .

فوقع فى خطأ بين عظيم ، منها أن الاسناد غير متفق ، لأن سلمة بن وردان لم يرو عن ابن شهاب ، ولا ابن شهاب عن الربيع ، ولا رآه ، وأعظم منه فى المحال ذكره أن ابن مسعود صلى خلف على بالكوفة ، وهو لم يدرك أيام على رضى الله عنهما ، توفى باجماع فى خلافة عثمان رضى الله عنه .

وحدث أيضا بحديث آخر فى اسناد القرآن ، عن الغازى ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، عن جبريل ، عن الله ، فظن أن نافعا شيخ الغازى بن قيس ، هو مولى ابن عمر ، وانما هو نافع القارىء .

قال أحمد بن خالد : ان أصبغ لم يقصد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما ظهر له أنه يريد تأييد مذهبه .

وهذا كلام من أحمد لا معنى له ، وكل من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم فانما كذب لتأييد غرض ، ولو قال : انه انما كذب فى السند ، وعلى غير النبى ، اذ قد روى عن النبى أنه رفع أولا ثم لم يرفع بعد ، بما جاء فى الحديث عن النبى هنا بمعنى ما أتى به هو ، كان أشبه .

لكن الكذب فى العلم ، أى نوع كان ، مبطل لصاحبه ، مسقط له بشهادة الزور .

قال قاسم بن أصبغ : سمعت أصبغ بن خليل يقول : لأن يكون فى تابوتى رأس خنزير ، أحب الى من أيكون فيه مسند ابن أبى شيبة .

وكان يعادى أهل الاثر ، وكان قاسم يدعو عليه ويقول : هو الذى حرمنى أن أسمع من بقى بن مخلد ، ونهى أبى أن يحملنى اليه .

وكان يصحف ، ويقول فى أسيد بن الحضير ، هو ابن الخضير ، تصغير « خضر » بالخاء ، ويأبى أن يرجع عنه (307) .

توفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، وعمره ثمان وثمانون سنة .

وترك ولدا اسمه يحيى : سمع من أبيه ومن طبقته ، ورحل فسمع من عبد الله بن أحمد بن حنبل ونظرائه فى سنة خمسين وثلاثمائة .

العتبي

قال القاضى أبو الوليد : هو محمد ، بن أحمد ، بن عبد العزيز ، بن عتبة ، بن جميل ، بن عتبة ، بن أبى سفيان ، بن صخر ، قرطبى ، يكنى أبا عبد الله .

وقيل : هو مولى لآل عتبة بن أبى سفيان ، وهو أصح .

---

(307) فى الخلاصة للخزرجي ص 32 : « أسيد بن حضير » بمهملة ، ثم معجمة ، مصغر ، آخره مهملة .. صحابي مشهور ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « نعم الرجل أسيد بن حضير » .. مات سنة عشرين .

وقيل : هو محمد ، بن أحمد ، بن عبد العزيز ، بن عتبة ، بن حميد ، ابن عتبة ، بن أبى عتبة ، بن محمد ، بن عبد الله ، ابن يزيد ، بن أبـى يزيد ، مولى عمرو بن عتبة بن أبى سفيان .

وقال ابن لبابة : العتبى ليس يتصل نسبه بعتبة ، انما كان له جد سمى عتبة ، فنسب اليه .

سمع بالأندلس من يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وغيرهما .

ورحل فسمع من سحنون ، وأصبغ .

وكان حافظا للمسائل ، جامعا لها جدا ، عالما بالنوازل .

كان ابن لبابة يقول : لم يكن ها هنا أحد يتكلم مع العتبى فى الفقه ، ولا كان بعده أحد يفهم فهمه الا من تعلم عنده .

قال ابن عبد البر : كان عظيم القدر عند العامة ، معظما فى زمانه ، روى عنه محمد بن لبابة ، وأبو صالح ، وسعيد * بن معاذ ، والأعناقى وطبقتهم . (344)

قال الصدفى : كان من أهل الخير والجهاد ، والمذاهب الحسنة ، وكان لا يزول بعد صلاة الصبح من مصلاه الى طلوع الشمس ، ويصلـى الضحى ، ولا يقدم أحدا فى الأثر على من أتى قبله .

ذكر المستخرجة

قال ابن لبابة : وهو الذى جمع المستخرجة ، وكثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الشاذة ، وكان يؤتى بالمسألة الغريبة ، فاذا أعجبته قال : أدخلوها فى المستخرجة .

وقال ابن وضاح : سألت أبا وهب عن مسألة ، فذكر لى فيها عن أصبغ رواية ، فمررت بالعتبى فسألته عنها فلم يحفظ فيها رواية ، فأخبرته بما قال لى عبد الأعلى عن أصبغ ، فدعا بالمستخرجة فكتبها فيها ، ثم لقيت بعد عبد الأعلى ، فقال لى : وهمت فى المسألة عن أصبغ ، ليس كذلك.

وقال ابن وضاح : وفى المستخرجة خطأ كثير .

وقال أسلم بن عبد العزيز : قال لى محمد بن عبد الحكم : أتيت بكتب حسنة الخط تدعى المستخرجة ، من وضع صاحبكم العتبى ، فرأيت جلها كذوبا (308) ، ومسائل لا أصول لها ، ومما قد أسقط وطرح ، وشواذ من مسائل المجالس لم يوافق عليها أصحابها ، فخشيت أن أموت فتوجد فى تركتى ، فوهبتها لرجل يقرأ فيها .

وقال أحمد بن خالد : قلت لابن لبابة : أنت تقرأ هذه المستخرجة للناس ، وأنت تعلم من باطنها ما تعلم ؟

فقال : انما أقرأها لمن أعرف أنه يعرف خطأها من صوابها .

وكان أحمد ينكر على ابن لبابة قراءتها للناس شديدا .

وذكر أبو محمد بن حزم الظاهرى المستخرجة فقال : لها بأفريقية القدر العالى والطيران الحثيث .

وتوفى العتبى فى نصف ربيع الأول ، وقيل الآخر سنة خمس ، وقيل أربع ، وخمسين ومائتين .

ابراهيم بن حسين بن عاصم

تقدم نسبه عند ذكر أبيه ، ثقفى ، قرطبى ، يكنى أبا اسحاق .

سمع من أبيه وغيره .

ورحل فسمع بالمشرق من جماعة .

قال ابن أبى دليم : وكان من أهل الفقه .

وتصرف للسلطان فى أحكام الشرطة والسوق أيام الأمير محمد ، فغلب على أهل الشر ، وقتل وصلب كثيرا بلا مشاورة سلطان ولا فقيه ، قصد بذلك التشديد على الجماعة ، لما كثر من تطاول أهل الشر ، وكثر

---

308) « فرأيت جلها كذوبا » هكذا وردت هذه العبارة فى جميع النسخ الخطية التي بين أيدينا .

عليه من الحكام استطلاع رأيه فى الصلب والقطع وشبهه ، فولاه السوق ، وعهد اليه التحفظ ، وأذن له فى العقوبات بلا مؤامرة .

فكان ابراهيم اذا جئ بالفاسد المبرح ، قال له : اكتب وصيتك .

ودعا بشهود فأشهدهم عليها ، فاذا فعل هذا علم أن ذلك مقتول ، ثم يأمر بصلبه ، ونحوه .

فكان بين يديه من المصلبين عدد .

وأخذ فى ذلك بالشدة حتى تجاوز الحد ، وجرت له فى ذلك قصة ظريفة من قوم جاؤوا بفتى من جيرانهم ، يشكون تطاوله ، ويريدون زجره .

فقال لشيخ منهم : ما يستحق ، عندك ؟

فقال على وجه التغليظ : ما يستحق هؤلاء ، وأشار الى المصلبين .

فقال ابراهيم لهم : انصرفوا . وقال للفتى : اكتب وصيتك .

فقال له : اتق الله فى ، فلم يبلغ ذنبى القتل .

فقال له : بذلك شهد عليك .

وصلبه . فلما بلغ الجيران ذلك ، أتوه وقالوا له : لم نشهد عندك بما يوجب قتله .

فقال : ألم تقل يا هذا كذا ؟

قالوا : انما قاله على المثل .

قال : فاثمه فى رقابكم !

(345) قال أحمد بن سعيد : ❋ كان فاضلا ، ممن عنى بالعلم ، ورحل فيه .

وفيه يقول موسى بن سعيد :

لا يعذر الناس منه لين جانبه   فلا يبالى بحكم الله من قتلا

وتوفى فى رجب ، سنة ست وخمسين ومائتين .

عيسى بن عاصم بن عاصم

ابن عمه ، سمع من أسد بن موسى ، وموسى بن معاوية ، وابن أبى شيبة ، وسحنون .

وتوفى بالأندلس سنة ثمان وخمسين ؟

وابن عمهما عبد الله بن محمد ، يأتى ذكره بعد هذا .

محارب بن قطن بن عبد الرحمان بن قطن الفهري القرشي

من أهل قرطبة ، يكنى أبا نوفل .

قال خالد : كان من أهل العناية بالعلم ، والحفظ للمسائل والرأى ، ومن خيار الناس وفضلائهم .

سمع من سحنون وغيره .

وذكره ابن أبى دليم فى هذه الطبقة .

وتوفى سنة ست وخمسين ومائتين .

وذكر ابن الفرضى أنه رأى شهادته فى وثيقة تاريخها سنة احدى وثمانين ، والله أعلم .

وترك ابنين : عمر ، وأحمد .

ابن عمه مالك بن علي بن عبد الملك بن قطن

أبو خالد ، ويقال أبو القاسم ، يعرف بالقطنى ، نسب الى جده .

روى بالأندلس عن حاتم بن سليمان ، ويحيى بن يحيى ، وزونان .

ورحل فسمع من القعنبى ، وأصبغ ، وكان زاهدا ورعا محتسبا .

وكف بصره فوصف له معالجة ذلك بالقدح ، فقال : لا والله ، لا أفعل، ضمنت لى الجنة على لسان النبى عليه السلام ، فلا أدعها وأطلب ما بعد ذلـك .

وروى عنه محمد بن لبابة ، ومحمد بن أيمن ، ومحمد بن محمـد الصدفى ، وغيرهم .

ذكره ابن أبى دليم فى أئمة المالكية .

قال هو وغيره : وله عبادة وانقباض وكثرة صلاة ، واقتدى بـه أصحاب له فى العبادة وكثرة الصلاة .

قال ابن أيمن : لم يكن جيد الضبط فى الحديث ولا الفقه .

قال ابن عبد البر : كان متوسط الفقه ، فقه بالشيوخ .

وكان ابن لبابة يصفه بالفضل العظيم والزهد ، ويقدمه على جميع من رأى فى ذلك ، وأنه كان لا يرفع بصره الى السماء حياء من الله ، وكـان أصحابه يلتزمون ذلك .

وكان له سمت ، وعقد الوثائق وكتبها .

وقد تكلم فيه ابن وضاح وغيره ، وأكذبه ، وكذبوه فيما يرويه .

قال الحميدى : وله مختصر فى الفقه على مذهب مالك رحمه الله .

توفى سنة ثمان وستين .

عبـد الرحمـان بن ابراهيـم بن عيسـى

ابن يحيى ، بن يزيد (309) ، مولى معاوية بن أبى سفيان ، غلبت عليه كنيته أبو زيد ، وهو جد بنى أبى زيد بقرطبة ، المضاف اليه الدرب

---

(309) كذا فى النسخ الخطية التي بين أيدينا — وفى الديباج ص 147 : عبد الرحمان ابن ابراهيم بن عيسى بن يحيى بن بريد ، براء مهملة ، مولى معاوية بن أبي سفيان .

بمقربة جامع قرطبة وكان يعرف بلسان أهل الأندلس القديم : بابن تارك الفــــرس .

سمع من يحيى بن يحيى .

ورحل الى المشرق قديما ، فأدرك ابن كنانة ، وابن الماجشــــون ، ومطرف بن عبد الله ، ونظراءهم من المدنيين ، ولقى بمكة أبا عبد الرحمان المقرىء ، صاحب ابن عيينة ، وبمصر أصبغ بن الفرج .

وروى عنه محمد بن لبابة ، وابن حميد ، وسعيـــــد بن عثمــان الأعناقى ، وأبو صالح ، ومحمد بن سعيد بن الملون ، ومحمد بن فطيس، وأبو صالح وغيرهم .

وله من سؤاله المدنيين ثمانية كتب ، تعرف بالثمانية ، مشهورة .

وكان عنده حديث كثير ، والأغلب عليه الفقه ، وكان مقدمـــا فى الشورى ، وقد شوور فى حياة يحيى بن يحيى وهو فتى .

(346) قال أحمد بن حزم : * كان ابن لبابة والأعناقى يصفانه بالعلـم والفقه والثقـــة .

وذكر الحميدى أنه قال فى كنيته (أبو يزيد) وأراه تصحيفا ، لأن بنيه الى اليـــوم يعرفون ببنى أبى زيد ، ودربه بقرب الجامع بقرطبة يعرف بدرب أبى زيد .

وتوفى سنة ثمان وخمسين ، وقيل فى جمادى الآخرة سنة تســع وخمسين ومائتين .

ومـــن نسلـــه :

محمد بن محمد : يكنى بأبى الوليد ، ولى خطة الرد ، وكان قليـــل العلم ، توفى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .

وابنه عبد الله بن محمد بن محمد :أبو محمد ، شاوره ابن أبى عيسى تنويها ببيته ، وكان قليل العلم أيضا ، وسمع ، وله رحلة .

ومنهم عثمان بن عبد الرحمان بن عبد الحميد بن أبى زيـــد :
ذكره عبد الله بن عمر بن أبا (310) ، قرطبى ، متقدم فى الفتيا بها ، محلق فى جامعها ، كان نظير أبى زيد فى وقته فى القدر والعلم ، موصوفا بالفضل.

محمــد بن سعيــد بن حســان

مولى الحكم بن هشام ، من أهل قرطبة ، تقدم ذكر أبيه.

سمع من أبيه ، ويحيى بن يحيى ، وابن حبيب ونظرائهم.

ورحل فشرك أباه فى بعض رجاله.

سمع من أشهب ، وعبد الله بن نافع الزبيرى ، وعبد الله بن عبـد الحكـــم.

وقدم الأندلس فكان معدودا فى هذه الطبقة ، فعاجلته منيته سنة ست وستين ، وقيل سنة ستين.

كذا ذكر ابن حارث ، وابن عبد البر ، وابن الفرضى ، أنه توفـى سنة ستين ، وأنه عاجلته منيته.

قال المؤلف رحمه الله : ومن يدرك أشهب وصاحبيه ويتعلم منهم ، ويكون فى سن من يرحل للعلم حينئذ ، لا تعاجله منيته فى هذه المدة

قال بعضهم : ولعله سنة ست ومائتين.

والأصح والله أعلم — ان الوهم فى قوله (عاجلته منيته) لا فى وقت وفاته ، فان ابنه عبد الله كان من حفاظ المذهب ، وقد روى عن المشايخ ، وتوفى سنة سبع وثلاثمائة ، ولو كانت وفاته سنة ست ومائتين ، لكان ابنه معمرا ، والله أعلـم.

أبـان بن عيســى بن دينـار

تقدم نسبه ، سكن قرطبة ، يكنى أبا القاسم.

---

310) أ : أبا ، مشكولة بفتح الباء المشددة — ك : بن أناء — م : بن أنا — ط : ابن أبـــي.

سمـــع مـــن أبيـــه .

ورحل فلقى سحنون بن سعيد ، وعلى بن معبد ، وغيرهما .

ورحل فسمع بالمدينة من ابن كنانة ، وابن الماجشون ، ومطرف

روى عنه محمد بن وضاح ، وقاسم بن محمد ، ومحمد بن لبابة .

قال ابن أبى دليم : وكان فقيها ، وغلب عليه الزهد والـــــورع ، وشوور بقرطبة مع ابن حبيب ، وأصبغ بن خليل ، وعبد الأعلى بن وهب.

قال الرازى : ولى قضاء طليطلة ، وقد كان امتنع وقال : لا أحسن القضاء .

قال محمد بن حارث : ولى الأمير محمد بن عبد الرحمان أبانا قضاء جيان (311) ، فأبى واستعفى ، فأمر الأمير أن يوكل به الحرس ، حتى يبلغ به جيان ، ويكره على الحكم .

ففعلوا ذلك حتى أجلسوه ، وحكم بين الناس يوما واحدا ، فلما أتى الليل هرب على سقوف البيوت ، فسقط واندقت فخذه ، وأصبح الناس يقولون : هرب القاضى !

فانتهى الخبر الى الأمير فقال : هذا رجل صالح ، وأمر أن يبسط له الأمـــان ، وأن يخرج .

فلما خرج ولاه الصلاة بقرطبة ، وقال : نحن أحق به من غيرنا .

سئل أبان عمن له غرفة أراد أن يفتح لها بابا على مقبرة .

فقال : لا يجوز أن يفتحه على مقبرة المسلمين .

قال أبو عبد الملك : كان الغالب عليه الفقه ، وكان كثير العمل ، كثير الصيام ، قال لى ابن لبابة : لم أنظر قط لوجه أبان ألا وجدت الموت . وكان يصف فضله وزهده وورعه .

---

311) أ : ولى الأمير محمد بن عبد الرحمان أبانا قضاء جيان — ك . م : ولي للأمير محمد بن جيان أياما قضاء جيان — وظاهر أن الأول هو الأصح كما يتبين من بقية الكلام فى الموضوع .

وأثنى عليه أبو صالح وفضله ، وقال : رأيته لا يركع يوم الجمعة اذا صلى الا فى بيتـــه .

(347) وسمع منه أبو صالح والأعناقى وابن حميد ، ومحمد * بن غالب الصفار ، وطبقتهم فمن بعدهم .

وقال أحمد بن حزم : قال الأعناقى : لم أر أحدا ولا سمعت فى الدنيا من كانت له هيبة أبان بن عيسى ، ما كان منا من ينظر الى وجه صاحبه، أو يرفع رأسه اليه ، فكيف يتكلم .

وتوفى نصف ربيع الأول سنة اثنتين وستين ومائتين .

اخوتـــه :

فمنهـــم :

عبـد الواحـد بـن عيســى

ذكره الرازى فى الاستيعاب ، وقال : كان فقيها زاهدا .

وعبـد الرحمـان بـن عيســى

أخوهما . قال ابن عبد البر : سمع بالأندلس من مشايخ أبيه وغيرهم ورحل فسمع من سحنون ، وأصبغ ومحمد بن عبد الرحمان البرقـــى ونظرائهم ، وكان حافظا للرأى ، معتنيا بالمسائل .

روى عنه ابن لبابة وغيره .

قال ابن أبى دليم : ولقى محمد بن عبد الحكم .

قال قاسم بن محمد : سئل ابن عبد الحكم عن مسألة ، فسكت ساعة، فقال له عبد الرحمان بن عيسى : ابن القاسم يقول فيها كذا وكذا .

فقال له ابن عبد الحكم: لو كان الأمر على‌ما تقول كان مستهلا(312) انما يجب علينا أن نتعرف الحق .

---

(312) ط . م : كان مستهلا ـ أ : كان مستمهلا ـ ك : غير واضحة .

قال الرازى : وحج حجات ، وشوور .

قال خالد بن سعيد : كان من أهل العناية بالعلم والحفظ والـرأى والمسائل .

توفى سنة سبعين ومائتين .

محمد بن عيسى

أخوهم . قال الرازي : كان زاهدا عالما ، وحج ، وحضر استفتاح قريطش ، فاستوطنها .

محمد بن عبد الرحمان

ابن عمهم . رحل مع ولديه : عبد الواحد ، وأرى الآخر عيسى .

وروى عنه ابنه عبد الواحد .

وسيأتى ذكرهما .

عبد الودود بن سليمان

قرطبى ، كان صالحا ، سمع من أصبغ .

روى العتبى عنه سماعا من أصبغ ، وأدخله فى المستخرجة ، وكان من أهل الحفظ للمسائل ، ذكره ابن الفرضى .

وعده ابن أبى دليم فى هذه الطبقة .

محمد بن الحارث

ابن أبى سعيد ، قرطبى ، يكنى أبا عبد الله ، تقدم ذكر أبيه .

روى عنه كثيرا ، وعن يحيى بن يحيى ، وابن حبيب ، وحج ، فسمع بمصر وبمكة من غير واحد .

ولى لعبد الرحمان بن الحكم أحكام الشرطة الصغرى ، التى كانت بيد أبيه ، وأقره الأمير محمد عليها مع حكم السوق الى أن مات .

وكان مشاورا فى أيامه بقرطبة مع أصبغ بن خليل ، وابن مزيـــن ، ونمطهم .

وكان أحد الثلاثة الذين طلبوا بقى بن مخلد ، الا أنه كان أجملهم فى قضيتـــــه .

قال ابن عبد البر : وكان قليل الفقه .

توفى سنة ستين ومائتين .

عبد الرحمـان بن سعيـد التميمـي

المعروف بالجزيرى ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا زيد .

أخذ عن يحيى بن يحيى ، وسمع من أصبغ ابن الفرج ، وأبى زيد بن أبى الغمر ، وحرملة ، وابن المنذر وغيرهم .

وروى التفسير المنسوب الى ابن عباس ، من رواية الكلبى عن أبى صالح ، وسمعه منه جماعة .

قال : وكان يقوم بالرأى قياما حسنا .

قال ابن أبى دليم : عنى بالرأى وحفظ المسائل ، وشوور بقرطبة ، وكان محمد بن فطيس يصفه بالكرم ويثنى عليه .

قال أحمد بن حزم: كان ذا مال عظيم ودنيا يقف على رأسه الوصفاء، يتشبه بالملوك ، ملابس لهم ، يأتيهم ويأتونه ، وكان فقيها عالما بالمسائل .

قال ابن عتاب : وكان من أهل الجدة واليسار .

وغمص بشىء الله أعلم به ، وذلك أن محمد بن محمد بن وضاح ، جاء اليه فوجد عنده * أشياء منكرة ، فأخذ ثيابه وضرب به الأرض ، (348) وقام من عنده ، فقال أبو زيد : انما يريد ولد ابن وضاح يضعفنى ، وقد سمع منى فلان وفلان ــ أراه ذكر ابن الفراء ــ فمضى الى بعض الحكام وأخذ الشرط ، وجعل يطلب ابن وضاح ، ففضح نفسه .

توفى فى شوال سنة خمس وستين ومائتين .

وطرح الاعناقـــى وبعضهم حديثه ، وترك الرواية عنه

اسحـاق بـن جابـر

قرطبى ، فقيه ، من أصحاب يحيى وعيسى ، ومن خيار النـــاس وفضلائهم .

توفى سنة ثلاث وستين .

عبد الجبـار بن فتح بن منتصر البلـوى

من أهل فحص البلوط ، فقيه زاهد ، طلب العلم ابن خمس عشرة ، فسمع من الأعشى ، وابن حبيب ، وأبى زيد ، وعبد الأعلى ، والعتبى ، ورحـــل .

وكان ابن لبابة قد صحبه عند بعضهم ، فكان يقول : ما رأيت بقرطبة زاهدا غيـــره .

وعاجلته المنية ، فتوفى ابن أربعين سنة ، وذلك سنة ست وخمسين، وقيل ثمان وخمسين .

عبد المجيـد بن عفـان البلـوى

من أصحاب يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وابن حبيب .

ورحل فسمع من سحنون بن سعيد ، وأبى الطاهر بن السرح ، فى سنة ثمان وستين ومائتين .

عمـر بن موســى الكنـــاني

من كنانة قيس ، من أهل البيرة ، أبو حفص .

كان فقيه ألبيرة بعد خروج ابن حبيب عنها ، وكان سمع منه ، ومن يحيى بن يحيى ، وابن حسان ، وزونان .

ورحل فسمع من الحارث بمصر ، ومن أبى اسحاق البرقى ، ومن محمد بن عبد الرحيم البرقى ، وبالقيروان من سحنون بن سعيد ، وغيرهم .

وهو أحد السبعة الذين كانوا فى وقت واحد بألبيرة من رواة سحنون، وهم هؤلاء الذين يأتى ذكرهم على نسق .

وكان يحيى بن عمر يثنى عليه ، ويصفه بالعلم والجلالة ، حدث عنه حفص بن عمر بن نجيح وغيره .

توفى سنة سبع وخمسين ومائتين فيما قاله ابن الفرضى . وقال أبو سعيد بن يونس سنة أربع وخمسين .

سليمان بن نصر بن منصور بن حامل المرى

مرة غطفان ، من أهل ألبيرة ، كنيته أبو أيوب .

روى عن يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وعبد الملك بن حبيب، ونظرائهم .

ورحل فسمع من أبى مصعب ، ومحمد بن عبد الملك ، وسحنون ، وحج حجات .

حدث عنه حفص بن عمر بن نجيح وغيره .

توفى سنة ستين ومائتين .

ابراهيم بن شعيب الباهلي

ألبيرى أيضا ، كنيته أبو اسحاق .

روى عن يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وعبد الملك بن حبيب.

قال ابن حارث : كان فقيها حافظا ، وحدث .

توفى سنة خمس وستين .

ابراهيـم بن خالـد الفهـري (313)

أبو اسحاق ، سمع من يحيى ، وسعيد ، وابن حبيب ، ورحل فسمع من سحنون ، وأبى الطاهر ، وأبى المصعب ، وغيرهم .

توفى سنة ثمان وستين .

ابراهيـم بـن خـلاد اللخمـي

ألبيرى ، يروى عن ابن حبيب وسحنون .

توفى سنة سبعين ومائتين .

سعيـد بـن النمـر

ويقال : نمر ، بن سليمان ، بن الحسن الغافقى ، من أهل ألبيرة ، يكنى أبا عثمان .

سمع من يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وعبد الملك بن حبيب ، وزونـــــان .

ورحل فسمع من سحنون ، وبمصر من ابن عبد الحكم ، وأبى الطاهر ، والحارث بن مسكين .

حدث عنه أحمد بن يحيى بن الشامة ، وابن فحلون ، وحفص بـــن عمر وغيرهم .

(349) قال ابن أبى دليم : كان ذا فقه وورع ، وهو ❋ أجل هذه الطبقـــة وأشهرها ، وله مسائل جمعت عنه ، قد أدخل منها شيخنا القاضى أبـــو الوليد فى كتاب البيان طرفا .

قال على بن الحسن : كان ابن النمر من علية أصحاب سحنـــون فى الفضل والعلم .

وقال غيره : هو من أجل رواة عبد الملك .

---

313) هذه الترجمة ساقطة من نسخة ط .

توفى سنة تسع وستين ، وقيل سنة ثلاث وسبعين .

محمد بن عبد الله بن قنـــون

البيرى ، رحل فسمع من أبى المصعب ، وسحنون .

توفى سنة احدى ، وقيل خمس ، وستين .

وهذا الثامن من رواة سحنون من أهل البيرة ممن لم يذكره من تقدم.

أحمد بن سليمان بن أبي الربيع

البيرى ، أحد السبعة من الرواة عن سحنون بألبيرة .

روى عن يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، والحارث بن مسكين، وسحنون .

قال ابن الفرضى : وكان فقيها .

قال ابن حارث : كان فقيها حافظا .

وتوفى بحاضرة البيرة ، سنة سبع وثمانين ، وتأخرت وفاته عــن أصحابـــه .

فضل بن فضل بن عميرة بن راشد العتقى

تدميرى ، تقدم ذكر أبيه ، وكنيته كنية أبيه أيضا : أبو العافية .

وكان أبوه مات وتركه حملا ، فسمى باسمه وكنى بكنيته .

وولى القضاء ببلده .

سمع من يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وعبد الملك بن حبيب.

وتوفى سنة خمس وستين ومائتين .

محمـــد بـــن زيـــاد الشـــذوني

رحل فسمع من أصبغ وغيره ، وكان عابدا خاشعا .

ووصفه عبد الله بن أبى الوليد بالعلم ، والفضل ، وقال : كان من الخاشعين .

سليمـــان بن حجاج الشذونـــي

قال خالد : كان من أهل التقدم فى العلم والورع ، نظيرا لمحمد بــن زيـــاد .

عبـــد الوهـــاب بـــن عبـــاس

ابن ناصح الثقفى ، مولاهم .

ويقال : أصله بربرى من تفــزة .

ويقال : ناصح بن يلتيت المصمودى ، جزيرى ، من الجزيـــرة الخضراء ، وبيته بيت ذلك البلد فى العلم والرياسة .

رحل مع ابن مزين وابن مطروح مترافقين ، فسمع من سحنـــون وأصبغ ، وشارك ابن مزين وابن مطروح فى رجالهما ، وكان شاعرا .

ولى قضاء بلده وقضاء شذونة .

وأبوه عباس بن ناصح : الشاعر المشهور ، كنيته أبو العلاء .

رحل بعباس أبوه صغيرا ، فنشأ بمصر ، وتردد بالحجاز طالبا للســان العرب ، ثم دخل العراق فلقى الأصمعى وغيره .

ورحل ثانية فلقى الحسن بن هانىء ، فاستنشده، فيقال : ان الحسن قضى له على نفسه بالفضل ، حكى ذلك ابن الفرضى .

ورجع الى الأندلس ومدح ملوكها .

وكان شاعرا مصقعا ، وشعره مؤلف معروف مشروح .

قال ابن الفرضى : وكان عباس من أهل العلم باللغة والعربية ، لـــه حظ من الفقه والرواية لم يشهر عليه ، لغلبة الشعر عليه ، وكان يسلك فى أشعاره مسالك العرب القديمة .

واستقضاه الحكم بن هشام على شذونة والجزيرة .

وولى القضاء بعده ابنه عبد الوهاب هذا .

ثم بعده ابنه محمد بن عبد الوهاب ، وكان فقيها شاعرا .

فهم ثلاثة قضاة على نسق ، أدباء شعراء علماء .

ورابعهم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب بن عباس :
فقيه حافظ للرأى والمسائل ، متصرف فى اللغة والاعراب .

توفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة .

والنباهة والعلم باقيان فى بيتهم الى وقتنا هذا بالجزيرة .

وأدركنا منهم أبا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، كان من فقهائها المشاورين بها ، وتوفى بها .

سعيد بن موسى الطائي

من أهل الجزيرة الخضراء .

من أهل العناية بالعلم والجمع * للكتب (350)

ورحل فلقى أصبغ بن الفرج ، وحرملة بن يحيى وغيرهما .

وكان فقيه موضعه ، مقصودا للسماع فيه .

محبوب بن قطن بن عبد الله

ابن القطن البكرى ، جيانى .

روى بالأندلس ، ورحل فسمع من عبد الله بن صالح ، كاتب الليث ابن سعد وغيره .

وكان بجيان ذا رياسة عظيمة فى الفقه ، نحوا من أربعين سنة ، حدث عنه سعد بن معاذ .

وكان يلبس الوشى ، ويخضب قدميه بالحناء .

عبد القادر بن أبي شيبة

واسمه يونس الكلاعى ، مولى لهم ، ويقال : الخولانى أبو على ، من أهل أشبيلية .

سمع من يحيى بن يحيى وابن حسان ، وغيرهم ، وكان صدرا فى الفقهاء ببلده .

توفى فى نحو السبعين .

أسد بن حارث

اشبيلى ، مولى لخولان .

رحل ، ولقى أصبغ ، وابن بكير ، وكان ذا زهد وفضل .

قال ابن حارث : كان له حظ من الفتيا .

داود بن عبد الله القيسي

أشبيلى ، لقى ابن بكير ، وسمع منه الموطأ ، وكثيرا من علم مالك والليث .

وكان من أهل العلم ، مرشحا لقضاء الجماعة بقرطبة .

وتوفى فى نحو السبعين .

اسحاق بن عبد ربه

باجى ، سمع يحيى بن يحيى ، وسحنون بن سعيد ، وامتحن بالبرص ، فاحتجب ، وكان مشهورا بالعلم والفضل ، وولى صلاة موضعه.

يحيى بن حجاج

من أهل طليطلة .

سمع من يحيى ، وعيسى ، وسعيد بن حسان .

ورحل فسمع من سحنون وعون وغيرهما من القرويين .

قال ابن أبى دليم : وكان من أهل العلم .

استشهد فى المعترك سنة ثلاث وستين ومائتين .

وكان فاضلا ، ذكر أنه كان عنده طعام فى بعض سنى الشدائد، وكان ذا عيال ، فلما رأى فى نفسه عدم الرأفة بحال غيره ، تصدق بجميعه .

فعوتب فى ذلك ، فقال : الآن حمدت نفسى فيما نظرت لى ولمن معى ، وأمنت أن تعم العباد رحمة ربى ويخصنا سخطه بما كنا فيه .

وكان من المجتهدين .

وكان لا يدخل بيتا فيه كلب ولا صورة .

يحيى بن القصير

طليطلى ، صاحب ابن حجاج هذا ، ومشاركه فى أسمعته .

قال ابن حارث : وكان نظيره فى فضله وعلمه واجتهاده .

وكان مواظبا على الجهاد ، ولما استشهد صاحبه وسلم هو ، كان يغمص نفسه لذلك ويوبخها ، الى أن خرج الناس للغزاة سنة أربع وستين ، فلما اجتمع الجمعان أحكم أمره ، وسلم متاعه الى رفقائه ، وودعهم ، وتقدم للحرب طالبا للشهادة ، فرزقها ، بعد أن أبلى فى العدو بلاء ظاهرا .

سعيد بن عياض

أبو عثمان ، طليطلى ، سمع من سحنون ، ومن يحيى بن يزيد ، وعليه عول ، وكان من أهل المسائل والفتيا والفقه .

زكرياء بن قطام

من أهل طليطلة ، كنيته أبو يحيى .

رحل ولقى سحنون بن سعيد وغيره .

قال ابن الفرضى : وكان من أهل الرواية .

قال ابن أبى دليم : كان من أهل الفقه والفتيا ، ولى قضاء طليطلة وصلاتها ، ومات قاضيا بها .

قال ابن حارث : قتله أهل طليطلة .

حزم بن غالب الرعيني

طليطلى ، سمع من عيسى ، ويحيى .

ورحل الى المشرق فلقى سحنون بن سعيد وغيره .

وكان مفتى بلده ، وصاحب صلاته وخطبته ، وأحكام قضائه .

احمد بن الوليد بن عبد الخالق

ابن عبد الجبار ، بن قيس ، بن عبد الله ، بن عبد الرحمان ، بن قتيبة، بن مسلم الباهلى ، طليطلى ، من أصحاب يحيى بن يحيى ، وعيسى بن دينار، ونظرائهم .

ورحل فلقى سحنون .

وولى قضاء طليطلة وجيان ، وبيته بيت جلالة .

(351) هو قاض ، ابن قاض ، ابن قاض ، ابن قاض ، ولى جميعهم * قضاء طليطلة ، الأربعة على نسق ، ذكره ابن حارث .

عبد الجبار بن محمد بن عمران

من أهل طليطلة ، سمع من سحنون ونظرائه .

قال ابن حارث : وكان من أهل الرواية الكثيرة والفتيا والعلم والورع والعبادة .

محمد بن عبد الواحد

من أهل طليطلة ، يكنى أبا محمد .

رحل فسمع من سحنون .

وذكره ابن أبى دليم فى هذه الطبقة ، وقال : كان صاحب فقه .

توفى سنة أربع وستين ومائتين .

سعيد بن عفان

أبو محمد ، طليطلى .

رحل فلقى سحنون بن سعيد وغيره .

قال ابن حارث : كان من أهل العلم والمسائل والفتيا ، وكان يتورك فى أمره على يحيى بن مزين .

عمر بن زيد بن عبد الرحمان

طليطلى ، أبو حفص .

سمع من أصبغ وسحنون وغيرهما ، وكان مفتيا بموضعه (314) .
قال ابن أبى دليم : كان صاحب رواية وفقه .

حزم بن غالب الرعيني

طيلطلى ، سمع من عيسى بن دينار ، ويحيى بن يحيى ، ولقى سحنون وغيره ، وكان مفتيا ببلده ، وولى أحكام قضائه وصلاته .

قال ابن حارث : كان صاحب رواية وفتيا .

منذر بن الصباح بن عصمة

من أهل قبرة ، له رحلة وعناية بالفقه والحديث ، واستقضى بموضعه .

وتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين .

---

314) أ : بموضعه — ك : بموضعهما — م : ببلده .

كـرز بن يحيى بن محـرز الصدفي

من أهل استجة .

روى عن عبد الملك بن حبيب .

وكان عبد الملك يصفه بالذكاء والفهم ، ويفضله على من قدم عليه من أهل البلدان ، وكان رجلا شريفا خيرا ، فقيه بلده فى وقته .

توفى فى امرة عبد الرحمان بن الحكم .

أبو عـون كلثـوم بن أبيـض المـرادي

من أهل سرقسطة .

قال ابن أبى دليم : له رحلة قديمة ، وكان فقيها فاضلا .

توفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

يحيى بن عبد الرحمان المعروف بالابيض

سرقسطى ، أبو زكرياء .

قال ابن الفرضى : سمى بذلك لأنه كان أبيض الرأس واللحيـة والحاجبين وأشفار العينين خلقة .

وذكر أن أمه كانت أخت أبيه من الرضاعة ، فظهرت فيه هذه الآية .

كانت له رحلة قديمة ، وكان متصرفا فى ضروب من العلم ، متقدما فى النحو واللغة ، وألف فيه كتابا .

ذكره ابن أبى دليم فى هذه الطبقة من فقهاء المالكية .

قال : وكان حافظا ، أخذ عنه الناس .

وتوفى سنة ثلاث وستين ومائتين .

محمـد بـن عـجـلان الازدي

سرقسطى ، سمع قديما من سحنون وغيره .

قال ابن الفرضى · وكان عالما فاضلا .

قال ابن حارث : هو من المشهورين بالفضل والخير ، يبصر الفرض والحساب بصرا جيدا ، ووضع فيه كتابا حسنا كافيا ، وولى قضاء بلده .

قال ابن وضاح : قلت لسحنون : ابن عجلان قال : يحلف اليهود يوم السبت ، والنصارى يوم الاحد ، لانهم رأيتهم يرهبون ذلك .

فقال لى : من أين أخذه ؟

قلت : من قول مالك رحمه الله : انهم يحلفون حيث يعظمون .

فسكـــت .

قال ابن وضاح : كأنه أعجبه !

وسيأتى ذكر ابنه بعد هذا.

عبـد اللــه بن أبــي النعمــان

سرقسطى ، ولى قضاءها ، وذكر عنه فضل وخير ، وكان مشهورا بالعلــم .

توفى سنة خمس وستين ، وقيل سنة خمس وسبعين.

عجنس بن اسبــاط الزبــادى

(352) بفتح الزاى ، وبعدها باء بواحدة * من أسفل ، من أهل وشقة ، راغب فى العلم ، فبيته بها بيت علم.

سمع من يحيى بن يحيى .

وذكره الصدفى وابن الفرضى وغيرهما .

سمع منه ابنه ابراهيم ، وسيأتى ذكره وذكر ابنيه فى طبقاتهم ان شاء الله تعالـــى .

طبقة ثالثة

ثم انتهى الفقه بعد هذه الطبقة الى طبقة أخرى تتلوها .

فمنهم من أهل المدينة :

محمد بن اسحاق بن يحيى

ابن اسحاق ، بن أيوب ، بن سلمة ، بن عبد الله ، بن الوليد ، بن المغيرة ، بن عبد الله ، بن عمر ، بن مخزوم القرشى ، المعروف بابن معلق، وهو لقب يحيى جده .

من أصحاب أبى مصعب ، كان بالمدينة ، ثم خرج الى العراق ، فولى القضاء بفارس وهناك توفى .

ابو بكر أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سالم بن عبد الله

ابن عمر بن الخطاب ، التيمى ، القرشى ، من أصحاب أبى مصعب أيضا .

*

* *

ومن أهل العراق والمشرق ، ثم من آل حماد بن زيد ، أئمة هذا المذهب وأعلامه بالعراق :

اسماعيل بن اسحاق القاضي

ولنبدأ قبل ذكره بشىء من خبر آل حماد بن زيد على الجملة، وجلالة أقدارهم ، وقد ذكرنا قوما منهم فى الطبقة الاولى .

كانت هذه البيتة (315) على كثرة رجالها ، وشهرة أعلامها ، من أجل بيوت العلم بالعراق ، وأرفع مراتب السؤدد فى الدين والدنيا ، وهم نشروا هذا المذهب هناك ، ومنهم اقتبس .

---

(315) ط ، ك : « كانت هذه البيتة » وكذلك فى الديباج فى ترجمة اسماعيل بن اسحاق القاضي ص 92 .
م : « كانت هذه البيت » أ : « كانت هذه البينة » .

فمنهم من أئمة الفقه ومشيخة الحديث والسنن عدة ، كلهم جلة ، ورجال سنة .

روى عنهم فى أقطار الارض وانتشر ذكرهم ما بين المشرق والمغرب، وتردد العلم فى طبقاتهم وبيتهم نحو ثلاثمائة عام ، من زمن جدهم الامام حماد بن زيد ، وأخيه سعيد ، — ومولدهما فى نحو المائة — الى وفاة آخر من وصف منهم بعلم ، المعروف بابن أبى يعلى ، ووفاته قرب أربعمائة عام .

قال أبو محمد الفرغانى التاريخى : لا نعلم أحدا من أهل الدنيا بلغ ما بلغ آل حماد بن زيد .

قال أبو بكر المراغنى : نال بنو حماد من الدنيا مزية ومنزلة رفيعة .

وأول نكبة نكبوها أيام ابن المعتز .

ولم يبلغ أحد ممن تقدم من القضاة ما بلغوه من اتخاذ المنازل ، والضياع ، والكسوة ، والآلة ، ونفاذ الأمر فى جميع الآفاق .

فكان لا يبقى أمير فى أقطار الأرض شرقا وغربا ، الا كاتبوهم ، ونفذت أمورهم على أيديهم .

وكذلك كل من كان بالحضرة من أرباب الخراج والأعمال ، لا يجد بدا من أن يصير الى ما يأمرون به ، لا يقدر واحد على أن يدفع أمرهم أو يقصر فى حوائجهم .

ولما ولى عبد الله بن سليمان الوزارة للمعتضد — وكان سىء الرأى فيهم — أراد الايقاع بهم ، وأعمل فيهم الحيلة ، فلم يقدر على ذلك ، الى أن مات اسماعيل بن اسحاق ، ففتح لعبد الله فى ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين : بنو حماد مشاغيل بخدمة السلطان وأسباب النفقات والمظالم عن الحكم .

فلم يقدح ذلك فيهم .

ولم يزل به بعد مدة ، حتى جعله ولى أبا حازم الحنفى قضاء الشرقية ، وعلى بن أبى الشوارب قضاء مدينة المنصور ، واقتصر بآل حماد على قضاء عسكر المهدى .

ثم بعد ذلك رجع قضاء القضاة لهم ، أيام أبى عمر وبنيه .

وكان ابن الطيب ، مؤدب المعتضد ، يعظم أمر آل حماد ، وقال : حسبك أن لهم ببادريا ستمائة بستان ، غير مالهم بالبصرة وسائر النواحى .

وكان فيهم على اتساع الدنيا لهم ، رجال صدق وخير ، وأئمة ورع وعلم وفضل .

وسياتى من مفصل قصصهم فى الطبقات ما يدل على مكانهم من الدين والدنيا .

ذكر اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل

(353) ابن حماد ، بن زيد ، بن درهم * بن بابك الجهضمى الأزدى ، مولى آل جرير (316) بن حازم ، كذا قال أبو الفضل القشيرى .

وابن أبى اسحاق أصله من البصرة ، وبها نشأ ، واستوطن بغداد .

سمع محمد بن عبد الله الأنصارى ، ومسلم بن ابراهيم الفراهيدى (317) ، وسليمان بن حرب الواشحى (317 م) ، وحجاج بن منهال الأنماطى وعمرو بن مرزوق ، ومحمد بن كثير ، ومسددا ، والقعنبى ،

---

316) ك ، ط ، م : مولى آل جرير — أ : مولى جرير .

317) أ — ك ، ط : الفراهيدي — م المراهيدي — وفى الخلاصة للخزجي ص 320 : مسلم بن ابراهيم الأزدي الفراهيدي .. قال البخاري : توفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين .

317) مكرر فى النسخ الخطية التي بين أيدينا « الواشجي » بالجيم — وفى الخلاصة ص : 128 : سليمان بن حرب الأزدي الواشحي ، بمعجمة ، ثم مهملة .. مات سنة أربع وعشرين ومائتين ، قاله ابن سعد — وقد ورد فى الديباج فى ترجمة اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل : أنه سمع من سليمان ابن حرب الواشحي . أنظر الديباج ص 93 .

وعبد الله بن رجاء الغدانى (318) ، وأبا الوليد الطيالسى ، وأحمد بن يونس ، وابراهيم بن الحجاج ، واسماعيل بن أبى أويس ، وعلى بن المدينى ، واسحاق بن محمد القروى .

وسمع أيضا من أبيه ، ونصر بن على الجهضمى ، وأبى بكر بن أبى شيبة ، وابراهيم بن حمزة ، وأبى مصعب الزهرى ، وأبى محمد الحكمى، وأبى ثابت المدنى ، وأبى شاكر بن محمد بن مسلمة المدنى ، وغيرهم .

وتفقه بابن المعذل .

قال الشيرازى : كان القاضى اسماعيل يقول : أفخر على الناس برجلين بالبصرة ، بابن المعذل يعلمنى الفقه ، وابن المدينى يعلمنى الحديث.

روى عنه موسى بن هارون الحافظ ، وعبد الله بن حنبل ، وأبو القاسم البغوى ، ويحيى بن صاعد ، وابن عمه يوسف بن يعقوب ، وابنه أبو عمر القاضى ، وأخوه ، وابراهيم بن عرفة نفطويه ، وابن الانبارى ، والمحاملى ، ومحمد بن مخلد الزورى ، ومحمد بن أحمد الحكمى ، واسماعيل الصفار ، ومحمد بن عمرو والرزاز (319) ، وعبد الصمد الطستى ، وأبو عمرو بن السماك ، وأحمد بن سليمان النجار ، وأبو سهل ابن زياد ، وحمزة بن محمد الدهقان ، ومكرم بن أحمد القاضى ، وأبو بكر الشافعى .

وممن تفقه عليه وروى عنه وسمع منه ، ابن أخيه ابراهيم بن حماد ، وابنا بكير ، والنسائى ، وابن المنتاب ، وأبو بشر الدولابى (320) وأبو الفرج القاضى ، وأبو يعقوب الرازى ، وأبو بكر بن الجهم ، وأبو الفضل بن راهويه ، وأبو اسحاق الهجيمى ، ومحمد بن أحمد الدينورى، وأبو عبد الله التركانى ، وبكر القشيرى ، وابن حشام البصرى ،

---

(318) أ ــ ك ــ م : العداني ــ ط ــ العدامي ــ وفى الخلاصة ص 127 : « عبد الله بن رجاء الغداني بضم المعجمة ، وفتح الدال .. مات سنة تسع عشرة ومائتين ، وقيل سنة عشرين .

(319) ط ، م : الرزاز ــ ك : الزرار ــ أ : الرزار .

(320) أ ، م : « وأبو بشر الدولابي » ، وكذلك فى الديباج فى ترجمة اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل ــ ط ، ك : الدولامي .

والطيالسى ، وأبو محمد عبد الرحمان بن محمد الزهرى ، وأبو العباس الحناوى (321) ، وعبد الله بن أحمد بن يوسف بن يعقوب ، والفريابى ، وابن مجاهد المقرىء ، ويحيى بن عمر الأندلسى ، وقاسم بن أصبغ الأندلسى ، وخلق عظيم .

وبه تفقه أهل العراق من المالكية .

ثناء الناس عليه ومكانه من الامامة فى العلوم وذكر فضله

قال أبو بكر أحمد بن ثابت الحافظ فى تاريخ البغداديين : كان اسماعيل فاضلا ، عالما ، متقننا ، فقيها على مذهب مالك ، شرح مذهبه ولخصه ، واحتج له ، وصنف المسند ، وكتبا عدة من علوم القرآن ، وجمع حديث مالك ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وأيوب السختيانى .

قال أبو اسحاق الشيرازى : كان اسماعيل جمع القرآن ، وعلم القرآن والحديث ، وآثار العلماء ، والفقه ، والكلام ، والمعرفة بعلم اللسان ، وكان من نظراء أبى العباس المبرد فى علم كتاب سيبويه ، وكان المبرد يقول : لولا شغله برئاسة العلم والقضاء ، لذهب برئاستنا فى النحو والأدب .

ورد على المخالفين من أصحاب الشافعى وأبى حنينة .

وحمل من البصرة الى بغداد ، وعنه انتشر مذهب مالك بالعراق .

قال عبد الرحمان بن أبى حاتم الرازى : كان ثقة صدوقا ، وكتب الينا ببعض حديثه .

قال غيره : كان ثقة ، هو أول من بسط قول مالك ، واحتج له ، وأظهره بالعراق .

وكان أبو حاتم القاضى الحنفى يقول : لبث اسماعيل أربعين سنة ، يميت ذكر أبى حنيفة من العراق .

---

321) ك ، م : وابو العباس الحناوي ــ ا ، ط : وابو العباس الحناي .

وقال الشيخ أبو محمد بن أبى زيد : القاضى اسماعيل شيخ المالكيين . وامام تام الامامة يقتدى به .

قال طلحة بن محمد بن جعفر فى تاريخه : اسماعيل بن اسحاق منشؤه بالبصرة ، وأذن للفتيا عن أحمد بن المعذل ، وتقدم فى العلم حتى صار علما ، ونشر من (354) * مذهب مالك وفضله ما لم يكن بالعراق فى وقت من الأوقات ، وصنف فى الاحتجاج له والشرح ما صار لأهل هذا المذهب مثالا يحتذونه ، وطريقا يسلكونه ، وانضاف الى ذلك علمه بالقرآن ، فانه ألف فيه كتبا ، ككتاب أحكام القرآن ، وهو كتاب لم يسبقه آحد من أصحابه الى مثله ، وكتابه فى القراءات ، وهو كتاب جليل المقدار ، عظيم الخطر ، وكتابه فى معانى القرآن ، وهذان الكتابان شهد بتفضيله فيهما أبو العباس المبرد ، وسمعت أبا بكر بن مجاهد يصف هذين الكتابين ، وذكر أن المبرد كان يقول : القاضى أعلم منى بالتصريف ، وبلغ من العمر ما صار واحد عصره فى علو الاسناد ، فحمل الناس عنه من الحديث الحسن ما لم يحمل عن كثير ، وكان الناس يصيرون اليه ، فيقتبس منه كل فريق علما لا يشاركه فيه الآخرون ، فمن قوم يحملون الحديث ، ومن قوم يحملون علم القرآن ، والقرآت ، والفقه ، الى غير ذلك .

قال اسماعيل القاضى : دخلت يوما على يحيى بن أكثم ، وعنده قوم يتناظرون فى الفقه وهم يقولون : قال أهل المدينة .

فلما رآنى مقبلا قال : قد جاءت المدينة !

قال نصر بن على الجهضمى : ليس فى آل حماد بن زيد أفضل من اسماعيل بن اسحاق .

قال المبرد : ما رأت عينى فى أصحاب السلطان مثل اسماعيل بن اسحاق ، وفلان .

وذا كره ابن كيسان فى مسألة من النحو ، فقال له اسماعيل : نعم ما قلت ، لو قاله غيرك !

فقال له ابن كيسان : ان قاله القاضى أعزه الله ، قال به جميع الناس .

وقد ذكر أبو على الفارسى فى تذكرته وغيره عنه أشياء من العربية .

قال القاضى أبو الوليد الباجى — وذكر من بلغ درجة الاجتهاد وجمع اليه العلوم — فقال : ولم تحصل هذه الدرجة بعد مالك الا لاسماعيل القاضى .

وقال المقرىء ، وأبو عمر والدانى ، فى طبقات القراء — وذكره — فقال : أخذ القراءة عن قالون ، وله فيه حرف ، وعن أبى عبد الرحمان أحمد بن سهل ، عن أبى عبيد ، وعن نصر بن على الجهضمى عن أبيه عن أبى عمرو عن أبيه عن شبل عن ابن كثير وغير واحد ، وله فيها كتاب جامع حسن ، وانفرد بالامامة فى وقته ، ولم ينازعه أحد فى عصره .

روى القراءة عنه ابن مجاهد ، وابن الانبارى ، وخلق لا يحصون .

وقال ابن السراج : اجتمع المبرد وأبو العباس ثعلب عند اسماعيل القاضى ، فتكلما فى مسألة ، فطال بينهما الكلام .

فقال المبرد لثعلب : قد رضينا بالقاضى .

فسألاه الحكومة بينهما ، فقال لهما : تكالما ، فتكالما .

فقال القاضى : لا يسعنى الحكم بينكما ، لانكما خرجتما الى ما لا أعلم .

قال يوسف بن يعقوب : قرأت فى توقيع المعتضد ، الى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير : استوص بالشيخين الخيرين الفاضلين : اسماعيل بن اسحاق الأزدى ، وموسى بن اسحاق الخطمى خيرا ، فانهما ممن اذا أراد الله بأهل الأرض سوءا دفع عنهم بدعائهما .

جمــل مــن أخبــاره

ذكر أبو عمرو المقرىء عن ابن المنتاب القاضى ، قال : كنت عنـد اسماعيل يوما ، فسئل : لم جاز التبديل على أهل التوراة ولم يجز على أهل القرآن ؟

فقال : قال الله تعالى فى أهل التوراة : « بما استحفظوا من كتاب الله » (322) فوكل الحفظ اليهم .

وقال فى القرآن : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (323) فلم يجز التبديل عليهم .

فذكر ذلك للمحاملى ، فقال : ما سمعت كلاما أحسن من هذا .

(355) قال القاضى رحمه الله : وقع لى أيضا هذا الكلام مرويا من طريق* الأندلسيين ، أن نصرانيا سأل محمد بن وضاح عن هذه المسألة ، فأجابه بمثل هذا الجواب .

وذكر أبو محمد الفرغانى فى صلته ، أنه اجتمع غلام خليل القاص مع اسماعيل القاضى ، فى وليمة ـ أرى لبعض الرؤساء ـ وكان غـلام خليل يشتم القضاة ويشهد عليهم أنهم من أهل النار .

فلما خرجا قال له اسماعيل : أنت تعيب القضاة وتشهد عليهم أنهم من أهل النار وأصحاب السلطان ، فما تصنع ها هنـا ؟ قد حضـرت وحضرتك ، ويشمون يدك ويشمون يدى أو نحو هذا (324) .

ومن كتاب الخطيب ، قال أبو العباس المبرد : توفيت والدة القاضى اسماعيل ، فركبت اليه أعزيه وأتوجع له ، فألفيت عنده الجلة من بنـى هاشم ، والفقهاء ، والعدول ، وميسورى بغداد ، ورأيت من ولهه ما أبداه، ولم يقدر على ستره ، وكلا يعزيه ، وقد كاد لا يسلو .

---

322) الآية 44 من سورة المائدة

323) الآية 9 من سورة الحجر .

324) هكذا وردت هذه العبارة فى جميع النسخ الخطية التي بين ايدينا .

فلما رأيت ذلك منه ، ابتدأت بعد التسليم ، فأنشدتـــه :

لعمرى لئن غال ريب الزمـــان فساء ، لقد غال نفسا حبيبــه
ولكن علمى بما فى الثـــواب عند المصيبـة ينسى المصيبه

فتفهم كلامى واستحسنه ، ودعا بدواة وكتبه ، ورأيته بعد قـد انبسط وجهه ، وزال عنه ما كان فيه من تلك الكآبـة وشدة الجزع .

قال نفطويه : كنت عند المبرد ، فمر به اسماعيل بن اسحاق ، فوثب المبرد اليه ، وقبل يده وأنشده :

فلما بصرنا بـــه مقبـــلا حللنا الحبا وابتدرنـا القيامـا
فلا تنكـرن قيامـى لـــه فـان الكريم يجـل الكـرامـا

قال ابن الأنبارى أنشدنا اسماعيل القاضى :

لا تعتبـن علـى النوائـب فالدهر يرغم كـل عاتـب
واصبـر علـى حدثـانـه ان الأمـور لهـا عواقـب
ولكـل صـافيـة قـــذى ولكـل خالصـة شوائـب
كـم فـرحـة مطـويـة لك بين أثنـاء النوائـب (325)

وقال القاضى اسماعيل : ما عرض لى هم فادح فذكرت هذه الأبيات، الا وجدت من روح الله ما يحل عقالى ، وينعم بالى ، ثم تؤول عاقبة ما أحذره الى فاتحة ما أوثـــره .

وأنشد بعضهم للقاضى اسماعيـــل :

مـن كفـاه من مساعيه رغيـف يغتذيـه
ولـه بيـت يواريـه وثـوب يكتسيـه
فلمـاذا يبذل العـرض لنـذل أو سفيـه
ولمـاذا يتمـادى عنـد ذى كبـر وتيـه

---

325) البيتان . الأخيران ساقطان من نسخة ط .

كل مال منعت للبر أيدى باذليه
فهو للوارث والوزر على مكتسبيه (326)

ذكر أبو عبد الله بن عتاب ، أن القاضى اسماعيل ، سئل عن الحد هل يدخل فى المحدود أو لا .

وذلك اذا باع منه أرضا ، وقال : حدها من جهة كذا الشجرة .

فتوقف عن الجواب ، ثم قال بعد للسائل : طالعت هذا الباب من كتاب سيبويه فدلنى على دخولها .

وذكر بعضهم قال : اجتمع أبو العباس بن شريح القاضى ، وأبو بكر ابن داود الاصبهانى ، وأبو العباس المبرد ، على باب القاضى اسماعيل ، فأذن لهم .

فتقدم ابن شريح ، وقال : قدمنى العلموالسن .

وتأخر المبرد وقال : أخرنى الأدب .

وقال ابن داود : اذا صحت المودة سقطت المعاذير .

وحدث الدارقطنى ، أن اسماعيل القاضى دخل عنده عبدون بن صاعد الوزير ، وكان نصرانيا ، فقام له ، ورحب به .

(356) فرأى * انكار الشهود ذلك ، فلما خرج قال : قد علمت انكاركم ، وقد قال الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين » (327) الآية . وهذا الرجل يقضى حوائج المسلمين ، وهو سفير بيننا وبين المعتضد ، وهذا من البر .

فسكتت الجماعة عند ذلك .

---

326) ورد هذا البيت فى نسخ أ ، ك ، م : على صور مختلفة كلها غير مستقيم الوزن أو المعنى ، وقد آثرنا هنا الصورة التي وردت فى نسخة ط .

327) الآية 8 من سورة المتحنة .

وذكر بعضهم ، أن درة جليلة خرجت من دار السلطان ببغداد ، لبعض الأمراء ، فوصلت الى مجلس القاضى اسماعيل ، فاستحسنها كل من حضر وجعل يقلبها .

وفى المجلس رجل من المغاربة من أصحاب سجنون ، فلم يمد يديه اليها وامتنع من تقليبها .

فقال له القاضى اسماعيل : خبرنى لم لم تفعل ؟ وكأنه فهم مراده .

فقال له : هى لغير مالكها، وحكمها حكم اللقطة، يلزم ضمانها ملتقطها، حتى يؤديها الى مالكها ، فلو أخذتها لضمنتها ، أو نحو هذا من الكلام .

فاستحسنه القاضى ، ودل على فضل قائله .

قال ابراهيم بن حماد : كان عمى اسماعيل ينشد :

همم الموت عاليات فمن ثم تخطى الى لباب اللباب
ولهذا قيل الفراق أخو الموت لاقدامه على الأحباب

وذكر الدولابى فى كتابه ، عن أبى ذر ، أن المعتضد كانت له حظية يحبها ، ولها ابن أخت حجر عليه اسماعيل القاضى بعد موت والده ، فشكت أمه ذلك الى أختها، ورغبت سؤال المعتضد ، ليأمر القاضىبفكه من الحجر.

فلما جاء المعتضد الى حظيته ، سألته ذلك ، فكتب رقعة بخطه الى اسماعيل يأمره بفك الحجر عن الغلام ، وختمها ووجهها مع وزيره اليه .

فعظم ذلك على الوزير وكتمانه عنه .

فلما وصل به اسماعيل ، فكه ، وكتب على ظهره ، وختمه ، ورده مع الوزير .

فكان ما فعله اسماعيل أشد على الوزير .

فلما وصل به الخليفة وفتحه ونظر فيه ، بكى وكان بعيد الدمعة ، ثم رمى به الى الوزير .

وقال : انظر بما كتب الينا اسماعيل .

فاذا هو قد كتب اليه : « بسم الله الرحمان الرحيم يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » (328) الآية .

وقال : قل لاسماعيل : يعمل ما يرى ، فلا اعتراض عليه .

*
* *

قال أبو بكر بن أبى الأزهر : دعانى يوما على بن ابراهيم بن موسى كاتب مسرور ، فتشاغلت عنه ، فلما كان الغد بكرت اليه معتذرا ، فتلقانى وقال : انتظرنى قليلا ، فانى أريد دخول الحمام .

فدخلت الى موضع جلوسه .

وتقدم الى غلمانه بتغييب سرج حمارى ولجامه .

أراه قال : فلما طال انتظارى قمت فوجدت الحمار عريا ، فسألتهم ، فقالوا : ما ندرى .

فأقمت أعذل الغلام مرة ، وأهم بضربه أخرى .

فلما انتصف النهار ، علمت أنه فى دعوة الحسن بن اسماعيل ، فكتبت اليـــه :

يا ابن خير القضاة (329) والحكام	وكريـم الأخـوال والأعمـام
يا ابن من بينت له سنن الديــــ	ــــن وتمت شرائع الاســلام
اقض بينى وبين خالــك والمـــ	ــصفى لك الود من جميع الأنام
انه كادنـــى بأخـــذ حمـــارى	وتعدى فى سرجـــه واللجـام
ومنعت الخروج ظلما وألجئـــت	الى الرفق صاغـــرا بالغـــلام
مــرة أنثنـــى عليـــه بضـــرب	غير مجـد ومـــرة بالكـــلام
وأشد الأمور أنـــى قد جعـــت	كأنـــى محـــالــف للصيـــام
فتراه أجاز أخـذ حمـــارى !	أتـــراه يجيز منـــع الطعـــام ؟

328) الآية 26 من سورة (ص) .
329) أ : يا ابن خير القضاة والحكام. ــ ط ، ك ، م: يا ابن قاضي القضاة والحكام

قال : وطلبت من يحملها اليه ، فرأيت امرأة من دار القاضى اسماعيل، فدفعت الرقعة اليها ، وأمرتها بدفعها للحسن ، فدفعتها الى القاضى نفسه. فلما قرأها وقع فى ظهرها بخطه : « يا بنى ! هذا رجل متظلم منكم ، فأنصفوه » .

وبعث بها الى ابنه ، فلما قرأها وجهوا الى لاحضر معهم ، فوافانى الرسول قد انصرفت .

*
* *

ولما كانت محنة غلام خليل (330) ، ومطالبته الصوفية ببغداد ، ونسبتهم الى الزندقة ، وأمر الخليفة بالقبض عليهم ، وكان فيمن قبض عليه شيخهم ، اذ ذاك أبو الحسن النورى ، فلما أدخلوا على الخليفة أمر بضرب أعناقهم ، فتقدم النورى مبتدرا الى السياف ليضرب عنقه ، فقال له : ما دعاك الى هذا دون أصحابك ؟

فقال : آثرت حياتهم على حياتى هذه اللحظة .

فرفع الأمر الى الخليفة ، فرد أمرهم الى قاضى القضاة اسماعيل .

فقدم اليه النورى ، وسأله عن مسائل من العبادات فأجابه .

ثم قال له : وبعد هذا ، لله عباد يسمعون بالله ، وينطقون بالله ، ويصدرون بالله ، ويردون بالله ، ويأكلون بالله ، ويلبسون بالله .

فلما سمع اسماعيل مقالته ، بكى طويلا ، ثم دخل على الخليفة فقال : ان كان هؤلاء القوم زنادقة ، فليس فى الأرض موحدون .

فأمر باطلاقهم .

ولايته القضاء وسيرته فيه

قال أبو بكر الخطيب : قال أبو العباس الأصم : كان اسماعيل بن اسحاق نيفا وخمسين سنة قاضيا ، ما عزل عنها الا سنتين .

---

(330) أ : غلام خليل — ك ، ط ، م : غلام الخليل .

قال أبو بكر : وهذا فيه تسامح ، لم تبلغ ولايته من أولها الى وفاته (331) هذا العدد .

وأول ما ولى ، قضاء الجانب الشرقى ، عند وفاة سوار بن عبد الله، أيام المتوكل ، سنة ست وأربعين ومائتين ، وجمع له قضاء الجانبين بعد ذلك سنة اثنين وستين .

وذكر أن المهتدى بن الواثق صرف اسماعيل عن القضاء سنة خمس وخمسين ، وسخط على أخيه حماد ، فاستتر اسماعيل .

قال : وفى سنة ست وخمسين بعد قتل المهتدى ، أعاد المعتمد اسماعيل بن اسحاق ، وغلب على الموفق على الجانب الشرقى ، فولاه الجانب الغربى ، ونقل عنه القاضى البرقى (332) الى الجانب الشرقى وذلك سنة ثمان وخمسين .

وقال ابن أبى طاهر فى تاريخه : ان ذلك كان سنة سبع وخمسين ، فلم يزل اسماعيل على الجانب الغربى بأسره ، الى سنة اثنين وستين ، فجمعت له بغداد كلها ، والقاضى بسر من رأى على بن محمد بن أبى الشوارب ، وكان يدعى بقاضى القضاة ، واسماعيل المقدم على سائر القضاة الى أن توفى .

قال ابن أبى طاهر : ولم يجمع قضاء بغداد لأحد قبله ، وأضاف اليه قضاء المدائن والنهر ، وأنات (333) .

وذكر ابن حارث وغيره ، أنه ولى قضاء القضاة آخرا ، ولم يذكره المؤرخون ، وهم أقعد بهذا .

وكان يكتب له فى قضائه ، أبو العباس بن شريح الشافعى ، المعروف بالباز الأشهب ، وهو الذى ألف التوسط بين محمد بن الحسن ، واسماعيل القاضى ، وهو كتاب كبير .

---

331) ط ، ك ، م : « الى وفاته » . أ (الى آخرها) .
332) أ ، م : البرتي — ك : البرقي .
333) أ ، ك ، م : وأنات — ط — غير واضحة — وفى معجم البلدان لياقوت الحموي « أنات » بضم الهمزة ، وفتح النون المشددة ، عدة مواضع بالعراق.

وكان حاجبه ابن عمه أبا عمر محمد بن يوسف بن يعقوب .

قال أبو عمر والدانى : ولى اسماعيل القضاء اثنين وثلاثين سنة .

قال المراغى (334) : صرف أبو أحمد الموفق ، اسماعيل بن اسحاق، لتحامله على المعتضد .

(358) فجاء اسماعيل يوما برسالة من الموفق الى المعتضد * .

فقال له المعتضد : يا شيخ ! ولاك الموفق الحكم ؟

أى أنه لم يوله هو ، وأن الموفق غلبه على الأمر

فسكت اسماعيل ولم يجبه ، فصار الى الموفق ، فسأله اعفاءه فأعفاه، وصير مكانه يوسف بن يعقوب .

وذكر القاضى وكيع فى كتابه فى القضاة ، القاضى اسماعيل ، فقال : كان عفيفا صليبا فهما .

وذكر أن أبا حازم القاضى كان يقول : ما خرج من البصرة قاض أستر من اسماعيل بن اسحاق ، وبكار بن قتيبة .

قال طلحة بن محمد بن جعفر : وأما شدائد اسماعيل فى القضاء ، وحسن مذهبه فيه ، وسهولة الأمر عليه ، مما كان يلتبس على غيره ، ففى شهرته ما يغنى عن ذكره ، وكان فى أكثر أوقاته ، وبعد فراغه من الخصوم، متشاغلا بالعلم ، لأنه اعتمد على حاجبه أبى عمر ، فكان يحمل عنه أكثر أمره ، من لقاء السلطان وغيره ، وأقبل هو على الحديث والعلم .

وكان اسماعيل شديدا على أهل البدع ، يرى استتابتهم ، حتى ذكر أنهم تحاموا بغداد فى أيامه .

وأخرج داود بن على من بغداد ، الى البصرة لاحداثه منع القياس فيما ذكر .

---

334) ك ، ط : المراغي — أ : المراعي — م : المراغني وهو أبو الفخر المراغي صاحب كتاب النصرة ، انظر ج 1 من هذا الكتاب ص 32 .

وحبس أبا سعيد العدوى ، اذ أنكر عليه بعض ما حدث به .

وكان القاضى اسماعيل يقول : من لم تكن فيه فراسة ، لم يكن له أن يلى القضاء .

وقيل له : ألا تؤلف كتابا فى أدب القضاة ؟

فقال : اعدل ، ومد رجليك فى مجلس القضاء ، وهل للقاضى أدب غير الاسلام ؟

قال أبو طالب المكى : كان اسماعيل من علماء الدنيا (335) وسادة القضاة ، وعقلائهم .

وكان مؤاخيا لابى الحسن بن أبى الورد ، وكان هذا من علماء الباطن.

فلما ولى اسماعيل القضاء هجره ابن أبى الورد (336) ، ثم اضطر أن دخل عليه فى شهادة ، فضرب بيده على كتف اسماعيل ، وقال : ان علما أجلسك هذا المجلس ، لقد كان الجهل خيرا منه ! !

فوضع اسماعيل رداءه على وجهه ، وبكى حتى بله .

ذكر تواليفه ووفاته

تواليف القاضى اسماعيل كثيرة مفيدة ، أصول فى فنونها .

فمنها موطأه ، وكتاب أحكام القرآن ، وكتاب القراءات ، وكتاب معانى القرآن واعرابه ، خمسة وعشرون جزءا ، وكتاب الرد على محمد بن الحسن ، مائتا جزء (337) ، ولم يتم ، وكتبه فى الرد على أبى حنيفة ، وكتبه فى الرد على الشافعى فى مسألة الخمس وغيره ، وكتاب المبسوط فى الفقه ، ومختصره ، وكتاب الأموال والمغازى ، وكتاب الشفاعة ، وكتاب

---

335) ط ، ك ، م : من علماء الدنيا — أ : من علماء الدين .

336) قوله : « وكان هذا من علماء الباطن ، فلما ولى اسماعيل القضاء هجره ابن أبي الورد » ... ساقط من نسخة ط .

337) ط ، ك ، م : مائتا جزء ، — وكذلك فى الديباج فى ذكر تآليف اسماعيل بن اسحاق ص 94 — أ : مائة جزء .

الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والفرائض ، مجلد ، وزيادات الجامع من الموطأ ، أربعة أجزاء .

وله كتاب غريب كبير عظيم ، يسمى شواهد الموطأ ، فى عشر مجلدات ، وذكر بعضهم أنه فى خمسمائة جزء ، وكتاب مسند يحيى بن سعيد الانصارى ، ومسند حديث ثابت البنانى (338) ، ومسند حديث مالك بن أنس ، ومسند حديث أيوب السختيانى ، ومسند حديث أبى هريرة ، وفى حديث أم زرع ، وكتاب الأصول ، وكتاب الاحتجاج بالقرآن ، مجلدان ، وكتاب السنن ، وكتاب الشفعة ، وما ورد فيها من الآثار ، ومسألة المنى يصيب الثوب .

وكتاب المعانى المذكور ، كان ابتدأه أبو عبيد القاسم بن سلام (339) ، بلغ فيه الى الحج أو الأنبياء (340) ، ثم تركه فلم يكمله .

وذلك أن ابن حنبل كتب اليه : بلغنى أنك تؤلف كتابا فى القرآن ، أقمت فيه الفراء وأبا عبيدة أئمة يحتج بهم فى معانى القرآن ، فلا تفعل .

(359) فأخذه اسماعيل ، وزاد فيه زيادات ، وانتهى * الى حيث انتهى أبو عبيد ، حكاه ابن عتاب ، وعلى بن عبد العزيز .

وذكر ابن كامل وابن حارث أنه توفى فجأة وقت صلاة العشاء الأخيرة ، ليلة الأربعاء لثمان بقين من ذى الحجة ، سنة اثنين وثمانين ومائتين ، وهو قاض على جانبى بغداد .

وقال ابن أزهر الكاتب : ارتفع المطر ، فخرج اسماعيل الى المصلى ، فصلى ركعتين بسبح ، وهل أتاك ، ثم صعد المنبر وخطب خطبتين ، وحول

---

338) أ ، ط ، ك : البناني — م — : النهاني — وفى الخلاصة ص 47 : ثابت بن أسلم البناني ، بضم الموحدة ، وبنونين .. قال ابن المديني : له نحو مائتين وخمسين حديثا ... قال ابن علية : مات سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل سنة ثلاث ، عن ست وثمانين سنة .

339) أ ، ك ، م : أبو عبيد القاسم بن سلام — ط : أبو القاسم بن سلام . وفى الخلاصة ص : 265 : القاسم بن سلام الأزدي أبو عبيد البغدادي صاحب التصانيف وأحد أعلام الائمة .. توفى سنة أربع وعشرين ومائتين .

340) أ ، ك ، م : بلغ فيه الى الحج أو الأنبياء — ط : بلغ فيه الى الحج والانبياء.

راده‍ ، وحدث بحديث طويل خشع له الناس ، وبكى ، وبكى النـــاس ، وانصرف خاشعا ، فلما كان الى أيام صلى فى مسجده العصر ، وهـــو صحيح ، وحكم ، ثم انصرف الى داره ، ووجد للمغرب ضعفا ، فعهد الى ابنه الحسين ، والى ابن عمه يوسف بن يعقوب ، وتوفى تلك الليلة .

وفى رواية أخرى أنه توفى من ليلة يوم استسقائه .

وصلى عليه ابن عمه يوسف .

وورث خطته من الامامة فى الدين والدنيا بنو عمه ، وسياتى ذكرهم .

مولده سنة مائتين ، وتوفى وهو ابن اثنين وثمانين سنة .

وخلف ابنا اسمه الحسن ، ويكنى بأبى على ، كان يصحب السلطان ، معدودا فى جلساء الخليفة وخاصته ، لطيف المكان هناك .

قال الخطيب : روى عن أبيه ، حدث عنه على بن ابراهيم بن حماد الأهوازى ، وكان الفا لأهل الادب ، معاشرا لاهل الفضل ، فهما (341) ، حسن المحاضرة ، مليح النادرة ، سمح النفس ، جميل الأخلاق .

ولم يسند من الحديث الا يسيرا .

توفى سنة تسع وثلاثمائة ، وله أربع وتسعون (342) ، ويقـــال : سبعـــون سنـــة .

وصلى عليه القاضى أبو عمر .

---

341) سقط من نسخة م من قوله هنا « معاشرا لأهل الفضل فهما » الى قولـه من بعد فى ترجمة يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد : « وكان فقيها سريا عالما متفننا ، وعف وحسن أثره» وذلك نحو من ستين سطرا ، تشمل بقية أخبار الحسن بن اسماعيل بن اسحاق ، وترجمة حماد بن اسحاق وترجمة محمد بن حماد بن اسحاق وجزءا مهما من ترجمة يوسف بن يعقوب ابن اسماعيل بن حماد .

342) ط ، ك : وله أربع وتسعون ــ أ : وله أربع وستون .

حماد بن اسحاق

أخو اسماعيل القاضى شقيقه ، أمهما شاخة بنت معاذ السدوسية ، وقيل هى أم ولد اسمها شحيمة (343) ، يكنى بأبى اسماعيل .

وسمع من شيوخ أخيه أبى مصعب الزهرى ، وأبى محمد الحكمى ، والقعنبى .

وذكر أنه سمع اسماعيل بن أبى أويس ، وأبا شاكر بن محمد بن مسلمة المخزومى ، واسحاق الفروى ، وأبا ثابت المدنى، وتفقه بابن المعذل، وبرع ، وتقدم فى العلم .

روى عنه ابنه ابراهيم وغيره .

وألف كتبا كثيرة فيما ذكر ، منها كتاب المهادنة ، وكتاب الرد على الشافعى .

وكانت له مكانة جليلة عند بنى العباس ، صحب أبا أحمد بن المتوكل الملقب بالموفق ، وجرى مجرى صحابته .

قال ابنه : قال أبى : انى لأستعين بكلمة مالك رحمه الله عند فتياه وهى : (ما شاء الله ، لا قوة الا بالله) اذا صعبت على المسألة ، فاذا قلتها انكشفت لى .

وامتحن على يد المهتدى بالله أمير المؤمنين محمد بن الواثق ، فى سنة خمس وخمسين ، قبض على حماد هذا ، وضربه بالسياط ، وأطاف به على بغل بسر من رأى ، لشىء بلغه عنه حينئذ .

وصرف اسماعيل عن القضاء الى أن قتل المهتدى .

وتوفى فى جمادى سنة سبع وستين ومائتين .

---

343) أ ، ط : شحيمة ــ ك : شحيتمة .

ابنه ، قال القاضى وكيع : كان كتب علما كثيرا ، وفهم ، وكان شابا عفيفا ، سريا .

ولى قضاء البصرة .

قال : وولاه الموفق عند خروجه الى محاربة الزنج بالبصرة ، قضاء ما رجع من الناس ، وقضاء عسكره ، وقضاء واسط ، وكور دجلة .

وكان يصحب الموفق حيث كان فيستخلف على البصرة محمد بن أسيد، رجلا من أهلها .

وتوفى محمد بن حماد سنة ست وسبعين ومائتين .

وأما ابنه الآخر هارون فيأتى ذكره فى الطبقة الأخرى .

(360) * يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد

ابن عمهما ، ووالد القاضى أبى عمر ويكنى أبا محمد (344) .

سمع الحديث ، ودرس الفقه ، وكان أكثر تفقهه مع ابن عمه اسماعيل .

وسمع مسلم بن ابراهيم ، وسليمان بن حرب ، ومحمد بن كثير ، وعمرو بن مرزوق ، ومحمد بن أبى بكر المقدمى ، ومسددا ، وهدبة بن خالد ، وأبا الربيع الزهرانى ، وشيبان بن فروخ .

وكان الغالب عليه الحديث ، وكان مسندا فاضلا .

سمع منه الناس ببغداد قراءة واملاء .

أخذ عنه ابنه القاضى أبو عمر ، وأبو عمرو بن السماك ، وابن قانع ، ودعلج بن أحمد ، وأبو بكر الشافعى ، وأبو محمد بن ماسى .

وكتب عنه الناس علما كثيرا .

---

344) أ ، ك : ويكنى أبا محمد — ط — ويكنى أبا اسحاق .

قال أبو بكر الخطيب : كان ثقة ، سكن بغداد وحدث بها .

قال القاضى وكيع فى كتابه : كان يوسف صليبا عفيفا ، بلغ سنا عالية، وحمل عنه علم كثير من المسند وغيره .

وذكر ابن كامل القاضى فى كتابه (345) : أنه كان غير مطعون عليه فى الحديث ، ضعيف الفقه ، وأنه كان لا يغير شيبه ، وألف فضائل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، ومسند شعبة ، وكتاب الصيام والدعاء والزكاة .

ذكر ولايته القضاء وسيرته

كان ذا جلالة وقدر عظيم ببغداد .

وأول ما ولى بها الحسبة ، سنة احدى وسبعين ، وولى أيضا نفقات الموفق ، فكان يتولاها دون رأى وزير أو غيره .

ولما استعفى اسماعيل أيام المعتضد من القضاء ، وأجيب ، صير مكانه يوسف هذا ، فيما ذكره المراغى ، ثم ولى البصرة بعد ابن عمه محمد ابن حماد ، مع قضاء سائر عمله الذى مات عنه ، فى سنة ست وسبعين ، من قضاء واسط وكور دجلة .

فأقام يوسف ببغداد ، واستخلف على البصرة محمد بن جعفر بن أحمد بن العباس بن عبد الله بن الهيثم بن سام ، وكا نفقيها سريا عالما ، متقننا ، وعف وحسن أثره (345 م) ثم توفى محمد بن جعفر ، فاستخلف يوسف مكانه ابراهيم بن المنذر الجارودى ، ثم أتى خلفه الفضل بن الحباب

---

345) « وذكر ابن كامل فى كتابه القاضي » هكذا وردت هذه العبارة فى جميع النسخ الخطية التي بين أيدينا ، ولعل صوابها « وذكر ابن كامل القاضي فى كتابه » .. وابن كامل هو أحمد بن كامل بن شجرة بن منصور بن كعب القاضي المتوفى سنة ثلاثمائة وتسع وخمسين ، له كتاب « التاريخ وكتاب أخبار القضاة .

345 مكرر) هنا عند قوله « وحسن أثره » .. نهاية الكلام الذي نبهنا فى التعليق (341) أنه ساقط من نسخة ط ، وهو نحو من ستين سطرا كما سبقت الاشارة الى ذلك .

الجمحى ، ثم أحمد بن عبد الله بن نصر الذهلى ، والد القاضى أبى الطاهر الذهلى المالكى .

وولى يوسف مع ذلك المظالم ببغداد ، سنة سبع وسبعين .

فلما مات القاضى اسماعيل بن اسحاق ، منسلخ سنة اثنين ومائتين ، قسم عمله ، فقلد يوسف بن يعقوب قضاء الجانب الشرقى ، فلم يزل عليه الى أن نكب ، وقلد ابنه أبا محمد بعد مدة مدينة المنصور .

قال ابن عرفة — وذكر ولايته القضاء — فقال :

فحمدت مذاهبه ، وحسن حاله ، واستقامت طريقته ، وكثر الشاكر له .

وقال طلحة بن محمد فى كتابه : كان يوسف بن يعقوب هذا رجلا صالحا ، عفيفا ، خيرا ، حسن العلم بصناعة القضاء ، شديدا فى الحكم ، لا يراقب أحدا ، وكانت له هيبة ورياسة ، وكان ثقة أمينا .

وذكر الخطيب أبو بكر فى تاريخ علماء بغداد، أن خادما من وجوه خدم المعتضد ، أتى الى القاضى يوسف يوما فى حكم ، فارتفع فى المجلس ، فأمره الحاجب بموازاة خصمه ، فلم يفعل ادلالا بمحله .

فصاح القاضى عليه ، وقال : قفاه ! أتؤمر بموازاة خصمك فتمتنع ؟ يا غلام ! عمرو (346) النخاس الساعة ، ليبيع هذا العبد ❋ ويحمل ثمنه لأمير المومنين . (361)

وقال لحاجبه : خذ بيده وسو بينه وبين خصمه .

فأكره على ذلك .

فلما انقضى الحكم ، حدث الخادم المعتضد بالحديث ، وبكى له ، فصاح عليه ، وقال : لو باعك لأجزت بيعه ، وما رددتك أبدا ، وليس خصوصك بى يزيل مرتبة الحكم ، فانه عمود السلطان ، وقوام الأديان .

---

346) ك ، م : « يا غلام ! عيروا النخاس .. الخ » — أ ، ط : « يا غلام ! عمرو النخاس الساعة »

قال أبو جعفر الطبرى : لما ولى يوسف بن يعقوب المظالم ، أمر أن ينادى : من كانت له مظلمة قبل الأمير الناصر أو أحد من الناس فليحضر .

وتقدم الاذن الى صاحب الشرطة ألا يطلق أحدا من السجن ، الا من رأى اطلاقه ، بعد أن تعرض عليه قصصهم .

بقيـــة اخبـــاره

قال ابن الطيب مؤدب المعتضد : حضرت يوما فى مجلس يوسف بن يعقوب ، مع أصحاب الحديث ، فدخل عليه مؤنس ، صاحب شرطة بغداد ، وكان جبارا غاشما ، من كبار خدم المعتضد والمكتفى ، فقصد الى سرير يوسف ، فلم يقم له ، فسلم عليه مؤنس وهو قائم ، فأومأ اليه يوســـف فأجلسه بين يديه .

وكان مع مؤنس ابنه ، فأومأ اليه يوسف بالجلوس ، فمنعه أبوه ، فلم يزل قائما متكئا على سيفه الى أن قضى حديثه مع يوسف ، ثم انصرف .

ولما أشار المعتضد بلعن معاوية وآله على منابره ، وكتب فى ذلك كتابا انتخب له من الكتاب الذى كان أنشأه المأمون حين عزم على ذلك ، فلم يزل القاضى يوسف يتردد ويسعى فى رد ذلك ، حتى ترك الأمر بذلك ، وانصرف عنـــــه .

وذكر أبو جعفر الطبرى : أن يوسف مضى فى ذلك الى المعتضد ، وقال له : انى أخاف أن تضطرب العامة عند سماعه .

فقال : ان تحركت وضعت سيفى .

فقال له : فما تصنع بالطالبيين ، وهم فى كل ناحية يخرجون ، ويميل اليهم الكثير من الناس ، وفى هذا الكتا باطراؤهم والتفجع لما نيل منهـم ــ أو كيف قال ــ فاذا سمعه الناس زادوا فيهم تشيعا ، وكانوا أثبت حجة .

فأمسك المعتضد عما هم به ، فعد الناس هذه من مناقب آل حماد ، وبخاصة يوسف بن يعقوب .

قال : فدخل على القاضى يوسف بعض أهل الحديث يشكره ، ويقول له : جزاك الله خيرا ، فانكم أهل بيت سنة .

ولما مات المعتضد ، تولى غسله القاضى أبو عمر ، وصلى عليه أبوه يوسف هذا .

وذكروا أن ابن أبى الدنيا دخل عليه ، وكان مولدهما واحدا ، فسأل القاضى عن قوته .

فقال : أجدنى كما قال سيبويه :

لاينفع الهليون والأطر يفل   اذخرق الأعلى وغار الاسفل

ونحن فى جد وأنت تهزل

فكيف أنت يا أبا بكر ؟ فأنشد :

أرانى فى انتقاص كل يوم   ولا يبقى مع النقصان شى
طوى العصران ما نشراه منى   فأخلق جانبى نشر وطى

نكبته ووفاته

لما قام عبد الله بن المعتز ، لطلب الخلافة ، أيام المقتدر ، سنة ست وتسعين ، وبايع له من بايع ، كان فى جملتهم القاضى أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب هذا ، وهو شريك لأبيه فى القضاء .

فلما ظفر بابن المعتز ، وانحل أمره ، استتر أبو عمر ، وكان من محنته ما يأتى ذكره فى خبره ، فصرفه المقتدر عن القضاء ، وصرف بصرفه أباه ، أيضا ❋ ، واقتصر به على الصرف . (362)

فلزم يعقوب منذ ذلك منزله ، ولم يتول للسلطان عملا من القضاء ، الى أن توفى اثر ذلك ، يوم الاثنين ، لتسع خلون من رمضان ، سنة سبع وتسعين ومائتين ، عن عمر .

قال ابن كامل والمسعودى : وهو ابن خمس وتسعين سنة .

قال ابن أبى طاهر : بل سبع وثمانون سنة ، وثمانية أشهر .

قال ابن كامل : مولده سنة ثمان ومائتين .

قال ابن طاهر : وصلى عليه ابنه أحمد .

وقال ابن كامل : بل ابنه أبو عمر .

ودفن فى داره .

وترك من الولد غير القاضى أبا عمر ، محمدا ، وأبا يعلى الحسين

وتوفى أبو يعلى سنة ست وثلاثمائة .

وتوفى أحمد سنة سبع (347)، وتسعين ومائتين .

وسيأتى ذكرهم .

جعفر بن محمد بن الحسين بن المستفاض

أبو بكر الفريابى ، قاضى الدينور .

وقال أبو بكر الخطيب فيه : أحد أوعية العلم ، ومن أهل المعرفة والفهم ، طوف شرقا وغربا ، ولقى أعلام المحدثين فى كل بلد ، وسمع بخراسان ، وما وراء النهر ، والعراق ، والحجاز ، ومصر ، والشام ، والجزيرة ، واستوطن بغداد ، وحدث بها عن هدبة بن خالد ، ومحمد بن حسان (348) وعبد الأعلى بن حماد ، والجحدرى (349) ، وابن المدينى ، وعلى بن معاذ ، وبندار ، وابن المثنى ، ومنجاب ، وأبى كريب ، وأبى بكر، وعثمان بن أبى شيبة وقتيبة ، واسحاق ، والقواريرى ، وزنجويه ، وابن

---

347) أ ، ط : سبع — ك ، م : تسع .

348) ك ، م : ومحمد بن حساب — أ : ومحمد بن حباب — ط : ومحمد بن حساب ، وفى هامشها « حباب » .. وقد ورد فى الديباج المذهب لابن فرحون فى ترجمة جعفر بن محمد بن الحسين بن المستفاض » فى ذكر من حدث عنهم ببغداد : « هدبة بن خالد ، ومحمد بن حسان ... انظر الديباج ص 102 — 103 .

349) أ ، ط ، ك : والحجدري — م : والجحدري ، وكذلك فى الديباج ص 103 .

الدروقى ، وهشام بن عمار ، واسحاق بن موسى الأنصـارى ، وأبـى مصعب الزهرى ، وسمى جماعة غيرهم .

وروى عنه محمد بن مخلد الدروقى ، وابن المبارك ، وأحمد بن سليمان البجانى (350) ، وأبو بكر الشافعى ، وأبو على بن الصواف (351) ، وابن مالك ، وخلق كثير .

قال : وكان ثقة ثبتا حجـــة .

قال القاضى : وقد مر بى ذكره فى المالكية ، ووجدته معلقا بخطى ، ولم أدر بعد من أين وقفت عليه .

وله كتاب مناقب مالك ، وكتاب السنن ، كتاب كبير .

وقال أبو طاهر الذهلى: سمعته يقول: كل من رويت عنه لم أسمع(352) من لفظه ، الا اثنين : أبا مصعب الزهرى ، فانه كان ثقل لسانه ، وآخـر سماه غير الذهلى ، وهو المعلى بن أحمد .

قال : ولما ورد أبو بكر بغداد ، استقبل بالطمارات والديازب ، ووعد له الناس يسمعون منه ، فحزر من حضر مجلسه للسماع نحو ثلاثين ألفا ، وكان المستملون ثلاثمائة وستة عشر .

قال أبو الفضل الزهرى : كان فى مجلس الفريابى ممن يكتب مـــن أصحاب الحديث ، نحو عشرة آلاف انسان ،سوى من لا يكتب .

قال ابن كامل : كان جعفر الفريابى ، مأمونا ، موثوقا به ، مكثرا .

ومولده سنة سبع ومائتين .

وتوفى فى المحرم ، سنة احدى وثلاثمائة .

---

350) أ ، ك : وأحمد بن سليمان البجاني — ط : اليماني — م : غير واضحة .
351) ط : وأبو علي بن الصواف — ك ، م : السواف — أ : السراف .
352) أ ، ط : لم أسمع — ك ، م : لم يسمع .

ومن أهل مصر :

المقدام بن داود

ابن عيسى ، بن تليد ، الرعينى ، ثم القتبانى ، بقاف ، مولاهم ، أبو عمرو ، وقد تقدم ذكر نسبه وضبطه قبل ، عند ذكر عمه ، وهو ابن أخى سعيد بن عيسى بن تليد .

أخذ عن عمه سعيد ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وعبد الله بن يوسف التنيسى (353) ، وعلى بن سعيد ، وأسد بن موسى ، وذويب بن عمامة ، وأبى زرعة عبد الأحد بن الليث .

روى عنه عبد الله بن الورد ، وابن مسرور الغسال ، وأبو العباس الرازى ، وأحمد بن ابراهيم بن جامع ، وابن أبى طنة (354) ، وأحمد بن سلمة الهلالى .

قال المسعودى فى تاريخه : كان مقدام بن داود من جلة الفقهاء أصحاب مالك .

قال ابن أبى دليم : وكان عالى الدرجة كثير الرواية .

(363) قال الكندى : كان فقيها مفتيا ، ولم يكن بالمحمود * فى روايته .

قال ابن فطيس ، عن ابن مفرج : الذى نقم على المقدام ، روايته عن خالد بن نزار ، لأنهم سألوه عن مولده ، فأخبرهم ، ثم مضوا الى الأسطوانة التى على رأس خالد بن نزار ، فنظروا فيها تاريخ وفاته ، فاذا المقدام حينئذ ابن أربعة أعوام أو خمسة .

قال ابن مفرج : وسماعه من أسد صحيح (355) .

وقد أساء هذا القول النسائى جدا ، ونسبه الى الكذب .

---

353) أ : النتي ، وفى هامشها : « التنيسي » ـ ط : التنيبي ـ ك ، : التنسي ـ وفى الخلاصة ص 186 : عبد الله بن يوسف الكلاعي أبو محمد الدمشقي التنيسي ... قال أحمد بن البرقي : مات سنة ثمان عشرة ومائتين .

354) أ ، ك ، ط : وابن أبي طنة ـ م : وابن أبي ظنة .

355) أ ، ط : أسد ـ ك ، م : أشير .

قال ابن أبى حاتم فى تاريخه : وتوفى فى آخر رمضان سنة ثلاث وثمانين .

محمد بن اصبغ بن الفرج

كان بمصر فقيها مفتيا ، وكان على محلة (356) المسالة ، وهو آخر من ولى ذلك .

أخذ عن أبيه .

روى عنه محمد بن فطيس ، وأبو بكر بن الخلال .

توفى بمصر سنة خمس وسبعين ومائتين .

أبو الخير فهد بن موسى

ابن أبى رباح قاضى الأسكندرية .

أخذ عن ابن بكير وغيره .

ولى قضاء الاسكندرية .

توفى فى شعبان ، سنة سبعين ومائتين .

علي بن محمد بن عبد لله بن عبد الحكم

أبو الحسن .

ذكره ابن أبى دليم وابن حارث فى هذه الطبقة .

توفى بمصر ، سنة سبع وثمانين ومائتين .

أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مقلاص

مولى خزاعة ، تقدم ذكر أبيه .

قال الكندى : كان متقشفا جلدا .

توفى سنة خمس وثمانين .

---

356) ط : وكان على محلة المسالة ــ أ ، ك ، م : وكان على محنة المسالة .

مطروح بن محمد بن شاكر

مولى غافق ، أبو نصر ، من أصحاب أصبغ بن الفرج .

يروى عن عبد الله بن هارون .

روى عنه أبو القاسم العلاف ، وروى عنه أحمد بن ميسر (357) .

توفى بالأسكندرية ، سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

وقال ابن ميسر : كان ثقة .

حفص بن مدرك بن عاصم

ابن عمرو ، بن عمير ، بن أبى مدرك ، مولى بنى سعد ، من خولان ، أبو عمرو .

قال ابن أبى دليم : جل أخذه عن أصبغ .

قال الكندى : كان شديدا ، وقد روى عنه ، توفى سنة ثلاث وسبعين.

داود بن عمر بن سعيد

ابن أسلم ، الصدفى ، مولاهم

جل روايته عن أبى مريم ، توفى سنة ثمان وسبعين .

أبو الشريف ابراهيم بن سليمان بن عبد الله

ابن المهلب ، القضاعى ، الحرسى ، بحاء مهملة ، وراء مفتوحة ، وسين مهملة ، كذا ضبطه الأمير .

قال عبد الغنى بن سعيد : هو أبو مخلد .

توفى بمصر آخر سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

وبيته بها بيت علم ، سنذكر من يأتى منهم .

---

357) ط : أحمد بن ميسر — ك ، م : أحمد بن منير — أ : أحمد بن منيز .

أبـو الزنبـاع روح بن الفـــرج

ابن عبد الرحمان القطان ، مولى الزبير بن العوام ، صاحب أبى زيد ابن أبى الغمر .

سمع عمرو بن خالد ، وسعيد بن عفير ، وهـــارون بن موســـى المدنى (358) ، وعبد الغنى الغسال ، وزيد بن بشر ، وأبا مصعب .

قال ابن حارث : كان عالما فقيها ، وعنه أخذ أبو الذكر الفقيه .

قال الكندى : كان أوثق الناس فى زمانه .

قال ابن قديد : ذاك رجل وفقه الله بالعلم .

له رواية فى القراءات عن يحيى بن سليمان الجعفى .

روى عنه محمد بن أحمد بن الهيثم ، ومحمد بن سعد ، ومحمد بـــن شاهين ، وأبو العباس أحمد بن الحسن الرازى ، وأحمد بن سلمة الهلالى، وابراهيم بن محمد الحلوانى ، وقاسم بن أصبغ ، وأبو بكر بن أبى الأصبغ.

قال ابن يونس : مولده سنة أربع ومائتين .

(364) توفى ❋ سنة اثنتين وثمانين ومائتين .

أبو الطاهر خير بن عروة بن عبد الله بن كامل الانصاري

مولاهم ، ضبط اسمه بخاء معجمة مفتوحة ، بعدها ياء باثنين مـــن أسفل ، وراء .

يروى عن مروان العوفى .

حدث عنه أبو طالب الحافظ ، وأبو عبد الله الأيلى ، وأبو الحســـن البصـــرى .

ذكره ابن أبى حاتـــم .

---

358) ك : وهارون بن موسى المدني ـــ ط : المزني ـــ أ : الموفى ـــ وفى الخلاصة للخزرجي ص 350 : « هارون بن موسى بن أبي علقمة الفروي ، أبـــو موسى المدني .·. قال ابن عساكر : مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين .

قال الكندى : وكان فاضلا .

توفى صدر سنة ثلاث وثمانين .

أبو الطاهر محمد بن عبد الغني بن عبد العزيز

ابن سلام الغسال ، مولى قريش .

قال الكندى : كان فقيها مفتيا .

قال الطحاوى : كان فقيها لا يدافع .

تقدم ذكـــر أبيـــــه .

توفى سنة ثلاث وثمانين .

محمد بن يزيد بن أبي زيــد بن ابي الغمر

أبو بكر ، مولى بنى سهم .

يروى عن أبيـــــه .

روى عنه محمد بن مكى الخولانى .

توفى سنة احدى وتسعين ومائتين .

أبــو مسلــم خيــر بن موفــق

مولى عبد الله بن سعد ، التجيبى .

قال الأمير : مولى بنى الأحجم ، من تجيب ، ثم لعبدوس بن سعيد .

يروى عن عبيد بن هاشم الحلبى ، وابن بكير ، ومنصور بن أبـــى مزاحم ، ومحمد بن خالد الأسكندرانى ، وغيرهم .

توفى سنة ست وثمانين ومائتين .

جبر بن سعيد بن جبر الحضرمي

قاضى برقة والاسكندرية ، أبو عبد الرحمان ، ويقال : أبو محمد .

وضبط اسمه واسم جده بجيم مفتوحة ، وباء بواحدة ساكنة ، وراء .

روى عن محمد بن خلاد بن هلال .

حدث عنه أبو طالب ، وأبو عبد الله الأيلى ، وأبو الحسن البصرى .

توفى سنة ثمان وثمانين ومائتين .

أبـو بكـر محمد بن عبد الله بن الفـاز

قال ابن أبى دليم : كان فقيها فى المذهب ، وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

محمـد بن الاصبـغ المسمى فليـح

ابن سلام ، بن يحيى ، الهروى ، مولاهم .

قال الكندى : كان فقيها مفتيا ، وكان أبوه فليح مقبولا بمصر .

توفى سنة أربع وتسعين ومائتين .

محمـد بـن خلـف بـن عبيـد

أبو عبد الله ، من أهل صوران ، متولى حضر موت .

قال الكندى : كان فقيها ، وهو صاحب المسألة فى القرآن مع أبـى جريش .

يروى عن الحرث بن مسكين .

توفى صدر سنة تسع وتسعين ، واجتمع لجنازته خلق لم ير مثلهم.

القاسم بن حبيش بن سليمان بن برد بن نجيح

التجيبى ، مولاهم ، أبو عبد الرحمان ، مضى نسبه عند ذكر أبيـه وجـده .

يروى عن هارون بن سعيد الأيلى .

روى عنه ابن يونس .

ذكره ابن أبى حاتم .

وقال الكندى : كان فقيها مفتيا .

وسيأتى ذكر ابنه .

توفى سنة سبع وتسعين ومائتين .

ركيز بن يحيي الاسيوطي

كان يتفقه على مذهب مالك .

يروى عن يحيى بن بكير ، وعبد الله بن عبد الحكم وغيرهما .

توفى بأسيوط ، سنة سبعين ومائتين .

أبو عبد الله عمرو بن أبي الطاهر بن السرح

تقدم ذكر أبيه .

قال الكندى : كان زاهدا فاضلا .

توفى سنة ثمان وثمانين ومائتين .

ومولده سنة ثمان ومائتين .

ومن أهل افريقية :

ابن طالب القاضي

كنيته أبو العباس ، واسمه عبد الله بن طالب ، بن سفيان بن سالم ، ابن عقال ، بن خفافة التميمى ، من بنى عم بنى الأغلب ، أمراء القيروان.

ويقال : طالب بن سعيد بن سفيان .

وقد غلط بعضهم فيه بسبب كنيته ، فظن أن اسمه أحمد فسماه به .

تفقه بسحنون ، وكان من كبار أصحابه .

ولقى * المصريين : محمد بن عبد الحكم ، ويونس بن عبد الأعلى . (365)

وحج فانصرف ، وولى الصلاة ، ثم قضاء القيروان مرتين ، احداهما سنة سبع وخمسين ومائتين ، ثم عزل سنة تسع وخمسين ، والثانية سنة سبع وستين ، وعزل سنة خمس وسبعين .

سمع منه أبو العرب ، وابن اللباد .

وكان جميل الصورة ، باهى الخلق ، فاخر اللباس ، أحوص العينين .

ذكر علمه والثناء عليه

قال محمد بن حارث فى تاريخ الأفارقة وغيره من كتبه : كان ابن طالب لقنا فطنا ، جيد النظر ، يتكلم فى الفقه فيحسن ، حريصا على المناظرة ، ويجمع فى مجلسه المختلفين فى الفقه ، ويغرى بينهم لتظهر الفائدة ، ويبيتهم عند نفسه ، ويسامرهم ، فاذا تكلم أجاد وأبان ، حتى يود السامع ألا يسكت ، الا أنه كان اذا أخذ القلم ، لا يبلغ حيث يبلغ لسانه .

قال غيره : لم يكن شىء أحب لابن طالب من المذاكرة فى العلم .

قال ابن اللباد : ما رأيت بعينى أفقه من ابن طالب ، الا يحيى بن عمر .

قال أبو العرب : وكان عدلا فى قضائه ، حازما فى جميع أمره ، فقيها ، ثقة ، عالما بما اختلف فيه ، وفى الذب عن مذهب مالك ، ورعا فى حكمه ، قليل الهيبة فى الحق السلطان ، وما سمعت العلم قط أطيب ولا أعلى منه من ابن طالب ، وما أخذت عليه خطأ الا مسألة اختلف فيها ابن القاسم وأشهب ، فأتى بقوليهما ، ولكن قلب قول كل واحد منهما الى الآخر ، وكان كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، رقيق القلب كثير الدموع .

ولابن طالب من التأليف ، كتاب فى الرد على من خالف مالكا ، وثلاثة أجزاء من أماليه .

*
* *

وكان ابتداء طلبه ، فيما ذكره ابن اللباد عنه ، قال : كنت يتيما لا أب لى ، وكنت آتى مع معلمى الخميس والجمعة ، وأنا اذ ذاك صغير ذو جمة .

فقرىء عليه يوما فى الموطأ اسم عمر بن حسين ، فى كتاب الزكاة ، فقال سحنون : هذا كان يشاور فى القضاء فى أيام مالك .

ثم قرأ القارىء ، فبعد قليل قال سحنون : كيف سميت لكم الرجل الذى كان يشاور فى القضاء أيام مالك ؟ فقد أنسيت اسمه !

فسكت الناس .

فقلت له أنا من موضعى : هو عمر بن حسين ، أصلحك الله .

فقال : بارك الله عليك ، أحسنت يا غلام ! من هذا الغلام ؟

فعرف بى .

قال : أحب أن أرى عليك زى أهل العلم ، ما ينبغى أن يمنع هذا العلم من أحد .

فما أتيت الموعد الآخر الا وقد حلق رأسى ، وكسيت ثياب العلماء ، فلم أزل أتردد الى سحنون ، وهو يقربنى حتى نفعنى الله .

وله تآليف فى الرد على المخالفين من الكوفيين وعلى الشافعى .

ذكر ولايته القضاء وشيء من سيرته

ولى ابن طالب القضاء بالقيروان مرتين .

لما عزل سليمان أول مرة ولى هو ، ولاه ابراهيم بن الأغلب ، وعظم قدره ، وجعل اليه النظر فى تركة جدته ، فطلب ابن طالب سليمان ، فاستخفى منه .

فلما رأى ابراهيم ميل نفوس الناس الى ابن طالب ، ومحبتهم له ، لعدله ، وسماحته ، وعقله ، وحسن سيرته ، وعلمه ، واستبشارهم بأيامه، لرخص السعر ، وارتفاع الوباء (359) أيامه به ، غار ابراهيم به ، وخشيه

---

(359) ك ، م : وارتفاع الوباء — أ ، ط : وارتفاع الربا .

على ملكه لكونه ابن عمه ، فرأى اماتة اسمه وعزله ، ونادى بأمان سليمان ابن عمران ، وعزله (360) ، ورد سليمان بن عمران .

فلما شاخ سليمان بن عمران ، عزله وولى هو مكانه ثانية .

(366) قال ابن حارث : كان ابراهيم بن الأغلب أكره * الناس فى ابن طالب ، وكان قد أساء اليه أيام قضائه الأول ، وامارة أخى ابراهيم ، المعروف بأبى الغرانيق .

فلما ولى ابراهيم بعده ، هم به ، وكان الحضرمى وبلاغ مولى ابراهيم خاصين به ، ولهما بابن طالب عناية ، فكانا يكفانه عنه .

فلما شاخ سليمان بن عمران ، واضطر ابراهيم الى قاض غيره ، جمع وجوه القيروان ، وشاورهم فيمن يوليه ، فصرفوا الاختيار اليه ، وغلبته الشهوة فى محمد بن عبدون ، وأمر له بمركب ، فأخرج ، ليحمل ابن عبدون عليه ، الى أن دخل أحمد بن أبى سليمان ، فسأله الأمير ، فقال : أرى أن تولى العدل الرضى ، المستحق للقضاء .

فقال : من هو ؟

قال : ابن طالب .

فاستوى جالسا — وقد كان ابن غافق أشار بمثله قبله — وقال : ما أرى لها الا ابن طالب .

فقال له ابن أبى سليمان : ان الصلاة عمود الدين ، فلما استحق عند الأمير أن يقدم عليها ، كان بما هو أقل منها أولى .

فقال ابراهيم : يرد الفرس .

وأذن لابن أبى سليمان فى الانصراف ، ووجه فى ابن طالب ، فولاه القضاء .

---

360) قوله : « ونادى بأمان سليمان بن عمران ، وعزله » ساقط من نسخ ط ، ك م — ثابت فى نسخة أ .

قال ابن طالب : كنت نائما تائلة ، حتى انتبهت من نومى ، فأنكرت ذلك ، وعلمت أنه لأمر حدث ، فقيل لى : رسول الحاجب بالباب .

فخرجت اليه فى ثوب البيت ، فقال لى : الحاجب الأمير يدعوك الساعة.

فقلت : أدخل وآخذ ثيابى على نفسى .

فقال : لا .

فساءنى ، ودعوت بثيابى فلبستها ، وسرت حتى وصلت الى ابراهيم ابن أحمد الأمير ، فوجدته وبين يديه السيف مسلولا ، فسلمت فرد على ، فسكن روعى لرده ، ثم قال لى : أصبحت فى يومى هذا ما أؤمل من أمرك شيئا ، وقد عزمت على توليتك القضاء .

فأبيـــت .

فمد يده الى السيف وقال : ان شئت القضاء ، وان شئت هذا .

فقلت : تأذن لى فى صلاة ركعتين ، أدعو وأستخير .

قال : افعل .

فصليتهما ، واجتهدت فى الدعاء والخيرة ، فلما سلمت قال لى : مـــا الذى ظهر لـــــك ؟

قلت : أبقى الله الأمير ! ان ولايتى على من لا ينفذ عليه القضـــــاء ، ليست بولاية .

فقال : على مفرق رأسى .

فقلت له : أبقى الله الأمير ! تقدمت أيمان ، فتأذن فى الانصراف حتى أنظر فيها ، ثم أعود الساعة .

قال : افعـــــل .

وكان ابن طالب قد حلف بجميع الأيمان قبل هذا ألا يلى قضاء أبدا ، فخرج ابن طالب ، فخالع زوجته ، وباع عبيده، وتصدق بأمواله، وأخرجها عن ملكه ، ثم رجع فقبل ، وكتب له عهده ، وأمر له بكسوة وصلة وحملان .

قال ابن طالب : وكنت لما دخلت اليه فى المرتين ، ما رفع لى أحد رأسا، فلما وليت وخرجت ، وجدت أهل الأرض وقوما ينتظروننى على الباب ، فعلمت هوى الناس للدنيـــــا ! !

قال ابن حارث : وكان ابن طالب اذا وقف للحكم بين الخصمين ، كتب للمطلوب ، القصة التى شهد عليه بها ، ثم قال له : اذهب وطف بها على كل من علم ، وجئنى بالأجوبة فيها .

قال ابن أبى خالد : كان ابن طالب عدلا فى قضائه ، ورعا فى أحكامه ، كثير المشاورة لأهل العلم من أهل مذهبه وغيرهم .

وذكر أبو عمرو الدانى فى كتابه : أن ابن طالب أيام قضائه ، أمر ابن برغوث المقرىء بجامع القيروان ، ألا يقرىء الناس الا بحرف نافع .

وقال صاحب كتاب المعرب عن أخبار المغرب : ان فى أيام ابن طالب قتل ابراهيم الفزارى .

وكان ابراهيم شاعرا متفننا فى كثير من العلوم ، مع استهزاء وطيش.

وكان يحضر مجلس ابن طالب لمناظرة الفقه ، فقيل : انه كان يزرى به ويتضاحك بأمره ، ونمت عنه أمور منكرة ، فانتهى ذلك الى ابن طالب ، فطلبه ابن طالب وحبسه .

(367) وشهد عليه أكثر من * مائتين ، بالاستهزاء بالله ، وبكتاب اللـــــه وأنبيائه ، وبنبينا صلى الله عليه وسلم .

قيل : منهم ثلاثون عدلا .

فجلس له ابن طالب ، وأحضر العلماء ، يحيى بن عمر ، وغيره ، وأمر بقتله ، فطعن بسكين فى حنجرته ، وصلب منكسا ، ثم أنزل بعد ذلك وأحرق بالنار .

فحكى بعضهم أنه لما رفعت خشبته ، وزالت عنها الأيدى ، استدارت وتحوات عن القبلة ، فكانت آية للجميع ، فكبر الناس ، وجاء كلب فولغ فى دمه .

فقال يحيى بن عمر : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسند حديثا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يلغ الكلب فى دم المسلم .

قال بعضهم : سمعت ابن طالب عند محنته وسجنه ، يقول وهو مسجون ، فى سجوده ، ومناجاته ربه : اللهم انك تعلم أنى ما حكمت بجور، ولا آثرت عليك أحدا من خلقك فى حكم من أحكامى ، ولا خفت فيك لومة لائم .

ذكر جوده وكرم أخلاقه

لم يكن فى زمانه سلطان ولا غيره أسمح منه ، يتداين بالمال الكثير ، ويتصدق به ، ويصل بالعشرات (361) من الدنانير ، من يعرف ومن لا يعرف ، وربما أعوز فتصدق بلجام دابته ، ومصحفه ، ونعله ، وشوار عياله ، وربما تصدق بثياب ظهره .

حدث بعض أصحابه : أنه ركب معه اثر سماء ، وهو على حمار مصرى ، فعرض له فى طريقه ماء مستنقع ، فأتى صبى كان يرعى غنما ، فأخذ بلجام حماره ، فجوزه الماء ، فقال للغلام : من مولاك ؟

قال : فلان .

فنزل ابن طالب فى مسجد ، ثم قال للغلام : اذهب فجئنى بمولاك .

فجاءه ، فقال له : بكم اشتريت هذا الغلام ؟

فقال : بعشرة دنانير .

قال : فخذها وأعتقه ، وولاؤه لك .

وعدها له ، وكتب عتق الغلام ، ثم قال لمولاه : قد وجب أن تجرى له على رعايته لغنمك أجرة .

فأجرى له دينارين فى كل سنة .

فقال ابن طالب : الزم مولاك ، ولا تقطعنا ، فانا نواسيك .

---

361) ط ، ك ، م : بالعشرات ـــ أ : بالصرات .

وذكر أن غلاما راعيا ناوله سوطه وقد سقط ، فوجه فى مـولاه ، فاشتراه مع الغنم ، وأعتقه ، ووهب الغنم لـه .

وكان اذا رأى بعض الرجال فى الشتاء ليس عليه دثار ، نزع فروه وبعض كسوته عن جسده ، وكساه .

وشكا اليه رجل بتعذر جهاز ابنة له زوجها ، وكانت لابن طالب ابنة تخرج اليه من عيد الى عيد ، فقال لأمها : أحب أن تريني ابنتى ، وتلبسيها حليها ، وثيابها أجمع .

ففعلت ، وأخرجت اليه ، ففرح بها واستبشر ، ثم قال لها ولأمها : ان فلانا شكا الى كذا ، وأنا أحب أن أدفع له جميع ما على ابنتى من حلى وثياب ، يجهز به ابنته ، وعلى أن أعوض ابنتى منه بما هو أكثر .

فدفعتاه اليه .

حكى المالكى عن محمد بن عمر : أنه ولى القضاء ومعه ثمانون ألف دينار ، فلم يقبل حتى تصدق بجميعها أيام قضائه .

قال : وكان رجل من العراقيين ينال من ابن طالب ، فتوفيت أم ولده ، وكان مقلا ، فقال له بعض اخوانه : لو قصدت ابن طالب وسألته أن يصلى على جنازتك ، نلت منه خيرا .

قال الرجل : كيف أقصد لمن سبق منى فيه غير جميل ؟

فقيل له : الرجل كريم .

وكان ذلك الوقت ابن طالب معزولا عن القضاء عزلته الاولى .

فمضى الى ابن طالب ، وعرفه ، وسأله الصلاة ، فوعده بالمجىء وقت الصلاة ، ففعل ، وصلى .

فلما كان اليوم الرابع ، وجه ابن طالب فى طلبه ، فأتاه ، فقال له : أكرمك الله ! صرت لنا كالأخ ، وأحببت أن أكلفك بعض حوائجى ، وذلك أن تشترى لى جارية نظيفة أديبة ، على ما يحسن عندك .

(368) فمضى الرجل ، وأجهد نفسه رجاء التقرب اليه ، واشترى * لـه جارية بنحو ثمانين دينارا ، وأتاه بها ، فأعجبت ابن طالب ، فقال له : هى جيدة حسنـة .

فقال : قلما رأيت مثلها .

فقال ابن طالب : هى هبة منى اليك ، فاتخذها موضع أم ولدك ، بارك الله لـك .

وأعطاه دنانير لكسوتها .

قال : ولقى رجل ابن طالب فى طريق ، فشكا اليه الضعف ، وأن لـه أربع بنات عاريات .

فكتب له رقعة الى رجل ، فقرأها ، فقال له : اجلس .

وطلب له أربعة أقمصة ، وأربع غلائل ، وأربع دهاقن (362) ومضى به الى سوق النخاسين ، فاشترى له خادما وغلاما .

فلما طال على الرجل ، قال : يا هذا ! أحب حاجتى .

فقال له : فيها أعمل .

وأتى به الى البركة ، فاشترى له زوج بقر ، وقطعة غنم (362 م) وقال له : جميعه لـك .

ومر يوما : فاذا بجمال بحمولة قمح ، واذا رجل يسايره ، فقال له : ان من هذا عنده فى أمن من المجاعة .

---

362) ط ، ك ، م : وأربع دهاقن ـــ أ : وأربع دهاقر .

362 مكرر) وردت هذه العبارة فى جميع النسخ الخطية التى بين أيدينا هكـذا : « ومضى به الى **البركة** ، فاشترى له خادما وغلاما . وأتى به الى **سـوق النخاسين** ، فاشترى له زوج بقر ، وقطعة غنم » ولعل الصواب ما أثبتناه : « ومضى به الى **سوق النخاسين** ، فاشترى له خادما وغلاما ، ... وأتى به الى **البركة** ، فاشترى له زوج بقر وقطعة غنم » . ومن المعلوم أن كلمـة (النخاس) تعنى بياع الرقيق وبياع الدواب ، معا ، أما كلمة (البركة) فتعنى مستنقع الماء ثم انها اسم لعدة أمكنة ، انظر معجم البلدان .

وفارقه ، فسار ابن طالب الى داره ، فاذا بحمولة له وجهها له وكيله ، فأمر ابن طالب بحملها الى دار الرجل ، وقال : قولوا له : قد أمنت مما كنت تحـــذر !

قال أبو الفضل البسى (363) : كان رجل من العراقيين يقع فى ابــن طالب ، ارضاء لأصحابه ، فولدت امرأته ، فقالت له : أنت ترى حالــنا ، فامض الى أصحابك الذين كنت ترضيهم بسب ابن طالب، لعلهم يعينوننا على ما نحن فيه !

فسار اليهم ، فلم يات منهم بشىء ، وخرج بمصحف ليرهنــه عنــد أحدهم ، فما قبله منه أحــد منهم .

فشتمته امرأته ، وقالت له : اقصد اليه ــ يعنى ابن طالب ــ فانى أرجو أنك لا تنصرف من عنده خائبا !

فمضى اليه واعتذر ، وأعلمه بمقال زوجته ، فقربه ، وقال له : أتيتنا فى وقت ، الأشياء فيه غير واسعة علينا ، ولكن نعطيك ما حضر .

فدفع اليه صرة كبيرة ، وأخرى صغيرة ، وقال : أنفق أنت هــذه ــ وكان فيها أربعون دينارا ــ وادفع الأخرى الى أهل البيت ــ وكان فيها عشرة دنانير .

قال ابن أبى عقبة : كان رجل كفيف من الفقراء يمشى مع زوجته، فاذا بصقلبى أتى الى طباخ ، فقال له : يقول لك القاضى : خذ لنا خروفا مــن صفته كذا ، واعمله فى التنور ، وخذ له من الزيتون والخبز وبقل المائــدة ما يصلح ، وهيئه الى أن يرجع من صلاة الجمعة .

وانصرف الغلام ، فقالت زوجة الكفيف : والله ما اشتهيت الا الأكل منــــه !

وكانت حاملا ، فقال الكفيف : أنت طالق ان تغذينا الا منه !

---

363) أ : البسى ــ ط : التيمي ــ ك ، م : غير واضحة .

فلما فرغ الناس من الجمعة ، سبقا القاضى الى باب الدار ، حتى جاء ودخل بيتا فى سقيفة داره يحكم فيه ، وجلس معه اخوانه الذين كانوا يحضرون مائدته .

فقال الكفيف لزوجته : تسمعى الى وقع الطست .

فقالت له : يا مدبر ! ما الذى يوصلك اليه ؟

فقال لها : اسكتى .

فلما سمعت الطست أخبرته .

فقال الكفيف : يا قاض ! قال الله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم) الآية (364) ، وقال : (انما نطعمكم لوجه الله) الآيات (365) .

فصاح القاضى : يا غلام ! خذ هذا الخوان ، وامض معه حتى توصله الى دار هذا المتكلم .

ففعل .

وحكى أن رجلا من الرهادنة ، بينما هو جالس فى دكانه ، طلعت اليه امرأة ، فقالت له : بع هذا المتاع .

وهو جبة وشى ، وطيلسان ، ونعل طائفى ، وقلنسوة .

فأخذها وقال : هذا لا يصلح الا لابن طالب .

فمضى بها اليه ، وأخبره .

فقال له : استقص ، وادفع اليها الثمن .

واذا بذلك كسوته للجمعة ، جاءته المرأة فلم يكن عنده ما يدفع اليها غير ذلك .

كان يتصدق بحلى سرجه وسيفه .

---

364) الآية 9 من سورة الحشر .
365) الآية 9 من سورة الانسان .

(369) قال ابن حارث : وأتاه رجل من أهل البادية ، فشكا اليه الاقلال ❋ فكتب له الى ابنه أبى ابراهيم (366) فى ضيعته ، أن يدفع اليه خمسين قفيزا من زيت .

فلما وصل الى أبى ابراهيم بالكتاب ضجر على الرجل ، وقال : انا لم نعصر بعد ، وهو يبدأ بتفريقه ! ما عندى ما نعطيك !

فرجع الرجل اليه ، فأعلمه ، فكتب اليه : أن ادفع اليه مائة قفيز !

فزاد ضجره ، وقال له : اذهب بسلام !

فرجع اليه فأعلمه ، فكتب الى ابنه : ادفع اليه مائة قفيز ! فوالله لئن رجع الى لأدفعن اليه غلة العام أجمع .

وأكرمه رجل فى طريقه ، ولم يعرفه ، فقال له : سل فى القيروان عن دار ابن طالب .

فلما وصل الرجل ، دفع اليه خمسة آلاف درهم ، وعشر خلع .

وأهدى اليه رجل من البادية خبز سلت ، فدفع اليه خمسة مثاقيل ، فقيل له : انما تسوى درهما !

فقال : كلا ، ولكن رجا هذا افضالنا فحققناه .

قال أبو محمد بن سعيد بن الحداد عن بعضهم : وصل الى من مال ابن طالب بآية من القرآن نحو من سبعين دينارا ، كنت اذا رأيته داخلا الى مجلس قضائه ، قمت بحذوه فقرأت : « انما نطعمكم لوجه الله » (367) الآية ، فيدفع الى الدينار والدينارين وما أمكنه .

قال أبو القاسم المعروف بالمساجدى : شكوت يوما الى ابن طالب الوحدة ، وقلة الجدة ، فاشترى لى جارية بأربعين دينارا ، وحجرة قرب الجامع بعشرين دينارا .

---

366) ك ، ط ، م : فكتب له الى ابنه أبى ابراهيم — أ : فكتب له الى أبى ابراهيم .
367) الآية 9 من سورة الانسان .

فشكوت اليه أنه ليس فيها ماء .

فحفر فى زقاقها بئرا للمسلمين .

فكان يعطينى قوتى وقوت الجارية وكسوتها كل شهر .

قال أحمد بن معتب : جئته يوما أسأله لرجل معروفا .

قال : فناولنى طرف كم قميصه ، ثم أدخل يده لينزعها ، فقلت : سبحان الله ! معاذ الله أن أكلفك هذا !

فقال لى : لا يسبق اليك أنى فعلته عن ضجر ، غير أنى والله لا أملك فى هذا الوقت دينارا ولا درهما ، ولابد له من أخذها .

ورمى الى بثوبيه .

وقال بعضهم : أتيت ابن طالب ، فشكوت اليه الاقلال .

فاعتذر اعتذار من عزم على ردى ، ثم دخل وخرج ، فجعل فى يدى شيئا لم أشك أنه دراهم ، فلما خرجت ، فاذا فى يدى عشرة دنانير .

وكان سليمان بن عمران ، أراد غمصه بقضية أيام قضائه ، زادته رفعة .

وذلك أنه دخل يوم فطر على الأمير ، فذكر له من يخطب .

فقال له الأمير : الى هذا الوقت ؟ فمن ؟

فقال له : ومن الا ابن عمك وقاضيك ابن طالب ؟

وأراد أن يأخذه الأمير على غير أهبة ، فيفتضح على رؤوس الناس ويسقط .

فأمر الأمير باحضاره ، وأمره بالخطبة ؟

فقام بخطبة مشهورة ــ ذكر أنه لم يروها ــ حسنة جدا ، فزادته عند الناس رفعة ومكانة .

وكان ابراهيم الأمير يقول : على بابى رجلان : أحدهما يخاف الله ولا يخافنى ، والثانى يخافنى ولا يخاف الله ، فأما الذى يخاف الله ولا يخافنى فهو ابن طالب ، والثانى فلان ، نذلك عظيم الحرمة عندى ، وهذا الذى يخافنى هين عندى .

قال بعضهم : فذكرت ذلك لابن طالب ، فقال : صدق .

قال القصرى : كان ابن طالب يذكر تنازع أصحابنا فى المسائل ، فربما ذكر فى المسألة خمسة أقوال وستة ، ثم تسيل دموعه ، ويضع خده على الأرض ويقول : يا فتى ! أردت أن يقال فقيه! فهل معك عمل صالح تنجو به من عذاب الله ؟ والا فما يغنى هذا عنك .

وما رأيت أكثر دموعا عند ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منه .

وكان مع ذلك يقول : ربما أعجبتنى نفسى ، فأقول : يا ابن طالب ! هبك أعظم الناس قدرا * ، وأكثرهم علما ، أليس وراء ذلك كله الموت . (370)

ومن كرم أخلاقه ما حدث به محمد بن محبوب قال : كنا عنده يوما ، فخاطبه بعض أهل مجلسه بخطاب خشن لا يخاطب مثله بمثله ، فنظر بعضنا الى بعض ، وتمادى ابن طالب فى مكالمته كأنه ما سمع مكروها .

فلما قام الرجل قال لنا ابن طالب : رأيت نظر بعضكم الى بعض ، وقلت فى نفسى : رجل قصدنى يؤدى الذى يجب من حقى ، هفا على ، أصول عليه بسلطانى ؟ هذا من اللؤم !

وكانت لصاحبه عبد الرحمان بن محمد ، المعروف بابن (368) توزنة، ابنة خاصمها زوجها الى ابن طالب ، فى أمر يجب فيه بينهما اللعان ، فأصلحهما ما أمكنه ، ثم ألح الزوج عليه حتى حكم باللعان ، وتلاعنا وافترقا ، وكان عبد الرحمان كثير الزيارة له من أجل العلم والمناظرة ، فقال ابن طالب لأصحابه المتكلمين عنده فى العلم : اذا حضر عبد الرحمان فلا يذكر أحد مسألة من باب اللعان .

---

368) أ ، ك ، م : المعروف بابن توزنة — ط : المعروف بابن نورنة .

ومات سليمان بن عمران فى أيامه ، فتقدم فصلى عليه ، فيقال : ان ابن طالب ما زاد فى صلاته عليه على أن قال : « ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما » (369) الآية .

وقال ابن اللباد : جاء رسول الأمير ابراهيم الى ابن طالب ، فلقيه خارجا من المسجد ، فقال له : يأمرك الأمير أن تصلى على سليمان بن عمران .

فوقف متفكرا ، ثم قال : نفعل .

قال ابن اللباد : ثم عطف ابن طالب على ، وقال : ظلمنى والله ابن عمران ، وحبسنى ، أفترى أن صلاتى عليه احلالا له ، (370)، والله لا أفعل ، ماذا أقول عليه من الدعاء وقد ظلمنى وكان معه قرآن واسلام ؟

أقول عليه : اللهم انفعه بالاسلام ، اللهم انفعه بالقرآن ، أقول هذا مرة ، وهذا مرة .

قال ابن أبى الوليد : وأتيت ابن طالب تلك العشية ، فقال لى : مات ابن عمران ، لقد بلغنى أنه كان يقول : انى لأحب أن أموت فى عزى — ونحو هذا الكلام ، على النكير منه عليه — انما العز من كان معه القرآن والعلم ، هذا العزيز ، وأما من كان معه عز السلطان فليس بعز .

قال أبو بكر : وكان من شأن ابن طالب الجهر بالدعاء على الميت .

وصليت وراءه العصر فى داره ، فكان يجهر بالقراءة فى ترتيل ، وكذلك التسبيح ، حتى يسمعه من يليه فى الصف الآخر .

وصلى على جنازة بعض أصحابه ، فأطال عليهم القيام جدا ، مجتهدا فى الدعاء ، حتى مل الناس من طول قيامه .

---

369) الآية 7 من سورة غافر .

370) أ ، ط : احلالا له — ك ، م : اجلالا له ، كذا بالفتح ، فيها جميعا .

فكلم فى ذلك ، فقال : كان صديقا لى ، فأردت أن أخلص له فى الدعاء ، وأجتهد له ، لأنه روى عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه فعل مثله ، فاقتديت به .

وكان ابن الأغلب قد فوض اليه النظر فى الولاة والجباة والعزل والولاية وقطع المناكير .

ومن سيرة ابن طالب ، فيما حكاه عنه أبو بكر المالكى ، أن جعل على أكتاف اليهود والنصارى رقاعا بيضا ، فيها صورة قرد وخنزير ، وعلى أبواب دورهم ألواحا مسمرة ، فيها صورة قرد ، وضيق على أهل القيروان فى الملاهى .

قال بعضهم : كنت أنظر الى أبى العباس بن طالب ، اذا تفرغ من القضاء بين الناس ، قدم فوقف ، وحول وجهه الى القبلة ، ثم بسط كفيه ، فنظرت الى دموعه وهى تجرى على خديه وعلى لحيته ، وهو يقول : اللهم ان كانت منى زلة أو هفوة ، أو أصغيت بأذنى الى خصم دون خصم ، أو مالت نفسى أو قلبى الى خصم دون خصم ، فأسألك أن تغفر لى ذلك ، ولا تؤاخذنى ولا تنتقم منى ، انك على كل شىء قدير .

ثم يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، وينصرف ، هكذا يعمل فى كل مجلس .

(371) وكان يكتب على أحكامه : حكمت بقول ابن * القاسم ، حكمت بقول أشهب ، ويقول : فى البلد علماء وفقهاء ، اذهب اليهم ، فما أنكروا عليك فارجع الى .

وكان يكتب القضية ويقول لصاحبها : أرها لكلمن عنده علم بالقيروان، ثم ارجع الى بما يقولون لك .

وكان اذا أشكل عليه أمر وقف على تنفيذه ويقول : لأن يسألنى الله : عم وقفت ؟ أيسر على أن يسألنى : لم جسرت ؟

قال ابن الحداد : كنت عند ابن طالب ، فشهد عنده أبو العدل بشهادة فى عقد بدين على رجل ، فقال المشهود عليه : سله هل قبض منه شيئا ؟

فقال : نعم قبض منه كذا .

قال : فكيف شهدت على بجميعه ؟

فقال لى : ما تقول فيها ؟

قلت : لا يضره ، لأنه لم يقصد الزور .

فقال : كأنه يشهد بجميعه ، ثم يقول : قبض منه .

قال ابن طالب : لا أرد شهادة أبى العدل ، وكان مبرزا .

قال يحيى بن عمر : حضرت ابن طالب ، وقد أمر بضرب رجل بالدرة، فقال : اضربه فى الرأس ، فان أبا بكر رضى الله عنه قال : انما يسكـن ابليس فى الرأس .

وقد روى البرقى (371) عن أشهب نحوه .

قال : ولا يبطح أحد فى الأدب .

وكتب ابن طالب الى خلف (372) بن يزيد ، قاضى طرابلس وغيره من قضاة عمله فى البلدان ، فى شأن اسقاط الشروط بين الزوجين وابطالها ، وألا يزوج المرء الا على دينه وأمانته ، وعلى قول الله تعالى : « فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » (373) .

ونهى أصحاب الوثائق ، والشهود ، وعامة الناس ، أن يحضروا نكاحا فيه شىء من الشروط ، ولا يكتبوها ، ولا يشهدوا فيها ، وأمرهم بمعاقبة من خالف ذلك ، وسجنه .

وحكى ابن طالب فى بعض كتبه ، عن مالك رحمه الله أنه سئل عـن بعض هذه الشروط الغليظة ، فقال : أرى أن يفرق السلطان بينهما ، فانها شروط لا يوقف عليها ، وان سحنون كان يهتم لها ، ويتلهف على العاقدين والشاهدين والكاتبين ، ويوقع بهم العقوبة الناهكة .

---

371) أ ، ط : البرقى ــ ك ، م البزي .
372) ط ، ك ، م : خلف بن يزيد ــ أ : خالد بن يزيد .
373) الآية 229 من سورة البقرة .

وذكر ذلك عن غيره .

وقال : ومن عيبها ترك ما مضى عليه السلف ، من تزويجهم المرء على دينه ، وأن الرجل ليس يدخل مع أهله مع غليظ هذه الشروط ، الا وقد فارقها لقلة الحفظ (374) لحقائقها .

محنتــه ووفــاتــه

كان رحمه الله قد امتحن عند العزلة الأولى ، فى ولاية سليمان بن عمـــران .

وكانت محنته الثانية الكبرى فى ولايته الثانية ، بعد موت سليمان ، فى ولاية ابن عبدون .

وكان السبب فى ذلك ، أنه نظر الى ما شرعه (375) ابراهيـم بـن الأغلب ، من الفسوق والجور ، والاستطالة على المسلمين ، واباحة السودان على نساء أهل أليانة (376) ، حين امتنعوا من بيعها منه .

وقد أتت امرأة بفرعة (377) ابنتها فى ثوب ، فألقته بين يديه، فتوجع، وقال : ما أرى هذا مؤمنا بالله . أو هذا فعل الدهرية ومن لا يؤمن بالله واليوم الآخـر .

فبلغت الكلمة ابراهيم ، فحقدها عليه ، ثم عزله وحبسه ، وولى عدوه ابن عبدون ، وكان عراقيا متعصبا على المدنيين .

وأمره باحضار العلماء ، واخراج ابن طالب اليهم ، وفيهم من كانت بينه وبين ابن طالب منافسة ، ليشهدوا عليه .

وجلس لذلك فى المقصورة ، وجلس ابن الأغلب بقربهم ، ليسمـع كلامهم ، وأمر القاضى بتتبع أفعاله ، ومناظرته ، ليفضحه علـى رؤوس الناس .

---

(374) أ ، ك : الحفظ — ط ، م : التحفظ .
(375) ك ، م الى ما شرعه — أ ، ط : الى ما تركه .
(376) ك ، م : اليانة — أ : البانة — ط : أمانة .
(377) ط ، ك ، م ، بفرعة ابنتها — أ : بفرع ابنتها .

فكان من جملة ما سألوا ابن طالب عنه ، أن قالوا له : دفعت من وصية فلان الى فلان العباسى مائة دينار ، ولغيره الدينار وأقل ، وهو عندك ممن لا تحل له الصدقة لأنه من بنى هاشم .

فقصر فى الأجوبة (378) ، ورد الى السجن ، فيحكى أن الشرط دفعوه ، فكان يقول : يا فتيان ! اذكروا النار .

وقال ابراهيم لابن عبدون : أحضره يوما آخر ، وأحضر جماعة الفقهاء ، حتى يتبين خطأه ، فأنكل به .

وكان ابن الأغلب قد أحضر سعيد بن الحداد قبل ، ليكون منه فى ابن طالب ما كان من غيره ، فأعان ابن الحداد ابن طالب ، ووفى له ، ودعا ابن الحداد ابنه وقال :

ـــ تذهب الى ابن طالب ، فقد علمت كيف كان بره بنا ، وقد صار الى ما صار اليه ، وذهب عقله وفهمه لعظيم محنته ، وانما يعد الاخوان لمثل هذا .

فكتب جميع أجوبة المسائل التى سألوه عنها ، وأمره أن يحتج بها اذا سألوه ، وقال له فى مسألة العباسى : انما حرمت الصدقات عليهم اذا كانوا يأخذون سهم ذى القربى ، وأما الآن فالصدقة لهم حلال ، لحاجتهم .

وقال لابنه : احذر أن يشعر بك أحد ، وقل له : يقرأها فى خلوته ، وجئنى بها حتى يطمئن قلبى .

فحملها اليه ، وجعل ابن طالب يختلف الى المستراح ، حتى وقف عليها وحفظ معانيها وتذكر ما أغفل لعظيم محنته بها وردها .

فلما كان اليوم الموعود ، وأحضر وسئل ، أجاب عن كل ما عجز عنه فى الجمعة الأولى .

فاغتم لذلك ابراهيم ، ورده الى السجن ، وعول على قتله .

---

378) أ ، ك ، م : فقصر فى الأجوبة ـــ ط : فنظر فى الاجوبة .

فيقال : انه دس اليه من سقاه سما .

وقيل : أحال السودان عليه ، فركضوا بطنه حتى مات .

وقيل : انهم لما ركضوا فى بطنه ، ألقى دما عظيما من أسفله .

ثم أخرجه من السجن ، ووجه اليه فرسا ودواء ، فأقامه فى داره ، ودموعه تسيل ، ونفسه تتصاعد ، حتى مات رحمه الله .

حكى ابن اللباد أنه كان يقول فى قضائه : اللهم لا تمتنى وأنا قاض .

فمات بعد عزله بنحو شهر .

قال ابن حارث : كان لما أمر ابن الأغلب قاضيه ابن عبدون ، باحضار ابن طالب ، وأن يتتبع أفعاله ، ويناظره ، حتى يفضحه بحضرة الناس ، ففعل ، وجلس لذلك فى المقصورة ، وجلس ابن الأغلب بمكان يسمع منه ، وأمر باحضار ابن طالب ، فأحضر ، وأشار اليه ابن عبدون بالجلوس بين يديه ، فجلس حيث أشار ، واتكأ كالمتهاون .

فقال ابن عبدون : وقر القضاء !

فقال ابن طالب : أنا أعرف بحقه منك ، فكيف لا أوقره ؟

فقال له : أفمن توقيره أن تجلس بين يدى متكئا ؟

فقال : نعم ! انما اضطررت لعلة .

واعتذر بدماميل به . ودارت بينهما أشياء .

فكان من قول ابن عبدون : أخبرنى عن فعلك فى الأثلاث ، من أجاز لك أن تفعل فيها ما فعلــت ؟

فقال له ابن طالب : وما الاثلاث ؟

فخجـــــل .

فقال له ابن طالب : لعلك تريد الوصايا ؟

قال : نعـــم .

قال فانها لا تسمى أثلاثا ، لأن الرجل يوصى بالثلث والربع والتسمية، ولا يذكر جزءا ، فما أنكرت من فعلى فيها ؟

قال : تعطى منها عطاء كثيرا للواحد فتغنيه .

فقال له ابن طالب : قد فعله النبى صلى الله عليه وسلم .

قال ابن عبدون : ذلك خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم .

قال له : وفعله عمر .

فقال له ابن عبدون : انما تشبه أفعالك بفعل عمر !

فقال له ابن طالب : فاذا كان بالنبى لا يهتدى ، وبعمر لا يقتدى ، وبالأمير لا يتأسى ، فبمن اذن يا هذا ؟

فقال ابراهيم : رجونا بابن عبدون أن يفضح ابن طالب ، ففضحه ابن طالب !

قال حمديس القطان : كان الأمير ابراهيم بن الأغلب ، قد بعث الى ، والى سهل بن عبد الله القبريانى ، وعبد الجبار بن خالد ،وجماعة من أصحابنا ، وجماعة من أهل العراق ، لهذا ❊ المجلس . (373)

فدخلنا المسجد ، فكنت قاعدا الى حائط المقصورة .

فخرج الينا رسوله يقول : ما تقولون فى ابن طالب ؟

فتكلم فيه قوم بينه وبينهم شىء ، وأوقعوا فيه شهادات منكرة .

فسمعت الأمير من خلف الحائط ، منكرا عليهم قولهم ، يقول : ولا هذا كله ! ولا هذا كلــه !

وتحرى قوم الكلام ، مثل حمديس ، ويحيى بن عمر .

وأثنى عليه آخرون ، مثل سعيد بن الحداد ، وقاسم بن أبى المنهال .

قال حمديس : ولقد أحضرنى ابراهيم — يعنى عند عزل ابن طالب من قضائه الاول — وأحضر اسحاق بن ابراهيم بن عبدوس ، وأحمد بن أبى المنهال ، وأحضر ابن طالب ، والقاضى سليمان بن عمران .

وقد أحضر سليمان قوما للشهادة على ابن طالب ، منهم ابن عبدون وغيــــــره .

فجعل ابراهيم يسأل ابن طالب ، فيحتج ابن طالب ، فيرد الأميــر حجته ، ويتكلم سليمان بن عمران بما لا تقوم به حجة على ابن طالب ، فيجعله الأمير له حجــة .

فلما رأى ذلك ابن طالب ، سكت .

قال حمديس : فرأيت أن السكوت لا يسعنى وقلت : انما أحضرنــا للكـــلام !

فقلت : يأذن الأمير ؟ مرة ، وأخرى ، فلم يجبنى .

ثم قلت : أقول الثالثة ، فان لم يجب فهو حجة لى عند الله .

فحول الى وجهه ، وقال : هات كلامك .

وكان الأمير يطلبه بأمر التركة التى تولاها ابن طالب ، وفرق ثلثهــا بتفويض الأمير ، فقال له : لأضمننك جميع التركة .

فقلت للأمير : خذ بما يجب .

فقال لى : وما يجب ؟

قلت : قال الله تعالى : « مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا » (379). فلو أوصى الميت ألا يدفع ما أوجب الله توريثه ، لم يكن له ذلك فى سنــة المسلمين .

فقال : ابراهيم : أمرته ألا يدفع الى الورثة شيئا .

فقلت : أمر الله فوق أمر الأمير .

فقام الى بلاغ الخادم مغضبا يهم بى ، فكلمه الأمير بالصقلبية، فانكف.

---

379) الآية 7 من سورة النساء .

وقلت : وليس لك عليه سبيل الا فى الثلث الذى فوضت اليه ، فان كان أنفذه فى وجوهه فلا سبيل لك عليه .

وطال المجلس ، وأخذ الأمير ضامنا على ابن طالب ، ويخلى .

فخرج ابن عمران القاضى الى الوزراء ، فشكانى ، وقال : هذا نقض أحكامـــى .

فرد الأمر فيه اليه ، فرده الى السجن ، ثم عفا عنه .

وكان فى سجنه ومحنته فى القصة الآخرة ، بلغه أن ابراهيم هم فيــه بأمر ، فحكى أنه فزع الى الدعاء ، فكان من دعائه ومناجاته : اللهم ان كنت علمت منى أنه اذا أجلس الخصمان بين يدى ، فكان فى أحدهما رضاك ، وفى الآخر رضا ابراهيم ، أنى أوثر رضاك على رضاه ، فاعصمنى منه ، وان علمت أنى أوثر رضاه على رضاك ، فسلطه على .

فكفاه الله ما هم به ابراهيم من تلك القصة .

وقيل : ان ابراهيم نبزه فى تلك المطالبة بأمر ، فأوجع قلبه ، فقال : اللهم انه رمانى بذنب لم أرتكبه ، اللهم فلا تمته حتى تشهره به .

فأجيبت دعوته ، وانكشف ابراهيم بعد .

قال المؤلف رحمه الله : وقد وقفت فى كتاب تاريخ قضاة افريقية ، على نسخ السجل الذى عزله به ، وثبت عنه مثالبه ومذاهبه التى اجتلبها عليه ، وفيه رميه بهذه الكبيرة المذكورة ، أنصفه الله منه .

وكانت وفاة ابن طالب بعد عزله بنحو شهر ، سنة خمس وسبعين ومائتين ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة .

مولده سنة سبع عشرة ومائتين .

ورثاه أحمد بن أبى سليمان بقصيدة طويلة أولها :

تهورت الدنيا لموت ابـــن طالـــب وأظلمت الآفـــاق من كل جانـــب
(374) * امام هدى حلت لنا فيه نكبـــة من الدهر عظمى أصبحت بالعجائب

لقاضى القضاة المرتضى فى أموره غدا اليوم أهل الدين أهل المصائب

فمن بعده يرعى لنا الحق رعيه ويظهره اظهاره بالمغارب ؟

لقد كان سيف المالكين ومن به يصال به ضربا على كل جانب

وقد ذهب المامون للدين والتقى ومن كان يرجى للندى والمواهب

قال أحمد بن محمد القصرى : رأيت ابن طالب فى النوم بعد قتله ، فسألته فقال : وحد الله ! لقد دخلت الجنة .

فقلت : كيف كانت ميتتك ؟

فقال : سقانى شربة ، سقاه الله من صديد أهل النار (380) !

عيسى بن مسكين بن منصور بن جريح بن محمد الافريقي

أصله من العجم ، ويتولى قريشا ، من أهل الساحل .

قال أبو العرب : سمع من سحنون وابنه جميع كتبه ، وسمع بالمغرب من غيرهما ، وسمع بالشام من أبى جعفر الأيلى ، وسمع بمصر من الحارث بن مسكين ، وأبى الطاهر ، والربيع ، ومحمد بن المواز ، ومحمد

---

380) هنا ينتهى الجزء الرابع ، حسب تجزئة نسخة مدريد وهى نفس التجزئة التى سار العمل عليها فى الاجزاء السالفة .

وهنا ينتهي أيضا المجلد الأول من نسخة ك ، وهي تقع فى مجلدين ، أما نسخة « أ » ونسخة « ط » وكل منهما تقع أيضا فى مجلدين ، فان المجلد الأول من كل منهما لا يقف عند هذا الحد ، بل يستمر الى نهاية « الطبقة الثالثة » زائدا على هذا القدر بمائة وست وتسعين ترجمة .

وقد آثرنا أن نستمر فى هذا الجزء الى نهاية « الطبقة الثالثة من الذين انتهى اليهم فقه مالك أو التزموا مذهبه ممن لم يره ولم يسمع منه » تمشيا مع نسخة « أ » ونسخة « ط » اللتين ينتهى المجلد الاول من كل منهما عند نهاية هذه الطبقة .

وهكذا يكون هذا الجزء الرابع مشتملا على تراجم الطبقة الاولى والثانية والثالثة من الذين انتهى اليهم فقه مالك ... ونبدأ الجزء الخامس ان شاء الله ببداية الطبقة الرابعة .

ابن عبد الرحيم البرقى ، ومحمد بن عبد الحكم ، ومحمد بن سنجر (381)، ويونس الصدفى ، وسمع من على بن عبد العزيز ، وغيرهم .

سمع منه الناس : أحمد بن محمد بن تميم أبو الحسن الكاشى ، وأبو مروان الحجام ، ومحمد بن يونس السدرى ، وعلى بن محمد ، وليث بن محمد السوسى وغيرهم .

ذكر فضائله

قال ابن دحيم : كان من أهل الفقه والورع ، وكان مهيبا وقورا .

قال أبو العرب : كان ثقة ، مأمونا : صالحا ، ذا سمت وخشوع ، كثير الكتب فى الفقه والآثار ، صحيحها ، وكان يشبه سحنون فى هيبته وسمته ، وكان مهيبا .

قال غيره : كان رجلا صالحا فاضلا ، طويل الصمت ، دائم الحمد ، رقيق القلب ، غزير الدمعة ، كثير الاشفاق ، متفننا فى كل العلوم : الحديث، والفقه ، واللغة ، وأسماء الرجال وكناهم وقويهم وضعيفهم ، فصيحا ، يجيد الشعر .

قال أبو بكر المالكى : كان اعتماد عيسى على سحنون ، وبه كان يقتدى فى كل أموره ، فى شمائله وزهده ومباينته لأهل البدع ، حسن الأدب ، بين المروءة .

قال أبو على بن البصرى : لو أفردنا كتابا فى ذكر مناقبه ومحاسنه وزهده وعدله ، ما انتهينا الى وصفه ، وكان مع ذلك عالما باللغة ، قائلا للشعر .

قال ابن حارث : كان ابن مسكين من أهل الفضل البارع ، والورع الصحيح ، والصمت الطويل ، يقال انه كان مستجاب الدعوة .

---

381) أ : ومحمد بن سحر — ط : ومحمد بن سحنون — ولعل الصواب ما أثبتناه : « محمد بن سنجر » كما فى الديباج فى ترجمة « عيسى بن مسكين » ص 171 — وقد ذكره أيضا الذهبي فى تذكرة الحفاظ ، الترجمة رقم 602 وذكر أن (عيسى بن مسكين) المترجم له هنا أخذ عنه . وفى الديباج ص 179 فى ترجمة عيسى بن مسكين : « ومحمد بن سنجر » .

قال ابن الجزار : كان محله من الزهد والورع والسكينة والوقــار ، والخوف من ربه ، والعدل فى حكمه ، والروية فى لفظه ولحظــه (382) ، على حالة يقصر عنها وصف البليغ ، وكان مع ذلك فقيها عالما فصيحا .

قال أبو الحسن الكانسى : أدخلنى عيسى بن مسكين الى بيت مملوء بالكتب ، ثم قال : كلها رواية ، وما فيها غريبة الا وأنا أحفظ لها شاهدا من قول العرب .

قال بعضهم : لقد جلست الى كثير من أهل العلم ، فما رأيت أحدا مثله، وما أشبهه الا بمن كان قبله من التابعين .

وكان اذا حضر مجلس محمد بن سحنون ، أمره محمد بأن يــؤذن ويقيم ويصلى ، فاذا استفتى محمد قال : أفته يا أبا موسى .

ونظر اليه محمد بن سحنون يوما فقال : يا أهل المسائل : هذا أفضلكم وخيركم وامامكم .

(375) وكان اذا تفاخر أهل المدينة وأهل العراق برجالهم * ، فقيل لأهل العراق : عندكم مثل عيسى بن مسكين ؟ يفخمونه ويقولون : ذاك أفضلنا وأفضلكم .

ذكــر ولايتــه القضــاء وسيرتــه

قال ابن مسكين : لما مات سحنون ، اغتممت لموته ، فرأيته فى نومى، كأنه خلع من عنقه سيفا كان متقلدا به ، وقلدنى اياه ، فقلت : كان سحنون رجلا فاضلا ، والله لأقفون أثره .

وتأولته العلـــم .

فبعد أربعين سنة خرجت رؤياى ، فابتليت بالقضاء .

---

382) ط : « والتنويه فى لفظه ولحظه » أ : « والرية فى لفظه ولحظه » وبها مشها « والتنويه » ــ ولعل الصواب ما أثبتناه : « والروية فى لفظه ولحظه » .

قال عيسى : فأنا فى الدار يوم جمعة ، برقادة — يعنى وهو قاض — اذا رجل يحرك على الباب ، ففتحت له ، فسلم ، ثم جلس ، فقال لى : كيف حالـــــك ؟

فقلت : ما سؤالك عمن صار حاله الى ما ترى ؟

قال : انما هى تسعـــة .

فقلت : وهذا ؟ أعنى الأمير .

قال : هذا يخرج ، هذا يمر .

فقلت : أين ؟

قال : يركب البحر .

ثم خرج .

فقلت تسعة أيام ، فمضت ، ثم تسعة أشهر ، فمضت ، فأقمت تسع سنين . فقال : انه كان الخضر .

قال ابن حارث : كان ابراهيم بن أحمد بن الأغلب ، قد اصطفى يحيى ابن عمر الى ولاية القضاء ، فقال له : ان دللتك على من هو أفضل منـــى فى الوجه الذى تحب ، تعافينى ؟

فقال له : نعـــم .

فدله على ابن مسكـــين .

فأرسل فيه ابراهيم بن أحمد الى كورة الساحل ، وأوصله الى نفسه، وعرض عليه الفصل ، فنفر منه .

قال تميم بن خيران : لما شاور العلماء ابراهيم فيمن يلى القضـــاء ، اختلفوا عليه ، فذكر له عيسى ، فقال حمديس : انه والله أيهـــا الأميـــر صاحبنا عند سحنون ، جمع الله فيه خلال الخير بأسرها .

فوجه اليه الى الساحل ، فأتى فوجد فى المجلس حمديسا وغيره .

فقال له ابراهيم : تدرى لم بعثت اليك ؟

قال : لا .

قال : نشاورك فى رجل قد جمع خلال الخير ، أردت أن أوليه القضاء، وألم به شعث هذه الأمة فامتنع ؟

قال : يلزمه أن يلى .

قال : تمنـــع .

قال : يجبر على ذلك .

قال : تمنـــع .

قال : يجلـــد .

قال : قم ، فأنت هو !

قال : ما أنا بالذى وصفت .

وتمنع ، فأخذ الأمير بمجامع ثيابه ، وقرب السيف من نحره ، فتقدم اليه عيسى بنحره .

قال حمديس : وقمت من مكانى لئلا يصيبنى من دمه ، فلم يزل بـــه حتى ولى .

قال ابن أبى سعيد : ولاه القضاء ابراهيم بن أحمد ، بعـــد اجمـــاع الناس عليه ، على اختلاف مذاهبهم ، وامتناعه ، فخوفه ابراهيم ، وحلف له بغليظ الأيمان : لئن لم تل لأقتلنك .

فولى ، وأسكنه رقادة ، فكان لا يتصرف فيها ، ولا يخرج الا الى المسجـــد .

وقيل : ان ابراهيم قال : والله لأولين عليكم من لا تختلفون فى فضله وزهده وعلمه ، وورعه .

فوجـــه فيـــه .

قال غيره : وقيل : ان الأمير ابراهيم قال له : ان لم تل لأولين ابن عبـــدون .

فخاف ان ولى ابن عبدون ، أن يظهر البدعة ، ويهين أهل السنة .

وقيل : ان ابن الأغلب لما وجه فيه ، استخشن الرسول زيه ، فلما أتى به قال لابن الأغلب : انه لا يصلح للقضاء لثقل روحه وزيه .

فقال له : أرنيه قبل وصوله الى .

فأدخله من حيث يراه ، وعليه جبة صوف وعمامة صوف .

فلما وصل اليه ، قال له ابن الأغلب : اتفق الناس عليك .

فقال له : اتق الله ، ولا تول مثلى على هذا البلد .

فقال : اذهب ، ولا ترجع الى منزلك الا باذنى .

وجمع العلماء والشيوخ الذين أشاروا له ، فقال لهم : أشرتم علـــى بشيخ فى زى جمـــال !

فقالوا له : ان أردت أن تقوم لك الحجة عند الله فوله ، فلم ير مثله .

فأحضره وخوفه ــ وذكر نحو مما تقدم ــ فلما رأى منه ما لا قدرة له عليه : أراد أن يشدد عليه فى الشروط .

قال : اشترط ما أحببـــت .

قال : أستعفيك فى كل شهـــر .

قال : نعـــم .

قـــال : اكتبـــه .

(376) ففعـــل . *

قال : وأحملك على الحق ، وبنو عمك وجندك وفقراء الناس وأغنياؤهم فى درجة واحـــدة .

قال : نعـــم .

قـــال : اكتبــــه .

ففعـــل .

قال : ولا توجه ورائى ، ولا أهنى ولا أعزى ولا أشيع ولا أتلقى ، فمتى لم تف لى بشرط عزلت نفسى .

قال : نعـــم .

وعرض عليه الصلة والكسوة فامتنع .

قال ابن حارث : قال عيسى بن مسكين لابن الأغلب : أنا رجل طويل الصمت ، قليل الكلام ، غير نشيط فى أمورى ، ولا أعرف أهل البلد .

فقال لى الأمير : عندى مولى نشيط قد تدرب فى الأحكام ، أنا أضمه اليك ، يكون لك كاتبا ، يصدر عنك فى القول فى جميع الأمور ، فما رضيت من قوله أمضيت ، وما سخطت رددت .

فضم اليه عبد الله بن محمد بن مفرح ، المعروف بابن البناء .

قال المخبر : فكثيرا ما كنت ، آتى مجلسه وهو صامت لا ينطق ، وابن البناء يقضى .

قال ابن البناء : فلقد دخلت يوما على الأمير ابراهيم ، فقال : بلغنى أنك أنت تخاطب الخصوم وتفصل ، وعيسى ساكت ! ما أرى الا أنه لم يقبل القضاء .

قلت : قد قبل ، الا أنى أكفيه .

قال : امض ، ولا تعلم أحدا بما بينى وبينك ، فاذا حضر الخصمان فافصل بينهما بغير مذهبه ، حتى ترى !

ففعلت ، فأمرنى عيسى بصرفهما ، فقال لى : افصل بينهما .

فقلت ما قلت لهما أولا .

فقال لى مثله .

ففعلت مثل ما فعلت قبل .

فأمرهما ، فدارا بين يديه ، وفصل بينهما بمذهبه ، فأخبرت بذلك الأمير ، فحمد الله ، وسجد شكرا لـــه .

قال الخراط : وكان له كاتب آخر يقال له ابن زرياب ، يتولى الديوان، فغاب يوما عن المجلس، واحتيج الى النظر فى الديوان، ولم يدر ابن البناءما يعمل فيه ، الى أن ارتفع النهار وتفرق أصحاب القضية .

فجاء ابن زرياب ، ونظر فى الديوان ، فخرج منه القضية ، ثم اعتذر عن تأخره بحضوره نكاحا عند أبى القاسم بن محمد بن عبدوس ، وذكر ما لابن عبدوس عليهم من الحق ، وأنه لم يمكنه الا الحضور .

فقال عيسى : ما ظننا بك الا عذرا من مرض أو مهم فى دارك ، واذا أنت فى هذا : خذوا بيده الى السجن .

فلما استقر فى السجن ، وجه وراءه وقال له : أنت فى اجارة المسلمين ، تعطل ما استؤجرت فيه وتشتغل بحضور المأكلات (383) ! لا تعد ، ارجع الى مكانك .

وذكر أنه كان يقوم فى الليل ، فيذكر قصص المتخاصمين عنده واحدا واحدا ، ويسأل الله أن يحمله فيها على السدد .

ومر يوما على السجن ، فأسمعه بعض من سجنه ما يكره ، فكلمه فى ذلك بعض من حضر ، فقال : من يصبر على هذا ؟

فقال عيسى : من أين كلمنى ؟

قالوا : من السجن .

فقال لهم : فايش على أكثر من هذا ؟ أخذنا كسرته ونمنعه البكاء ؟ أو نحـــو هذا .

---

383) أ : « المأكلات » والمأكلة بضم الكاف : ما أكل ــ ط : الحاطات .

وجرح عنده بعض العراقيين فى شهادة شهدها ، بأنه يشرب النبيذ ، فقال عيسى : كشفت عنه ، فأصبته يدين بتحليله ، ولا يجمع عليه الجموع. وأثبت شهادته .

ودخل على عيسى بن مسكين رجل من أشراف الناس ، يتولى الأمانة للقضاة ، وكان عيسى يجله ، فأقبل يسأله عما قبله ، فاذا بصائح يقول : يا قاض ! خصمى داخل عندك ، وأنا خارج !

ثم صاح ثانية وثالثة .

فلم ير عيسى غيرى ، فأمر بادخاله ، وسأله من خصمك ؟

فقال : هذا . عن الأمين .

فقال له : هل دارت بينك وبينه خصومة قبل هذا ؟

قال : لا .

فأمر بالرجل الى الحبس ، وقال : لما دخل علينا أميننا ومن يعيننا على الحق ، أردت أن تؤذيه وتمرثه (384) .

فقال : عندى منافع .

قال : من السجن تأتى بها .

(377) فلما استقر فى السجن ، أمر * باخراجه واحضار منافعه .

قال : وبينا عيسى يوما بجامع رقادة ، اذ سمع صياح قوم ، بالله ، ثم به .

فقال لمن حوله : انظروا من هؤلاء .

قالوا : نهب تونس .

فأمر بامساكهم .

---

384) أ ، ط : (وتمرته) ولعل الصواب ما أثبتناه : (وتمرثه) يقال (مرث الماء) لوثه ووسخه .

فشكاه الذى نهبهم الى الأمير ابراهيم ، فأرسل اليه فى اطلاقهم ، فقال لكاتبه : اكتب اليه « ويا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار » (385) الى قوله « العباد » .

فلما قرأها ابراهيم قال : هذا رجل يحاربنا بالله ، لا حاجة لنا بهم ، اتركوهم .

ووجه ابن الأغلب يوما وراء ابن البناء ، فغلط الرسول ودعا عيسى ، وذلك بعد مجىء الأمير ابراهيم من سفرة لم يشيعه فيها عيسى ولا لقيه اذ جاء .

فلما أتى الرسول الى عيسى ، أقبل ، فوجد ابراهيم فى بستان ، فلما رآه ابراهيم ، قال له ابتداء : والله ما وجهت اليك ، ولا أردت الا ابن البناء .

فانصرف عيسى من مكانه ذلك ، ولم يصل الى الأمير ولا سلم عليه .

فقال ابراهيم : يا قوم أرأيتم مثل هذا القاضى ؟ غبت فما شيع ، وجئت فما تلقى ، ولا هنى ، وبعثت وراء غيره فغلط به الرسول فاعتذرت له ، فانصرف بعد أن رآنى من غير تسليم ، ردوه .

فرجع ، فعدد عليه ذلك ابراهيم ، فقال له عيسى : الأمير أكرم من أن يعدنى وعدا ، ويعقد على نفسه عهدا ، ثم ينقضه ، فلما تقدم من رفع المئونة عنى ، صارت مخالفة ما رسمه من طرح التكلف ، مما لا ينبغى أن أفعله ولا يجوز ، وأما رجوعى بعد رؤيتى من غير تسليم له ، فرأيته جالسا فى غير مجلسه للناس ، فلو تركنى سلمت ، فلما بادرنى بالكلام قبل السلام ، ظننت كراهيته لدخول هذا الموضع ، فانصرفت مساعدة لذلك .

وكان يقال للأمير ابراهيم ، عندما يطنب فى الثناء عليه ويفتخر به : انه متصنع .

---

385) الآية 41 من سورة غافر .

فقال : ان كان ما ظهر منه شهد لباطنه ، فما كان فى عباد بنى اسرائيل مثله ، وان كان رياء وتصنعا فما رأينا ولا بلغنا عن أحد أملك لشهوتـــه ونفسه منه ، لاسيما مع الامكان والرياسة ، وهو فى الحالين نسيج وحده .

قال : ولم يأخذ ابن مسكين فى مدته على القضاء أجـرا ، وكـان لا يستعين بأحد فى شىء من أموره ، وربما استقى له الماء فيريقه ، ويستقى بنفسه .

ودخل اليه رجل يوما ، فوجد عجينا له فى مقلى كاد أن يحترق ، وابن مسكين فى الصلاة، فقلبه له الرجل، فلما أتم الصلاة أمر بصدقته ، ولم يأكله.

ودخل عليه رجل فوجده يستقى ، فحلف ألا يستقى الا هو ، فتركـه حتى استقى ، ثم أخذه وأراقه فى الماجل ، ثم استقى هو بنفسه .

وانما كان يعيش بدقيق يأتيه من منزله ، يخبزه بنفسه ، ومن بقـل وشىء يأتيه من البادية ، فان لم يأته شىء ، انتظره ، فربما بقى اليومين والثلاثة .

وكان شديد التقشف فى قضائه ، ولم يكن على هذا السبيل مـــن الانقباض قبل قضائه .

ولما عزل عاد الى ما كان عليه من حسن المعاشرة ، وكرم المجالســة والمؤاخاة .

وسئل عن فرط انقباضه ، فقال : ابتليت بجبار عنيد ، خفت أن يبعث الى من طعامه أو يدعونى اليه ، فلا آمنه ، فحملت نفسى على ذلك ليقطع طمعه فــى .

وفرغ ما عنده من القوت برقادة ، فبقى ثلاثة أيام لا يطعم شيئا ، الى أن لزم فراشه ضعفا ، حتى أتاه الرسول ، آخر اليوم الثالث .

قال : ولقد أقام برقادة تسع سنين ، ما أكل فيها تينا الا مرة اشترى له بخروبة ، ولا بطيخا ، الا مرة واحدة ، صغيرة .

(378) وكان عيسى لا ينزل الى ✻ القيروان ، فولى مظالمها سليمـــان بن سالم ، وأطلق له النظر فى مائة دينار ، ثم عزله ، وولاه قضاء صقليـــة ، وولى مكانه ابراهيم بن الخشاب ، واستكتب له أبا بكر بن اللباد ، فكان يجرى على رأيه ، ولم يكن لابن الخشاب فقه ، وولى على الحسبة أبـــا القاسم الطرزى .

قال أبو بكر بن اللباد : شاهدت ابن مسكين فى جنازة بعض نســاء الأمير ابراهيم جالسا فى المقبرة ، اذ جاء الأمير أبو العباس ، فقام اليـه الناس وسلموا عليه ، وعيسى جالس ، ما حل حبوته ، فلما نظر اليـه قال : يا قاض ! السلام عليكم ورحمة الله .

فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

ثم سار ، اذ جاء أبوه الأمير ابراهيم ، فوثب اليه الناس ، وعيسى على حاله ما حل حبوته ، فلما رآه الأمير مال اليه ، فلما حاذاه قـــال : السلام عليك يا قاض .

فرد عليـــه .

ثم نزل ، وقدم عيسى للصلاة عليها .

وبعث الأمير فيه مرة الى تونس ، فرغب بعض أهلها نزوله عنـده ، فأنزله فى دار حسنة ، فقصد الى بيت مسود من الدخان ، بابه تحت درج، فنزل فيه ، وبسط فيه حصيرا وجلدة وكساء .

فسئل عن ذلك ، فقال : يأتينى رجال السلطان ، فيطيلون الجلوس اذا أصابوا مكانا حسنا ، وها هنا من أتى منهم سلم وانصرف ، وعوفيت منهم.

قال ابن الحارث : قال القاضى — ونقلته من خطه فى غالب ظنى — : سمعت بعض الشيوخ يحكى أن رجلا كان واقفا على جزار ، فرماه رجل بشىء ، فحاد عن الرمية ، فسقط فاعتل ومات ، وخاصم ورثته الرامى الى عيسى بن مسكين ، وأثبتوا عليه الرمية .

فقضى لهم عيسى بالقتل بعد القسامة .

فلما ذهبوا ليحلفوا ، قال لهم ابن مسكين : تحلفون بالله خمسين يمينا، لمن رميته حاد ، ومن حيدته سقط ، ومن سقطته مات .

وكان ابراهيم ، يبتهج بكونه قاضيا له ، قال له يوما بعض خدمته : لقد نصحتك نصحا ما ينصحك بمثله القضاة .

فقال له ابراهيم : ولا عيسى بن مسكين ؟

ذكـر استجابتـه وبراهينـه

ذكر أنه دعا على ابن عبدون القاضى لما أسرف ، فقال : اللهم ابله بداء الغرة . وهى قرحة تخرج فى الوجه ، فابلتى بها ومات منها .

وأن نصرانيا لقيه فسلم عليه ، فصافحه وعيسى لا يعلم ، فعرف به بعد ذلك ، فقال : اللهم اقطع يمينه وانتقم منه ، فلما كان من الليل ، نـزل عليه لصوص ، فقاتلهم فقطعوا يده .

وحكى الكانسى عن بعض من رافق عيسى فى طريق الحج ، فقال : خرجت ليلة من الرفقة لقضاء حاجة الانسان ، ثم عدت الى الرفقة ، فاذا عليها سور منعنى من الوصول اليها ، حتى أصبح ، وضرب الطبل ، فذكرت ذلك لعيسى ، فقال : ما أبيت ليلة حتى أدور على الرفقة ، وأقول : اللهـم احرسنا بعينك التى لا تنام ، واكنفنا بكنفك الذى لا يرام ، اللهم انـــى أستودعك دينى ونفسى وأهلى وولدى ومالى ، انه لا تخيب ودائعك ، يـا أرحـم الراحمـين .

قال : وبينما يقرأ عليه أصحابه ، اذ أخبرهم آت ، أن أبا العباس بن الأغلب كتب السجلات بخلق القرآن ، وأمر بقراءتها على المنابـر ، وأن يحمل الناس عليها ، فنحبه ذلك وأصحابه ، وباتوا من أجله تحت غم ، فلما أصبح ، قال لهم عيسى : ان مدة هذا الرجل قد انقطعت .

فأتى الخبر أنه مات تلك الليلة .

وكان عيسى بن مسكين ربما نطق بشىء من الانذارات قبل وقتـه ، فيقال انه صحب أبا خارجة صاحب مالك ابن أنس ، فتعلم ذلك منه .

(379) ويقال : بل * كان يكاتبه بذلك رجل من أهل المشرق .

ويقال : بل كان يجرى الله ذلك على لسانه .

قال بعض أصحابه : فبينا نحن نسمع عليه ، اذ أتته بنية ، فضمها الى صدره ، وبكى ، وقال : كأنى بالجلاوزة (386) يعرونها فى طلب التقسيط !

وفى المجلس يومئذ سهلون ، ومحمد بن عباس الكاتب .

قال بعضهم ممن حضر : فانى يوما خارج بعد هذا من ديوان سهلون، وعنده ابن عباس ، وهما يخدمان عبيد الله لعنه الله ، اذا بامرأة طويلة على بابه تعرى من كسائها ، واذا هى تلك .

فرجعت الى سهلون وابن عباس فأخبرتهما الخبر ، فذكراه .

فقلت لهما : ها هى ببابك تعرى .

فخرج سهلون حافيا ، وتبعها ، ودخل على عبيد الله ، فكتب لها سجلا ، وأن تصرف الى موضعها ، ويعرض عليها العطاء .

فامتنعت منه فردت الى موضعها .

قال بعض أصحابه : خرج عيسى يوما الى المنستير ، فمر بحمة ، موضع المهدية اليوم ، فبكى وقال : تبنى ها هنا مدينة يكون على بانيها اثم الجن والانس ، ثم سل سيفه ولوح ، وقال : اللهم اشهد ، انى ان أدركته أجاهده .

ويحكى عنه أنه كان يجتمع مع الخضر عليه السلام .

وحكى عنه عبد الله العارى ، أنه قال : اجتمعت مع الخضر مرتين ، ودخل على فى بيتى ، فقال لى : أبشر بفرجك مما أنت فيه .

ذكر رحلته وابتداء طلبه

قال عيسى : كان أبى يختلف الى كل من قدر عليه ، ممن يعرف بصلاح ، فيستجلب لى دعاءهم ، وكان ابتداء طلبى سنة أربع وعشرين ومائتين .

---

386) الجلواز بكسر الجيم ــ الشرطى الذي يخف فى الذهاب والمجيء ، ج جلاوزة.

وسمع من شيوخ أفريقية : سحنون فمن بعده .

ورحل الى المشرق رحلتين ، لقى فيهما من ذكرناه .

وكان فى رحلته الأولى لم يسمع من ابن سنجر ، فرجع فى الثانية بسببه.

قال : فلما دخلت مصر ، سمعت مناديا ينادى :

من يحسن القراءة فليأت دار عبد الله بن سنجر ، يقرأ لابن الأمير مسندا .

فأعلمت المنادى بمكانى من القراءة ، ورأيت ذلك فرصة ، فكنت أكتب الليل كله ، وأقرأ بالنهار ، حتى كمل نسخه وسماعه ، فما مرت بعد ذلك أيام حتى مات ابن سنجر .

ذكر ورعه وزهده وعبادته وتواضعه

قال الشيرازى : رأيت على عيسى جبة صوف قديمة ، مرقعة بخرقة من كتان ، وكان وهو قاض يركب الحمار بالشند ، ويعلق الكوز من الشند .

ومرض كاتبه أبو على بن البناء الفقيه ، وكان يسكن معه فى دار واحدة ، فطال مرضه أربعة أشهر ، فلم يزره عيسى ، ولا وقف على بابه ، ولا سأله عن حاله .

فبلغ ذلك من ابن البناء ، وعتب عليه فيه .

وفووض عيسى بن مسكين فى ذلك ، وتوجه اليه فيه أبو سعيد بن محمد بن سحنون وغيره ، وقالوا له : ابن البناء قد لحق بالمشايخ ، وجعل لك لسانا وكاتبا ، وهو معك فى دار واحدة (387) ، وهو مريض أربعة أشهر ، فما وقفت اليه يوما واحدا ، ولا سألته عن حاله .

فقال لهم : الله المستعان .

---

387) سقط من نسخة « أ » من قوله : « فطال مرضه أربعة أشهر » الى قوله هنا « وهو معك فى دار واحدة » .

فلما ألح عليه قال : أنا فى بلد غصب ، فما كان الله ليرانى أمشى فيه واحدا فى موضع لم أجبر عليه ! !

فما رىء قط مشى فى غير طريق داره ، الا الى المسجد ، الا يــوم ماتت أم الأمير ابراهيم ، وأرسل اليه أن يصلى عليها ، فلم يجد من ذلك بــــدا .

قال أبو العرب : حضرته بالساحل ، وقد كلف انسانا شراء زيــت ، فاشتراه له من نصرانى ، طيب الأصل ، وأخبره أنه زاد فيما اشتـــراه عشرة أقفزة ، حين علم أنه له ، وذلك بعد صرفه عن القضاء .

فأطرق مليا ، ثم رفع رأسه اليه فقال : شكر الله سعيك ، لعلك تتـــم اجمالك بصرف زيته اليه ، وتأتينى بدينارى بعينه ، والا فاترك الزيت له، وخذ منه دينارا فتصدق بـــه .

(380) ففعل الرجل ذلك ، ثم اعتذر له عيسى لئلا يقع فى * نفسه شىء ، وقال له : خفت أن يميل قلبى الى النصرانى ، لما ذكرت من مسارعته الى حاجتى ، فأدخل فى حكم قوله تعالى : « لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر » (388) الآية .

واشتهى يوما لحما فاشترى له ، فأعجبه ، فقيل له : انه معلوف .

فأبى أن يطعمه ، فسئل عن ذلك ، فقال : المعلوف يخلى عندنا على زيتون الناس وزروعهم .

قال السدرى : أتى عيسى عشية الى المسجد ، فقمت وأخذت الحصير لأفرشها له ، فلم يجلس عليها ، وجلس على الأرض ، وكان اذا أصابها مفروشة جلس عليها .

قال بعض أصحابه : أراد عيسى أن يخرج الى بعض المواضــع ، فدخلت أخرج متاعه ، فلم أجد غير آنيتين ، احداهما بخل ، والأخـــرى بزيت ، فقال لى : أصبب الخل على الزيت .

---

388) الآية 22 من سورة المجادلة .

ففعلـــت .

فقال : هذا أخف ، حمل آنية خير من آنيتين .

ثم نظرت الى كوة فى بيته ، وفيها آنية صغيرة ، على فيها جلـد مطبوع عليه ، فقال : دعها حيث وجدتها .

فسألته عنهـا .

فحاد عن الجـــواب .

فألححت عليه ، فقال : كنت عند هذا ـ يعنى ابراهيم الأميـر ـ فرآنى أتوجع ، فسألنى ، فأخبرته أنى أجد أرواحا باطنة ، فقال : أعطيك دواء يقطعها .

فأمر لى بهذا ، فاستعفيت ، فقال : أعرف مذهبك ، خذها وابعث لنا بدراهم ثمنها فانصرفت ، وبعثت اليه بالدراهم ، وأغنى الله عنها .

وحكى عن ابن دبوس حاجبه قال : جئته يوم خميس ، أو جمعـة ، وقلت : اليوم يتفرغ ، فأونسه .

فقرعت عليه الباب ، ففتح منه فردا ، ووقفت ، واذا هو مؤتـزر بكسائه ، يغسل بيته ، فقال لى : يا أخى ! ما جاء بك ؟

قلت : أردت أونسك ، وأراك مشغولا ، فاتركنى أستق لك الماء ، وتغسل أنت ، أو تستقى وأغسل أنا .

فقال : يا أخى ! قعدت بلا شغل !

ورد الباب ، وكان ذلك فى قضائه .

بـاب فى حكمـه من نثـره ونظمـه

كان يقول : أشرف الغنى ترك المنى .

من قاس الأمور ، علم المستور .

من حصن شهوته صان قدره .

من أطلق طرفه ، كثر أسفه .

فى تقلب الأحوال ، علم جواهر الرجال .

بحسن التأنى ، تسهل المطالب .

الحسن النية يصحبه التوفيق .

المعاش مذل لأهل العلـــم .

كفاك أدبا لنفسك ، ما كرهت لغيرك .

قارب الناس فى عقولهم تسلم من غوائلهم .

خلوا لهم دنياهم ، يخلوا بينكم وبين آخرتكم .

ومن شعره قوله :

لما كبرت أتتنى كـل داهيـــة　　　وكل ما كان منى زائدا نقصـــا

أصافح الأرض ان رمت القيام وان　　　مشيت تصحبنى ذات اليمين عصا

ومن شعره قوله يرثى ساقه :

أصاب الدهر منى عظم ســاق　　　به قد كنــت مشــاء جليـــدا

الى الفقهــاء أنقلهــا وأطـــوى　　　بها للحاجـة البلـد البعيـــدا

اذا رجل الفتى يومــا أصيبـــت　　　وطال سقامه ألـــف القعـــودا

وصار لبيتــه جلسـا وأمســـى　　　من الاخوان منفـردا وحيـــدا

وأنشد له ابن أبى سعيد أيضــا :

(381) ❋ لعمرى يا شبابى لو وجدتـــك　　　بما ملكت يمينـــى لارتجعتـــك

ولو جعلت لـــى الدنيـــا ثوابـــا　　　وما فيها عليـك لمـــا وهبتـــك

فقدتك فافتقدت لذيـــذ نومـــى　　　وطيب معيشتى لمـــا فقدتـــك

ونحتك وانتحبت عليك دهـــرا　　　فلم تغن النياحة حيـث نحتـــك

بقيــة اخبــاره واستعفــاؤه من القضــاء ووفاتــه

ولما قدم القيروان ، أتى على حمار عليه اكاف ، فقام الناس اليه على أقدامهم ، فقال : مكانكم رحمكم الله ! انما يقوم الناس لرب العالمين .

ولما رأته امرأة على حمار وبردعة وشند ، وحوله شيوخ القيروان ، قالت : انظروا أى قاض وأى شكل ! !

فسمعها ، فقال لها : والله لقد قلتها لهم .

ومن الكتاب المعرب ــ ونقلته أيضا من خط القاضى أبى الوليــــد الباجى ــ قال سهل بن ابراهيم : كنا عند عيسى بن مسكين ، نسمع منه ، وكان فى كل يوم يأتيه شيخ نحوى ، كان صاحبا له من عهد الصبا ، وكان عيسى لا يخرج حتى يأكل ، فجاء يوما الى عيسى قبل خروجه ، فأعلم به فدعاه ، فقال الشيخ للرسول : قل له انى صائم .

فقال : يقول لك : تطوع أم واجب ؟

قال : بل تطوع .

قال : فانهض معى .

فلما رجع الشيخ ، سألناه فقال : قال لى : ان ثوابك فى ادخال المسرة على أخيك المسلم بافطارك عنده ، أفضل من ثوابك فى صيام يومك .

فأفطرت معــــه .

قلنا : ألم يذكر لك قضاء هذا اليوم ؟

قال : لا ، ما ذكــــره .

قال المؤلف رحمه الله : أما القضاء فواجب لابد منه ، وانما لم يذكره لعلمه ــ والله أعلم ــ بأن ذلك ليس من خفى العلم الذى يضطر الى بيانه .

وكان من سيرته فى غير مدة قضائه ، أنه كان اذا أصبح ، قرأ حزبه من القرآن ، ثم جلس للطلبة الى العصر ، فاذا كان بعد العصر ، دعا بنته وبنات أخيه ، يعلمهن القرآن والعلم .

قال بعضهم : جئت الى عيسى ، فوجدناه جالسا على دكان فى المعصرة، وخادم له يرد الزيتون ، والدابة تطحن ، وهو يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من صدره ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أعرض حديثى لئـلا أنسـاه .

قال ابن حمود السدوسى : كلفنى ابن مسكين شيئا فى خصومـة ، فقلت : الله بينى وبينه .

فأتانى فى منامى آت ، فقال لى : لا تدع على الرجل الصالح .

واستعفى من القضاء ، فعوفى ، فرجع الى منزله بالساحل ، الى أن مات ، فأصابه داء فى ساقه فلم يزل ملازما بيته .

ومات فى سنة خمس وتسعين ومائتين .

مولده سنة أربع عشرة ومائة .

وكان اذا تحدث عن أيام قضائه يقول : كنت فى بليتي ، وكنت أيام تلك المحنـة .

ولما أناب الأمير ابراهيم ، وتخلى عن الملك ، وتوجه للجهاد ، قصده عيسى بن مسكين فقال له : ان الله عافاك مما كنت فيه، فأعفنى مما أدخلتنى فيه ، فقد كبرت سنى ، وضعف بدنى .

فعافاه ، فخرج الى ضيعته .

فقال ابراهيم : ما أعجب حاله ! هو فى آخر أمره مثله فى أوله .

فكانت ولايته ثمان سنين وأحد عشر شهرا .

ولما بلغت وفاته القيروان ، قال رجل منهم : سودوا وجوهكم وجـدا عليـه .

(382) وقال آخر : ما على أفريقية ! يجدون العلم بعد عيسى ، ولكن لا * يجدون مثل ورعه وزهده وأدبه (388 م) .

---

388 مكرر) هكذا وردت هذه العبارة فى نسختي أ ، ط

وقال آخر : ذاك رجل حزنت لموته أفريقيـــة .

محمـد بـن مسكيـن

أخوه ، أبو عبد الله ، سمع من محمد بن شجرة ، والحارث بـــن مسكين ، ومحمد بن عبد الحكم ، والربيع الخيرى ، وسحنون ، وابنـــه ، وغيرهم .

وشرك أخاه فى أكثر رجاله .

وهو أصغر من أخيه بثلاث سنين .

قال ابن حارث : كان صالحا ، ثقة ، عاقلا ، من أهل العلم .

وقال مثله ابن أبى دليم .

قال أبو على بن البصرى (389) : كان أيضا هو فقيها ، يصنع الشعر ويجيـــده .

قال لقمان بن يوسف : لما رحلت الى عيسى بن مسكـين ، الـــى الساحل ، ونزلت وأقمت ، كنت أستفتى فلا أفتى ، ولم أكن أمتنع من ذلك من أجل عيسى ، وانما كنت أمتنع من أجل أخيه محمد .

يعنى أن عيسى لا يتغاير على هذا .

سمع منه أبو العـــرب .

وتوفى سنة سبع وتسعين ومائتين ، بمنزلهم بالساحل .

وولد سنة سبع عشرة ، ويقال ستة عشر .

وقد ذكره أحمد بن محمد بن المسى من تلامذته ، وتلامذة أخيـــه عيسى ، فى مرثيته لأخيه ، وأولها :

الآن مات بأرض المغـــرب الأدب وأصبح العلم مقرونا به العطـــب

---

389) أ : أبو علي المصري ــ ط : المنصري ــ ولعل الصواب ما أثبتناه : « ابو علي بن البصري » وقد ذكره القاضي عياض فى الجزء الاول من هذا الكتاب ، عند ذكر مراجعه ، انظر ج 1 ص 29 .

وانهد للدين ركن من دعائمه وقام باغى الهدى يبكى وينتحب
واسود ما ابيض من وجه الزمان على فقد الامام فدمع العين منسكب
وفى أخيه سمى المصطفى خلف هذاك جوهرة أودى وذا ذهب
بحران للعلم مطبوعان من كرم من نبعة ما لها وصب ولا أرب

عبد الرحمان بن محمد بن عمران الملقب بالوزنة

أبو محمد ، من أصحاب سحنون ، يتولى سليما ، وأصله من العجم .

قال ابن أبى دليم : كان حسن الحفظ ، جيد القريحة ، يتكلم على الأصول ، ولم يكن صاحب دواوين ولا اكثار .

قال ابن حارث : وانما كان مقتصرا على أمهات ابن القاسم لا غير .

قال أبو العرب : كان فقيها ، ثقة ، صالح الكتاب ، حسن الحفظ ، جيد القريحة ، سمع سحنون وغيره ، وبسحنون تفقه ، وعليه اعتمد .

قال غيره : وكان من الورعين المخبتين الخاشعين .

وقال سحنون : عبد الرحمان رجل من أهل الآخرة .

وكان حمديس يذكره بالفضل والورع والعلم ، ويقول : رحمة الله عليه ، كان والله ورعا فى فتياه ، عالما ، عاقلا ، وان من أعظم نعمة الله عليه، أن أخرجه الله من الدنيا ولم يدخل على سلطان قط . وعظمه تعظيما كثيرا .

وخرج اليه حمديس من عند سحنون ، فكشف ، فلما رآه أحرم بالصلاة ، فقال سحنون لحمديس : انما كان يمضى به لأهل الدنيا ، وانما ذاك من أهل الآخرة .

ولد سنة ثمان ومائتين .

وتوفى فى أول شوال سنة اثنتين وثمانين ومائتين .

أحمد بن معتب بن أبي الازهر

أبو جعفر ، تقدم ذكر أبيه .

سمع من سحنون ، وهو من فقهاء أصحابه .

وسمع من أبى الحسن الكوفى جميع ما عنده .

وسمع بالمشرق من العثمانى بالمدينة ، وحسين بن حسن المروزى ، صاحب ابن المبارك ، ولقى اسماعيل القاضى .

ذكر علمه وفضائله والثناء عليه

قال أبو العرب : كان ثقة ، ثبتا ، نبيلا ، عالما بالحديث والرجال ، حسن التفسير ، سمع منه الناس .

قال ابن حارث : كان نبيلا فاضلا صحيح اليقين بالله .

(383) قال القاضى يونس ، عن ❋ أبى العرب : ان أحمد بن معتب كانت له صلاة طويلة بالليل وبكاء ، حتى كان يسمع جيرانه بكاءه وصراخه ، وكان له نسك وخشوع وحسن خلق ، وكان فيه زهد .

وكان سبب وفاته أنه حضر يوما مسجد السبت بالقيروان ، فقرأ قارىء « ألهاكم التكاثر » (390) ويقال بل قرأ : « يطاف عليهم بصحاف من ذهب » (391) الآية ، وقيل بل سمع بيت شعر فيه ذكر النار ، فخر صعقا ، وحمل الى داره ، فنازع الى المغيب لا ينطق بكلمة ، وتوفى ، وذلك لسبع خلت من ذى القعدة ، سنة سبع وسبعين ، ويقال ست وسبعين ومائتين .

قال ابن اللباد : وحضرت مشهد الذكر يوم السبت ، لسبع خلون من ذى القعدة سنة سبع وسبعين ومائتين ، وأحمد بن معتب حاضر ، وكان له بكاء ونوح ، وكان القراء اذا علموا به تحركوا ، فقرأوا ، وغيروا وأخذوا فى تغيير :

دع الدنيا لمن جهل الصوابا   فقد خسر المحب لها وخابا

---

390) الآية 1 من سورة التكاثر .
391) الآية 71 من سورة الزخرف .

فلمـــا وصلـــوا :

يظل نهـــاره يبكـــى ببـــث ويطـــوى الليل بالأحزان دابـــا

تحرك وبكـــى .

ثم قرأ قارىء « يا عبادى لا خوف عليكم اليوم » (391 م) الآيـــات الثلاث ، فصاح صيحة شديدة ، ثم سقط على وجهه ، فأقام ساعة ، وأسنده انسان الى صدره ، وكلم فلم يتكلم ، وقد أغلق عينيه ، ثم قاء شيئا أخضر .

فلما انقضى المجلس ، وختم بالدعاء ، أردنا أن نحمله على دابة فلـــم نستطع ، اذ كان لا يثبت ، فجئنا بمحمل على جمل ، فحمل ، وأخرج مـــن المسجد يبكى كأنه مأتم ، وحمل فى شق المحمل ، وزامله ابن عم له ، ثم أتى به الى داره ، فقاء شيئا أخضر ، ولم يتكلم .

وتركناه لشأنه ، فلما كان بعد العشاء الآخرة ، توفى رحمه الله ، ولم يتكلم ولم يفتح عينيه .

وغلقت الحوانيت كأنه يوم عيد .

وحضرت غسله ، وقد كسى نورا وبياض بدن .

وصلى عليه للعصر ، وصلى عليه حمديس القطان ، وفات كثيرا مـــن الناس الصلاة عليه لكثرتهم .

ونودى على جنازته : أيها الناس ! لا تفتكم جنازة أحمد بن معتب شهيد القرآن .

قال بعضهم : إن ابن معتب ذلك اليوم مر فى طريقه الى مسجد السبت، بدار فيها غناء ، فقرع الباب ، فخرج اليه صاحب الدار ، فاستأذنـــه فى الدخول ، فاستحيى صاحب الدار واعتذر ، فقال : لابد .

فدخل صاحب الدار قبله ، وغيب ما كان بين أيديهم من شراب ، ثم أذن له ، فدخل ، وسلم ، فقال : من المتكلم ؟

فقالوا : هذا .

---

391 مكرر) الآية 68 منسورة الزخرف .

فقال : سألتك بالله الا ما أعدت ما سمعت منك .

فقال مغنيهم :

العفو أولى لمن كانت له القـــدر　　لا سيما عن مقر ليس ينتصـــر

أقر بالذنب اجـــلالا لسيـــده　　فقام بين يديه وهـــو معتـــذر

فبكى وخر وأن ، وردده مرارا ، وانتحب ، وقام ، وقال : تاب الله عليكـــم .

وخرج ، فتاب صاحب الدار ، وصار أحمد الى مسجد السبت ، فكان منه ما ذكـــر .

قال ابن اللباد : شهد ابن معتب شهادة عند ابن طالب ، وشهد سهل القبرياني بضدها ، فتوقف فى أمرها، ثم قال : اذا ذكر المتعبدون والبكاؤون ذكر ابن معتب معهم ، واذا ذكر أهل التجارات ذكر * سهل معهم ، فأرى أن آخذ بشهادة ابن معتب . (384)

قال أبو على بن البصرى : لم يكن ابن معتب من النفاذ فى الفقـــه ، وغمص الناس عليه أن القاضى ابن طالب كان له مكرما ، وكان حاضـــرا للكلمة التى قالها ابن طالب فى شأن الأمير ابن الأغلب ، التى قتل ابن طالب من أجلها ، وقد ذكرناها ، ودعا الأمير ابن معتب للشهادة عليه ، فشهد بها.

وعذر ابن معتب فى هذا بين ، فى كتم شهادة قد سمع ذلك الجائز أنه حضـــرها .

وقد قيل : انه ما صرح بالشهادة بها ، بل أداره عليها ليلة كاملـــة ، يسامره ويسائله ، وابن الأغلب يتقد غيظا ، وهو يقول له : ما علمته لـــك ولأهل بيتك الا على الاخلاص والاعتقاد المشكور . وأنه لما حقق عليه قال له : ما أحفظ عليه شيئا قاله ، وكذب الناس كثير .

وقيل : بل قال له : كان ما بلغك .

محنته

وامتحن ابن معتب بعد هذا على يد ابن عبدون القاضى ، عدوه ، وذلك أن ابن معتب كان لطيف المنزلة ، سامى المكانة ، يكتب اليه ابراهيم: الى أخى فى الاسلام ، وشقيقى فى المحبة .

فتلاحى مع ابن عبدون ، ووثق بمكانه من الأمير فخذله ، ومكن منه ابن عبدون ، فأدخل رجليه فى فلقة ، وضربها حتى أدماها .

فكان أحمد بن معتب بعد ذلك يقول : أرجو أن تكون هذه النازلة خيرا لى ، أن سلبت محبة ابراهيم بن الأغلب من قلبى .

وكان ابن عبدون هذا من كبار الكوفيين المتعصبين على المدنيين ، فامتحن على يده جماعة من فقهاء المالكية وأهل السنة ، ضربهم ، ونكل ببعضهم ، وأطافهم ، وأغرى الأمير ببعضهم فقتله ، منهم ابراهيم الزمن ، وابن المدينى ، وأبو القاسم مولى مسرية ، وأحمد بن عبدون القصار ، وغيرهم .

ولما مات ابن معتب ، وشهد الناس جنازته ، وباتوا على قبره ، نظر ابن الأغلب ليلة الى ما على قبره من الناس وكثرة الشيوخ ، فقال لابن عبدون : هذا الذى كنت تهون عندى أمره ، انظر عاقبة أمره !

سليمان بن سالم القطان

أبو الربيع القاضى ، يعرف بابن الكحالة ، مولى لغسان ، من أصحاب سحنون .

سمع من سحنون ، وابنه ، وعون ، والحفرى ، وابن رزين ، وداود ابن يحيى ، وزيد بن بشر .

ودخل المدينة ، فحدث عن محمد بن مالك بن أنس بحكاية عن أبيه ، وأدرك موسى بن معاوية ولم يسمع منه ؟

سمع منه أبو العرب وغير واحد .

قال أبو العرب : كان ثقة ، كثير الكتب والشيوخ ، وكان حسن الأخلاق ، بارا بطلبة العلم ، أديبا ، كريما ، سمع منه فى حياة ابن سحنون، ثم كان يقوم مع أصحابه اذا جلس ابن سحنون ، فيسمع منه .

قال ابن حارث : لم أسمع عنه بمكروه .

قال ابن أبى دليم : وكان الأغلب عليه الرواية والتقييد ، وله تأليف فى الفقه ، تعرف كتبه بالكتب السليمانية ، مضافة اليه .

وولاه ابن طالب قضاء باجة ، وولاه ابن مسكين مظالم القيروان، وأذن له أن ينظر فى مائة دينار ، ثم ولاه قضاء صقلية ، فخرج اليها ونشر بها علما كثيرا ، وكان خروجه اليها سنة احدى وثمانين .

قال الشيرازى : وعنه انتشر مذهب مالك بها ، فلم يزل عليها قاضيا الى أن مات سنة احدى وثمانين ومائتين ، ولم يوجد له مال بعد موته .

(385) * يحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكندي

قاله ابن الفرضى ، وقال ابن عائذ : البلوى ، وقيل هو مولى بنى أمية.

أندلسى من أهل جيان ، وعداده فى الافريقيين .

سكن القيروان ، واستوطن سوسة أخيرا ، وبها قبره ، كنيته أبو زكرياء ، نشأ بقرطبة .

ولعامر جده ينسب باب عامر .

فطلب العلم عند ابن حبيب وغيره .

فرحل فسمع بأفريقية من سحنون ، وعون ، وأبى زكرياء الحفرى .

وسمع بمصر من ابن بكير ، وابن رمح ، وحرملة ، وأبى الطاهر ، وهارون بن سعيد الأيلى ، والحارث بن مسكين ، وعبيد بن معاوية ، وأبى زيد بن أبى الغمر ، وأبى اسحاق البرقى ، والدمياطى، وغيرهم من أصحاب ابن وهب وابن القاسم وأشهب .

وسمع أيضا بالحجاز وغيرها من أبى مصعب الزهرى ، ونصر بـن مرزوق ، وابن كاسب ، وأحمد بن عمران الأخفش ، وابراهيم بن مرزوق، ومحمد بن عبيد ، وسليمان بن داود ، ويحيى بن سليمان ، وزهير بن عباد وغيرهم .

سمع منه الناس ، وتفقه عليه خلق ، منهم أخوه محمد ، وأبو بكر بن اللباد ، وأبو العرب ، وعمر بن يوسف ، وأبو العباس الأبيانى ، وأحمد بن خالد الأندلسى ، وغيرهم .

واليه كانت الرحلة فى وقته .

ذكر علمه وفضله والثناء عليه

قال القاضى أبو الوليد : كان فقيها ، حافظا للرأى ، ثقة ، ضابطا لكتبه.

قال ابن حارث : كان يحيى متقدما فى الحفظ ، وسكن القيـروان ، فشرفت بها منزلته عند العامة والخاصة ، ورحل الناس اليه ، لا يـروون المدونة والموطأ الا عنه .

وكان يحيى يجلس فى جامع القيروان ، ويجلس القارىء على كرسى ليسمع من بعد من الناس ، لكثرة من يحضره .

وكان من الوقار والسكينة على ما يجب لمثله ، تأدب فى ذلك بـآداب مالـك .

وكان لا يفتح على نفسه باب المناظرة ، واذا ألحف عليه سائل ، أو أتاه بالمسائل العويصة ، ربما طرده .

قال أبو العرب : كان اماما فى الفقه ، ثبتا ، ثقة ، فقيه البدن ، كثير الكتب فى الفقه والآثار ، ضابطا لما روى ، عالما بكتبه متقننا ، شديـد التصحيح لها ، من أئمة أهل العلم ، وعداده فى كبراء أصحاب سحنون ، وبـه تفقه .

قال ابن أبى دليم : كانت له منزلة شريفة عند الخاصـة والعامـة والسلطان ، وكان حافظا ، وله أوضاع كثيرة ، منها كتب الرد على الشافعى،

وكتاب اختصار المستخرجة ، المسمى بالمنتخبة (392) ، وكتبه فى أصول السنن ، ككتاب الميزان ، وكتاب الرؤية ، وكتاب الوسوسة ، وكتاب أحمية الحصون ، وكتاب فضل الوضوء والصلاة ، وكتاب النساء ، وكتاب الرد على الشكوكية ، وكتاب الرد على المرجئة ، وكتاب فضائل المنستير ، والرباط ، وكتاب اختلاف ابن القاسم وأشهب .

قال ابن أبى خالد فى تعريفه : له من المصنفات نحو أربعين جزءا .

قال : وكان — فيما قال لى غير واحد — ممن لا يتصرف تصرف غيره من الحذاق والنظار فى معرفة المعانى والاعراب .

قال القصرى : كنت أسأله عن الشىء من المسائل ، فيجيبنى ، ثم أسأله بعد ذلك بزمان عنها فلا يختلف قوله على ، وكان غيره يختلف على قوله .

ذكر فضائله واخباره

قال يحيى : رأيت فى منامى كأن سحنون معلم صبيان بيده درة ، فأعطانيها وقال لى : قم على الصبيان .

(386) فأولتها * خلافته فى تعليم الناس .

ودعاه ابن الأغلب الى قضاء افريقية ، واضطره الى ذلك ، فدله على عيسى بن مسكين ، فولاه ، وسلم هو .

قال حمديس : حضرت للأمير ابراهيم عرض القضاء على يحيى ، فقال له : أنا غريب .

فقال : غريب ! غريب !

ثم عرضها على الفريابى أبى جعفر ، فذم نفسه ، وجعل يقول مزريا على نفسه : أعيذك بالله أيها الأمير ! مثلى تولى القضاء ؟

فأعجبنى ذلك منه .

---

392) قوله : « المسمى بالمنتخبة » ساقط من نسخة : ط

وعرضها على حماس فاعتذر .

وعرضت على ابن مسكين فقال : ليس عندى كتب القضاء .

فقال الأمير : من يسمع الناس العلم يسمعهم القضاء .

ثم عرضها عليهم ثانية ، فلما انتهى الى عيسى بن مسكين ، قال : قوموا . وحبسه فولاه القضاء .

قال يحيى بن عمر : كان يمن بن رزق (393) يخرج بحضرتى من تحت حصير جلوسه دراهم لنفقته ، بعد أن فتشته قبل أن يقعد عليه ولم أر تحته شيئا .

وكان يحيى جليلا فى قلوب الناس ، عظيما فى أعينهم .

قال ابن اللباد : كان يحيى بن عمر من أهل الصيام والقيام ، مجاب الدعوة ، له براهين .

قال الحسن بن نصر : ما رأيت أهيب منه .

قيل له : فابن طالب ؟

قال : كانت له هيبة القضاء .

وكان الكانشى يقول : ما رأيت مثل يحيى بن عمر ، وما رأيت أحفظ منه ، كأنما كانت الدواوين فى صدره .

قال : واجتمعت بأربعين عالما ، فما رأيت أهيب لله من يحيى بن عمر .

قال : وأنفق يحيى فى طلب العلم ستة آلاف دينار .

قال الأبيانى : ما رأيت مثل يحيى فى علمه وورعه وكثرة دعائه وبكائه، وكان حريصا على أهل العلم ، يحرض طالبه ، ويشرفه ، والوصف يقصر والله عن يحيى وفضله ، وما يجهل أمره الا جاهل .

---

393) أ : كان يمن بن رزق — ط : كان ابن زريق .

وكان يحيى ألف كتابا فى النهى عن حضور مسجد يوم السبت ، وكان مسجدا بربض المبلس (394) ، بالقيروان ، يجتمع اليه جماعة من أهل الصلاح والفقه والرقة ، ويقرأ فيه القراء ، وينشد أشعار الزهد .

فصلى المغرب رجل مع يحيى ، فلما أكمل الصلاة قرأ الرجل : « ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه » (395) ، الآية ، فبكى يحيى بن عمر ، ثم قال : اللهم انه لم يقرأها لوجهك ، وانما أراد بذلك نقصى ، فلا تقله عثرته .

فوالله ما حمل الرجل من مكانه الا ميتا .

ويقال : مات ليلته .

وحكى أنه مر على محلة قوم يكبرون ، أيام العشر ، فنهاهم ، وقال لهم : هى بدعة .

فلم ينتهوا .

فيقال : انه دعا عليهم ، فصار موضعهم بعد خرابا .

قال الزويلى : كان يحيى بن عمر ، ينصب له كرسى فى الجامع للسماع ، فيجلس عليه يسمع الناس ، وما علمت أنه عمل ذلك لغيره .

قال اللبيدى : سمع عليه خلق عظيم من أهل القيروان ، فى الجامع بالقيروان .

وكان اذا انصرف من الجامع تبعه الناس .

وبينا هو يوما يسمع الناس فى خلق عظيم ، جاءه كتاب من أبى زكرياء يحيى بن زكرياء الأموى ، فلما فكه ، أسكت القارىء ، وقال لمن حضر : صاحب هذا الكتاب من جده على جدى بالعتق . ذكر ذلك تواضعا منه لله .

---

394) أ : المبلس — ط : المسلق .
395) الآية 114 من سورة البقرة .

قال أبو الحسن اللواتى : كان عندنا يحيى بن عمر بسوسة ، يسمع الناس فى المسجد ، فيملأ المسجد وما حوله ، فسأله من بعد عن سماعهم ، فقال لهم : يجزئكم .

وقد ذكر سليمان بن سالم ، أن بعض أصحاب سحنون ، نام حتى قرأ القارىء ما شاء الله ، ثم انتبه * ، قال : فاختلفنا فى سماعه ، فسألنا سحنون ، فقال : اذا جاء للسماع وله قصد فهو يجزىء . (387)

وقال يحيى بن عمر لبعضهم : لا ترغب فى مصاحبة الاخوان ، وكفى بك من ابتليت بمعرفته أن تحترس منه ، انفردوا بأهل العلم ، انفردوا .

وكان فرات يطعن فى سماع يحيى الموطأ من ابن بكير ، ويحلف على ذلك ويقول : انه كان ملازما لابن بكير حتى مات ، وانى لمنصرف من جنازته ، اذ نزل يحيى بن عمر فى مركب فسلم على ، وسألنى عن ابن بكير ، فقلت : هذا منصرفى من جنازته ، فاسترجع وقال : فاتنى الشيخ .

قال الأبيانى : فذكرت قول فرات للقمان بن يوسف ، فقال : كذب فرات ، لقيت بمصر أبا الزنباع روح بن الفرج ، فسألنى عن يحيى بن عمر ، وقال : كيف حاله عندكم ؟

قلت : فى الهواء ، ما يوصل اليه .

فقال : يستحق يحيى ، ما خرج من عندنا حتى احتاج أهل بلدنا اليه ، ولو كان عندنا لكان أكثر مما هو عندكم وأرفع .

فقلت : سمع من ابن بكير ؟

فقال : نعم ، صاحبنى عند يحيى ، سمعنا منه الموطأ

قال أبو بكر المالكى : وكان شيوخنا يقولون : انما جرى ليحيى هذا مع فرات فى سفرته الثانية ، وكان فى الأولى لقى ابن بكير وسمع منه .

وقد جرى له أيضا مثل هذا فى الرواية عن سحنون ، فان أكابر أصحاب سحنون قالوا : ما رأيناه عند سحنون قط ؟

فقال حمديس القطان : نعم سمع من سحنون فى منزله بالساحل .

وكذلك قال يحيى : لم أسمع من سحنون بالقيروان ، انما سمعت منه بالبادية .

قال الحسن بن نصر : كان يحيى بن عمر اذا صلى الصبح وسلم من صلاته ، بقى كذلك على هيئة جلوسه فى صلاته مشتغلا بذكر الله حتى تطلع الشمس .

وذكر أنه رجع من القيروان الى قرطبة بسبب دانق كان عليه لبقال ، فخوطب فى ذلك . فقال : رد دانق على أهله أفضل من عبادة سبعين سنة .

فمضينا الى قرطبة ورجعنا فى سنة ، وبقيت معنا تسعة وستون .

ولما هدمت القبور لانشاء السلطان المراكب الى صقلية ، لم يهدم قبر يحيى ، فكلم فى ذلك بعض السودان ، فقال : نرى على قبره نورا عظيما .

وحضر يوما مجلسه رجل من أهل العراق، فقال يحيى : من كان ها هنا من أهل العراق فليقم عنا .

وكان يحيى ينشد :

هممت ولم أفعل ولو كنت صادقا
عزمت ولكن الفطام شديد

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
اليك انقطاعى اننى لسعيد

محنته ووفاته

قال ابن حارث : كان يحيى بن عمر شجا (396) على العراقيين .

أخبرنى من كان جالسا مع ابن عبدون ، وكان رأسا فيهم ، حتى خطر ابن عمر راكبا ، على رأسه قلنسوة ، فجعل وجه ابن عبدون يتلون شرقا به.

---

396) أ ، ط : شجاعا على العراقيين ، وفى هامش نسخة ط تصحيح : شجا على العراقيين .

فلما ولى ابن عبدون القضاء ، طلب يحيى ، وأخافه حتى توارى منه، وخرج الى سوسة فاختفى بهـا .

فيقال : انه خرج ليلا متنكرا ، فمر على دور بعض أهل العراق ، وبها مشعل ، فخاف أن يروه ، فوقف ، فاذا بريح قد أطفأته ، فجاز ، فبعث ابن عبدون كتابا الى عبد الله بن هارون الكوفى يقول فيه : صح عندى أن ابن عمر متوار بتونس ، فاطلبه وأوثقه وابعث الى به .

(388) قال محمد بن عمر أخوه : فوجه فى الكوفى ❋ ، وعرض على الكتاب ، فقرأته واربد وجهـى .

فقال : لا يسؤ ظنك ، فلم أبعث فيك بمكروه ، ولكن أعجبك مـن ابن عبدون ، يريد منى أن آتى الى امام من أئمة المسلمين ، فأرسل به اليه ليمتهنه ! ان كان أخوك بهذا البلد فهو آمن ، هل هو الا العزل ؟

قال أبو العرب : وذهل آخر عمره ، وتوفى بسوسة فى ذى الحجـة سنة تسع وثمانين ومائتين ، وسنه ست وسبعون سنة .

مولده بالأندلس ، سنة ثلاث عشرة ، ومائتين .

ورثاه سعدون الورخسى بقصيدة أولها :

عين ألم بها وجـد ولـم تنـم ... تبكى بدمع كنظم الدر منسجـم
يا موت أثكلتنا يحيى وكان لنـــا ... فى بلدة الغرب مثل البدر فى الظلـم
ما كان الا سراجا يستضاء بـــه ... فى العلم يسمع منه العلم فى الحلم
وكان يحيى اذا خفنا لنـا حرمـا ... يلجأ اليه فقد صرنا بلا حـــرم
وكان يحيى لنا سيفا نعز به الــ ... ـدين الحنيف ونحمى كل مهتضم
وكان يحيى لنا فى الزائغـين اذا ... ضلوا ، لسانا يبين الحق عن أمم
لتبك يحيى عيون بالدموع فـــان ... غاضت مدامعها فلتبكـه بـــدم
ما كان أشجعه ما كان أورعـــه ... ما كان أفصحه فى محفل الكلـــم
ما كان أفقهه ما كـــان أعلمـــه ... ما كان أحماه عند الخوف للحـرم
ما كان أرغبه فى سنـة درسـت ... يشيدها ببناء الحاذق الفهـــم
ما كان أطهر تلك النفس من ريـب ... ما كان أكتب تلك الكف بالقلـــم

محمد بن عمر

أخوه ، كنيته أبو عبد الله .

سمع الحارث بن مسكين ، ومحمد بن عبد الحكم ، وحسنش بن أصرم ، وابراهيم بن مرزوق ، وأبا الطاهر بن السرح ، وأبا اسحاق البرقى ، ومحمد بن عبد الله البرقى .

وشرك أخاه يحيى فى أكثر رجاله ، الا فى سحنون وأبى زيد وابن بكير ، فلم يسمع منهم .

وسمع من أخيه يحيى ، وابن عبد الحكم .

وسمع بالقيروان ابن عبدوس وغيره من أصحاب سحنون .

سمع منه المصريون وغيرهم : مؤمل بن يحيى وميسرة بن مسلم ، وأبو الحسن الأسوانى ، وأبو حميد الجرجانى ، وعبد الله بن عدى .

وسمع منه أبو سعيد حفيد يونس ، وحمزة الحافظ ، ومن الأندلسيين خالد بن سعيد .

قال أبو العرب : كان ثقة ، كثير الكتب فى الفقه والآثار ، ضابطا لها .

قال غيره : كان من أهل العلم والعقل والدين والثقة .

قال ابن حارث وابن الفرضى : كان كثير الكتب فى الفقه والآثار ، ضابطا ، ثقة ، كثير التجول فى البلاد ، وخرج من القيروان الى مصر عام تسعة وثمانين .

وقال ابن الفرضى : عام سبع وتسعين ، بعد أن كف بصره ، وسمع منه بها الناس .

قال غيره : بل توفى بأقريطش ، وبها ولد ، كان أبوه لزمها للجهاد .

وكانت وفاته سنة سبع وتسعين ومائتين .

وقال الحميدى : توفى بمصر سنة عشر وثلاثمائة .

وله كتاب فى أكرية السفن .

أحمـــد بـــن أبـــي سليمـــان

واسم أبيه داود ، ويعرف بالصواف ، مولى ربيعة .

روى أبوه عن عبد الله بن نافع .

روى عنه ابنه .

(389) قال أبو العرب : كان أبوه من أهل العلم ، وما * علمت الا خيرا .

ويكنى أحمد بأبى جعفر ، من مقدمى رجال سحنون .

وسمع من أبيه أبى سليمان .

وسمع منه أبو العرب ، والناس .

قال ابن أبى سعيد : كان حافظا للفقه ، مقدما فيه ، مع ورع وصيانة لعلمه ، أديبا ، راوية للشعر ، كثير القول له ، أحد كبار المالكية ووجوههم.

قال أبو العرب : كان شيخا صالحا ، ثقة ، فقيها ، كريم الأخـــلاق ، بارا بمن قصده ، مسارعا فى حوائجه ، وكان يلبس المبساة الطويلة .

قال عيسى بن مسكين : أحمد بن أبى سليمان حكيم .

قال غيره : كان أكثر كلامه حكمة .

قال الباجى : هو فقيه .

قال ابن حارث : كانت له بالشعر عناية فى أول أمره ، فلما صار الى درجة العلم وصحبة العلماء ، ترك قوله .

قال : ولم يكن معدودا فى أهل الحفظ ، ولا فى أهل المعرفة بما دق من العلـــم .

قال ابن أبى سليمان : أتى بى أبى الى سحنون ، سنة سبع عشرة ومائتين ، لأسمع منه ، فاستصغرنى ، وأجاز لى جميع كتبه ، ثم صحبت سحنون بعد ذلك عشرين سنة .

وعمر ، وكان سبب طلبه للعلم فيما حكاه ، أنه قال : كنت أولا أطلب الشعر ، فرأيت فى المنام كأنى على حائط يرجف ، ونار عظيمة ، وأنا أخاف أن أقع فيها ، فاذا حلقة رجال فيهم أبى ، فكنت آنس اليه ، فيقول لى : لا تخف ، ارم نفسك فى حلقة سحنون تنج .

وكان أحمد يفتى فى الذى يفتح حوانيت فى الشارع قبالة دار رجل ، أنه يمنع .

وكذلك كان يقول فى المرأة تودع وديعة ، فترفعها عند زوجها فتضيع الوديعة ، أنها غير ضامنة كالرجل يستودع الوديعة امرأته .

وقال غيره : المرأة ضامنة ، بخلاف الزوج .

وقال فى رجل رمى زوجتيه : ان له أن يلاعنهما فى واحد ، وعلى كل واحدة منهما لعان .

قال : ولو قامت احداهما فلاعن لها ، ثم أتت الأخرى ، جدد لهما اللعان .

وقال أيضا : يجزئه لعانه للواحدة عن الأخرى ، وان قامت بعد .

قال حبيب بن ربيع : وهذا اذا كانت غائبة ، مما فيه كلفة ، فيلاعن مخافة لحوق الولد .

وكان أحمد يصبر على السماع .

قال الدباغ : أسمع الناس عشرين سنة ، وكان يقول : أنا حبس، وكتبى حبس . وحفز قوما السفر ، فرغبوا له فى الصبر عليهم ، فجلس لهم أياما .

وقال :

سألبس للصبر ثوبا جميلا   وأفتل للصبر حبلا طويلا
وأصبر بالرغم لا بالرضى   أخلص نفسى قليلا قليلا

وفى كبر سنه يقول ، من قصيدة طويلة :

دعيت معلما اذ صرت شيخـــا وأيام الشبيبة كنــت بـــورا
لئن كان المشيب أتــى نذيـــرا فانى سوف أدعــوه بشيـــرا
فأهلا بالمشيــب لنــا لباســا وقارا نستزيد لــه وقــورا
وجزت بتسعة سبعيـن عامـا وقد ضمنت أصحابـى القبـورا
وصرت كراكع يمشــى دبيبـا وأصبح خاسئا بصرى حسيـرا
وألقى الدهر فى أذنــى وقــرا وفى بدنى وفى بطنـــى فتـورا
وفى فقه الفقيه أبى سعيـــد رأيت الحق متضحـــا منيـــرا
(390) ❋ لزمت فناءه عشرين عامـــا أغاديـــه وأغشــاه هجيـــرا

ومن شعره فى هذا المعنى قوله :

أرى البرق من نحو العذيب توقدا تغيب طورا لمعـــة وتـــرددا
أفق أيها الباكى المسائل منـــزلا تشتت منـــه أهلـه فتبـــددا
كفى عجبا أنا جهلنـاه ما خـــلا ملاعب ولدان ونؤيـا وموقـــدا
ألفت به غيداء اذ هى نـاهـــد وأن كنت مومق الزيادة أمردا
وكنت قريبا اذ دعتنى ابن عمهـا فلما دعتنى عمها كنـت مبعـــدا
وكن نساء الحى يهوين طلعتـــى ليالى كان الشعر أرجل أسـودا
فلما اكتسيت الشيب صرت الى النهى وأصلحت من شأنى الذى كان مفسدا
لبست به ثوب الوقـــار وكلمـــا بليت وأبليت الثيـاب تجـــددا
جزى الله طول العمر خيرا فانــه حدانى الى التقوى ودل وأرشـدا
ولما نحى عمرى ثمانين حجـــة وأيقنت أنى قد قربت من المـدى
تركت تكاليف الحيـاة لأهلهـــا وجانبتها طوعا فجانبنى الـردى
رأيت حليم القوم فيهم مقدمـــا ومن نال علما نال جاها وسـؤددا
ويحبى من الزلفى غدا فى معـاده بأضعاف ما يحبى الذى قد تعبدا
أرانى بحمد الله فى المال زاهـــدا وفى شرف الدنيا وفى العز أزهـدا
تخليت من دنياى ، الا ثلاثـــة دفاتر من علم وبيتا ومسجـــدا
غنيت بها عن كل شىء حويتـــه وصرت بها أغنى وأقنى وأسعـدا

وقد ذم قوم ما فعلت جهالـــة فعدوا من الجهال فى الجهل أحمدا
ولو فهموا أمرى ورأيى لأبصـروا وقالوا : رأى رأيا رشيدا مسددا

وهى أطول من هذا ، وهو القائل :

يا لذة قصرت وطـال بلاؤهــا عند التذكـر فى الزمـان الأول
لما تذكرهـا وقـال ندامـة من بعدها يا ليتنى لم أفعـل

ومن منثور كلامه الحسن قوله : يا طالب العلم ، اذا طلبت العلـم فاتخذ له قبل طلبه أدبا تستعين به على حمله ، ومن أدب العلم الحلـم ، والحلم كظم الغيظ ، وأن يغلب حلمك وعلمك هواك ، اذا دعاك الى مـا يشينك ، وعليك بالوقار ، والتعفف ، والدراية ، والصيانة ، والصمـت ، والسمت الحسن ، والتودد الى الناس ، ومجانبة من لا خير فيه ، والقول الحسن فى اخوانك ، والكف عمن ظلمك ، ولا تهمز أحدا ، ولا تلمزه ، ولا تقل فيه ، ولو كان عدوك .

وقال : وليس شىء أروح على الأبدان من الزهادة فى الدنيـا ، ولا للقلوب أروح من القناعة .

وقال : أنا أحمد الله على ما يضام من أملى ، ما أهتم بشىء .

وتوفى ابن أبى سليمان فى آخر رمضان ، سنة احدى وتسعـين ومائتين .

(391) مولده سنة ست ومائتين ، كذا وجدته ❋ بخط ابن حارث

وفى كتاب ابن الجزار : مولده سنة ثمان .

حبيب بن نصر بن سهـل التميمي

صاحب مظالم سحنون ، ومعدودا فى أصحابه ، وعنه عامة روايته ، كنيته أبو نصر ، كان من أبناء الجند القادمين افريقية .

قال أبو العرب : وكان فقيها ثقة حسن الكتاب والتقييد ، سمع مـن سحنون ، وعون ، وعبد العزيز بن يحيى المدنى ، وغيرهم .

وروى أيضا عن عبد الله بن عفير .

قال ابن حارث : كان نبيلا فى نفسه ، وقد أدخل ابـن سحنـون سؤالاته لسحنون فى كتابه ، ولاه سحنون المظالم ، سنة ست وثلاثين .

وقال غيره : سنة سبع وثلاثين ، فوليها ست سنين ، بقية حياة سحنون ، ثم بعد موته سنتين ، وكان سحنون أذن له أن يحكم فى عشرين دينارا فأقل .

قال بعضهم : سألت حبيبا : كيف ولاك سحنون المظالم ؟

فقال : والله ما ظننت ذلك قط مع غيره ، فكيف معه ! وذلك أنى تأخرت يوما عنه ، فسأل عنى ، فأخبره أصحابى أنى غسلت ثوبى ، فلما أتيته من غد ، وجلست اليه ، قال لى : قم يا حبيب ، فقد وليتك مظالم القيروان .

ثم قال لى : اتق الله يا حبيب ، الذى اليه معادك ، ولا تؤثر على الحق أحـدا .

وقال لاثنين من أصحابه : امضيا معه حتى يجلس فى مسجد البركة ، وينظر بين الناس .

فما كنت أحكم فى شىء منه سهل حتى أشاوره .

وكان حبيب جيد النظر ، وامتحن بعد هذا على يد سليمان بن عمران القاضى ، فسجنه وضربه .

ويقال : لما ولاه سحنون أرسل معه نحو عشرة من أصحابه ، وقال : أكفوه الكلام اليوم حتى يأنس .

ففعلوا ، وكفوه الكلام فى اليوم الأول والثانى والثالث ، حتى أنس وتركوه .

توفى سنة سبع وثمانين ومائتين ، فى رمضان ، وسنه ست وثمانون.

ولد احدى ومائتين .

وصلى عليه حمديس القطان .

وله كتاب معروف فى مسائله لسحنون ، سماه بالأقضية .

جبلة بن حمود بن عبد الرحمان بن جبلة الصدفي

أبو يوسف ، من أبناء القادمين مع حسان بن النعمان ، أسلم جده على يد عثمان بن عفان .

سمع من سحنون ، وعون ، وأبى اسحاق البرقى ، وداود بن يحيى، وغيرهم من المصريين والافريقيين .

وله ثلاثة أجزاء ، مجالس عن سحنون ، رويت عنه .

وقد روى عن سحنون المدونة ، وروايته فيها معلومة (397) .

وكان أولا يسمع كلام العراقيين ، ويجلس الى محمد بن أسباط ، ثم ترك ذلك ، وصحب سحنون .

روى عنه أبو العرب ، وعبد الله بن أبى عقبة ، وعبد الله بن سعيد .

قال ابن حارث : كان من أهل الخير البين ، والعبادة الطاهرة، والورع، والزهد ، وكان الغالب عليه النسك والزهد .

ذكر زهده وعبادته وفضله

قال أبو العرب : كان صالحا ثقة زاهدا ، كان يكون بقصر طوب ، ثم لزم القيروان ، فسمع منه الناس ، وكان صحيح السماع من سحنون ، ثقة.

قال أبو الغصن : رحم الله أبا يوسف ، فلقد كان سيد أهل زمنه .

وقال سحنون وقد رآه مقبلا : ان عاش هذا الشاب فسيكون له نبأ ، وهو أزهد أهل زمانه (398) .

قال بعضهم : ما رأيته قط يذكر الدنيا بمدح ولا ذم .

وقال أبو موسى : ما رأيت أزهد من جبلة .

---

397) وردت هذه الفقرة فى نسختي : أ ، ط ، كما يلي « وقد روى عن سحنون المدونة ، وروى كتبه فيها معلومة » ، ووردت فى الديباج فى ترجمة جبلة بن حمود ص 103 : كما يلي : « وقد روى عن سحنون المدونة ، وروايته فيها معلومة » .

398) هذه الفقرة ساقطة من نسخة ط .

(392) وحضر جنازة مع حماس وسعيد بن الحداد ، فقال له * سعيد : تقدم يا أبا يوسف ، فأنت أزهد منا وأسن منا وأعلم منا .

قال ابن سعيد : كان جبلة من أفضل رجال سحنون ، وقد علاهم في الزهد ، وكان أول شأنه لما نشأ وتعلم كتاب الله ، حببت اليه دار سحنون فكان يختلف اليه ، وكان أبوه يصحب السلطان ويرى رأى أهل العراق ، فأراد جبلة يوما الرواح الى سحنون ، فأخذ أبوه طاشيره ورفعه ، لئلا يجد ما يمضى به ، فأخذ جبلة مقنعة أمه ، وتردى بها ، ومضى الى سحنون ، فسأله ، فأخبره جبلة ، فأعطاه سحنون مدرجا .

فلما خرج به لحقه رجل ، فعوضه منه بثوب قطع منه ثوبا وطاشيرا.

فمضى بها الى سحنون ، فسأله عن المدرج ، فأخبره ، فقال : غبنك.

قال ابن حارث : وكان أبوه من أهل الأموال وصحبة السلطان ، فنابذه فى حياته ، وتبرأ من تركته بعد مماته ، وكانت تركته نحو ثمانمائة مثقال .

وقيل : بل قال : ما علمت منه الا خيرا ، الا أنه كان يقتضى من ثمن الطعام طعاما ، وهذا جائز عنده على مذهبه ، وعندنا غير جائز .

وشهد على أبيه فى حياته ، أنه قتل رجلا عمدا ، عند بعض القضاة ، فعرض أبوه بالطعن عليه ، فقال له القاضى : والله لئن شهد عليك معه اثنان لأسفكن دمك .

قال أبو العرب : خرج علينا يوما ، فقوم بعض أصحابه لباسه ، وذلك قميص وغلالة وسراويل ومنديل أكاف ، وكل ذلك خلق ، بدرهم غير ربع .

قال أبو سعيد بن محمد بن سحنون : كانت مع جبلة همة يتيه بها على الخلفاء .

قال موسى القطان : من أراد أن يدخل دار عمر بن الخطاب فليدخل دار جبلة ، ولو أن جبلة فى زمان بنى اسرائيل أتت الينا أخباره فى الكتب، ولو فاخرنا بنو اسرائيل بعبادهم وزهادهم ، لفاخرناهم به .

وقف موسى القطان على قبره صبيحة موته ، فقال له رجل : لقد وفق الله جوار هذا الرجل الصالح ــ يعنى البهلول بن راشد ــ نفعه الله به .

فقال القطان : فلعل البهلول ينتفع بأبى يوسف .

قال بعضهم : قلت لسعيد بن الحداد : ذكر لى أن جبلة كان ينام على زنبيل وقطع نطع ، وطوبة عند رأسه فوقها وسادة .

فقال سعيد : هو فوق ما تصف .

قال عبد الله بن سعيد : وكان جبلة لا يحب ما ظهر من الأعمال ، كانت أعماله كلها خفية ، خلا الزهد ، فانه كان يظهر عليه .

قال أبو بكر الزويلى : كان قوت جبلة فى الشهر ثمنين شعيرا ، يطحنها ويحملها فى قلة ، فاذا رأى الشمس تغيرت ، خرج الى الفحص ، فأخذ ما وقع على يديه من بقل البرية ، فجعله فى قديرة على النار ، ويجعل عليه قبضة من الدقيق ، ويفطر على ذلك ، هذا كان عيشه .

قال ابن سعدون : رأيته حين صلى المغرب أخذ عجينه ، وذهب به الى المستوقد ، وقد طبخ فيه الناس وبقى الرماد ، فحفر فيه بعود ، وجعل القرصة فيه ، وغطاها بالرماد ، وجلس فى ذكر ودعاء الى أن أخذت قشرة، فأخرجها ونفضها ، فقلت لأهل القصر : شيخ مثل هذا، ساكن بين أظهركم، يخدم نفسه ! !

فقالوا لى : يا أبا بكر ! له معنا أربعون سنة ما طبخ قدرا ، ولا أوقد سراجا .

وراح يوما فى قميص زوجته الى الجمعة ، وكان غسل قميصه ، لم يجد سواها ، فقيل له فى ذلك ، فقال : ما علمت منه الا خيرا ، طاهرة عفيفة .

وكان كثير الصدقة والمعروف ، مع قلة ذات يده .

ذكـر ما كـان مـن كراماتـه ودعواتـه

(393) * قال محمد بن بشر المؤدب : مضى بى أبى وأنا صغير الى المرابط بقصر الطوب ، فدخلنا على جبلة ، فقال لقد أضمرت اليوم أن أفطـر ، وسألت الله أن يأتينى بمن أفطر معه ، فأخذ شقفة وجعلها على نـار ، فطبخ عليها عصيدا ، فأكلنا فيها ، فكانت قدرنا وصحفتنا .

ثم قال : يا بنى ! اشته ما شئت .

فخطر ببالى تين أخضر ، وليس بزمانه ، فذكرت ذلك له ، فمد يده جبلة فى قلة ، فأخرج لى خمس تينات خضـر .

قال أبو ميسرة : كنت آتى الى جبلة ، فأستأذن عليه ، فأسمع معه كلاما غير كلامه ، فأدخل فلا أرى معه أحدا ، فأسأله فى كتاب لأختبر ما فى البيت ، فيقول لى : خذه من البيت ، فلا أجد فى البيت أحدا ، فكـان يذكر أنه يجتمع بالخضر .

وأمر يوما فتى بشىء فلم يفعل، فقال له : سماك أبوك سحنونا (399) ويأتى الناس منك شر ! أو نحو هذا ، فبعد قريب تولى المحرس بالقيروان.

وقال لآخر من أصحابه : ليس يكون الا شرا من أبيك ، وكان أبوه على المحرس ، فبعد ذلك تشرق الفتى .

ودخل على جماعة من أصحابه وهم يضحكون ، وقد رفعوا أصواتهم، فقال لهم : لاينفعكم الله بالعلم .

قال ابن أبى عقبة : فما علمت أن أحدا منهم ذكر .

ولما خرج أهل القيروان للقاء الشيعى ، مداراة له ، غمه ذلك ، وقال : اللهم لا تسلم من خرج يسلم عليه .

فجردوا فى الطريق .

---

399) وردت هذه العبارة فى نسخة أ : كما يلي : « ابوك أبوك سحنونا ويلقى الناس منك شرا » — ووردت فى فى نسخة ط كما يلي : « سماك أبوك سحنونا ، ويأتي النـاس منـك شـر » .

فقيل له : انهم خرجوا مداراة .

فقال : اسكت أرأيت لو نزل الروم بنا ، فقالوا : انما تنزلون على حكمنا أو نجاهدكم ، هل كان يجوز أن ننزل على حكمهم ؟ وان عشت سترى من أحكام هؤلاء ما هو شر من أحكام الشرك !

وكان رجل من المتصوفة يحضر مجلسه ، فاذا سمع شيئا من الرقائق عصر عينيه ، فيقول له : لست من أهل هذا .

فلما دخل الشيعى صار يخدم كتابه .

وكان جبلة اذا رأى ابن غازى فى أول أمره وعبادته وتصوفه ورباطه وطلبه العلم ، يقول : هذا الرأس ليس يموت على الاسلام .

فلما دخل عبيد الله ، تشرق ابن غازى ، بعد الاجتهاد فى العبادة ، وسكنى الثغور ، وطلب العلم ، ودخل فى دعوتهم ، وقال بالاباحة (400)، وكان ممن قال لعبيد الله : أنت أنت .

ذكر شدته على أهل البدع ومجانبته اياهم وقوته فى ذات الله عز وجل

كان رحمه الله شديدا فى ذلك ، لا يدارى فيه أحدا ، ولم يكن أحد أكثر مجاهدة منه للروافض وشيعهم ، فنجاه الله منهم .

ولما دخل عبيد الله افريقية ، ونزل رقادة ، ترك جبلة سكنى الرباط ونزل القيروان ، فكلم فى ذلك ، فقال : كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر ، والآن حل هذا العدو بساحتنا ، وهو أشد علينا من ذلك .

فكان اذا أصبح وصلى الصبح ، خرج الى طرف القيروان من ناحية رقادة ، معه سيفه وترسه وقوسه وسهامه ، وجلس محاذيا لرقادة نهاره الى غروب الشمس ، ثم يرجع الى داره ، ويقول : أحرس عورات المسلمين منهم ، فان رأيت منهم شيئا حركت المسلمين عليهم .

---

400) ط : وقال بالاباحة — أ : وقال بالاجابة .

وكان ينكر على من خرج من القيروان الى سوسة ونحوه من الثغور، ويقول : جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشرك .

قال الفقيه ابن سعدون القروى · لما دخل عبيد الله الشيعى القيروان، وخطب أول جمعة ، وجبلة حاضر ، فلما سمع كفرهم قام قائما ، وكشف عن رأسه حتى رآه الناس ، وخرج يمشى الى آخر الجامع ❋ ويقول : قطعوها قطعهم الله !

(394)

فما حضرها أحد من أهل العلم بعد هذا .

ولما ولى الصدينى القضاء أيام أحمد بن الأغلب ، كان جبلة يصلى فى مسجده الظهر أربعا ، بأذان واقامة .

فقال المؤذن : ترى أن أؤذن وأقيم فى داخل المسجد ، فلأن الوقت حـــاد .

فقال له : تؤذن وتقيم فى الصحن ، والا الزم دارك ، لو منعنا أحد من الصلاة رميناه بالنبل .

وأنكر عليه أحمد بن أبى سليمان التجميع مع اقامة الجمعة ، فقال له جبلة : قد قال مالك فى المسجونين : يجمعون فى السجن لأنهم منعوا مـــن الجمعة ، فنحن قد أقمنا أنفسنا مقامهم .

وكتب الصدينى الى ابن الأغلب يخبره بما فعل جبلة من ذلك ، فأرسل اليه : مد يدك الى من شئت ، واحذر جبلة .

وجاءه صاحب المحرس ، فقال له : يقول لك الأمير : كرر الاقامة ، وسلم اثنتين ، ولا تقنت .

فقال له جبلة : الأمير لا يعلمنا أمر ديننا .

وجاءه آخر بمثل ذلك من قبل القاضى المروروذى ، وبقراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، وزيادة حى على خير العمل ، فى الأذان .

فقال له جبلة : مر ، قبحك الله ، وقبح من أرسلك .

فرجع الرسول الى المروردى فأخبره .

فسبه المروردى وقال له : أنا أرسلتك الى جبلة ؟ تأتى الى أولياء الله تتعرض بر دعائهم !

وتجسس عليه يوما صاحب المحرس ، فأخذه جبلة ، فأدخله المسجد ، وضربه بالجريد ، ولم يتركه حتى تاب ألا يعود اليه .

وقال القابسى : انما سلك السبائى فى هذا الباب ، مع بنى عبيد ، طريق جبلة .

ولما ولى ابن عبدون ، وكان عراقى المذهب فى القضاء ، جاء الى القصر الذى فيه جبلة فخرج اليه أهله فتلقوه ، ولم يخرج جبلة ، فقيل له : ابن عبدون ياتيك يسلم عليك .

فأتى ابن عبدون ، فوقف على بابه ، فسلم عليه فلم يرد عليه ، وقال له وهو جالس : ما اسمك ؟

قال : محمد .

فقال له : يا محمد ! اياك أن تقول : القرآن مخلوق .

وحضر جنازة مع ابن عبدون ، فقدم جبلة ، فصلى ابن عبدون وراءه، ثم حضرت أخرى فتقدم عليها ابن عبدون ، ولم يصل جبلة ، وانصرف من جهة القبلة ليراه الناس ، فشق ذلك على ابن عبدون ، وأرسل اليه فى ذلك ، وقال له : أتظن أنى أقول بخلق القرآن ؟ ما أقول به .

فقال له جبلة : أمرك عندى أشد ، ألست الذى ضربت ابن معتب ، والذهبى ، وفلانا ، وطفت بهم السماط ، وتنادى عليهم : حزب الشيطان، وهم رجال سحنون، وأخذ عن رجال مالك ، عن التابعين، عن الصحابة، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن أخبار جبلة فى أمور دنياه وبلهه فيها ، ما حكاه المالكى :

أن كانونه الذى يصطلى به مرة انكسر ، فالزقه بالزفت !

وأنه رىء مرة يروح على ماء فى اناء ، فسئل : فقال : اشتهيت الماء البـارد .

ووجد بعض جيرانه قد صنع بيصارا ، وجعله فى صحفة فوق السطح ليجمده ، فقال جبلة : مساكين ! غفلوا عن بيصارهم حتى جمد ، فصب لهم فيه الماء ، فجاء القوم فصاحوا : من أفسد علينا بيصارنا ؟ فقال لهم جبلة : أنا ، لا تظنوا الا خيرا ، ظننت أنه فسد .

ولم يكن جبلة بصيرا بشىء من أمر دنياه ، ولا مشتغلا بشىء من أخبارها من البله عن ذلك ، انما شغله العبادة والخير .

وكان له قبل انسان أربعة دنانير ، فتعذر عليه اعطاؤها ، فصالحه خادم * جبلة على أن يدفعها نجوما ، ربع دينار فى كل شهر ، وأخبره بذلك . (395)

فقال له : ربع مثقال كثير ، ولا أراه يقدر عليه ، ولكن خذ منه أربعة دراهم فى كل شهر .

وصرف المثقال اثنا عشر درهما .

فقلت : ربع مثقال أقل من أربعة دراهم .

فقال لى : حسن اذن .

قال القابسى : دخل جبلة يوما على سحنون ، وعليه أخلاق ، فلما مر به السماع ، وخرج الناس ، دفع سحنون اليه شقة ورداء ، وقال له : اقطع من هذه الشقة قميصين ، والبس الرداء .

فلما خرج ساومه بهما قوم من أصحابه ، فلم يزالوا به حتى اشتروا ذلك منه بأربعين درهما .

فبلغ ذلك سحنون ، فقال له : اشتروا منك ما عرفوا ، وبعت ما لم تعرف .

توفى فى صفر سنة تسع وتسعين ومائتين .

وصلى عليه محمد بن محمد بن سحنون ، فى مصلى العيد ، لكثرة من اجتمع من الناس .

ومولده سنة عشر ومائتين .

حمديس القطان

واسمه أحمد بن محمد الأشعرى ، يقال انه من ولد أبى موسى الأشعرى ، من أصحاب سحنون .

ورحل فلقى بالمدينة أبا مصعب وغيره ، وبمصر أصحاب ابن القاسم وابن وهب وأشهب .

قال ابن حارث : كان علما فى الفضل ، ومثلا فى الخير ، مع شدة فى مذاهب أهل السنة ، وحنق عظيم فى التجنى على من ينحرف عن طريقة أهلها ، لا يسلم على أحد منهم ، وكان قد لهج الناس بتفضيله ، وأقروا بخيره ، وبه وبعبد الجبار يضرب المثل فى العبادة والدين ، وكان صاحبا له.

قال ابن عياش : كان ورعا كاملا ثقة مأمونا .

قال أبو العرب : كان كثير الكتب ، شأنه العبادة ، مجانبا لأهل الأهواء وللسلطان ، هجر عبد الجبار بسبب قراءة كتب ابن مهدى البكرى، وكان لا يسلم عليه ، ولا يرد عليه اذا سلم .

وهجر حماسا بسبب مخالفته فى الاستثناء فى الايمان ، ولم يصل خلفه ، ولا يرد عليه اذا سلم (401) .

وسئل فى القعود للناس ، فامتنع ، ورأى أن فى عصره من يقوم مقامه ، ويقول : ثم من يقوم بهذا ، ولم يلزمنى .

قال أبو سعيد بن محمد بن سحنون : لما اعتل حمديس أحضرنا له طبيبا ، فتبسم وقال : ما أقبح المخالفة بعد الموافقة ، من أراد الله به حالا، وأراد هو غيره ، أليس قد خالف ؟ ثم قال :

---

401) هذه الفقرة ساقطة من نسخة : ط .

بيـد اللــــه دواءى الــذى يعلـم داءى
انمـا أظلـم نفسـى باتباعـى لهـواءى
كلما داويـت نفسـى غلــب الــداء دواءى

وكان لا يسلك على القناطر التى بناها أصحاب السلطان .

وحضر مرة مع ابن عبدون القاضى ، فأتى بجنازة فصلى عليهـا حمديس ، فصلى وراءه القاضى ، ثم أتى بأخرى فصلى عليها القاضى ، فلم يصل وراءه حمديس ، فمضى القاضى ابن عبدون الى ابن الأغلب ، فذكر له القصة ، وقال له : أكثرت على من ذكره ! ما صح عندك من أمره فأنفذه.

فشاور فى ذلك بطانته ، فقالوا له : ليس لك شىء تصل به اليه ، الا أن تنهاه بألا يجتمع اليه أحـد .

فأوصى بذلك اليه ، فقال حمديس : المساجد لله ، ولا أمنع أحدا من دخولها ، وأنت أقدر ، فاجعل على باب المسجد من يمنع من أراد منعه .

فقيل لابن عبدون : لا يمكنك هذا .

فوجه اليه : يدخل اليك من شاء .

فقال حمديس : لا أمنعهم ، ولا أتركهم بتركك .

ثم عزل ابن عبدون ، فاجتمع الناس لطلبه والشهادة عليه عند الأمير، ما خلا حمديس ، فانه قال للأمير لما سأله : بلغنى ما بلغ الأمير .

(396) ثم تنحى عنهم * الأمير بمكان يسمع كلامهم ، فقالوا لحمديس : ما منعك من الشهادة ؟

فقال : انما كنتم تطلبون عزله ، وقد عزل .

ثم عاد الأمير فسأله ، وقد ظن أن أصحابه يردونه ، فقال : أكذب نفسى على لسانى ؟

وقد كان لا يرى الصلاة مع ابن عبدون ، ولا أداء الشهادة عنده ، وينهى الناس عن ذلك .

وحضر مع أحمد الصواف جنازة دعى لها الصواف ، فقدم لها حمديس، فقال : لا أفعل .

فقال أحمد : ذلك لى جائز اذ قدمونى أن أقدمك ، فانى لأستحيى من الله ان أقدم بين يديك .

وكان ينكر فعل هؤلاء الذين يجتمعون للتغيير ، ويدقون صدورهم ، ويقول : لو كان لى من الأمر شىء لنفيتهم من المنستير .

وكان لا يصلى خلف أهل البدع ومن يخالفه ، وفعل ذلك هو وابن سحنون ويحيى بن عمر ، حين ولى الصلاة ابن أبى الحواجب ، وكان يتهم بالرفض .

وفعل ذلك سحنون بغيره .

وترك الصلاة خلف القاضى سليمان بن عمران فى جنازة ، فجاء انسان فأخبر بذلك سليمان ، فقال له سليمان : لعله كان على غير وضوء !

قال : لا والله ، فانه صلى بعدك على جنازة .

فقال سليمان : خل الناس على ما هم عليه .

واستحضره ابراهيم فسأله عن مسألة ، فلم يجبه ، فكرر عليه فلم يجبه ، فقال له : ما لى أسألك ولا تجيبنى ، والله لئن ضربت بمخالبى فيك، لأفعلن بك كذا ، وكذا .

فقال حمديس : والله لهو أهون على من أن تمسح يديك على ذنبى ، انما سؤالك فى تفكه ، ليس لتعمل به .

وكان كثير التواضع والاشفاق · لا يرى لنفسه قدرا .

ذكر ابن خيران أن رجلا ذكر له ، أنه رأى فى المنام امرأة ، كانت مسرفة على نفسها ، فى منظر حسن ، وحال حسن ، فسألها عن سبب ذلك، لما يعرف من كثرة اسرافها ، فقالت له : ان حمديس سئل أن يصلى على فطلى ، وشفع لى فشفع فى .

فنظر له حمديس نظرة منكرة ، وقال : ما يحسن أن أقول يا هذا الا كما قال محمد بن كعب القرظى لعمر بن الخطاب : لا يغرنك حسن ثنـاء المادحين ، فلن ينفعك ما قالوا فيك ان لم يكن ذلك فيك ، فأنت أعلم بنفسك من مقال القائلين ، فان يكن فيك ما قالوا ، فلا يضرك لو سكتوا وان لم يكن فيك فلن ينفعك ما قالوا .

ثم قال للرائى : نامت عينك ، انصرف اذا شئت .

قال حمديس : أحضرنى الأمير ابراهيم بن أحمد ، مع يحيى بن عمر ، فأقمنا عنده الى الليل ، وأصابنا مطر ، ثم أمرنا بالانصراف ، فخرجنا فى ظلمة ومطر ، لا نهتدى أين نمضى ، اذ سمعت صوتا بحمديس ويحيى بن عمر ، فعدل بنا الى دار دقت دقا عنيفا ، ففتح لنا ، فاذا هى دار ولده أبى العباس الأمير ، فقال له : يأمرك الأمير أن يبيت عندك الشيخان الليلة .

فدخل بنا الى بيت من الدار ، وأتى الينا بشمعة ، فقلت للخادم : ان رأيت أن تنحى عنا هذه الشمعة فافعل .

فقال : انما فعلته اكراما لكما .

فنحاها ، فأما يحيى بن عمر فنام على بعض فراش البيت .

فلما كان بالغداة ، أرسل الينا أبو العباس : لا تصلوا حتى أصلى معكمـا .

فخرجت الى الطريق ، فتوضأت من الماء المستنقع فيه ، ثم خرج ، وجعل يسألنى عن أشياء ، فقلت : ما شئت أن تسأل عنه من شىء فعليك بالشيخ — يعنى ابن عمر — فانك تجد عنده ما تريد .

فسأل عن أشياء ، ثم صلى بنا يحيى بن عمر .

وجاء رسول الأمير ابراهيم يستدعينا ، فدخلنا عليه ، وطال المجلس فى المذاكرة والحديث ❋ فقال لى : من أين عيشك ؟ وفى كم أنت مـن العيـال ؟ (397)

قلت : فى ستة ، ونحن من الله فى ستر جميل ، ثم قلت له : لى الى الأمير حاجة .

فنشط لها ، وقال اذكر .

قلت : تعافينى من المجىء اليك فى هذا المجلس ، فانك لا تجد عندى ما تريد ، مما يكون عونا لك .

فسكت ساعة ، ثم قال : قد فعلت

فقال يحيى بن عمر : وأنا أيها الأميـــــر .

فقـــال له : لا ، لســت أفعـــل .

قال : ثم وجه الى حين ولى ابن مسكين القضاء ، فقلت للرسول : قد سألته فعافانـــى .

فقال لى : لا تفعل ، يأتيك صاحب المدينة فيمضى بك .

فقلت : مشافهته أكثر من ارسالـــه .

فانصرف الرسول ، وجاءنى أحمد الصواف ، وقد بلغه الأمر ، وكان لى أخ صدق ، فقال لى : لا تفعل ، أخشى أن يكون هذا منه مكرا ليجـد اليـك السبيـــل .

فتوجهت ، فلما دخلت غضب على ابنه وقال له : والله ما وجهت اليه . كـالمعتـــذر .

فقلت : والله ما أتيتك الا اتقـــاء .

فقال لى : اجلس ، فلعل الله أن يجعل فى مجيئك بركة ، وذكر قصة ولايـــة ابـــن مسكـــين .

توفى سنة تسع وثمانين ومائتين ، وصلى عليه محمد بن محمد بـــن سحنـــون .

مولده فى رجب سنة ثنتين ومائتين .

حمديس بن ابراهيم بن أبي محرز اللخمي

من أهل قفصة ، ونزل مصر ، وبها توفى .

قال أبو العرب : هو فقيه ثقة .

سمع بالقيروان ، ومصر ، من ابن عبدوس ، ومحمد بن عبد الحكم ، ويونس الصدفى ، وكان لقمان الفقيه يتكلم فيه .

وله فى الفقه كتاب مشهور فى اختصار مسائل المدونة ، رواه عنه مؤمل ابن يحيى ، والناس .

توفى سنة تسع وتسعين ومائتين .

ثابت بن سليمان

قال اللبيدى كان رجلا جليلا فى أصحاب سحنون .

قال يحيى بن عمر : اذا رأيت محمد بن سحنون يقول : حدثنى الثقة عن سحنون ، فهو ثابت بن سليمان .

وكان ثابت بقصر زياد ، وكان يسمى قصر زياد ، المرابط بساحل افريقية ، دار مالك ، لكثرة من فيه من العلماء والعباد والصالحين من أصحاب مالك .

قال اللبيدى : كان به من أصحاب سحنون أربعة عشر رجلا .

عبد الجبار بن خالد بن عمران السرتى

أبو حفص ، من كبار أصحاب سحنون ، وسمع من السجلماسى ، والحفرى ، وغيرهم .

وسمع منه أبو العرب ، وابن اللباد ، وغيرهما ، وعالم كثير .

قال أبو العرب : كان شيخا صالحا ، ثقة متعبدا ، طويل الصلاة ، كثير الذكر ، كان يختم القرآن فى كل ليلة من رمضان ، من عقلاء شيوخ افريقية ، من أكابر أصحاب سحنون .

قال ابن حارث : كان صاحبا لحمديس القطان ، وبهما يضرب المثل فى الفضل والدين ، الا أن عبد الجبار كان أنبه وأفهم لمعانى العلم والفقه من حمديس .

قال : وكان ذا رياسة فى العلم ونظر تام .

قال أبو عياش : عبد الجبار عالم واسع العلم ، فهم ، نطاق بالحكمة.

قال : ودرس عبد الجبار العلم حتى بلغ أو كاد مبلغ سحنون ، ثم لما حج الحجة الثانية قال : قد نلنا من هذا العلم ما علمت ، وقد مالت نفسى الى هذه الناحية من العبادة ، فبلغ فيها مبلغ البهلول أو رياح .

قال سحنون : عبد الجبار تقى فى بطن أمه .

وقال حمديس القطان : ما رأيت أورع من عبد الجبار .

ذكر اخباره وفضائله

وذكر القابسى أن عبد الجبار راح الى الجمعة على بغل الراوية يوم طين ، فلما صلى لم يجد ما يرجع عليه ، وكان بعيد الدار من الجامع ، فدفع * اليه رجل جندى فرسه ، فركبه ، فنظر اليه أصحابه ، فقال : ما لكم ؟ اما ورع نقص ، أو علم زاد ! ! (398)

قال بعضهم : انما فعله للضرورة اذ لم يقدر على المشى ، ولعله تصدق بقدر انتفاعه بـه .

وخرج مرة من عند الأمير ابراهيم ، وكان يجله ويكبره ، فشيعه الى أن ركب ، وأصلحت عليه ثيابه .

وكان بينه وبين حمديس القطان صحبة عظيمة ، وشركة فى القطن ، يعملان فى سوق الأحد فيه ، الى أن تهاجرا بسبب كتب محمد بن مهدى البكرى ، كان عبد الجبار يقرأها ، فنهاه عنها حمديس ، وقال له : سمعت سحنون يقول : ابن مهدى هذا ضال مضل .

فلم ينته عنها عبد الجبار ، فهجره حمديس ، ولم يزالا متهاجرين أربعا وعشرين سنة .

وكان حمديس ينهى الناس عن السماع منه .

وكان عبد الجبار ، اذا مر بمسجد حمديس ، سلم عليه ، فلا يرد عليه حمديس ، فيقول عبد الجبار : ما هاجرنى الا لله .

ويقول حمديس : عبد الجبار رجل صالح .

وكان ابن طالب صديقا لعبد الجبار ، فهم بتأديب حمديس بسببه ، الى أن فسد أيضا ما بينه وبين عبد الجبار .

وكان سببه أن عبد الجبار كتب اليه فى بعض أمنائه ، فلم يلتفت الى كتابه ، فكتب بذلك للأمير ، وكان ابن طالب يسىء ذكره ، وطلبه ابن طالب عند الأمير ، وأوقع فيه الشهادات بمخالفة مذهبه ، وشهد عليه ابن الحداد ، وابن أبى سليمان وجماعة من أصحاب سحنون ، ويسترعى الشهادات عليه حمديس ، فأبى ، وقال : هجرته ديانة ، رأى شيئا ورأيت أنا خلافه ، لم أهجره على مال أكله ولا عرض .

فمضى القوم .

قال ابن أبى سليمان : فما قام منا أحد حتى نقده عبد الجبار .

وكان سحنون ينتظره حتى يحضر ، فاذا حضر أمر القارىء فقرأ .

قال عبد الجبار : ما قرأ سحنون قط كتابا فى بادية ولا حاضرة الا وأنا حاضر .

وكان ما بينه وبين ابن طالب القاضى سيئا جدا ، بعد صداقة كانت بينهما ، وعبد الجبار أول من شهد عليه عند ابن الأغلب .

قال ابن اللباد : كنا نسمع على عبد الجبار فى جامع ابن وهب ، ألا يمشى الرجل أمام والده ، فقال : من بره به أن يمشى أمامه فى الظلام .

قال ابن اللباد : واجتمع عبد الجبار مع سليمان بن عمران ، فتذاكرا السن فقال له سليمان : نفعك الله بعمرك .

فقال له عبد الجبار ، وكان سيء الرأى فيه : وأنت ينفعك الله بباقى عمرك .

وحكى المالكى عن عبد الجبار أنه ختم فى مسجده ثلاثين ألف ختمة ، وكان يختم فى مسجده كل ليلة ختمة ، وكان اذا تعايى فى الكلمة ، أو اشتبه عليه الحرف ، تركه وقرأ ما يليه ، ثم قد يذكره بعد العشرين آية أو الثلاثين فيرجع اليه فيقرأه مفردا ، ويعود من حيث رجع .

وذكر أنه كان غاديا الى الجمعة ، فاذا بشاب جميل حسن ، يمشى فى أثر صبية ، فاتكأ عبد الجبار على رجله ، فقطع شسعه ، وناداه : يا شاب !

فوقف ، فمشى اليه عبد الجبار ، وقال له : أنا شيخ ضعيف ، ضعف بصرى ، وانقطع شسعى ، فأصلحه لى .

فتناوله الشاب .

ورأى عبد الجبار الصبية تتباطى فى مشيها ، فأصلحه ، وأخذ منه النعل ، ومشى فى اثر الصبية ، فقطعه ثانية ، وناداه ليصلحه ، فعطف عليه وقال له : أنا قطعته يا شاب اشفاقا على هذا الشباب من لفح جهنم .

وبكى ، فبكى الفتى ، وجزاه خيرا ، وصحبه الى الجامع وحسنت توبته .

ذكر شيء من حكمه

قال أبو العرب : كان عبد الجبار من جلة من يتكلم بالحكمة .

(399) قال أحمد بن * أبى خالد فى التعريف : كان عبد الجبار من عقلاء الشيوخ ، ثقة ، وكان كلامه بلفظ قليل يدل على معنى كثير ، كقوله :

من قل كلامه قلت آثامه .

من كانت له ولية لم يعدم بلية .

الصوم عن الكلام أثقل من الصوم عن الطعام .

من حرز لسانه كثر فى الدنيا والآخرة أمانه ، ومن خلا بربه لم يعدم النور من قلبه ، ومن خلا بغيره لم يعدم الزيادة من ذنبه .

ومن كلامـــه :

من كان فى الله همه ، قل فى الدنيا والآخرة غمه .

ومن كلام عبد الجبار :

من أصبح وأمسى ، وهمه بغير الله مجتمع ، لم يبال الله تعالى فى أى واد من أودية الدنيا وقع .

وقال : لو أهمك شأنك ، لكل لسانك ، وتهيجت أحزانك ، ولولا الفضول لصفت العقول ، ولكان المجهول ، عندها معقول ، ومن كان بالليل نائم ، وبالنهار هائم ، متى ينال الغنائم (402) ، ومن سكت سلم ، ومن تكلم بذكر الله غنم ، ومن خاض أثم ، ومن وبخك فقد نفعك ، ومن نفعك فقد رفعك .

وقال : ما أبعدنا منه على قربه منا اذا لم يردنا .

وقال : كنت أخلو لأفهم (403) ، ثم صرت أخلو ، لأغنم .

وفى رواية كنت أخلو ، لأعلم ، ثم صرت أخلو لأفهم ، ثم صرت أخلو لأغنـــم .

وقال : كل كلمة لم يتقدمها نظر ، فالكلام فيها خطر ، وان كانت مـــن أسباب الظفر .

وتوفى فى غرة رجب سنة احدى وثمانين ومائتين ، وصلى عليـــه حمديس صاحبه ، فيما قاله ابن أبى خالد .

---

402) هكذا وردت هذه العبارة بالأصول الخطية التي بين أيدينا ، وقد احتفظنا بها كما هي ، رغم ما يلاحظ فيها من اللحن ، لأنها فيما يبدو هكذا رويت عن قائلهـــا .

403) ط : كنت أخلو لأفهم ـــ أ : كنت أخلو لأهتم .

وقال أبو العرب : بل فى جمادى الآخرة من السنة .

مولده سنة أربع وتسعين ومائة .

عمر بن يوسف بن عمروس بن عيسى أبو حفص

عداده فى أهل افريقية ، وأصله من اشبيلية .

سمع يحيى بن عمر ، ومحمد بن وضاح .

ذكره الشيرازى فى فقهاء المالكية ، وزعم أنه سمع من سحنون ، ولم يذكر أبو العرب له عنه سماعا .

قال أبو العرب : كان صالحا ، ثقة ، ثبتا ، ضابطا لكتبه ، سمع معنا من يحيى بن عمر وغيره ، وسمعت منه .

وكان سمع بمصر من محمد بن عبد الحكم ، وأخيه سعد ، وابراهيم ابن مرزوق ، وابن عز الأيلى .

وسكن سوسة ، وبها توفى سنة تسعين ومائتين .

وقال فى موضع آخر : سنة ست وثمانين ومائتين .

والأول أصح .

وذكر ابن حارث فيمن ولى قضاء طليطلة : عمر بن يوسف بن عمروس ، فى رأس ثلاثمائة .

وأراه آخر وافق اسمه ، والله أعلم .

وكان قليل ذات اليد ، لا يتعرض لشىء مما فى أيدى الناس .

وكان كثيرا ما يقول :

أيا نفس قد أثقلتنى بذنوبى   أيا نفس كفى عن هواك وتوبى
وكيف التصابى بعد ما ذهب الصبا   وقد مل مقراضى عتاب مشيبى

سمع منه أبو العرب ، وعبد الله بن البادسى .

أبــو الاحــوص أحمــد بن عبــد اللــه

كان رجلا من أهل الفضل ، مكفوف البصر بعد صحته ، وهو مــن المغرب ، وسكناه بسوسة .

له صحبة سحنون ، وسماع كثير منه ، ومن ابن زعبة بمصر .

قال أبو العرب : وكان يصلى من الضحى الى صلاة العصر ، فيجلس، فيسمع منه .

سمع منه أحمد القصرى .

قال ابن حارث : وكان الخير والعبادة أغلب عليه من الفقه ، وبلغنى أنه كتب كتابا الى ابراهيم بن أحمد بن الأغلب يعظه فيه بلفظ غليــظ ، فأرسل اليه ابراهيم . وقيل بل أتاه ابراهيم بالليل ، فقال له : أنت وجهت الى بهــذا ؟

قال : نعم .

قال : فمن كتبه لـــك ؟

فأبى أن يخبره ، فوقاه الله شره .

(400) وذكر ابن اللباد : أن رجلا رأى كأنه * واقف على باب الجنة ، وأبو الأحوص يريد أن يدخل ورجل زيات من أهل سوسة يمنعــه الدخـــول ، ويقول : لا أدعك تدخل حتى تدفع الى حقى .

فقال : هذا قصر أعطيكــه .

قــال لـــه : لا .

قال : فقصرين .

قال : لا .

قال : قلت : يا هذا ! يعطيك قصرين فى الجنة ، فتأبى ، وانما لك عليه درهمـــان .

فنفضني نفضة ، وقال : ان الله تبارك اسمه لا يكذب ، ولا يكذب ، لابد من القصاص يوم القيامة .

فانتبهت لنفضه ، وأنا أعرف الزيات ، فغدوت الى المسجد الجامع ، وجلست بين الأبواب للصلاة ، حتى دخل الرجل ، فأشرت اليه ، فأتى ، فلما انقضت الصلاة قلت له :

يا أبا فلان ! ما لك على أبى الأحوص ؟ فقد أوصانى لك بشىء أنسيته .

فقال : درهمان .

فدفعهما اليه ، وأعلمه بالرؤيا .

وكان أبو الأحوص متقللا من الدنيا ، زاهدا فيها ، وكان سبب سكناه سوسة أنه أقام بها مرابطا مدة ، حتى فرغت نفقته ، وأراد الرجوع الى بلده ، فبينا هو يركع فى جامعها اذا بعصفور جاء بشىء الى فراخه ، فسقط من فيه ما جاء به ، فخرج فأر من تحت الحصير ، فأكل ما سقط ، فقال لنفسه : فأر خلف الحصير قيض الله له رزقه فلم يضيعه ! فكيف أضيع أنا ؟ لله على ألا أضيع مدينة الرباط .

وكان ابن الأغلب يزوره ، فان وجده يطحن جلس على التراب ، وان وجده قد أكمل جلس على جلد المطحنة ، لأنه لم يكن عنده حصير فى بيته ، ولا غيرها .

وكان اذا عرضت للمسلمين حاجة كتب اليه بالفحمة على شقف .

وسأله الأمير مرة : هل لك حاجة ؟

فامتنع ، فعزم عليه ، فقال : ثلاث حوائج .

قال : هى مقضية ، فما هى ؟

فطلب منه الزيادة فى الجامع لضيقه على الناس ، واجراء ساقية من خارج المدينة الى مواجلها ، واخراج من سجن .

فأجابه .

قال أبو الأحوص : غاب امام الجامع يوما عن صلاة العصر ، فعزم على ، فقدمت ، فلقد صح عندى أنى ما سلمت من الصلاة حتى بدأ قوم يفتشون عن عيوبى ، وما سمعت من يذكر ذلك قبل .

كأنه يقول : ان الخمول من أثواب الستر .

قال ابن اللباد : ذكر أبو العدل قال : كنت بمدينة سوسة مرابطا ، فبلغنى أن سعيد الضرير قدم ، فتوجهت اليه مع أبى الأحوص لنسلم عليه، فوجدنا عنده ناسا ، وذلك بعد العصر ، فقرأ ودعا ، ثم افترقنا عند المغرب، وكان وقت قحط ومصيف ، وحاجة الناس الى الماء ، وقد فرغت مواجيلهم فوقف أبو الأحوص فى بعض الطريق ، فوقفنا لوقوفه فقال : اللهم ان كنت استجبت لنا فى مجلسنا هذا ، فعرفنا بركة ذلك ، بأن تسقينا الغيث .

فما دخلنا المسجد الا ونحن نخوض الماء من المطر .

قال أبو الأحوص : أتيت للسماع من سحنون ، فأقمت عنده مدة لا يسأل عنى ، فلما أردت الرجوع الى بلدى أتيته لأسلم عليه ، وذكرت له أنى أريد الرجوع ، فسلم على وقال : يا بنى ! لا تنسنى من دعائك .

فقلت فى نفسى : يسألنى الدعاء ؟ — ازراء على نفسى — وكنت أظنه لا يعرفنى .

وقال عبد الوهاب الزاهد : قمت الى برج على شاطىء البحر ، فاذا أبو الأحوص بين شرافتين فى سواد الليل يقول :

أبوا أن يرقدوا ليلا فهم لله قوام

أبوا أن يفطروا دهرا فهم لله صوام

أبوا أن يخدموا الدنيا فهم لله خدام

(401) ❋ ثم يقول : لا الاه الا الله ، والله أكبر ، ولله الحمد .

ثم اندفع فى النياحة ، ثم سمع حسى ، فقال لى : من أنت ؟

قلت : عبد الوهاب .

فقال لى : يا بنى ! يا أبا القاسم ! انما تقطع الدنيا بالهموم والأحزان والعلل والأمراض والأعمال ، وانما نفرح غدا بالنظر الى الله تعالى ، اذا صرنا الى دار السلام .

قال أبو الأحوص : سئل سحنون عما يأتى به أهل الشام من الرخص فى الفتيـــا .

فقال سحنون : يؤخذ هذا العلم من الموثوق بهم فى دينهم ، المحس بخيرهم ، فان أخذوا بالتشديد فعن علم ، وان أخذوا بالرخصة فعن علم .

وتوفى بسوسة ليلة الأحد ، سنة أربع وثمانين ومائتين .

ابو عيـاش أحمـد بن موسى بن مخلـد

من العجم ، وينتمى الى غافق ، ويقال له عيشون .

وقال ابن أبى دليم فى كنيته : أبو العباس ، بباء واحدة .

قال المؤلف رحمه الله : هو وهم لاشك فيه ، منه أو مـن النقلـة ، وصوابه (أبو عياش) بياء باثنتين من أسفل .

قـال أبو العرب التميمى : كان شيخا صالحا ، ثقة ، فقيها ، عاقلا ، ثبتا ، زاهدا ، متعبدا ، ورعا ، ضابطا ، صحيح الكتاب ، حسن التقييد ، معدودا فى كبار أصحاب سحنون ، وعليه اعتمد ، سمع منه ، ومن عبـد العزيز بن يحيى المدنى ، وابن رمح ، وأبى اسحاق البرقى ، وهرون بـن سعيد الأيلى ، وغيرهم ، وسمع أيضا من الوقار .

سمع منه أبو العرب ، وأبو القاسم بن تمام ، وعبد الله بن مسرور ، ومحمد بن يونس السدرى ، ولقمان بن يوسف ، وغير واحد من الجلة ، وعالم كثير ، وكان لا يذكر أحد بحضرته بغيبة .

وبلغ من تقشفه وزهده ، أنه كان يركب ثورا من باب أبى الربيع بالقيروان ، حتى ينتهى الى منزله بالروحاء ، فاذا كلم فى ذلك ، قال : حسبك من الدواب ما بلغك المنهل .

وولاه ابن طالب قضاء قصطليه ، ويقال : سحنون ، فامتنع ، حتى تخلص .

وكان عارفا بأخبار علماء افريقية ، وطال عمره .

قال ابن أبى خالد : وكان زاهدا ، ورعا ، متعبدا ، فاضلا ، عالما بكتبه .

قال أبو القاسم بن تمام : رأينا منه من الاجابات والفراسات أمرا عظيما ، مرض ابنى أحمد ، قلت له : أريد السفر ، فان حدث بأحمد الموت توليته وصليت عليه .

فقال : اذهب الى سفرك ، فما هو بميت من هذه العلة — وأراه أقسم — فلم يمت منها .

قال محمد بن يونس السدرى : سألت أبا عياش عن التجارة بالقمح وحكرته ، فأباح لى ذلك فى وقت كثرة رخصه ، ومنعه فى وقت غلائه ، الا ما لابد منه للقوت .

وقال : هذا بخلاف الزيت .

يريد اباحته فى كل وقت .

واحتج بأن ابن المسيب كان يحتكر الزيت .

وكان يميل الى الرقائق والوعظ ، ويختم بذلك مجلسه ، ويقطع له ولغيره بأنه مؤمن عند الله ، على رأى محمد بن سحنون ، ومن قاله قبله .

مات فى صفر سنة خمس وتسعين ومائتين .

ومولده سنة سبع ومائتين .

أحمـــد بـــن وازن الصـــواف

أبـــو جعفـــر .

سمع من سحنون ، ومن مروان بن أبى شحمة .

قال ابن حارث : كان من الفضلاء المتقدمين والعباد المجتهدين ، كان من أصحاب سحنون . وغلبت عليه العبادة والخير ، ويقال انه مستجاب الدعوة .

(402) قال أبو العرب : كان * فقيها ، عالما بالفقه ، والمناظرة عليه ، ثقة ، حسن العقل ، ذا اجتهاد فى العبادة ، وكان يسمى جوهرة أصحاب سحنون، قل من أخذ عنه ، اذ لم ينصب نفسه لذلك ، وكان اذا قام الى الصلاة لـم يشغل نفسه بشىء سواها ، فلو جرى ما شاء الله تعالى لم يعلم بشـىء منه ، ذكر ذلك ابن أبى زيد الفقيه عنه .

قال : وكان له ابن ، له أصحاب يجتمعون على اللهو والغناء ، فكانت والدته تقول له : لا تتحركوا حتى يأخذ والدك فى الصلاة ، فاذا أخذ فى الصلاة ، أخذوا فى شأنهم ، فلا يشعر بهم ، فاذا أحست الوالدة بانصرافه منها ، ضربت الحائط ، فكفوا .

توفى سنة اثنين وثمانين ومائتين .

مولده سنة ثلاث وتسعين ومائة، فى يوم واحد مع سهل بن القبريانى، وكان جليسه للمناظرة والفقه .

أبـــو داود العطـــار

واسمه أحمد ، بن موسى ، بن جرير ، الأزدى أصله من الجنـــد الداخلين .

ويقال : أسلم جده على يد يزيد بن حاتم .

وأبوه موسى من شيوخ افريقية ، سمع ابن سلام وغيره .

وكان أبو داود عطـــارا .

قال أبو العرب : كان صالحا ، ثقة فى نفسه ، سمع من سحنون ، وهو من كبار أصحابه ، ومن يحيى بن سلام ، ومن أبى خارجة ، ومعاوية الصمادحى ، وأسد بن الفرات ، ومن ابن غانم مسألة واحدة .

وأخذ عنه الناس .

وفى كتبه خطأ وتصحيف .

قال محمد بن حارث : كان ظاهر الوجاهة والتقدم ، معدودا فى أصحاب سحنون .

قال أبو العباس الأبيانى : كان أبو داود العطار أقرب أصحاب سحنون اليه ، وكان يرضاه جدا ، وكان مختلطا بأهل دار سحنون ، لمكانه عنده ، فشهد عنده بشهادة فى قضائه ، فكتب سحنون لابن عبدوس فيه، فلم يمض شهادته ، وكان ابن عبدوس يكتب لسحنون وصاحب كشفه من الشهود ، فأنكر سحنون ذلك على ابن عبدوس ، وأرسل اليه ، وسأله عن سبب رده له ، وقال له : هل لأحد فى أبى داود توقف ؟

فقال له ابن عبدوس : خطرت يوما بحانوته ، فرأيت بعض أهل القصر يشترى من غلامه .

فبلغ ذلك أبا داود ، فأتى ابن عبدوس وقال له : أخبرنا ما أنكرت علينا ، لعلنا نصلحه .

فذكر له القصة .

فقال له أبو داود : الغلام حر ، والمال ماله .

فأخبر ابن عبدوس سحنونا ، فسر بذلك ، وقال : قد علمت أنه يبعد من الريبة .

توفى فى ذى الحجة سنة أربع وسبعين ومائتين ، وهو ابن احدى وتسعين سنة .

مولده سنة ثلاث ، وقيل ثنتين ، وثمانين ومائة .

وله ابن اسمه محمـد : ويكنى بأبى عبد الله ، سمع أيضا مـن سحنون ، وتوفى سنة ثلاثمائة .

ابراهيم بـن عتـاب الخولانـي

أبو اسحاق ، من أصحاب سحنون ، وكتب له أيضا أيام قضائـه ، وسمع أيضا من عبد العزيز المدنى .

قال أبو العرب : وهو ثقة مأمون .

قال ابن حارث : كان قليل الفهم ، غاليا فى مذهب ابن سحنـون فى مسألة الايمان ، شديد الحمل على محمد بن عبدوس عصبية لابن سحنون ، حتى انه لم يصل خلف ابن عبدوس ، وقد تقدم على جنازة ، فوجه فيه ابن طالب ، وأراه كان اذ ذاك على مظالم القيروان ، فسأله : لم فعل ذلك ؟

فقال : لأنه شكوكى ، يقول انه ليس بمؤمن عند الله .

فقال حماس : أشهد ان ابن عبدوس قال : من قال ليس هو بمؤمن عند الله ، فهو كافر عند الله .

(403) فأمر ابن طالب بسجن ابن عتاب ، وكان ابن * عتاب هذا امـام مسجـد سحنـــون .

وتوفى سنة احدى وستين ومائتين .

عبد اللـه بـن غافـق التونسـي

أبو عبد الرحمان ، سمع من سحنون ، وزيد بن بشر ، ولقى ابن عبد الحكم ، وكان موصوفا بالورع والعلم والكرم .

قال أبو العرب : كان فقيها ، ذا هيبة ونسك ، معدودا فى أصحـاب سحنون ، ثقة ، مأمونا ، وكانت له طاعة بتونس ، لا يتقدمه أحد منهم فى وقته ، ولا يخالف أمره ، وعرض عليه ابراهيم بن أحمد قضاء القيروان ، فامتنع ، وكان قبل قد استشار فيه ابن طالب ، فقال رجل صالح .

وأشار هو بابن طالب .

وكان ابن عمران القاضى يقول : ما يحل لى أن أولى القضاء بتونس أحدا ، حتى أعرض ذلك على ابن غافق ، فان أبى فحينئذ أولى .

وكل من كان وليها فعن رأيه يصدر ، وبقوله يأخذ .

قال الشيرازى : وعليه كان اعتماد أهل بلده فى الفتوى .

وزعم أنه تفقه بعلى بن زياد ، وهذا وهم كثير لأن ابن غافق ولد بعد موت على بأزيد من عشرين سنة .

توفى على سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وولد ابن غافق سنة أربع ومائتين .

سمع منه محمد بن عمر .

قال ابن حارث : كان من الحفاظ المعدودين من وجوه هذه الطبقة ، فقيها ، عاقلا ، نبيلا ، من أهل المروءة .

وكان سحنون ، اذا أراد أن يحرض ابنه يقول : ادرس ، لا يجيئك كبير الرأس ، يعنيه ، وكان فى رأسه كبر .

وسمعت بعض الشيوخ يحكى ان ابن غافق كان حليما كريما ، كثير الصفح ، كثير الأخذ بالفضل ، وكان له عدو من أهل بلده ، فقدم عدوه الى القيروان ، فبدأ بثلبه ونقصه فى مجالس أهل العلم ، وبلغ ذلك ابن غافق ، فبدأ بارسال التحف والهدايا الى من تخلفه ذلك العدو فى داره بتونس ، من أهله وولده ، فأغرقهم بها ، وكتبوا اليه الى القيروان يعلمونه أن ابن غافق قد أغرقنا بالنعم ، فاستحيى ذلك الرجل الذى كان يثلبه ، وقلب لسانه بحمده وشكره ، وجعل يعتذر الى كل من حفظ عنه فيه مقالا سيئا .

ولما حج ابن غافق ، أهدى اليه رجل هدية فى سفره ، فكافأه عليها فى حينه ، ثم أهدى اليه ثانية فكافأه ، وجعل الآخر يكثر من مهاداته ، وابن غافق من مكافأته ، فلما أكثر عليه لقيه فقال له ابن غافق : ان كان يسرك أن أرجع الى بلدى وعلى دين ، فتماد فى فعلك .

فكف الرجل عنه .

وكان يقال : ثلاثة رجال من أهل العلم لم يكن أحد أطوع فى الناس منهم ، محمد بن سحنون بالقيروان ، وأحمد بن ملول بقصطلية ، وابن غافق بتونس .

وكان ينزل الى القيروان على أحمد بن أبى زاهر .

ورحل ابن غافق بالجزيرة الى رجل يتعلم منه الأدب ، فبقى عنده عشر سنين ، وبعد هذا رحل الى سحنون ، ولما وصل لقى محمد بن عبد الحكم ، وكان أتى مجلسه وهو لا يعرفه ، فسأل محمد أصحابه عن مسألة، فأجابه فيها بعضهم ، فقال له ابن عبد الحكم : من أين لك هذا الجواب ؟

قال : من هذا .

يعنى ابن غافق ، وكان جلس الى جانبه .

فسأله محمد : من أين الرجل ؟

فقال : من تونس .

قال : أنت ابن غافق ؟

قال : نعم .

فسلم عليه ، وسأله عن مسألة الايمان ، وما وقع فيها من الاختلاف بالقيروان ، فقال له قال قوم : نحن مؤمنون عند الله ، مذنبون ، وقال قوم: نحن مؤمنون ، ولا ندرى ما نحن عند الله .

فقال : ما قال فيها محمد بن سحنون ؟

فقال له : مؤمنون عند الله .

فقال : دعنى بهذين .

(404) فعدت اليه ❊ فقال : الصواب قول محمد بن سحنون .

فلما قدم ابن غافق ، وضع رسالته فى الايمان ، ولم ينسبها الى

نفسه ، فكتبها الناس واستحسنوها ، فادعاها رجل نحوى ، فبلغ الخبر ابن غافق ، فقال : انما ظننت أنكم تعملون بما فيها ، فلما نسبت لغير أهل العلم ــ والله أعلم ــ لم يسعنى السكوت ، أنا وضعتها .

وقرأها على يحيى بن عمر فاستحسنها ، وقال له : أنا أرويها عنك .

وكان حمديس وموسى القطان يعجبان بها .

وذكر أنه ناظر ابن الكوفى يوما ، فلما ضيق ابن غافق عليه بالحجة ، قال له ابن الكوفى : ان مسورتك كبيرة ــ يعنى رأسك ــ وكان طويل الرأس ، فقال ابن غافق : ذلك أكثر لحشوها .

وتوفى بتونس سنة خمس ، ويقال سنة سبع ، وسبعين ومائتين ، وسنه ثلاث وسبعون سنة .

مولده سنة أربع ومائتين .

محمد بن بشار الزرينى

فقيه ثقة ، أخذ عن سحنون .

قال بعضهم : مررت به مرة ، فرأيت فيه انكسارا ، فسألته ، فقال : ما لى لا أغتم ، وكانت لى خادم تمنعنى من الفرن والماء ، أصبت بها .

فأعلمت سحنونا بذلك .

فبعث فى خمسة رجال من أهل الساحل ، وبعث الى جامع العطار ، فأخذ منه خمسين دينارا ، فدفعها عشرة عشرة للخمسة رجال ، وقال لهم : فرقوها على ثقات فى زيت .

ففعلوا ، وكان ذلك قريبا من جمع الزيتون .

فلما تم ، كتبوا اليه باجتماع الزيت ، فأمرهم ببيعه ، فباعوه بمائة دينار ، فرد منها الى العطار خمسين دينار ، وبعث بالخمسين الى الزرينى، فأخذها ودعا له ، وقال له : تفتقدنا فى دنيانا وأخرانا .

سهل بن عبد الله بن سهـل القبريانـي

تقدم ذكر أبيه ، يكنى سهل بأبى يزيد .

وكان معدودا فى أصحاب سحنون ، وسمع منه ومن عبد العزيز بن يحيى المدنى ، ومن أبيه .

وكان فقيها ثقة .

وكان كثير المال ، فعالا للخير ، بنى قصر الرباط على البحر بسوسة، فأنفق فيه مالا عظيما ، وكان قوم أرادوا بناءه فأتوه يستعينونه فى ذلك ، فتولى بناء جميعه .

وقيل : بل كان موضعه كدية رمل كثيرة ، كان محمد بن سحنـون يجلس عليه بعد العصر مع أصحابه ، اذا كان بقصر الطوب مع أصحابه للنظر فى البحر والتفرج فيه ، فقال يوما : وددت لو بنى ها هنا قصر !

فقال له سهل : أنا أبنيــه .

فبناه ، وأنفق فيه نحو ألف مثقال .

توفى سنة ثنتين وثمانين ومائتين .

ومولده سنة تسع ومائتين .

وسمع منه عالم كثير ، منهم أبو العرب ، وأحمد بن محمد القصرى ، وغيرهـــم .

يحيــى بن عــون بن يوســف ابو زكريــاء

تقدم ذكر أبيـــه .

له سماع من أبيه ، وسحنون ، وأبى زكرياء الحفرى ، وجماعة .

وسمع منه الناس .

وكان مصابا باحدى عينيه .

وذكره فى كتاب المالكى فقال : كان رجلا صالحا ، من أهل الفقه والعلم ، وكان اذا كان يوم الشك ، جعل ابنه الماء فى المسجد الى جنبه ، فاذا سأله عن الصوم أحد شرب الماء .

وذكر ابن حارث ، أنه كان يتهم ويطعن عليه .

وضربه سحنون لما صلى على والده بغير أمره ، وقد كان جالسا عند داره ينتظر الصلاة عليه ، حتى مر به على قبره ، فأخبر أن ولده صلى عليه، فقنعه بالسوط بيده ، ثم أمر بانزاله ، وأعاد الصلاة عليه .

وله كتاب فى الرد على أهل البدع .

مولده سنة احدى عشرة ومائة .

(405)

* محمد بن زرقون بن ابي مريم المعروف بابن الطيارة

من العجم .

كان كاتبا لابن طالب أول قضائه ، وكان اماما وخطيبا بجامع القيروان ، وكان صالحا ثقة كثير الكتب صحيحها .

سمع من سحنون ، وابنه ، وعلى بن معبد ، وعبد الله بن عبد الله ، وغيرهم من أهل الفقه والحديث بافريقية ، ومصر وغيرها .

قال ابن اللباد : لم يكن فى شيوخ افريقية ، آنس مجلسا منه .

قال ابن حارث : وكذلك رأيت ابنه أبا الحسن .

وتوفى سنة ثمانين ومائتين .

مولده سنة احدى عشرة ومائة .

ويأتى ذكر ابنه .

عبد الله بن محمد بن معبد بن عباد بن كثير التيمي

يعرف بالبندى ، ويكنى بأبى محمد ،

وجده أبو معمر عباد المحدث المشهور بافريقية .

وكان عبد الله من أصحاب سحنون .

روى عنه أحمد بن محمد القصرى .

قال أبو العرب : سمعت منه ، وكان له سمت وهيبة حسنة .

قال ابن الجزار : كان من الفقهاء المدنيين ، من أهل العلم باللغة والنحو والفصاحة .

توفى سنة تسع وتسعين ومائتين ، وهو ابن سبع وثمانين سنة .

محمد بن سعيد بن غالب الازدي

أبو عبد الله ، ويعرف بابن أخت جامع القصار .

قال أبو العرب : كان فقيه البدن ، سمع من سحنون ، وبمصر من محمد بن عبد الحكم ، وكان من أصغر أصحاب سحنون ، ومات بمصر سنة سبع وسبعين ومائتين .

وقال ابن يونس الصدفى : سنة تسع وسبعين .

سمع منه ابن بسطام وغيره .

ومن فقهاء هذه الطبقة أيضا :

أحمد بن مطروح

المعروف بابن أبى فيزون ، وأبو فيزون عمه .

سمع من أبى خارجة ، وأسد ، وغيرهما .

توفى فى نحو الستين والثلاثمائة .

ومنهم :

سرور

وكان هو وابن أبى فيزون يجتمعان مع ابن أخت جامع القصار ، وحماس بن مروان ، للتعلم فى الفقه ، ويجتمع اليهم محمد بن بسطام ، ولقمان ، وغيرهم من صغار أصحابهم .

ولما سمع كلامهم يحيى بن عمر عند اقباله من المشرق ، أعجب بـه وقال : ما تركت ببغداد من يتكلم فى الفقه بمثل هذا الكلام .

قال عبد الجبار بن خالد : ثلاثة من غير أصحاب سحنون ، يلحقون بأصحابه فى الفقه ، حماس بن مروان ، وابن أبى فيزون ، وأرى الثالث ابن الطبنة .

عبـد اللـه بن الوليـد

أبو محمد .

قال ابن الجزار : كان فقيها مدنيا .

قال غيره : هو من أهل الانقباض والخير .

قال أبو العرب : كان ثقة ، سمع سحنونا ، وابنه ، وعون بن يوسف، ويحيى ابنه ، وأبا الحسن الكوفى .

قال ابن حارث : كان كثير الكتب ، كثير الرواية ، ثقة ولاه ابن طالب أسواق القيروان ومواريثها .

قال غيره فما اكتسب شيئا ، وكان فقيرا عفيفا .

سمع منه أبو العرب .

توفى سنة ثمان وتسعين ومائتين .

وقيل : سنة ثلاثمائة ، والأول أصـح .

أبو خالـد يحيـى بن خالـد السهمـي

سمع من سحنون .

وولاه سحنون قضاء الزاب ، وكتب له سيرة يعمل عليها ويطالعـه بما كـــان .

فلدغته حية فمات رحمه الله .

قال أبو العرب : وسمع من عثمان بن صالح بمصر وغيره ، وكان صالحا قليل الفقه ، حدث عنه ابنه ، وعبد الرحمان بن محمد القسطلانى .

(406) قال غيره : كان يحيى ورعا ، يصنع الشعر ويجيده وله ❊ قصيدة فى مدح المدينة ، وعلمائها ، ومدح سحنون ، منها :

أيا طالب العلم ابتغاء ثوابه ... سموت الى أسمى أمور الهدى أمرا
وأقربها من كل رشد ونعمة ... وأكثرها نفعا وأعظمها أجرا
فلا تطلبن العلم ان كنت طالبا ... الى غير أهل العلم سرا ولا جهرا
وكل ذوى الأهواء أهل ضلالة ... وان أظهروا برا فخذ منهم الحذرا
وعلم الحجازيين أهل مدينة الرسـ ... ـول فطالبه ولا تعده فترا
فعلمهم النور الذى يهتدى به ... وآثارهم برهانها يثلج الصدرا
مدينتهم خير المدائن طيبة ... وخير قبور العالمين بها قبرا

مدح فيها المدينة ، وذكر فضائلها ثم قال :

وعلم الحجازيين بالغرب ينتهى ... الى خير من فيهم وأطيبهم خبرا
وأقومهم طرا لسنة أحمد ... وأعظمهم لله فى دينه نصرا
وأوسعهم علما وأصدقهم تقى ... وأورعهم جهرا وأورعهم سرا
فذاك الرضى سحنون فالزمه تستفد ... به البر والتقوى وتجتنب العسرا

قال أحمد بن خالد السهمى : دخلت على سحنون أنا وابن عمى .

فمسح بيده على رأسى وقال : اللهم أصلحهم ، فانهم أهل بيت ، الخير فيهم .

ثم قال عن ابن عمى : أعطى الله المسلمين خيره .

فكانت فراسة ، خرج متشصصا على المسلمين .

عمرو بن شجرة بن عيسى

ولى قضاء تونس مكان أبيه ، وكان رجلا صالحا ثقة ، وقد سمع منه يحيى بن عمر ، وقتل برقادة فى ثورة أهل تونس ، سنة نيف وثمانين ومائتين .

محمد بن قمود القابسي

قال أبو عبد الله الأحدابى : كان رجلا صالحا فاضلا ، من أهل الدين والورع ، وكان ولى قضاء بلده قابس ، وكان ابن طالب يخاطبه بها .

حدث عنه أبو العرب ، وكان كثير الدرس لكتب المالكية .

قال ابن قمود : أردت النهوض الى نفزاوة ، وخفت من العدو فى الطريق ، فأردت أن أخرج فى جماعة ، وأردت مشورة القاضى ابن طالب فى ذلك .

فكتب الى : أما خروجك الى نفزاوة فنعم ، وأما تحريك الجماعة ، فما ذلك لك ، فلولا سلطانك ما خرجوا معك ، وهذه أخلاق من لا يحاسب نفسه ، فان خرجوا معك ، أوجبوا فى عنقك ذماما ، ولكن من احتسب مثل فلان وفلان ، فهؤلاء أعوان مشاركون لك فى سلطانك ، واكتب الى الوالى، يلقك مع صاحب البريد فى جماعة ، وتكتب الى الأمير يلقاك فى خاصته ، ولا تكلف العامة ذلك، ودع عنك سنة أهل التباهى، فسوف يعلمون، عليك بتقوى الله فى كل أمرك ، وكن كالمصلح ، ولا تعجل ، فلأن يقال لك : لم لم تفعل ؟ أخف عليك من أن يقال لك : لم فعلت ؟ واشغل نفسك بالدعاء فى الصلوات والخلوات ، واتق الله ، وواظب على كتبك ، ووكل بها من يقوم بها ، ولا تعجل فى الأحكام حتى تشاورنى .

علي بن سالم البكري

من بكر بن وائل ، هو جد الشيخ الزاهد أبى اسحاق الجسانى .

(407) * وكان من أهل العلم من أصحاب سحنون ، وهو ابنه من الرضاعة، أرضعته أم محمد بن سحنون مع محمد ، ثم ولاه سحنون قضاء سفاقس وسائر الساحل ، وهو بنى جامع سفاقس ، وسورها ، والمحرس الذى يعرف بمحرس على .

وكان عادلا فى أحكامه ، ذا دنيا عريضة ، ومنازل كثيرة ، منها جنيانه وغيرها .

وكتب اليه سحنون : أما بعد ، نانه بلغنى أن قبلك أقواما ينكرون المنكر بأنكر منه ، فازجرهم عن ذلك ، والسلام .

ولما مرض سحنون بالساحل ، لم يختر أن يلازمه أحد سواه ، وقال: هو ابنى من الرضاعة .

ولم يكن يغمص عليه شىء فى أحكامه .

ذكر ذلك كله أبو القاسم اللبيدى .

أحمد بن يزيد القرشي

أبو عبد الله ، يعرف بالمعلم .

قال أبو العرب : كان فقيها ، عالما بحديثه ، نزها ، ثقة ، مأمونا ، صالحا ، متعبدا ، ويعرف برواية الصمادحى .

سمع من موسى بن معاوية ، وسحنون بن سعيد ، ويزيد بن محمد الجمحى وغيرهم .

وكان أول عمره يعلم الناس القرآن ، ثم ترك ذلك .

وذكره أصحاب سحنون ، وذكروا صيامه وقيامه ، فقال لهم محمد بن سحنون : دعوه فهو جمل الليل .

وكان عالما بالحديث وعلله .

قال ابن شلبون : وحدثونا انه ختم على قدميه سبعة عشر ألف ختمة.

وكان عمر حتى ضعف عن القيام ، فكان يصلى جالسا .

توفى سنة أربع وثمانين ، وهو ابن احدى وتسعين سنة .

أحمد بن علي بن حميد التميمي أبو الفضل

كان أبوه وزيرا لابن الأغلب ، وخاصته ، وكذلك اخوته ، ولم يدخل هو فى شىء من هذا .

قال المالكى : كان من أهل الفضل والدين والفقه . ورعا ، متواضعا ، ضابطا لكتبه ، عارفا بما فيها .

سمع من أسد ، وسحنون ، وعليه اعتمد ، ومن عبد الله بن صالح الكوفى ، وكان كثير الكتب صحيحها ، واسع الرواية ، بيعت كتبه بعد موته بألف دينار ومائتين .

وكانت له دنيا عريضة ، وكان مع ذلك زاهدا فيها ، تاركا للشبهات متورعا .

ترك من ميراث أبيه أكثر من ألف دينار ، فسئل ، فقال : كان من تجارة العاج ، فكرهته لما جاء فيه عن أهل العلم .

وكان من الكرماء والسمحاء .

قال أبو العرب : كان صحيح الكتب ، معدودا فى أصحاب سحنون .

قال أبو سعيد بن يونس المصرى : هو معروف ، حدث ، سمع منه سعيد بن اسحاق .

قال بعضهم : كان أبو الفضل فقيها عالما كريما ، جوادا مطعما ، وكانت له مائدة يغشاها أصحابه ، ويشترى لهم الضحايا كل عام .

وقد ذكر أنه حضر وليمة لبعض قرابته ، اذ سمع صاحبها يتوجع ، فسأله ، فقال : كان بين يدى الطباخ طبقان فى أحدهما سكر ، وفى الآخر ملح ، مسحوقين ، فأراد أن يجعل السكر على أطباق اللوزينج ، فجعل الملح غلطا .

فقال له : وكم من طبق هى ؟

قال : خمسة عشر ، ويقال : أقل .

فقال له : وجه بالأطباق الى مطبخى تملأ لك لوزينجا .

ففعل .

وكان مفضلا ، مطعاما ، حسن الآلة ، بعيد الهمة ، شريف الملبس ، يطعم المائتين من الناس فى الفصول ، والعشرات كثيرا .

ووجد له بعد موته آلات كثيرة ، منها مائدة زجاج ، أنهى اليه بها من بغداد ، لم تصل اليه الا بمائة وسبعين دينارا .

ووجد له سبعون جبة وشى .

توفى سنة احدى وخمسين ومائتين ، ويقال : احدى وستين .

*
* *

ومن المعروفين بصحبة سحنون ممن لم يشتهر بالتقدم فى الفقه من هذه الطبقة جماعة كثيرة ، غلب على كثير منهم العبادة والرواية

وقد تقدم من ذكر أن لسحنون من الأصحاب والرواة نحو سبعمائة .

منهـــم :

أبو عبد الله محمـد بن سوال بن عاصم الطـائي

قال أبو العرب : كان ثقة من أصحاب سحنون .

قال غيره : كان من كبارهم ، وثقاة رجاله ، وكان حسـن الكتـاب والتقييد ، أخذ عنه الناس ، وتوفى سنة خمس وستين ، وسنه ثمانـون سنة .

قال غيره : أوصى بصدقة أربعة آلاف دينار وثلاثمائة .

سعيـد بن اسحـاق الكلبـي أبو عثمـان

قال : كان متعبدا ، ثقة ، صالحا ، ظاهر الخشوع ، سريع الدمعة .

سمع من سحنون ، وابنه محمد ، وعون ، وابن وزين ، وأبى زكرياء الحفرى ، وبمصر من أبى الطاهر ، ومحمد بن عبد الحكم ، وجماعـة بمصـر وغيرهـا .

وكان حسن الكتاب ، قليل الخطأ فى كتبه ، اذا أشكل عليه حرف سأل عنه .

كان يسكن بقصر الطوب ، ثم يقدم القيروان ، فسمع الناس منه .

وكان أبو عياش يرفع به .

وسمع منه عالم كثير .

قال ابن حارث : كان الغالب عليه الرواية ، والجمع للحديث .

قال ابن الجزار : كان كثير الرباط والرواية والحديث .

قال ابن مسرور : كان فاضلا .

وقال ابن اللباد : قال سعيد : ما نفعنى الله الا بشاب رأيته بمكة ، تحت جدار ، عليه خرقتان ، يقرأ القرآن بتلاوة حسنة ، فسألته ، فقال : يا بنى ! عليك بنفسك ، ودع ما فيه غيرك .

فما شككت أنه ولى ، فحبوت بين يديه ، وقلت له : سألتك بالله الا ما دعوت لى .

فقال لى : أسعدك الله بنفسك ، وجعلك ممن تنظر الى عيوبك ، وعرفك قدر ما تطلب ، حتى يهون عليك ما تترك .

فلما وصل سعيد الى القيروان ، تخلى عن الدنيا واعتزل ، فسكن قصر الطوب .

قال بعضهم : سمع رجل سعيدا فى ليلة باردة يبكى الليل كله ، فسأله، فقال : تفكرت فى فقراء أمة محمد فى هذه الليلة فبكيت .

توفى بقصر الطوب ، سنة خمس وتسعين .

مولده سنة اثنتى عشرة ومائتين .

فرات بن محمد بن فرات العبدي

من العرب .

معروف بالسماع من سحنون ، معدود فى أصحابه ، وأصحاب ابنه .

وسمع من عون ، وابن أبى حسان ، وابن رشيد ، وأبى زكريـــاء الحفرى ، وغيرهم من أهل افريقية .

وسمع بمصر من ابن بكير ، وابن عبد الحكم .

وزعم أنه سمع من أصبغ ، ونعيم بن حماد ، وغيرهم من فقهاء مصر ومحدثيها .

وكان من أطول الناس صلاة فى شبابه وفى كبره ، ملازما للجامـــع ، وكان يخضب بالحناء .

وامتحن على يد ابن عمران القاضى ، ضربه بالسياط بفضل حنقه على محمد بن سحنون ، وكان معاونا لأهل البدع .

وسمع منه أبو العرب ، وعالم كثير .

قال ابن حارث : وكان يغلب عليه الرواية ، والجمع ، ومعرفة الأخبار ، وكان ضعيفا متهما بالكذب ، أو معروفا بـــــه .

توفى سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

زيدان بن اسماعيل بن زيدان الواسطي الازدي

ثقة من أصحاب سحنون وغيره ، سكن سوسة ، وكان يخضـــب بالحنـــاء .

ورحل الى المشرق ، فسمع من هشام بن عمار الدمشقى ، وابن أبى الجوارى ، وسلمة بن أبى شبيب ، وعبد الوارث بن غياث ، والوليد بـــن شجاع * وغيرهم . (409)

وتوفى بسوسة ، سنة اثنتين ، أو ثلاث ، وتسعين ومائتين .

قال غيره : سنة تسعين .

مولده سنة عشرين ومائتين .

حدث عنه ابن اللباد ، وأبو العرب .

قال ابن الفرضى : كان يقال انه من الأبدال .

قال غيره : وكان أبوه اسماعيل من أهل العلم .

محمد بن أبي الهيثم خالد بن يزيد اللؤلؤي الفارسي

سمع من سحنون ، ومن أبيه أبى الهيثم .

وكان أبوه رجلا صالحا ، سمع من مالك ، وصحب على بن زيـــاد ، والبهلول بن راشد .

وكان محمد ثقة ، صالحا ، سمع منه أبو العرب وغيره .

قال أبو العرب : وتوفى فى نيف وتسعين فيما أحسب .

ابراهيم بن النعمان القرشي الفهري

أبو اسحاق ، أندلسى الأصل ، من أهل جيان ، واستوطن القيروان.

قال أبو العرب : كان ثقة معدودا فى أصحاب سحنون ، صحيـــح السماع منه ، كان يأخذ عنه ابن طالب القاضى من حيث لا يشعر ، وكان يسأله أن يقابل معه كتبه عن سحنون .

وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

وله ابنان ، اسحاق ومحمد : وكانا ممن اعتنى بالعلم .

وكان اسحاق رجع أخيرا الى مذهب الشافعى ، وكان من أهل النظر ، سمع من يحيى بن عمر وغيره ، ورحل ، ومات سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، وكتب عن محمد بن قاسم بن أصبغ وغيره .

وكان محمد من أصحاب محمد بن عبد الحكم ، وكان فقيها ، وقتل سنة ثلاث وثلاثمائة .

ومن ذريته أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن ابراهيم بن النعمان المقرىء ، نزل بقرطبة ، وكان اماما فى علمه .

أحمد بن محمد المعروف بابن علاقة التميمي

من الجند ، أصله من أطرابلس ، وهو خال حماس القاضى ، وهو الذى كان يأتى صغيرا الى سحنون .

قال أبو العرب : لا أعلم أحدا ذكره بسوء ، وكانت له جلالة وحسن هيبـــة .

توفى سنة تسع وثمانين ومائتين .

أبو المعمور محمد بن محمد بن حمزة الربعي

من أصحاب سحنون وابنه محمد ، وسمع غيرهم .

سمع منه عمر بن يوسف ، وبكر بن حماد ، وكان يقول الشعـــر فى الزهد ويحسنه .

أنشد أبو العباس بن أبى العرب له :

الموت لابـــد آت فاستعـــد لـــه   ان اللبيب بذكر الموت مشغـــول
وكيف يلهو بعيش أو يلذ بــــه   من التـــراب على عينيه مجعـــول

توفى سنة خمس وستين ومائتين .

ومولده سنة ثمان ومائتين .

رخيــص بن رخيــص الصــدفي

معدود فى أصحاب سحنون ، ذو دين وعبادة وتقى، أثنى عليه الناس ومات سنة اثنين وستين ومائتين .

أبو جعفــر أحمد بن حســان البغــدادي

صهر على بن حميد .

ثقة ، صالح ، من أصحاب سحنون ، وسمع موسى بن معاوية ، وكان صحيح الكتاب ، سمع منه الناس .

أعطى له فى وصيفته مائة دينار ، ثم أتاه قوم فزادوه فى ثمنها عشرة دنانير ولم يبعها منهم ، ووجه فى الأول فباعها منهم بمائة ، وقال : كنت نويت بيعها بمائة ، فكرهت الزيادة .

(410)

* عبد الله بن أبي عطاء

واسمه عبد الغافر (404) .

أبو محمد ، أصله من الأندلس ، وكان صالحا ثقة .

سمع من سحنون ، وزهير بن عباد .

وكان صحيح الكتاب حسن التقييد .

سمع منه أبو العرب وغيره .

توفى سنة ست وثمانين ومائتين بالقيروان .

أحمد بن حماد

شيخ صالح ثقة ، معدود فى أصحاب سحنون ، وسمع منه ، ومن عبد العزيز بن يحيى المدنى .

توفى فى رمضان ، سنة سبع وثمانين ومائتين .

سمع منه أبو العرب وغيره ، وكان يعلم القرآن .

محمد بن قاسم

وابنه ابو القاسم عبد الله يعرف بابن الزواوي الصدفي

ثقتان .

سمع محمد من سحنون ، وكان معدودا فى أصحابه .

وسمع ابنه من يونس وغيره ، وكان صالحا .

سمع أبو العرب وغيره من محمد .

---

(404) أى اسم أبي عطاء ، والد المترجم له : عبد الغافر .

وتوفى محمد سنة ثمانين ومائتين ، مولده سنة مائتين .

وتوفى ابنه سنة أربع وثلاثمائة .

عبد الله بن أبي زكرياء يحيى بن سليمان الحفري

بحاء مهملة مضمومة ، وفاء ساكنة ، منسوب الى حفرة عند داره بالقيروان ، من الفرس .

شيخ صالح ثقة ، كان بالقيروان ، ثم سكن مجدولا .

سمع من أبيه ، وسحنون ، وغيره ، وكان شيخا صالحا ثبتا .

سمع منه سليمان بن سالم ، وأبو العرب ، وغيرهما .

توفى بمجدول ، سنة تسع وثمانين ومائتين .

شيبة بن زنون

من أصحاب سحنون ، وعبد العزيز بن يحيى .

سمع منه أبو العرب ، وهو كان ممن يقرأ لأصحاب سحنون عليه .

مات سنة ست وثمانين .

وكان بالقيروان شاب يعرف بابن العبادانى شافعى ، فحضر مجلس ابن سحنون يوما ، فتنقص يوما لمالك ، فاستحيى ابن سحنون من طرده، فقال شيبة : أنا أكفيكموه .

وكان صارما ، فلما حضر قام اليه بنعله ، فأوجع قفاه ورأسه ، وجعل يستغيث بابن سحنون ، وهو وأصحابه صموت .

فشكا الى ابن طالب ، فذكر شيبة له القصة ، فسكت عنه ابن طالب .

ورحل الرجل الى العراق ، فحضر مجلس اسماعيل بن اسحاق ، فذكر شيبة له جهة مالك ، فحذفه اسماعيل ، بدواة كانت بين يديه .

يزيد بن خالد

أبو خالد ، من أهل حامة قصطيلية ، وكان له سماع كثير من سحنون.

وكان سهل بن عبد الله القبريانى يذكره بخير .

وكتب له ابن طالب ، وائتمنه .

توفى فى نحو سنة ثمانين .

محمد بن أبي حميد أبو عبد الله

كان بالقيروان ، ثم سكن سوسة ، وكان من المتعبدين ، يقال انه يختم القرآن كل ليلة فى شهر رمضان .

وكان ثقة ، سمع سحنون ، وسمع بالشام من ابن أبى الحوارى ، وهشام بن عمار الدمشقى ، وبمكة من غير واحد .

سمع منه أبو العرب ، وابن اللباد .

ومات سنة اثنتين ، أو ثلاث ، وتسعين ومائتين .

وكان اذا دخل الصلاة لم يشغل قلبه بشىء ، وكان له ابن حدث ، له أصحاب ، فكان ربما أتى بالمغنين الى داره مع أصحابه ، وبيته ملاصق لبيت أبيه ، فيسكتون ، حتى اذا دخل فى الصلاة أقبلوا على لهوهم ولعبهم، فاذا جلس فى التشهد أعلمته أمه ، فيقطعون .

وقد تقدمت مثل هذه الحكاية لغيره .

(411) قال ابن فطيس الفقيه : قام ابن أبى حميد ليلة فى سطحه ، وأنا أسفل حتى بلغ: « وأنذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى* الحناجر (405) » انقطع وقعد ، ثم عاد وبكى ، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح .

---

(405) الآية 18 من سورة غافر .

محمد بن المبارك الزيات

معدود فى أصحاب سحنون ، ولاه ابن طالب مظالم القيروان ، وكان عدلا فى حكومته ، مات سنة ثنتين ومائتين .

خلف بن جبير

أبو محمد ، من أصحاب سحنون ، يعرف بزدو .

ولاه الحكومة بالقيروان ابن طالب ، وكان عدلا فى حكومته .

قال ابن أبى تميم : وتوفى فيما أحسب بعد محمد بن المبارك .

اسحاق بن ابراهيم القيسي

أبو يعقوب ، يعرف بابن السحقى .

سمع من سحنون ، وسمع جده من مالك .

عبد الله بن أحمد بن يزيد

سمع أباه ، ومن سحنون ، وكان يعلم القرآن . وتوفى فى نحو ثمانين ومائتين .

أبو زيد بن المديني

سمع من سحنون ، وكان مباينا لأهل الأهواء .

وأغرى به ابن عبدون ، القاضى العراقى ، ابراهيم بن أحمد الأمير ، فضربه بالسوط ، وطاف به على جمل ، فمات فى تطوافه ، فى رمضان ، سنة ست وسبعين ومائتين .

ابو زيد قاسم بن عمرو بن صاعد التميمي

سمع من سحنون ، وحماد السجلماسى .

وولاه ابن طالب مظالم القيروان ، الى عزل ابن طالب فى المرة الاولى ، ولم يعلم منه فى حكومته الا خيرا .

سمع منه أبو العرب وغيره .

قال ابن حارث : كان ثقة مأمونا ، من أهل الوجاهة والظهور .

توفى سنة أربع وثمانين ومائتين .

سعيد بن موسى بن حمدون التميمي

يعرف بابن الشوادكى ، من أهل الدين والعبادة والاجتهاد .

سمع من سحنون .

وتوفى سنة خمس وتسعين .

مولده سنة احدى وعشرين ومائتين .

خالد بن نصر

من أهل قصطيلية .

سمع من سحنون ، وأصبغ ، وغيرهما .

وكان له ابن اسمه نصر ، أخذ عن أحمد بن معتب .

وسمع منه أبو العرب .

قال : ومات خالد فيما أحسب ، فى نحو السبعين ومائتين .

حدث عنه محمد بن بدر الخزامى .

أحمد بن زيدون

تونسى ، سمع من سحنون ، وغيره ، وكان سماعه فى وقت سماع ابن غافق ، ومات عند موته .

أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان الكناني

من أهل توزر ، سمع من سحنون، ورحل الى المشرق فى طلب الحديث.

وكان له ابن عنى بالحديث .

وسمع من عبد الرحمان ، بكر بن حماد ، وعبد الله بن الوليد ، وجماعة وكان كثير الصوم ، ذا سمت .

توفى بتوزر ، سنة ثمانين ومائتين .

ابراهيم بن داود بن يعقـوب

نزل أطرابلس ، وأصله من مصر ، وولى قضاء أطرابلس ، وكان ثقة. سمع من محمد بن عبد الحكم ، والوقار ، وابى الحسن الكوفى ، وغيرهم.

توفى سنة ثمان وتسعين ومائتين .

عبـد الله بـن حمـدون الكلبـي

صقلى ، له سماع من سحنون ، وغيره .

توفى سنة سبعين .

أبو محمد يونـس بن محمد الوردائـي

من أصحاب سحنون ، سمع منه كثيرا .

وكان أبو عياش يثنى عليه ، ويرفع به ، وقال : انه لم يبق عنـد سحنون كتابا الا وقد ظهر عليه .

حدث عنه أبو العرب ، ومحمد بن عثمان المؤدب .

قال أبو العرب : وسمعت غير أبى عياش يذكره بغير جميل ، وله عن سحنون غرائب لا توجد عند غيره .

(412) قال اللبيدى : كان مخمول * الذكر ، وسببه أن الشيعى ، لما دخل القيروان ، وطلب أهل الخير ، قال الوردائى لأهله : اختاروا ، اما ان أهرب من افريقية فلا ترونى أبدا ، أو تتركونى أرعى البقر .

فقالوا له : ان ما ذكرت يشق علينا ، ولكنا لا نحب مفارقتك ، فبقاؤك ترعى البقر ، أحب الينا .

فأقبل على رعاية البقر ، فكان اذا أصبح ، يأخذ مصحفه فى مخلاته، وعصاه ، ويخرج بها ، وساق البقر ، وأبعدها عن العمارة ، وأقبل على قراءة القرآن ، فاذا أقبل الليل ، أتى به .

فسلمه الله من فتنة بنى عبيد ، وخمل ذكره .

ولقد زاره قوم فى مرعاه ، فلما رآهم ، من بعيد ، أخذ عصاه ، وأقبل يجرى قدام البقر ، كما تفعل الرعاة ، فلما رأوا ذلك تركوه .

وكان يحكى أن ابن عبدوس وغيره ، سأل سحنون عن الورع ، فقال: ترك دانق مما كره الله ، خير من سبعين ألف حجة ، يتبعها سبعون ألف عمرة مبرورة متقبلة ، وأفضل من سبعين ألف فرس فى سبيل الله ، بزادها وسلاحها . ومن سبعين ألف بدنة تهديها الى بيت الله ، ومن عتق سبعين ألف رقبة مؤمنة من ولد اسماعيل .

فذكرت الحكاية لعبد الجبار بن خالد ، فقال : نعم ! وأفضل من ملء الأرض الى عنان السماء ذهبا وفضة ، كسبت من حلال ، وأنفقت فى سبيل الله ، يراد بها وجه الله .

وتوفى فى الورداء سنة ثلاثمائة .

ومن هذه الطبقة :

سعيد بن مسرور

مولى القبرياني ؛ كان ثبتا ثقة صالحا .

أخذ عنه سهل ، وابن بسطام ، وأبو العرب .

وسمع ابن عبد الحكم ، ويونس بن عبد الأعلى ، والكوفى ، وابن مرزوق ، وغيرهم .

وتوفى سنة أربع وثمانين .

أحمد بن محمد القرشي أبو جعفر المغرياني

من ولد عقبة بن نافع الفهرى ، وقيل له المغريانى لنزوله مغريانة .

قيل : أصله أندلسى .

سمع من سحنون وغيره ، وكان معدودا فى أصحابه .

وكان شيخا ثقة صالحا مأمونا منقبضا زاهدا عابدا .

وأراده ابراهيم بن الأغلب على قضاء القيروان ، فامتنع .

مولده سنة اثنتى عشرة ومائتين .

وتوفى سنة خمس وثلاثمائة .

ومن أهل الاندلس :

عبيد الله بن يحيى

كنيته أبو مروان ، روى عن أبيه ، ولم يسمع بالأندلس من غيره .

ورحل حاجا وتاجرا ، ودخل بغداد ، فسمع بها مجالس من أبى هاشم الرفاعى ، وسمع بمصر من محمد بن عبد الرحيم البرقى (406) .

وكان عاقلا ، كريما عظيم المال والجاه ، مقدما فى المشاورين فى الأحكام ، منفردا برئاسة البلد ، يأتونه .

وكان فقهه فقه الشيوخ ، ولم يكن بالراسخ فيه .

سمع منه أحمد بن خالد ، وابن أيمن ، وأبو عيسى ، وأحمد بن يحيى بن سليم ، والناس .

وطال عمره حتى ذهبت طبقته ، وشوور مع طبقة أخرى ، مع أحمد ابن بقى بن مخلد ونمطه .

---

406) أ : محمد بن عبد الرحيم البرقي — ط : محمد بن عبد الحكم البرقي ، وهو كما فى الخلاصة ، ص 284 : محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ... المصري ، ابن البرقي ، صاحب كتاب الضعفاء . مات سنة تسع وأربعين ومائتين .

قال أحمد بن سعيد : كان عظيم القدر ، جليل الحرمة ، نافذ الأمر ، تقيا ، شيخا دينا صالحا عاقلا ، تجرى كتبه بالمشرق ، ويجوز أمـــره فى الآفاق ، وبجوده تضرب الأمثال .

وفيه يقول الشاعر :

وانك غيث آخر الدهر هامـــع	كما أنت بدر آخر الليل طالـــع
وقد سرنى أن فزت بالحمد والعلا	وأنك للدنيا وللديـــن جامـــع

وقال ابن عبد ربه يرثيه :

(413)

* لقد فجع الاسلام منه بناصر	كما فجع الأيتام منـــه بوالـــد
بكته اليتامى والأيامى وأعولـــت	عليه الأسارى خابيات المواعـــد

وحكى النضر بن سلمة القاضى ، قال : أتانى عبد الله بن يحيى وأنا قاض ، فى حياة بقى بن مخلد ، فقال : لست والله أرضى أن تستشيرنـــى مع بقى بن مخلد فى مجلس واحد ، فان أردت شيئا فوجه فى ، فى وقت ، وفيه فى آخر ، ولا تجمعنا جميعا .

قال : فلم أمت حتى أرسل الأمير فى ولد بقى بن مخلد ، وفى عبيد الله، فشاورهما فى مجلس واحد .

وعاد عبيد الله ، أحمد بن بقى بن مخلد المذكور ، من علة اصابته ، فلما خرج لقيه بعض اخوانه ، فقال له : بالأمس نابذت أباه ، واليـــوم تواصل ابنه !

فقال له عبيد الله : لكل زمان حكمة ، وقد مضى ذلك الزمان ، وهذا زمان آخر ، عمرى فيه مدبر ، وعمر هذا الحدث وسؤدده مقبل ، وأنا أكره أن أورث عداوته لولدى .

سمع منه الناس رواية أبيه ، وكتبه ، ومشاهد ابن هشام ، وغير ذلك اليـــه .

لم يكن بالضابط لكتبـــه .

وكان فاشى الصدقات كثير المعروف ، ذكر أنه تقاضى مرة مائة دينار من خراج أرحائه ، وانصرف مقبلا ، فلقى حطابا ، فحفن له منها حفنة ، ومضى ، ثم وقف فسأله : ألك عيال ؟

قال : نعم .

فدفع اليه جميع المائة .

وذكر أن رجلا من قريش كان يجاوره ويختلف اليه ، فجاءت سنة مجاعة ، كاد أن يهلك القرشى فيها ومن معه من الجهد ، وتوالت الأمطار ، وانقطع التصرف ، فبقوا ثلاثة أيام لا يجدون شيئا يأكلونه ، فقالوا له فى اليوم الرابع ، وقد أحسوا الموت : ما جلوسك ؟ اخرج واطلب ، لانموت كلنا جملة .

قال القرشى : فخرجت الى أسطوانى ، وجلست أفكر فيمن أقصد ، وأيست من كل أحد ، والسماء تسكب ، اذا بفارس قد دخل على ، عليه مسطر ، فاذا بعبيد الله ، فقمت اليه وأعظمت مجيئه ، فقال : اليك قصدت، بعد عهدى بك ، وخشيت لحوق الضيعة بك لهذه الحال ، وهذه عشرة دنانير تنفقها ، وفتاى يأتيك بحمل دقيق وربعين زيتا ، حتى يفتح الله .

فشكرته ، وخرج عنى ، وجاء عبداه بما ذكره ، فجئنا به .

وكان قد تصدق بثلث ماله مرة ، وثانية ، وثالثة .

وتوفى يوم الاثنين ، لعشر خلون من رمضان ، سنة ثمان وتسعين ومائتين .

قال أحمد بن عبد البر : لقد رأيت البدار يوم جنازته من كل ضرب ، الأصحاء بناحية ، والمرضى بناحية ، وأهل الثغور بجانب ، واليهود والنصارى كذلك ، ما شهدت مثل جنازته ، ولا حكى أحد أنه شهد مثلها ، لعظيم احسانه للناس ، ومكانه من قلوبهم ، وسعيه فى حوائجهم ، وأفطر ابنه ذلك اليوم ، وكثير من الناس ، لضرورة الزحام ، وما أصابهم من الحر ومزاحم الناس .

اسحـــاق بن يحيــى بن يحيــى الليثــي

أبو اسماعيل ، ويقال أبو يعقوب .

كان أسن من أخيه عبد الله ، وشوور فى الأحكام ، وكان حسن اللباس ظاهر المـــروة .

وحكى ابن حارث ، عن القاضى ابن أبى عيسى : أن عم أبيه عبيد الله ، كان من أبر الناس بأخيه اسحاق هذا، وأنه كان يأخذ بركابه اذا ركب.

(414) قال ابن لبابة : دخل أحمد بن سعيد التاجر * يوم جمعة ، والامام يخطب ، فركع ركعتين ، فأنكر ذلك عليه اسحاق ، فبلغه ، فجاءه فقال له : لم أنكرت على ما لا ينكر ؟

فقال له اسحاق : بلى ! انه مما لا يحب فعله .

فقال له أحمد : حدثنى أبوك ، عن الليث ، عن أبى الزبير المكى ، عـــن جابر ، أن رجلا جاء والنبى يخطب ، فأمره أن يصلى ركعتين .

فقال له اسحاق : متى حدثك أبى بهذا ؟

قال أحمد : حدثنى به وأنت تصطاد طيرا ، سماه ، من صغره .

فسكت اسحـــــاق .

توفى سنة احدى وستين ومائتين .

ابراهيم بن يزيد بن قلزم بن ابراهيم بن مزاحم

مولى عمر بن عبد العزيز ، من أهل قرطبة ، أبو اسحاق .

سمع من عبد الملك بن حبيب ، ويحيى بن يحيى ، وعيسى بن دينار، ورحل فسمع من سحنون بن سعيد ، وأصبغ بن الفرج ، وكان علمـــه المسائل والشروط ، وشـــوور .

روى عنه أحمد بن خالد وغيـــره .

قال أحمد بن عبد البر : كان شيخا صالحا ، وكان علمه قليلا .

قال أحمد بن خالد : لم يكن فى الفقه هنـــاك .

وسأله بعض ولاة المدينة ، عن ملك الموت ، كيف يقبض روحـا فى الهند، وروحا فى أقصى المغرب، وآخر بمصر وآخر بالعراق، فى وقتواحد؟

فقال له ابراهيم : لما صعب عليك عرض هؤلاء الحرس والأعوان بين يديك حسبت أمر الخالق عليه ، وقدرته ، وسأمثل لك مثلا : الشمس تطلع على كل بلد فى حين واحد ، فلو أمرت بقبض الأرواح فى جميعها ، لكانت تقـــدر .

قـــال : نعـــم .

قال : فكذلك ملك الموت ، أعطى من القدرة مثل ذلك .

قال المؤلف رحمه الله : صاحب هذا الكلام لا يقال فيه قليل العلم ، كما قال ابن عبد البر ، بل لا يصدر مثل هذا الا عن ذى بصر صحيح العلم .

عبـد الله بـن الفـرج النميـري

كان فقيها حافظا للمسائل ، ولاه الأمير محمد صلاة قرطبة .

سمع من عبد الملك بن حبيب .

رحل فسمع من سحنون ، وأصبغ .

وتوفى سنة ستين ومائتين .

وهــب بــن نافــع الاســدي

قرطبى ، فقيه ، مشاور بها .

وله رحلة ، سمع فيها من سحنون ، وأبى الطاهر ، وابراهيم بن المنذر ، والحسن بن عرفة ، ونصر بن على الجهضمى ، وغيرهم من شيوخ بغداد ومصر وافريقبة .

روى عنه الأعناقى ، ومحمد بن مسرور ، ومحمد بن فطيس وغيرهم.

ويقال : انه روى عن أبى جعفر المسعرى ، وعلى بن أبى ثابت ، كتب أبى عبيد ، وأنه أول من أدخلها الأندلس .

وتوفى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة .

محمد وقاسم ابنا اسباط بن الحكم المخزومي

قرطبيان ، يكنى قاسم بأبى محمد وقيل بأبى بكر ، ومحمد بأبى عبد اللـــــه .

كانا من أهل العبادة والورع .

قال ابن أبى دليم : وكانت لهما حلقة بجامع قرطبة ، يجلسان فيهـــا للفتيـــــا .

يرويان عن يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان .

ورحلا ، فسمع محمد من الحارث بن مسكين بمصر ، وكانا حافظين للفقه ، بصيرين بالوثائق .

توفى محمد صدر محرم ، سنة تسع وتسعين ومائتين .

قال الرازى : وتوفى قاسم قبله .

قال ابن عبد البر : توفى محمد ، أيام عبد الله الأمير ، وهو نحو ما تقـــدم .

وقيل للقاضى النضر بن سلمة : ان ابن أسباط يقع فيك ، فاهدمه .

فقال : والله لا أتعرض لهدم ما بنى الله .

(415) * ابراهيم بن قاسم بن هلال بن يزيد بن عمران القيسي

أبو اسحاق ، قرطبى ، سمع من أبيه ، وسعيد بن حسان ، ويحيى ابن يحيى ، ورحل حاجا فسمع من سحنون .

وكان علمه المسائل ، وكان متعبدا ، وقد حدث ، وذكر أنه أدرك عيسى ابـن دينــــار .

وكانت له من سحنون منزلة ، بصحبته أباه عند ابن القاسم .

وغلب عليه الزهد والورع والانقباض عن مجالس الحكام ، وكان من أهل العلم وطول الصلاة ، وكثرة الصيام .

قال ابن عبد البر : كان علمه علم الشيوخ ، ولم يكن له علم بالحديث.

وكان الأمير عبد الله أدخله مع ابن وضاح يوما ، لاشهاد على بعض حرمه ، فامتنعا من ذلك ، اذ لا يعرفانهن .

فقال لهما : كيف المخرج ؟

فقالا : يشهد عليهن من الفتيان والشيوخ من يعرفهن ، ونشهد نحن على شهادتهم .

فامتثل ذلك .

فطولبا بذلك عند الأمير ، حتى أثر فى نفسه ، وعهد ألا يشهد بعد هذا فى شىء ، ولا يبعث فيه بشىء .

فلزم داره معظما عند العامة ، الى أن توفى .

قال الصدفى : كان من أهل الجمع واللفظ ، وتوفى سنة اثنين وثمانين ومائتين .

يحيى بن قاسم أخوه

قال ابن الفرضى : سمع من أبيه ، ويحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، ورحل فسمع من عبد الله بن نافع ، وسحنون بن سعيد ، وغيرهما.

قال ابن عبد البر : كان فاضلا ، عابدا ، ورعا ، زاهدا ، فقيها فى المسائل ، عالما بها .

روى عنه أحمد بن خالد ، وكان يعظمه، ويصفه بالفضل والعلم والفقه، مع الزهد فى الدنيا ، والعبادة والانقباض .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن : كان يحيى بن قاسم ، أحد العباد المجتهدين ، يصوم حتى يخضر ، وهو صاحب الشجرة ، وذلك أنه كانت فى داره شجرة تسجد بسجوده .

قال ابن أبى دليم : كان يفضل على أخيه بشدة انقباض وزهد وعبادة، وكان أعلم من أخيه وأفقه فى كل فن .

أخذ عنهما .

قال ابن حارث : وكان ابن لبابة يجمل الثناء عليه ، ويفضله على أخيه ابراهيم ، وكان قد جمع البلاغة فى كل فن ، الى المنظر الجميل والسمت الحسن .

قال : وكان يغدو الى المسجد لصلاة الصبح ، فيصلى فيه ، ثم يقعد فى مصلاه الى الضحى ، فيصليها ، وينصرف الى داره ، فيقيل الى الظهر، فيصليها ، ويصلى العصر ، ويجلس فى المسجد الى المغرب ، فيصليها ، ويصلى الى العتمة ، وكان حسن الصلاة ، مرتلا فى قراءته حرفا حرفا .

وتزوج بامرأة ، فدخلت عليه فى السحر وقت خروجه الى المسجد ، فسلم عليها ودعا لها ، ثم خرج ، فلزم ترتيبه ولم يدعه .

وصلى رجل الى جانبه ، فركع يحيى ركعتين طول فيهما ، فلما فرغ قال له الرجل : لقد قرأت ما دمت فى ركعتيك هاتين كذا وكذا .

فقال له : يا أخى ! قال الله تعالى : (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (407). ولم يقل (أكثر عملا) .

وتوفى سنة اثنين وسبعين ومائتين ، وقيل ثمان وسبعين ، وقيل سبعين ، وسيأتى ذكر ابنه أحمد .

---

407) الآية 7 من سورة هود ، والآية 2 من سورة الملك .

محمد بن قاسم أخوهما

قال ابن أبى دليم : كان من أهل الفقه والورع والفضل ، معروفا به ، ودخل العراق ، واجتمع هناك فى السماع ببقى بن مخلد .

قال ابن الفرضى : سمع من أبيه ، وكان عابدا مجتهدا عاقلا وقورا ، وكان أقل اخوته علما .

وتوفى فى شوال ، ليومين مضيا منه ، سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وقيل احدى وتسعين .

(416) وكانت بيت بنى هلال ❋ بقرطبة ، بيت علم وزهد ، وتقدم فى المذهب ، وجلالة .

ويحكى أنهم كانوا لا يوقد فى دورهم ليلة يناير نار ، ولا يطبخ عندهم شىء ، مخالفة لسيرة أهل بلدهم العجمية المكروهة .

وابنه عبد الله بن محمد بن قاسم أبو محمد

له رحلة ، لقى فيها المزنى ، ولقى داود القياسى بالعراق ، وكتب كتبه ، وأدخلها الى الأندلس ، فأخلت به عند فقهاء وقته .

ونظر فى رأى مالك نظرا حسنا ، ولكنه كان يميل الى علم داود ، كلفا بالحجة ، حدث عنه ابن أيمن ، وقاسم بن أصبغ ، ومحمد بن قاسم وغيرهم .

قال الصدفى : له تقدم وفضل ودين وانقباض وتواضع .

توفى سنة اثنين وتسعين .

وابنه الاخر ابراهيم بن محمد

سمع عميه ابراهيم ويحيى ، والخشنى ، وابن وضاح ، وكان متعبدا.

توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

وأخوهما أحمد بن محمد بن قاسم

أبو محمد ، سمع من عميه ، ووهب بن مسرة ، وقاسم بن أصبغ ، وابن ميسور وغيرهم ، وكان مصليا مجتهدا .

توفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة .

وابن عمهم عبد الله بن محمد بن أحمد بن قاسم

أبو محمد ، سمع من قاسم بن أصبغ وغيره ، وكان صاحب مسائل وشـــروط .

توفى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .

وأخـــوه يحيـــى بـــن محمـــد

كان له حظ من فقه ، وسماع من ابن رفاعة وغيره ، كتب عنه ابـــن الفرضى وغيره ، وكان مقبولا .

توفى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة .

وابن عمهم احمد بن يحيى بن قاسم

سمع ابن خالد وغيره ، وعبيد الله ، يكنى أبا عمر ، كان فقيها عالما بصيرا بالمسائل والوثائق .

توفى سنة ست عشرة وثلاثمائة .

ذكرناهم هنا لذكر آبائهم ، وسيأتى بعد بقية بيته .

أبو عمـــر المغامـــي

هو يوسف ، بن يحيى ، بن يوسف ، بن محمد ، دوسى ، من ولد أبى هريرة ، أندلسى الأصل .

ومغام من ثغر طليطلة ، أصله منها ، ونشأ بقرطبة ، ثم استوطـــن القيروان الى أن مات .

قال ابن الفرضى : سمع بالأندلس من يحيى ، وسعيد بن حسان ، ويحيى بن مزين .

وروى عن عبد الملك بن حبيب مصنفاته ، وكان أحد الباقين من رواته.

ورحل فسمع بمكة من على بن عبد العزيز ، وبصنعاء من الزبيرى ، وبمصر من القراطيسى ، وغيرهم .

قال الشيرازى : وسمع أبا المصعب .

قال ابن الفرضى : وانصرف الى الأندلس ، وكان حافظا للفقه ، نبيلا فيه ، فصيحا ، بصيرا بالعربية ، معقلا ، وأقام بعد انصرافه بقرطبة أعواما ، ثم رحل ثانية ، فسكن مصر ، وسمع الناس بها منه كتب ابن حبيب ، وعظم قدره بالمشرق .

وقال أبو العرب فى طبقاته : كان المغامى ثقة ، اماما ، عالما ، جامعا لفنون من العلم ، عالما بالذب عن مذهب الحجازين ، فقيه البدن ، عاقلا ، وقورا ، قلما رأيت مثل عقله وآدابه وخلقه ، ان جلس جلسة لم يغيرها حتى يقوم ، وكان قد رحل فى طلب الحديث ، وهو يومئذ شيخ امام . قد سمع منه الناس قبل رحلته ، فلقى الزبيرى ، وكتب عن الناس ، وسمع منه على بن عبد العزيز ، وخلق كثير من أهل مصر ، ورأيته قد جاءته كتب كثيرة ، نحو المائة كتاب ، من جماعة من أهل مصر ، بعضهم سأله الاجازة، وبعضهم يسأله الرجوع اليهم .

(417) قال أبو ❊ عبد الملك : كان معقلا ، حافظا للفقه ، رأسا فيه .

قال غيره : لا أعلم منزلة يستحقها عالم بعلم، أو فاضل بحسن مذهب، الا ويوسف بن يحيى أهلها .

قال على بن الحسين وابن فحلون : كانت حلقة المغامى بصنعاء أعظم من حلقة السرى .

قال ابن فحلون : وكان على بن عبد العزيز ، اذا سئل عن شىء ، يقول : عليكم بفقيه الحرمين ، يوسف بن يحيى ، وكان جاور بها سبع سنين .

قال طاهر بن عبد العزيز : كان يوسف مقدما عالما .

قال ابن فحلون : لم يكن عند أهل القيروان أحد فى محل المغامى رحمه اللـــه .

قال ابن حارث فى تاريخ الافريقيين — وذكره — فقال : أدرك بقرطبة سؤدد العلم والرياسة ، ثم رحل الى المشرق فسمع الناس منه ، وألــف كتبا حسنة يرد فيها على الشافعى ، أخذها الناس ، وانصــرف الـــى القيروان فأوطنها ، فكان فيهم ظاهر السؤدد .

قال ابن عبد البر فى تاريخه — وذكر فقهه وعلمه وأثنى عليه — : ان الزبيرى وصفه بالعقل ، وكان أحمد بن خالد يصفه بالعقل والعلم ، سمع منه بالمشرق والمغرب ، وسمع منه الموطأ بمصر ، بيان العابد ، المعــروف بالجمال ، وقال : انما أردنا أن نأخذه من أهل الفقه ، وذلك أنى رأيت فى منامى كأنى أقرأ فى المصحف ، فاذا فرغت فضلت لى فضلة أنظر فيها الموطأ، ثم أقرأ ، فاذا فرغت وجدت فضلة أنظر فيها الموطأ .

وقال أبو اسحاق الشيرازى — وذكره — : كان فقيها عابدا ، تفقه بابن حبيب ، ويقال انه صهره ، وكان شديدا على الشافعى ، وضع فى الرد عليه عشرة أجزاء .

وللمغامى أيضا تأليف فى فضائل مالك ، حسن ، وكتاب فى فضائــل عمر بن عبد العزيز .

قال أحمد بن نصر القروى : كان المغامى فقيه الصدر ، حسن القريحة، وقورا ، مهيبا .

قال ابن خالد : كان عاقلا حليما .

قال القصرى : غاب المغامى الى المشرق ، فأقام أحد عشر عاما ، ومضى بألفى دينار ، فأتى وعليه الدين ، أنفقها فى طلب العلم .

قال أحمد بن خالد : وذكره لى الزبيرى ، فقال : رأيت رجلا عاقلا .

قال ابن فحلون : لما رحل المغامى الى اليمن ، للزبيرى ، ألفاه بحال محنته ، فكتب اليه رسالة وشعرا ، وذكر فيه غربته وبعد بلده ، واستلطفه فيه ، فدخل عليه ، فلما كلمه وشاهد عقله وعلمه وبيانه ، قال له : عزيز على قصد مثلك الى ، وقال : يؤذن لمن أراد السماع فى دولة يوسف المغربى .

فأخبره أنه من وراء أقصى المغرب ، من جزيرة الأندلس .

واحتفل الناس ، فكان المغامى ، يقرأ لهم باثره ، بعد انصرافهم من مجلس الزبيرى ، فوجدوه بحرا ، وسألوه أن يجعل لهم دولة بالعشى ، فأجابهم ، فسمعوا عليه كتب ابن حبيب .

سمع منه على بن عبد العزيز ، وأبو الذكر القاضى ، وأبو العباس الأبيانى ، وفضل بن سلمة ، وأبو العرب التميمى ، وابن اللباد ، وسعيد بن فحل ، وأبو عبد الله محمد بن الربيع الحبرى ، وغير واحد .

توفى سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وصلى عليه حمديس القطان .

ويقال انه أغمى عليه عند موته ، ثم أفاق فقال : رأيت الآن أول ذنب عملته وقد بلغت الحلم .

ورثاه بعض القرويين برثاء ، منه :

وقائلة والكرى مولــــع	بأجفاننا ما عرا نومكــا ؟
فقلت لها حادث مفظـــع	أراه لغمى مستهلكـــــا
*تغيب عنى الهلال الذى	يضىء الظلام اذا احلولكا
تمنيت رمسك ما ضمـــه	لقد ضم كل العلا رمسكا

(418)

عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمان بن دينار

قرطبى شهير البيت .

قال ابن حارث : سمع من أبيه وأخيه ، ورحل معهما (408) ورحل بعدهما ، ودخل العراق ، وسمع كثيرا ، وفقه ، وحفظ ، وبلغ مبلغ أكابر أهله فى العلم ، وكان خيرا ناسكا .

توفى سنة اثنين وثمانين ومائتين .

مولده سنة تسع وعشرين ومائتين .

عيسى بن محمد بن عبد الرحمان بن دينار

ذكره الرازى قال : وكان فقيها زاهدا ، حج حججا ، وولى قضاء طليطلة ، ثم سكن قرطبة .

روى عنه ابنه أبان .

يروى عن عمه أبان بن عيسى ، ومحمد بن عيسى الأعشى ، وابن مطروح ، وابن وضاح ، وابن مزين ، والمغامى ؟

ورحل فسمع ابن عبد الحكم ، ومحمد بن عبد الرحيم البرقى .

وقال ابن الفرضى : عيسى بن محمد بن دينار بن وافد ، أبو محمد ، سمع من ابن مزين ، والعتبى ، ورحل فسمع من يونس ، والربيع المؤذن والمدنى (409) ، وولى الصلاة بطليطلة ، والقضاء .

قال ابن حارث : كانت له رحلات ، احداها مع ابنه .

وروى عن أبيه ، وعن محمد بن سحنون ، وابن أخى ابن وهب ، وربيع الجيزى ، وربيع المؤذن ، ويونس بن عبد الأعلى ، ومحمد بن يزيد المقرىء ، وكان صاحب مسائل وحفظ للرأى ، لا يخلطه بغيره .

وتوفى فى أيام الأمير عبد الله .

---

408) قوله : « ورحل معهما » ساقط من نسخة ط ، ثابت فى نسخة (أ) .
409) ط : والمدنى — أ : والمزني .

قال ابن حارث : فى رمضان ، فى سنة ست وثلاثمائة .

مولده سنة أربع وثلاثين ومائتين .

وسيأتى ذكر أبان بن محمد بن دينار أخيهما فى الطبقة الأخرى بعدهم ان شاء اللـــــه .

محمد بن عبد الملك بن حبيب السلمـــي

روى عن أبيه ، وكان عالما فاضلا ، وهو أعلى الرواة عن أبيه ، نقلته من كتاب ابن عتاب بخطه .

عبيد الله بن عبد الملـــك بن حبيب أخـــوه

كان رجلا صالحا ، سمع من أبيه ، وأثنى عليه محمد بن فطيس .

وتوفى سنة نيف وتسعين .

محمد وعبيد الله ابنـــا قمـــر

رويا عن عبد الملك بن حبيب ، وتزوج عبيد الله ، ابنته ، بعد وفاته ، ويكنى بأبى محمد .

قال ابن الفرضى : كان موصوفا بالعلم ، وكان ابن فطيس ووليد بن ابراهيم يثنيان عليه بالخير والعلم ، وكانت ابنة ابن حبيب تحته .

محمـــد بن وضـــاح بن بزيـــع

مولى عبد الرحمان بن معاوية ، قرطبى ، يكنى أبا عبد الله .

وبزيع جده ، مولى عبد الرحمان بن معاوية .

روى بالأندلس عن محمد بن عيسى الأعشى ، ومحمد بن خالـــــد الأشج ، ويحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وزونان ، وابن حبيب ، وعبد الأعلى بن وهب .

ورحل الى المشرق رحلتين ، احداهما سنة ثمان عشرة ومائتين ، قبل بقى بن مخلد ، لقى فيها سعيد بن منصور ، وآدم بن أبى اياس ، وابن حنبل ، وابن معين ، وابن المدينى ، وعبد الله بن ذكوان ، وأبا خيثمة ، وكاتب الليث ، وابن مصفى ، وغيرهم .

ولم يكن مذهبه فى رحلته هذه طلب الحديث ، وانما كان شأنه الزهد، ولقى العباد ، فلو سمع فى رحلته هذه لكان أرفع أهل وقته اسنادا .

(419) ورحل رحلة ثانية ، سمع فيها من اسماعيل بن أبى أويس ❊ ، وأبى مصعب ، ويعقوب بن كاسب ، وابراهيم بن المنذر ، وأبى بكر بن أبى شيبة ، وابراهيم بن محمد الفريابى ، وهارون بن محمد بن سعيد الأيلى، وابن المبارك الصورى ، وحرملة ، وابن أبى مريم ، وأبى الطاهر ، والحارث ابن مسكين ، وأصبغ بن الفرج ، وزهير بن عباد ، وسحنون بن سعيد ، وعون بن يوسف ، والصمادحى ، ومحمد بن مسعود ، فى خلق كثير من البغداديين والشاميين والمصريين والقرويين .

وعدة الرجال الذين سمع منهم ، مائة وخمسة وستون رجلا .

وبه ، وببقى بن مخلد ، صارت الأندلس دار حديث .

وذكره أبو عمرو المقرىء فى القراء، فقال : روى القراءة عن عبدالصمد ابن عبد الرحمان بن القاسم ، عن ورش ، ومن وقته اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش ، وكانوا قبل معتمدين على قراءة الغازى بن قيس ، عن نافع .

وأخذ عن ابن وضاح ، أحمد بن خالد ، ومحمد بن لبابة ، ومحمد بن غالب ، وابن صالح ، وابن الجزار ، وابن الزراد ، وابن أيمن ، وقاسم بن أصبغ ، وابن ميسور ، وخالد بن وهب الأعناقى ، وطاهر بن عبد العزيز ، وابن الأعشى ، ووهب بن مسرة ، فى آخرين كثرة .

وأكثر من رأس وشرف بالأندلس ، فمن تلاميذه .

وكان ذا حظوة فيه ، ومن قلوب الناس محبة بينة كانت له ، والله أعلم .

ذكر علمه وفضله

قال ابن أبى دليم : كان ابن وضاح اماما ثبتا ، وقد ألف ابن مفرح فى مناقبه ورجاله كتابا .

قال ابن الفرضى : كان ابن وضاح عالما بالحديث ، بصيرا به ، متكلما على علله ، كثير الحكاية عن العباد ، ورعا ، فقيرا ، زاهدا ، متعففا ، صابرا على الاسماع ، محتسبا فى نشر علمه ، سمع الناس منه كثيرا ، ونفع به أهل الاندلس .

قال أحمد بن سعيد : لم يختلف علينا أحد من شيوخنا أن ابن وضاح كان معلم أهل الأندلس العلم والزهد ، وكان أحمد بن خالد لا يقدم عليه أحدا ممن أدرك بالأندلس ، ويعظمه جدا ، ويصف فضله وعقله وورعه ، غير أنه كان ينكر عليه كثرة رده فى كثير من الأحاديث ، كان كثيرا ما يقول : ليس هذا من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وسلم فى شىء ، هو ثابت عنه من كلامه ، وكان له خطأ محفوظ .

قال : ولم يكن له علم بالفقه ، ولا بالعربية .

قال غيره : كان المجاوب عنه أحمد بن خالد .

وقد ذكره ابن أبى دليم والشيرازى ، فى هذه الطبقة من فقهاء المالكية .

قال الشيرازى : وتفقه بسحنون ، وشيوخ المغرب .

وقال وهب بن مسرة : قال لى ابن وضاح : ختمت القرآن فى عشرين يوما من شهر رمضان ، ستين ختمة ، وكان فى نفسى أن أختمه أكثر من مائة مرة ، فمرضت فى العشر الأواخر .

قال ابن عبد البر : كان ابن وضاح حليما ، طيب الخلق ، صبورا على الجفاء ، سمحا بعلمه ، لا شغل له غير العبادة ونشر العلم ، وكان يختم فى

رمضان ، فى مسجده تسع ختمات ، ويصبر على الصلاة قائما ، لا يأتى الحكام ولا الأمراء الا عائدا ، منقبضا عنهم ، وكان لا يذخر شيئا ، ولا مال له ، وله اخوان أفاضل يبعثون اليه أبدا ما يقوته ، وكان له ابن أخت يبعث اليه كل ليلة ما يأتدم به ، وكان يقسم ما يهادى به على من قصده ، وكان الأمير عبد الله يفضله ، ويعرف حقه ، ويكاتبه فيما احتاج اليه ، ويرسل فيه ، فاذا أتاه الرسول ألقى على نفسه قطيفة ، ثم * يقول له : انى مريض، فاعتذر عنى . (420)

وذكر غيره أنه كان يواصل الأيام الخمسة ونحوها .

وكان الشيوخ بالمشرق يكرمونه ويعرفون فضل علمه بالحديث ، وزهده ، وخيره .

وكان ابن الزراد يصفه بكل فضيلة ، وأنه لم ير مثله فى العقل والفهم، وحفظ معانى الحديث وحسن الحكايات .

قال : وكان اماما .

قال : ولم أر أسخى منه ، لو لم يملك غير زيتونة قاسمها مع من أتاه، ولقد عادنى مرة ، فأخرج الى نصف جبنة ، وقال لى : أعلم أنها لا تصلح للعليل ، ولكن كرهت ان آتيك دون شىء ، ولم يكن عندى سواها ، فلتأكل به الخادم خبزها .

وعادنى مرة أخرى ، فأخرج الى نصف سفرجلة .

حكى أبو عمرو المقرى ، عن أبى ابراهيم الفقيه ، أن ابن وضاح لما قفل من سفرته الثانية ، احتبس لسانه سبعة أيام ، فكان لا يستطيع على الكلام ، فقال : اللهم ان كان فى اطلاق لسانى صلاح لنشر هذا العلم فأطلقه .

فأطلق الله تعالى لسانه ، وأحيى الله به أهل الاندلس ، وانتفعوا به ، فكانوا يرون ذلك من أفضل كراماته .

قال أحمد بن خالد : بقى ابن وضاح يوما ، لا قوت له ، فحركتـــه امرأته لطلب الرزق ، ولامته على لزوم البيت .

قال : فخرجت وقد ضاقت على الأرض ، فقلت : الى من أقصد ؟

فقصدت الله تعالى فى المسجد الجامع ، فكنت فيه الى أن صليــت العصر ، فلما خرجت ، قلت : ان رجعت الى الدار بغير شىء ضيقت على المرأة ، وفى الوقت فسحة .

فنويت زيارة اخوان لى فى قرية المرضى ، قال: فلما توسطت القنطرة، اذا غلام صديق لى ، ومعه دابة موقرة بدقيق ، وجرة زيت ، فقال لى : لك أقصد ، فلان يقرئك السلام ، وقد بعث اليك بهذا .

فحمد الله ، وسرت بذلك الى دارى .

وذكر عن نفسه أن الحال آلت به بمصر ، الى أن استأجر نفسه مــن صاحب فندق ، لكنس زبل الدواب ، وطرحها على رأسه .

وكان له ثمانون يوما فى السنة ، يتورع فيها ، ولا يشغل فيها نفسه بشىء ، أربعون فى السمائم ، وأربعون فى شدة البرد .

قال أحمد بن خالد : كان ابن وضاح يقول لى : انى لأدعو الله لكم فى سجودى أن ينفعكم الاه ، لأنكم اذا انتفعتم انتفعت أنا بكم .

وكان يقول : أول العلم الصمت ، والثانى حسن الاستماع ، والثالث حسن السؤال ، والرابع حسن الحفظ ، والخامس حسن التخير ، والسادس العمل به ، والسابع الفرار من الناس ، والثامن نشره ، اذا لم يوجد منك بـــد .

وكان يقول : يقال : خير الدنيا ما لم تبتلوا به منها ، وخير ما ابتليتم به منها ما خرج عن أيديكم ، واعلموا أن ما سقط عن أيديكم رحمـــة لمساكنكم ، فلا تعودوا فيه .

وفيه يقول أحمد بن عبد ربه :

جادت لك الدنيا بنعمة عيشها وكفاك منها مثل زاد الراكب

وذكر بعض طلبته ، أنهم كانوا فى السماع عند ابن وضاح ، فى غرفة له ، فدخل عليه رجل ، فقال له : حضرت الآن فأصابت الصبى ابنك العجلة، ومشت عليـــه .

فلم يكثرت لذلك ، وأقبل على ما كان فيه من امساك كتابه ، وأمـــر القارىء أن يتمادى على قراءته .

فما لبث أن دخل آخر ، فقال : أبشر أبا عبد الله ، سلم الصبى ، انما أصابت العجلة ثوبه ، فسقط ، وجازته ولم تضره .

فقال : الحمد لله ، قد أيقنت بذلك ، لأنى قد رأيت الصبى قد نـــاول اليوم مسكينا * كسرة ، فعلمت أنه لا يصيبه بلاء فى هذا النهار، للحديث: (ان الله يدفع عن العبد الميتة السوء بالصدقة يتصدق بها) .

(421)

قال وهب بن مسرة : لما ودعت محمد بن وضاح ، قلت : أوصنى .

فقال : أوصيك بتقوى الله تعالى ، وبر الوالدين ، وحزبك من القرآن، فلا تنسه ، وفر من الناس ، فان الحسد من اثنين ، والنميمة من اثنين ، والواحد من هذا سليم .

وألف كتاب العباد ، وكتاب القطعان ، ورسالة السنة ، وكتـــاب الصلاة فى المعلمين ، وكتاب النظر الى الله .

توفى ابن وضاح فى المحرم ، سنة سبع ، وقيل فى ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائتين .

وولد سنة تسع وتسعين ومائة ، وقيل سنة مائتين .

وكان قد شاخ وضعف آخر حاله ، فدله الأطباء أن يروح نفســه ، فكان يداعب ويضحك

زياد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمان الجمحي حفيد شبطون

سمع من يحيى وغيره ، وعنى بطالب العلم وجمعه ، وكان فاضلا ورعا .

وكان مرشحا لقضاء قرطبة ، وأشار الوزراء على المنذر الأمير بولايته ، فشاور بقى بن مخلد فيه ، فقال : نعم الحدث !

فسأله : من ترى ؟

فأشار بعامر بن معاوية .

توفى فى رجب سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

وهب بن نافع الاسدي

من أهل قرطبة .

رحل الى المشرق ، ودخل بغداد ، فسمع بها وبمصر فى رحلته عن جماعة ، من سحنون ، وأبى الطاهر ، والحسن بن عرفة ، والحزامى ، ونصر بن على الجهضمى ، وعلى بن أبى ثابت ، وأبى جعفر المسعرى ، وغيرهم .

سمع منه ابن مسور ، والأعناقى .

وكان فقيها ، وشوور فى الأحكام .

عبد الرحمان بن محمد بن أبي مريم

يعرف بابن البغوى ، روى عن يحيى بن يحيى ، وابن حبيب ، ونظرائهما ، وكان فاضلا نزها خيرا .

وتوفى سنة تسعين ومائتين .

زكرياء بن يحيى بن عبيد الله بن عبد الرحمان الثقفي

من أهل قرطبة ، يعرف بابن الشامة .

سمع من قاسم بن هلال وغيره ، ورحل فسمع من محمد بن المصفى (410) بالشام ، ومن سليمان بن الحكم بالعراق ، وكان موصوفا بالعلم والفضل والورع .

وتوفى سنة ست وسبعين ومائتين .

وأبوه يحيى : يكنى أبا زكرياء ، ويقال أبا بكر ، من أهل العلم، يروى عن ابن مزين .

أحمد بن زكرياء بن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمان بن الشامة

كذا نسبه أبو سعيد ، قرطبى .

سمع ابن وضاح ، وابراهيم بن قاسم ، وابن باز ، والخشنى ، وغيرهم .

وعاجلته المنية قبل لحاق طبقته التى تأتى ، فمات فى أول هذه المقدمة، سنة ثمان وستين ومائتين .

قال ابن دليم : وكان موصوفا بالفقه والحفظ .

ابراهيم بن لبيب

أبو اسحاق ، يعرف بابن الحائك ، قرطبى .

يروى عن يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وعبد الملك بن حبيب.

وله رحلة ، لقى فيها القعنبى ، وابن بكير ، وغيرهما .

سمع منه أسلم القاضى ، وعبد الله بن يونس ، وابراهيم بن باز ، ومحمد بن قاسم ، وغيرهم .

---

410) أ : محمد بن المضفر « بالضاد » . ط : محمد بن المصفى — وفى الخلاصة ص 307 : محمد بن مصفى بن بهلول ... الحمصى ، الحافظ ... مات سنة ست وأربعين ومائتين .

ابراهيم بن محمد بن باز

يعرف بابن القزاز ، قرطبى ، كنيته أبو اسحاق ، كان فقيها عالما زاهدا ورعا .

سمع من يحيى ، وسعيد بن حسان ، وأبى زيد بن عبد الرحمان ، ورحل فسمع من يحيى بن بكير ، وأبى الطاهر بن السرح ، وأبى زيد بن أبى الغمر ، وسحنون وغيرهم .

(422) وأخذ ❋ القراءات عن عبد الصمد بن القاسم ، سمع منه الناس .

ذكر علمه وفضله

كان فقيها عالما زاهدا ورعا ، مقدما فى الفتيا .

قال ابن أبى دليم : كان فاضلا ، زاهدا ، حافظا للمذهب ، متقنا له ، ربما قرئت عليه المدونة والأسمعة ظاهرا ، فيرد الواو والألف ، وكان كثير الملازمة للرباط والثغر ، وكان لا يدخل الحمام .

قال ابن الحارث : فهم رأى مالك ، وكان الغالب عليه الحفظ والزهد والانقباض .

وقال ابن لبابة : لم يكن عنده من الفقه أكثر من الحفظ ، دون فطنة ، والمعرفة به .

وذكر أحمد بن سعيد ، أن يوسف بن مطروح ، سمع منه جامع ابن وهب ، وأتى بنفسه اليه ليقرأه عليه ، فقال ابن باز : يا سيدى ! كنت أمضى اليك لو بعثت فى .

لأنه كان من ثقة أشياخه .

فقال له : لا ، فى بيته يؤتى الحكم .

قال أبو عمر والمقرىء : كان حافظا للفقه ، بصيرا بالحديث ، مقرئا للقرآن ، رأسا فيه .

قال أبو عبد الملك بن عبد البر : قال ابن خالد : ما رأيت أزهد منه ، ولا أوقر مجلسا ، كان لا يذكر فى مجلسه شىء من أمور الدنيا ، الا القرآن والعلم ، لا يقدر أحد أن يتحدث فىمجلسه ، ولا يتبسم الناس فى مجلسه ، سواء أولاد الملوك وغيرهم ، يقعد حيث انتهى به المجلس ، شاهدته يوما وقد جاءه صاحب رسائل من قبل الأمير ، يسأله فى مسألة ، فسلم ، فرد الناس عليه ردا خفيفا ، ثم وقف علينا لا يرفع اليه أحد رأسه ، حتى جعل يقول : هنا أبو اسحاق ؟

فجعلنا نشير اليه ، ولا يجسر أحد منا ينطق .

فلما رأى ذلك ، قعد حتى فرغ المجلس ، ثم قام متكئا على سيفه ، وسأله عن مسألته ، فرد عليه وانصرف .

وكنا يوما عنده ، ومعنا رجل من المعلمين ، من الأخيار ، فتحدث الى رجل بجنبه ، ثم تبسم ، فنظر اليه أبو اسحاق ، ثم قال : قم .

فتوقـف .

فقال : والله لتقومـن .

فنزل ، فكلمنا الشيخ وقلنا : رجل من أهل الخير . واعتذرنا عنه .

فقام وأخرج طعاما كفر به عن يمينه ، ثم أعاده الى مجلسه .

وكان لا يعرف أحدا من أهل الخطط ، لانقباضه عنهم .

وأدخله الأمير المنذر مرتين على نفسه لاشهاد ، وضمه لتفريق صدقاته ، فلما رأى أبو اسحاق انتشابه معه ، خرج الى الثغر خرجته التى مات فيها .

قال بعض أصحابه : كنا نسمع عنده فى غرفة له ، اذ صعدت امرأة عجوز ، تسأله أن يعينها فى فداء ولد مأسور لها بيد العدو ، فأمر لها الشيخ بكسرة خبز ، وقال لها : انصرفى ، فينطلق ابنك ان شاء الله — بعد أن سألها عن اسمه .

ثم قصد بعد تمام المجلس ، الى رجل صالح ، فأعلمه الخبر ، وأفطر عنده ، وباتا مجتهدين ، يدعو أحدهما ويؤمن الآخر ، فى ظلمة الليل .

فلما كان بعد شهر ، ونحن قعود عنده فى الغرفة ، اذ صعدت تلـك العجوز ، ومعها فتى ، فأخبرته أنه ابنها ، وأنه قد انطلق .

فسأله الشيخ عن أمره ، فأخبره أنه كان يرعى للعلج غنما ، فاذا كان الليل ضمه للمطمر وهو مكبول .

قال : فبينا أنا نائم ليلة كذا ــ الليلة التى دعا فيها الشيخ له ــ انفتح كبلى ، فخفت من العلج أن يظن بى أنى حللته فيعاقبنى .

فلما أصبح عرفته ، فأوثق الكبل ، وزادنى آخر .

فلما كان الليلة الثانية ونمت ، انتبهت وقد انفتح الكبلان .

فضربت حائط المطمر ، فأتى ، فأعلمته ، فأوثقهما وزاد ثالثا ، ومضى الى قوم كانوا * يسامرونه ، فأعلمهم ، فعجبوا .

(423)

فنمت ، فانحلت الكبول كلها ، فأعلمته ، فعجب ومن كان معه .

وقصد الى رجل كبير لهم ، فأعلمه ، فقال : أطلقه ، أخشى أن تدور عليه دائرة ، ان هذا من الله .

فأطلقنى ، والحمد لله .

قال أحمد بن عبد البر : روى عنه أحمد بن خالد ، وابن أيمن ، وأبو صالح ، وابن ميسور ، والأعناقى ، فى آخرين .

قال ابن خالد : وكان متواضعا ، يحرث بيده ، ويحصد ، وينقل الزبل، وكنا نقرأ عليه فى فدادينه وأندره والطريق ، وكان من أحفظ الناس للمدونة والمسائل ، وأضبطهم لها ، لم يطلب قط من سلطان ولا من أحد من أهل الدنيا شيئا حتى مات .

وذكر ابن ميسور ، أن العتبى سأله أن يكتب له شيئا من حديثـه ، ففعل ، فلما كان بعد ، أتاه العتبى وقال له : جئتك يا هذا على أحاديثك هذه لأرويها عنك .

فقال له ابن باز : أنا كنت أحق أن أسير الى دارك .

قال : لا .

فقرأهــا لـــه .

وقد ذكرنا مثل هذا له مع ابن مطروح .

قال ابن حزم : كان يقرأ القرآن كيف تقلب ، ماشيا ، وقاعدا ، وفى عمله ، ويختمه مرتين فى اليوم والليلة ، ويعمل بيده فى ضيعته ، ويصلى ما بين العشاءين ، وأكثر الليل ، أو كله ، وكان يقرأ القرآن وهو راقد قراءة مستقيمة .

توفى ودفن بطليطلة ، ليلة الخميس ، لثمانية أيام مضين من شهر ربيع الآخر ، من سنة أربع وسبعين ومائتين .

قــاسم بن محمــد بن قــاسم بن يســار

مولى الوليد بن عبد الملك ، أبو محمد ، قرطبى .

له رحلتان الى المشرق ، أقام فى احداهما اثنى عشر عاما ، وفى الأخرى ستة أعـــوام .

سمع فى رحلته من محمد بن عبد الحكم ، والمزنى ، ومحمد بن عبد الرحيم البرقى ، وابراهيم بن محمد الشافعى ، والحارث بن مسكين ، وأبى الطاهر ، ويونس ، وابراهيم بن المنذر الحزامى ، والقاضى اسماعيل بن اسحاق ، وحشيش بن أصرم ، والربيع ، وسحنون بن سعيد ، وغيرهم .

ولزم محمد بن عبد الحكم والمزنى للتفقه والمناظرة، حتىبرع فى الفقه، وذهب مذهب الحجة والنظر وعلم الاختلاف .

قال ابن الفرضى : وكان يميل الى مذهب الشافعى .

قال : ولم يكن بالأندلس مثل قاسم فى حسن النظر والتبصر بالحجة.

قال أحمد بن خالد ، ومحمد بن عمر بن لبابة : ما رأينا أفقه من قاسم ممن دخل الأندلس من أهل الرحل .

وقال أسلم القاضى : قال لى محمد بن عبد الحكم : لم يقدم علينا من الأندلس أحد أعلم من قاسم ، ولقد عاتبته فى حين انصرافه الى الأندلس، وقلت له : أقم عندنا ، فانك تعقد هاهنا رياسة ، ويحتاج الناس اليك .

فقال لى : لابد من الوطن .

وقال بقى بن مخاد : قاسم أعلم من محمد بن عبد الحكم .

وقال أحمد بن صالح الكوفى : قدم علينا — يعنى من الأندلـــس — قاسم بن محمد ، فرأيته رجلا فقيها .

وقال أبو عمر بن عبد البر : لم يكن بالأندلس أفقه منه ومن أحمد بن خالـــد .

وذكره ابن أبى دليم فى طبقة المالكية فقال : كان يفتى بمذهب مالك .

قال غيره : كان يتحفظ كثيرا من مخالفة المالكية .

قال أحمد بن خالد : قلت له : أراك تفتى الناس بما لا تعتقد ! هذا لا يحل لك .

قال : انما يسألوننى عن مذهب جرى فى البلد ، فعرفت ، فأفتيتهم به، ولو سألونى عن مذهبى أخبرتهم به .

قال غيره : وكان قاسم اذا عير بميله الى الحديث تمثل « وتلك شكاة ظاهر عنك عارها » .

(424) وكان فقيه الصدر ، جيد القريحة ❋ ، قيما بالمناظرة، حافظا بالشروط، أديبا ، شاعرا محسنا ، مرسلا محسنا ، بليغا .

قال أبو عبد الملك : كان له بصر بالحديث والفقه والوثائق والحجة ، وكان فقهه على النظر وترك التقليد ، من أهل النقل والعقل ، ومروة النفس، والذكاء ، متواضعا ، فاضلا ، صاحب رياسة ، وتولى تفريق الصدقة أيام محمد بن المنذر ، وعبد الله ، الى أن توفى ، ولم يترك شيئا .

قال أحمد بن سعيد : كان أحمد بن خالد ، والأعناقى ، وابن لبابة ، وابن الزراد ، وجميع شيوخنا ، يصفونه بالفقه والنظر والعلم والورع ، ويثنون عليه الثناء العجيب .

وألف قاسم كتابا فى الرد على ابن مزين ، والعتبى ، وعبد الله بن خالد ، سماه (الرد على المقلدة) .

وألف كتابا آخر فى خبر الواحد.

وكان يلى وثائق الأمير محمد ، وورث هذه الخطة بنوه بعده .

روى عنه ابنه محمد ، ومحمد ابن عمر بن لبابة ، وسعيد بن عثمان الأعناقى ، وأحمد بن خالد ، ومحمد بن أيمن ، وابن الزراد وغيرهم .

قال الرازى : وتوفى قاسم أول سنة ست وسبعين ومائتين ، وعلى ما ذكر ابن حارث ، سنة ثمان وسبعين ومائتين ، وعلى ما ذكره ابن عبد البر: أول سنة تسع وتسعين .

محمد بن عبد الرحمان بن ابراهيم بن محمد بن قيس

مولى عبد الرحمان بن معاوية ، قرطبى ، يكنى أبا سعيد .

روى بالأندلس عن يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان ، وابن حبيب، وزونان ، وحاتم بن سليمان ، وداود بن جعفر .

ورحل الى المشرق ، فسمع بمكة من عبد العزيز بن يحيى ، ويعقوب ابن كاسب ، وغيرهما ، وبالمدينة من أبى المصعب الزهرى ، وابراهيم بن المنذر الجذامى ، وبمصر من يحيى بن بكير ، وعمرو بن خالد ، ويوسف ابن عدى ، وبكر بن اسماعيل ، وأحمد بن عبد الرحيم البرقى ، وبأفريقية من سحنون بن سعيد ، وعون بن يوسف ، ويحيى بن سليمان وغيرهم .

وكان نبيلا بصيرا بالنحو واللغة والشعر ، سمع منه الناس ، وكان شاعرا ثقة صالحا .

قال ابن أبى دليم : كان له بصر بالوثائق ، ونفاذ فى معانيها ، وعلم بالفقه واللغة ، وكان مشاورا فى الأحكام ، ذا زهد وورع وفضل وعفة وانقباض عن السلطان وأصحابه .

ومن قوله فى وصف حاله :

يقصر بى عن خطة الفقهاء	تقلص سربا لى ورث ردائى
وأن ليس لى فى البيت كيس دراهم	أتيه به يوما على نظرائى
وأن مطاياهم خلاف مطيتى	وسرجى اذا واكفتهم وغنائى
خلاف سروج يمتطون وخلفهم	عبيد لهم من خيرة الوصفاء
يقولون لى لو كنت تفعل مثلما	نحاوله من خدمة الوزراء
وصاحبتهم فى كل يوم مراكبا	لهم كنت معدودا من النجباء
فقلت ذرونى ان فى قناعة	ولله تأميلى وفيه رجاءى
اذا كان لى قوت من البر دائم	أرد به جوعى وجرعة ماء
فكل نعيم بعده لا أريده	اذا كنت أبغى خطة بريائى

وتوفى فى ذى القعدة سنة اثنين وثمانين ومائتين .

عامر بن معاوية بن عبد السلام بن زياد

ابن عبد الرحمان ، بن زهير ، بن ياسرة ، بن لودان ، اللخمى ، قرطبى ، يكنى أبا معاوية ، * وأصله من رية . (425)

روى عن عبد الملك بن حبيب وغيره ، ثم رحل الى المشرق ، فسمع من سحنون ، ويحيى بن بكير ، وأصبغ بن كاسب .

واستقضاه الأمير المنذر رحمه الله ، سنة ثلاث وسبعين ، أشار به بقى بن مخلد ، ولم يزل قاضيا وصاحب صلاة الى أن توفى المنذر ، وولى بعده عبد الله ، فعزله .

حدث عنه أحمد بن خالد ، ومحمد بن ميسور ، ومحمد بن أيمن بن الشامة .

قال ابن أيمن : كان أبو معاوية من بنى زياد ، مسكنه برية ، وقدم الى قرطبة بسبب الفتنة ، فأقام بها الى أن ولى ، وكان من أهل الرواية ، لا بأس به ، سمع منه ، وكتب عنه ، وكان أحمد بن خالد ومحمد بن ميسور يصفانه بالخير والفضل ، غير أن أحمد يذكر أن فيه غفلة .

قال : وسمعته يقول فى بعض حديثه عن ابن بكير : (يافت) باثنتين.

فأنكرناه ، فقال : امضوه.

قلت لابن بكير : (يافت) بالتاء ؟

قال : نعم من غدوه الى الليل .

قال ابن عبد البر : كان رجلا صالحا عالما ، روى كثيرا ، الا أنه لم يكن من أهل الضبط والمعرفة بما روى ، وولى الصلاة مع القضاء ، وكانت فى خطبته رقة تستميل القلوب ، وكان مداره فى شواره على بقى بن مخلد، وقد ولى قضاء كورة رية بلده ، أيام الأمير محمد ، وكانت به غفلة تخل به .

ذكر ابن غالب الصفار ، أنه واظب مجلسه فى قضية « أيدون » الخصى ، وتكرر ، قال : فلا يزال يقول لى متى رآنى : من أنت يرحمك الله ؟

كما كان أول مرة ، فأسمى له ، وأتعرف ، فاذا عاد سألنى ، كأن لم يعرفنى .

وذكر غيره ، أن أبا معاوية قعد أول مجالسه فى الجامع ، فجاءه سليمان بن أسود ، المعزول عن القضاء قبله ، بديوانه ، فسلمه اليه ، وقال له : الحمد لله الذى جعل فى أثرى مثلك .

فلما أن قام سليمان ، تلقاه رجل وقاح من قريش ، ولببه بردائه ، وقال : الحمد لله الذى جلا الظلمة وأخمد الجور بعزلك ، أجبنى الى القاضى.

فرجع معه عامدا اليه ، وقال له : أنا اليوم معزول ، وأنت فى الولاية، وما فعلت بى الآن فستكافى بمثله غدا .

فامتعض له أبو معاوية ، وصاح بالقرشي ودفعه عنه .

سمع منه ابن خالد ، وابن أيمن ، وطبقتهما .

وكانت وفاة عامر سنة سبع وسبعين ومائتين ، الى ثلاث سنين من عزلـــه .

سعيد بن الفــرج أبو عثمــان

قرطبى ، كان من علماء الناس ، وشوور ، وهو أخو الرشاس القسام، المنسوب اليه ذراع القسمة .

سعيد بن يحيى بن ابراهيـم بن مزيـن

قرطبى ، سمع من أبيه ، ورحل حاجا .

قال ابن أيمن : وبلغ مبلغ السؤدد فى العلم ، وأشركه الأمير محمــد فى الوثائق ، مع قاسم بن محمد ، ثم انفرد بها قاسم ، وذلك أن سعيدا كتب عقد شراء شقص من حانوت فعثر الأمير محمد فيه على شىء ، ونقط عليه نقطة علامة لانكارها ، وردها الى قاسم بن محمد ، فأصلحه ، وأفرده بعد بــذلــك .

وكان بمصر أخذ فى الازراء على الشافعى ، فقيم عليه ، حتى خلصه الربيع المؤذن من الشافعية .

وتوفى سنة ست وسبعين ومائتين ، وقيل ثلاث وسبعين .

حسيــن بــن يحيــى اخــوه

سمع من أبيه ، وكان عالما بالرأى ، فقيها ، مقدما ، قاله ابن الفرضى وابن حارث وابن أبى دليم .

وتوفى صدر أيام الأمير عبد الله .

جعفر بن يحيى أخوهما

(426) * سمع من أبيه ، والخشنى ، وابن وضاح ، وكان فقيها مقدما وجيها معدودا فى العلماء

وتوفى سنة احدى وتسعين .

وكان سبب موته — فيما حكاه ابن حارث — أنه كان بينه وبين الحبيب بن زياد ، قبل أن يلى القضاء شحناء ، فلما ولى القضاء ، أمر القومة ، اذا جاء جعفر المقصورة ليصلى بها على عادته ، أن يطبق الباب فى وجهه ، ويمنعه الدخول ، ففعل ذلك ، فمال جعفر الى جانب المقصورة من خارج ، فصلى بها ، وانصرف الى بيته ، وقد عظم الأمر عليه ، ومنعه الغداء والنوم ، فقال : انه ظهر به يرقان ، ومات الثالث .

محمد بن سعيد الموثق المعروف بابن الملون

قرطبى ، يكنى أبا عبد الله .

قال ابن أبى دليم : كان فقيها بمذهب مالك ، حافظا له ، ولم تكن له درجة فى الرواية ، وكان عالما بالوثائق ، من أبصر الناس بها ، له فيها تأليف حسن مشهور ، وولى الشرطة والرد .

قال ابن حارث : كان حسن الفطنة ، لطيف الحيلة فى أبوابها ، ويشنع عليه التدليس فيما يعقده منها ، فطلبه سليمان بن أسود القاضى ، فخافه وتوارى عنه .

قال ابن الفرضى : وروى عن يحيى بن يحيى وغيره من شيوخ الأندلس .

قال الحميدى : وكان يفتى باستتابة الزنديق ، وبذلك أشار بقى بن مخلد على الأمير عبد الله ، ووافقه على ذلك ابن الملون ، وخالفهما قاسم بن محمد ، فأفتى على مذهب مالك رحمه الله ، بقتله ، دون استتابة .

وتوفى صدر أيام عبد الله الأمير .

أحمد بن مروان

يعرف بابن الرصافى .

قال أبو الوليد وغيره : سمع من يحيى بن يحيى ، وسعيد بن حسان، وابن حبيب ، وكان كثير الجمع للحديث والرأى ، حافظا لما روى من ذلك، هو الذى ألف المستخرجة للعتبى

وقال ابن أبى دليم : هو الذى أعان العتبى على تأليف المستخرجة .

وتوفى سنة ست وثمانين ومائتين .

عبادة بن علكدة

ابن نوح ، بن اليسع ، بن محمد ، بن اليسع ، بن شعيب ، بن جهم، ابن عبادة ، الرعينى ، أبو الحسن ، قرطبى .

سمع من محمد بن يوسف بن مطروح ، وأبى زيد الجوزى ، وسمع أيضا من محمد بن وضاح ، ورحل فسمع من سحنون وغيره ، وكان متقنا، حسن السمت والخلق .

قال أحمد : كان شيخا خيارا ، وكان يذهب مذهب الرأى والمسائل .

توفى سنة اثنين وثمانين ومائتين .

وكان أبوه علكدة قد طلب العلم ، ورحل ، فسمع من ابن وهب ، وابن القاسم ، وسحنون بن سعيد ، وعاجلته المنية بالأندلس قبل أن يؤخذ عنه .

توفى فى سجن قرطبة ، سنة سبع وثلاثين ومائتين .

يحيى بن راشد

قرطبى ، كنيته أبو بكر .

سمع من عبد الملك بن حبيب ، وأبان بن عيسى ، وأبى زيد بن ابراهيم ، والعتبى ، وكان معتنيا بالعلم ، جامعا له ، حافظا للمسائل ، عاقدا للوثائق ، مع ورع وزهد .

قد روى عنه ابن لبابة ، وخلف بعده على زوجته ، فصارت عنده كتبه، وسمع فيها .

عمر بن قردم

قرطبى ، راوية العتبى ، وكثير من أصحابه .

(427) وكان حافظا * للمسائل ، واعتبطته المنية قبل طبقته .

عبد الرحمان بن معاوية

طرطوشى ، أبو المطرف .

قال ابن الفرضى : كان فقيها نبيلا ، حدث ، وأثنى عليه العابدى ، قتله الروم سنة ثمان وثمانين ، وقيل سبع وثمانين ، ببلاد بنيلونة .

موسى بن أحمد بن لب الثقفي

أبو عمران ، ألبيرى .

سمع بقرطبة من العتبى ، وابن مزين ، وابن وضاح ، والخشنى وغيرهم .

ورحل فسمع من ابن عبد الحكم وابن أخى ابن وهب ، ويونس ، وابراهيم بن مرزوق ، وأحمد بن صالح الكوفى ، وجماعة ، وكان موصوفا بالفقه .

وتوفى حدثا سنة سبعين ومائتين .

هرمة بن سماك

سكن بادية ألبيرة ، من أهل العلم والورع والزهد ، غلب عليه الرأى والزهد والانقباض .

توفى سنة سبعين ومائتين .

حامد بن أخطل بن أبي العريض التغلبي

أبو الخضر ، اللبيرى .

سمع العتبى ، وابن مزين ، وابن وضاح ، وابن نمير ، وبقى بن مخلد .

ورحل فسمع من ابن عبد الحكم ، ويونس ، وغيرهما ، وأكثر ، وكان ورعا فاضلا ، زاهدا حافظا للفقه .

سمع منه سعيد بن فحلون وغيره .

ورحل الى المشرق رحلة ثانية ، توفى فيها سنة ثمانين ومائتين .

هاشم اللخمي

جيانى ، رحل فلقى سحنون وغيره ، وكان من فقهاء بلده ، ذكره ابن حارث .

طوق بن عمر بن شبيب التغلبي

جيانى ، قال خالد : كان معتنيا بالعلم ، سمع ببلده ، ورحل فسمع يحيى بن عمر ، وكان من أهل الحفظ للمذهب ، والتفسير للأثر ، وله فضل وورع .

توفى سنة خمس وثمانين .

محمد بن ادريس بن أبي سفيان الانصاري

من أهل جيان ، سكن قرطبة ، وسمع من يحيى بن يحيى ، ورحل فسمع من سحنون بالقيروان ، وبالبصرة من العباس بن الوليد القريشى ، وعبد الأعلى بن حماد ، ومحمد بن عبيد بن حبيب ، صاحب حماد بن زيد، وغيرهم .

وكان رجلا صالحا ، روى عنه الأعناقى ، وقال : كان ثقة .

وتوفى بجيان سنة خمس وسبعين .

يحيى بن أيوب بن خالد بن حيان

ابن خطاب ، بن مقسم الزهرى ، مولى لهم ، وأصله من البربر ، من أهل جيان .

سمع من سحنون وغيره ، وكان عالما بالرأى ، متفننا ، حاذقا بالكلام فى المسائل ، عاقدا للشروط ، وألف فى ذلك كتابا ، وكان كثير الحكاية عن سحنون .

يروى عنه ابنه محمد .

قال يحيى : كنت عند قاضى جيان ، المؤمل بن رجاء ، اذ شهد عنده رجل فى علقة ، أنها لفلان .

فقال المشهود عليه : سله كم زيتونة فيها يا قاض .

فقال الشاهد : لا أدرى .

فسألنى القاضى : أتجوز شهادته ، ولا يدرى كم عددها ؟

قلت : نعم ، تجوز ، وأنت تحكم فى هذا المسجد منذ كذا وكذا ، ولا تدرى كم سارية فيه .

وهذا معنى قديم ، يذكر عن بعض قضاة الشاميين أيضا .

فرح بن زرقون

من فقهاء حاضرة جيان .

قال ابن الفرضى : كان رجلا صالحا ضابطا حافظا للرأى والمسائل .

مطرف بن عبد الرحمان

جيانى ، أبو القاسم .

كان حافظا للمسائل ، فقيها ببلده ، وله رواية ، ورحلة سمع فيها من محمد بن عبد الحكم ، وأخيه سعد ، والمزنى .

رحل اليه من قرطبة محمد بن قاسم بن محمد ، وسمع منه ، وكان يثنى عليه .

قاسم بن هارون بن رفاعة بن ثعلبة

جيانى ، كان فقيها بحاضرة جيان ، وحج .

(428) * وتوفى فى أول ولاية الأمير عبد الله .

وفى كتاب محمد بن أحمد بن مفرح : قاسم بن هارون ، بن رفاعة ، ابن مفلت ، بن سيف ، بن عبد الله ، بن نمر ، مولى قيس جيانى ، سمع من أبى مخلد ، والخشنى ، ورحل الى المشرق ، ثم انصرف ، فقتل فى داره أخريات أيام الأمير محمد .

فالله أعلم أهو هو أو غيره .

قال : وكان فقيها فاضلا .

وذكر ابن أبى دليم مثل ما ذكر ابن مفرح .

وقال : سمع بجيان ، وجمع الكتب ، ورحل فسمع كثيرا ، توفى قرب الثلاثمائة .

وذكر أخاه نمرا ، وسيأتى ذكره بعد هذه الطبقة .

عيسى بن محمد بن عبد الرحمان بن دينار

أبو محمد ، يروى عن أبيه ، وابن مزين ، والعتبى ، وابن مطروح ، وأبان بن عيسى ، والمغامى ، وابن وضاح ، ونمطهم .

وله رحلات الى الشرق ، وآخرها مع أبيه ، فسمع من ابن عبد الحكم ، ويونس بن عبد الأعلى ، والربيعين ، ومحمد بن سحنون ، وابن أخى ابن وهب ، ومحمد بن يزيد المقرى ، ومحمد بن عبد الله البرقى .

وكان صاحب مسائل ، وحفظ الرأى ، لا يخلط به غيره .

وتوفى فى رمضان سنة ست وثلاثمائة .

مولده سنة أربع وثلاثين ومائتين .

أخوه عبد الواحـد بن محمـد

سمع من أبيه وأخيه ، وله معهما رحلة الى المشرق ، فشاركهما فى كثير من رجالهما ، ثم رحل منفردا ، ودخل العراق ، وسمع كثيرا ، وحفـظ ، وفقه ، وبلغ مبلغ أكابر بيته .

محمد بن زكريـاء بن قطـام

طليطلى ، سمع ابن مزين ، وابن وضاح .

وكان من أهل العلم والفتوى ، وعليه مدار بلده فى أحكامهم ، وولى قضاءهم بعد أبيه ، والصلاة بهم ، الى أن مات سنة ست وتسعين ومائتين.

أخوه يوسف بن زكرياء بن قطـام

سمع بقيا ، وابن باز ، وابن وضاح .

وكان من أهل الحفظ والتقنن المنزوع الى الأثر ، وغلب عليه الأثر . وهو متأخر عن هذه الطبقة .

جابـر بـن نـادر

طليطلى ، يروى عن ابن مزين ونظرائه ، وكان صاحب فتيا ومسائل.

مات بقرب ثلاثمائة .

محمـد بـن فـارة

طليطلى ، سمع من قاسم بن محمد ، وابن وضاح ، وابن القـزاز ، والخشنى .

ذكره ابن أبى دليم فى هذه الطبقة .

وقال الفرضى : غلب عليه القرآن والزهد ، وقرىء عليه .

توفى سنة خمس وثمانين ومائتين .

محمد بن أبي مغيث

طليطلى ، سمع ابن وضاح ، وابن باز ، وغيرهم ، ورحل فسمع كثيرا .

وتوفى سنة خمس وثمانين .

عبد الله بن علقمة

طليطلى ، سمع من عمرو بن زيد ، ورجال بلده ، واعتنى باالفقه وحفظ المسائل ، وكان خيرا .

توفى سنة ثمان وثمانين .

محمد بن زيد الخرار

طليطلى ، سمع من ابن مزين ، وكان فاضلا متدينا صاحب فتيا ، ذكره ابن حارث .

زقنون بن عبد الواحد

طليطلى ، سمع ابن مزين وغيره من أهل بلده ، ولم يرحل .

قال ابن أبى دليم : كان من أهل العلم ، والجمع للكتب ، والتفنن فى المذهب ، والورع ، وولى القضاء ، ثم استعفى ، فعوفى .

قال ابن حارث : كان صاحب فتيا ومسائل .

توفى قريبا من سنة ثلاثمائة .

ابراهيم بن عيسى بن برون النسائي

من أهل طليطلة ، أبو اسحاق .

سمع من ابن مزين ونظرائه ، وكان مفتيا فى وقته ، ذكره ابن الفرضى وابن حارث ، وولى أبوه قضاء بلده .

توفى سنة خمس وسبعين .

(429) **وذكر ابن حارث * فى قضاة طليطلة :**

ابراهيم بن يحيى بن برون

قال : وكان من أهل طليطلة .

سمع من ابن أيمن ، وابن خالد ، والبياضى (411) ، وطبقته ، وولى سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

ولم يذكر هذا ابن الفرضى ، وذكر هذا صاحب تاريخ طليطلة .

وذكر أن له اختصارا للمدونة ، وأنه كان يملى على كاتبه من نوعين مختلفين .

وطلبه أهل طليطلة حتى عزل عن قضائهم .

ثم سجل قاسم بن أرفع راسه بسخطته ، وخاطب بها الحكم المستنصر ، فأمر بنقض أحكامه ، فسار الى قرطبة ، فيقال : انه اختلط ، ووجد ميتا فى بعض مساجدها .

وقيل : ان أهل طليطلة قتلوه وأحرقوه بالنار .

ولم يصح هذا .

محمد بن ميمون

طليطلى ، روى عن مشيخة الأندلس ، وكان صاحب فتيا .

مات سنة خمس وثلاثمائة .

عبد السلام بن وليد بن زيدون الصدفي

طيلطلى ، يكنى أبا المغيث ، كان فقيها حافظا .

توفى سنة ست وسبعين ومائتين .

---

411) أ : والبياضى — ط : والبياني .

فـرج بن عبـد اللـه

يعرف بالخراسانى ، من أهل طليطلة ، كان موصوفا بالعلم .

وتوفى سنة خمس وتسعين ومائتين .

عمـر بن زيـد بن عبد الرحمـان

أبو حفص ، قال ابن حارث : كان صاحب رواية وفتيا ، ورحـل فسمع من سحنون وأصبغ ونظرائهما .

عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم

طيلطلى ، من أصحاب ابن مزين وطبقتهم ، وكان مفتيا .

مات قريبا من ثلاثمائة ، قاله ابن حارث .

محمـد بن عميـرة العتقـي

من أهل تدمير ، ومن بيت علم وجلالة بها ، تقدم نسبهم ، يكنى أبا مـروان .

روى عن يحيى بن يحيى ، وعبد الملك بن حبيب .

ورحل فسمع من ابن بكير ، وأبى المصعب ، وأصبغ ، وسحنون ، وكان حجة مع ابن حبيب .

وتوفى سنة ست وسبعين .

*
* *

ومن بيته فى هذه الطبقة سوى من تقدم فى طبقة قبل هذه :

صباح بن عبد الرحمان بن الفضل بن عميرة العتقي

تدميرى ، يكنى أبا الفضل ، تقدم ذكر أبيه وجده فى الطبقة الأولى .

روى عن يحيى بن يحيى ، وزونان ، وابن حبيب وغيرهم .

وحج مع أبيه ، فلقى بالقيروان سحنون ، ولقى يحيى بن بكير ، وأبا مصعب الزهرى ، وأصبغ بن الفرج ، وأقام عنده زمانا ، وكان يرحل اليه ببلده للسماع منه والتفقه .

سمع منه حفص بن محمد بن حفص ، وغيره .

وعمر طويلا ، توفى وهو ابن مائة سنة وثمانية عشرة عاما ، وتوفى لعشر مضين من محرم ، أربع وتسعين ومائتين ، ذكر هذا ابن الفرضى .

وقال ابن أبى دليم : توفى فجأة ، وسنه سبع وتسعون سنة .

عميرة بن الفضل بن الفضل

كنيته أبو الفضل .

سمع من أبى الفضل ابن عمه ، ومن محمد بن عبد الحكم ، وعلى بن عبد العزيز ، وغيرهما ، واعتنى بالمذهب ، وتوفى سنة أربع وثمانين ومائتين .

أخوه عبد الرحمان بن الفضل بن الفضل بن عميرة

أبو المطرف ، سمع أباه ، وعبد الله بن يحيى ، ولقى حماس بن مروان.

وتوفى منصرفه من الحج ، سنة أربع وتسعين ومائتين .

عميرة بن عبد الرحمان بن مروان العتقي

أبو الفضل ، يروى عن أصبغ وسحنون .

(430) قال * ابن أبى دليم : وكان من العلماء .

ذكره ابن أبى دليم فى هذه الطبقة .

وكذا نسبه أبو سعيد فى تاريخ المغاربة ، ولعله وهم .

والأشبه به أنه أراد عميرة بن محمد بن مروان بن خطاب بن عبد الجبار بن خطاب بن مروان بن زيد ، مولى عبد الله بن مروان ، وليس هذا بعتقى .

رحل مع أبيه وأخيه محمد ، فسمعوا المدونة من سحنون ، وسمع من أصبغ .

توفى سنة ثمان وثلاثين .

* * *

ومنهم :

محمد بن هارون بن عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضل بن عميرة

أبو مروان ، سمع بمصر من القراطيسى ، وابن جميل ، وبالقيروان من فرات .

وتوفى بالأندلس سنة ست وثلاثمائة .

متوكل بن يوسف

أبو الأدهم ، تدميرى .

سمع ابن عبد الحكم ، وابن المواز ، ويحيى بن عمر ، وغيرهم ، وبالأندلس من جماعة ، وكان من أهل الفطنة ، وتوفى بميورقة .

يحيى بن خصيب

من أهل سرقسطة ، أبو زكرياء .

قال ابن أبى دليم : من مشاهيرها فى الفقه والعلم والفضل .

قال أبو الوليد القاضى : كان له سماع ، وكان بصيرا بالنحو .

قال خالد : توفى سنة ست وثمانين .

وقال الرازى : استشهد ابن الخصيب التطيلى سنة ثمان وتسعين ، وكان أديبا نبيلا فقيها محدثا .

فالله أعلم أهو ذاك أو آخر .

ابراهيم بن نصر الجهيني

أبو اسحاق ، يعرف بابن أبرول ، أصله من قرطبة ، وسكن أبوه سرقسطة .

ذكره ابن أبى دليم فى الفقهاء ، قال : وغلبت عليه الرواية .

قال ابن الفرضى : رحل فسمع من أئمة المحدثين ، محمد بن عبد الله ابن يزيد المقرىء ، ومحمد بن اسماعيل الصائغ ، ويونس بن عبد الأعلى، والحارث بن مسكين ، ومحمد بن عبد الحكم ، والمزنى ، وأبى الطاهر ، وسليمان بن داود ، والربيع بن سليمان ، وغيرهم ، كثيرا ، وسمع بالعراق من بندار وغيره ، وكان عالما بالحديث ، بصيرا بعلله ، حدث عنه ثابت بن حزم ، وعثمان بن عبد الرحمان بن أبى زيد ، وغيرهما ، وكان ثقة ، وتوفى بسرقسطة فى ذى القعدة سنة سبع وثمانين .

وله أخ اسمه محمد : شاركه فى خلقه .

محمد بن أسامة بن صخر الحجري

أبو يحيى ، سرقسطى ، ذو عناية وجمع وحفظ ودين .

سمع من العتبى ، وعلى بن عبد العزيز ، وسمع منه أحمد بن نصر ، وأبو العرب ، وغيرهما بالقيروان ، كتب العتبى .

قال أبو العرب : وكان ثقة حسن الضبط لكتبه .

قال ابن أبى دليم ، كان حافظا دينا ، قتله عامل بلده ، سنة سبع وثمانين .

محمد بن أبي هاشم السرقسطي

كان فقيها عالما ، توفى سنة ثمان وثمانين .

ابراهيم بن هــارون بن سهــل السرقسطي

ذكره ابن أبى دليم ، وقال : سمع بالأندلس ، وولى قضاء بلده .

قال ابن حارث : ولم يبلغنى له رحلة الى المشرق ، وكان من أهــل العلم والعناية والسماع ، توفى سنة ست وتسعين .

أحمد بن محمد بن عجلان وأخوه يحيــى

من أهل سرقسطة ، تقدم ذكر أبيهم وبيتهم .

قيل : لهما رحلة سمعا فيها من سحنون .

قال ابن الفرضى : وكان أحمد فقيها ، ويحيى مشهورا بالعلم والفضل، بصيرا بالفرض والحساب ، وألف فى ذلك تأليفا أخذه الناس عنه .

قال ابن حارث : روى عنهما محمد بن تليد المعافرى ، وولى أحمــد قضاء سرقسطة ، وكان فقيها عالما .

(431) * مهاجر بن زبيل ابو عبد الله السرقسطي

ذكره أبو محمد القلعى ، فقال : كان من أهل الخير والفضل .

قال ابن الفرضى : كانت له رحلة وسماع .

قال ابن أبى دليم : كانت له عناية بالعلم ، وكان حافظا ، وطال عمره، فرحل الناس اليه للسماع منه ، وولى الشرطة بسرقسطة ، وكان صاحبا لمحمد بن تليد ، وتوفى وهو ابن مائة وخمس سنين .

عمــر بن مصعــب بن قاســـم

ابن وهب بن عامر بن عمرو بن مصعب ابن أبى عزيز بن عميـــر العبــدرى .

قال ابن عبد البر : كان فقيها عالما ، له رحلة .

وقال أبو سعيد : عمر بن مصعب ، بن زرارة بن عمرو ، بن هاشم ، العبدرى ، سرقسطى ، فالله أعلم .

محمد بن عوف العكي

من أهل رية .

قال ابن الفرضى : كان عالما بالمسائل ، حافظا لها ، ولاه الأمير محمد صلاة بلده ، الى أن مات ، ولم تكن له رحلة .

قال ابن أبى دليم : كان ذا سمت ووقار ، عنى بالرأى ، وأخذ نفسه بحفظ المستخرجة ، وكان يفتى بموضعه .

قاسم بن حامد الاموي

من أهل رية أيضا ، أبو محمد ، عليه كان مدار الفتيا فى وقته ببلده ، وعلى صاحبه محمد بن عوف .

سمع من العتبى ، وكان زاهدا ورعا ناسكا ، مع الفقر والاقلال ، وحبس كتبه ، وكان جلها بخطه .

قال ابن أبى دليم : كان من أهل الوجاهة والتقدم فى الفقه ، ولم يرحل، وعول على العتبى وابن مزين .

حامد بن أبي طلة

أشونى ، كان مفتى موضعه ، ويكنى بأبى محمد ، وكانت له عناية بالعلم ، وحج .

عبد الله بن عمر بن الخطاب

من الموالى ، اشبيلى ، وقيل من مسالمة أهل الذمة ، وهو الذى قاله ابن الفرضى ، وهو الصحيح .

وجده خطاب بن أبى الخطاب ، قاضى اشبيلية أيام الأمير عبد الرحمان بن الحكم .

كان اسم أبى الخطاب ، الحليس ، فأسلم على يد أبى مسلم الأسدى، وبسببه رقى الى ما رقى ، وعداده فى بنى أسد ، قاله كله ابن حارث .

قال : وكان لخطاب حظه من فقه وعلم ، فلما كتب سجله ، استخشن الأمير اسم أبيه لعجمته ، فقال يكتب : خطاب بن أبى الخطاب .

وتوفى باشبيلية ، سنة سبع وثلاثين ومائتين .

وكان له ابنان : محمد وعمر

ولى محمد قضاء شذونة

وولى عمر أيضا القضاء بعد أبيه بمدة باشبيلية ، وهو أبو عبد الله هذا ، وكان من الفقهاء ، ذكره ابن أبى دليم .

قال ابن الفرضى : سمع من العتبى ، وبقى بن مخلد ، وابن وضاح ، ولزم بلده ، فساد فيه ، وملأه علما وبلاغة ولسانا ، حتى شرفت به العرب، فلما حدثت فتنة العرب والموالى ، قتل يومئذ ، فى سنة ست وسبعين ومائتين .

محمد بن جنادة

ابن عبد الله ، بن أبى جنادة ، يزيد بن عمرو الألهانى ، اشبيلى ، أبو عبد الله ، كذا نسبه ابن الفرضى .

وقال ابن حارث : محمد بن جنادة ، بن زيد ، بن عمر ، من جند الشام الحمصيين ، روى عن يحيى بن يحيى ، وعثمان بن أيوب ونظرائهما، ورحل فسمع من الحارث ، وأبى الطاهر ، ويونس ، وبنى عبد الحكم ، وسلمة بن شبيب ، وغيرهم ، وعظم قدره ببلده ، وكان يرحل اليه ، مقدما فى الفتوى .

قال ابن حارث : كان من وجوه أهل العلم ، والظهور والرياسة فيه ، ورحل ، ثم قدم من المشرق ، فشرك أهل العلم فى الرياسة باشبيلية ، ثم انفرد بالعلم * والرياسة بالكورة ، حتى لقد كان ابراهيم بن حجاج ، (432) صاحب اشبيلية ، يدخل عليه ، فلا يتحرك لدخوله ولا خروجه .

قال على بن أبى شيبة : وجه الأمير عبد الله ، موسى بن محمد ، والكلبى ، ومحمد بن غالب الفقيه ، الى ابراهيم بن حجاج ، فركبوا فى بعض الأيام مع ابن حجاج ، الى ابن جنادة ، ليشهدوه على ما عقدوه على ابن حجاج ، فما تحرك له اذ رآه ، ولقد أدنى الفقيه ابن غالب، وأقعده مع نفسه ، لا غير ، وافترق القوم ، فقعدوا على مرافق فى البيت ، فلما انقضى مجلسهم وقاموا ، قال لى : يا أبا على ! قرب دوابهم واحملهم .

فقال : يا موسى ، الحمد لله الذى بقى للعلم مثل هذه البقية .

فقال محمد بن غالب : والله ما نظرت الى ابن جنادة قط ، الا تذكرت فتنة محمد بن عبد الحكم ، وجلالته ، وسنته .

وكان الأمير محمد ، ولى غلاما بأشبيلية ، فأساء السيرة ، فتحمل أهلها رافعين اليه ، منهم ابن جنادة ، فخرج اليهم فتى من قبل الأمير ، يقول عنه لهم : ما رأينا فى أهل كورنا أكذب منكم، تظلمتم من عاملنا (412) ولم يقم عندكم الا أربعين يوما ، فما عسى أن يفعل فى هذه المدة ؟

فقال ابن جنادة : قد نزل علينا المجوس ثلاثة أيام ، ونحن نمنعهم عن أنفسنا ونحاربهم ، فما بقى لنا سبد ولا لبد ، فكيف بعدو مسلط لا نرفع اليه يدا ، ولا نكلمه بلسان ، أقام فيها أربعين يوما ؟

فأوصل الفتى كلامه الى الأمير ، فقال : من تكلم ؟ جماعتهم أو واحد منهم ؟

فقال : واحد

فقال : اخرج فاعرفه ، فاذا به ابن جنادة الفقيه ، فأوصل ذلك الفتى الى الأمير .

فقال : صدق ، ومن يأتى بهذا الا فقيه ؟

وعزل العامل .

---

412) أ : من عاملنا — ط : من غلامنا .

سمع منه محمد بن قاسم ، وكان يوثقه ، وأثنى عليه الباجى .

وولى قضاء اشبيلية وقرمونـــــــة .

قال ابن القوطية : وكان عظيم البركة والمنفعة فى ولايته ، سيما فى أسباب الفتنة ، من لطف الحيلة لأمراء كورته والسلطان .

يقال انه تخلص من بنات المولدين فى فتنة العرب والموالى ، نحو ألف امرأة ، وصانهم حتى أخرجهم الى مأمنهم شيئا شيئا .

وتوفى سنة خمس ، ويقال ست ، وتسعين .

يزيـد بـن طلحـة العبسـي

اشبيلى ، أبو خالد ، سمع من العتبى ، وابن مزين والخشنى ، ومحمد ابن عبد الله الغازى.

قال ابن الفرضى : كان من جلة فقهاء أشبيلية ، بصيرا باللغة والنحو والشعر ، مشهورا بالبلاغة والحكاية ، سمعت الباجى يثنى عليه ، ويصفه بالعلم وجلالة القدر .

عمـر بن يوسف بن عمروس

أبو حفص ، اشبيلى الأصل ، سكن سوسة بالقيروان .

قال أبو العرب : كان صالحا ثبتا ثقة ضابطا لكتبه ، سمع من يحيى ابن عمر وغيره ، وبمصر من محمد بن عبد الحكم ، وأخيه سعد ، وابراهيم ابن مرزوق ، وابن عزيز ، سمع منه الناس .

وتوفى بسوسة ، سنة تسعين ومائتين .

غانم بن الحسن الرعينـي الاشبيلـي

رحل فسمع ابن بكير وغيره ، وكان فاضلا عابدا بصيرا بالآثــار والفتيـــا .

توفى قرب ثلاثمائة .

ابراهيم بن عيسى المرادي

أستجى ، يروى عن العتبى ، وابن مزين ، وكان حافظا للفقه ، بصيرا بالمذهب ، طاهرا ، حسن المذهب ، رحل الى قرطبة عند فتنة المولدين والعرب ، فتوفى بها قرب الثلاثمائة .

وابنه اسحاق ويكنى بأبي ابراهيم

(433) يروى عن العتبى أيضا ، ❋ وكان حافظا للرأى ، وكان له بأستجة قدر عظيم فى الفتيا والرياسة ، وكان يحلق بجامعها .

وتوفى بقرطبة فى الفتنة .

حسن بن شرحبيل

من أهل بطليوس ، أبو على ، سمع بقرطبة وبلده ، وكان جليلا فقيها، عالما ، عليه مدار فتوى بلده ، جامعا للكتب .

توفى قرب الثلاثمائة .

سعيد بن كرسلين

سكن بطليوس ، أبو عثمان ، سمع بقرطبة من ابن وضاح ، وابن باز ، وأبى صالح ، وكان شيخا فقيها فيه دعابة ، وحلق بجامع بلده .

توفى نحو الثلاثمائة .

حفص بن عمر

من أهل وادى الحجارة ، سمع من ابن وضاح ، وابن باز ، وعبيد الله ، وغيرهم ، وكان معتنيا بالمذهب ، حافظا له ، مفتى بلده .

توفى سنة ثمان وثمانين ومائتين .

عامر بن موصل

وقال الرازى : عامر بن موصول كذا هو بالصاد ، وقال الحميدى : ابن مرسل .

ويقال موصل بن اسماعيل بن عبد الله بن سليمان بن داود بن نافع الأصبحى ، تطيلى ، أبو مروان .

سمع من يحيى بن عمر وغيره ، وكان من أهل الزهد والحفظ للمذهب، وسماعه بالأندلس والمشرق كثير .

توفى سنة احدى وتسعين ومائتين .

اسماعيل بن موصل أخوه

أبو القاسم ، من أهل الجمع للكتب ، والعناية بالفقه ، سمع من العتبى، وكانت له رحلة .

وتوفى قبل الثلاثمائة .

خالد بن ايوب

أبو عبد السلام ، من أهل وشقة ، روى عن ابراهيم بن نصر السرقسطى وغيره ، وكان من حفاظ المذهب المعتنين به ، ومن أهل العلم بالمسائل .

توفى صدر أيام الأمير عبد الله .

فرج بن أبي الحزم

وشقى ، رحل فسمع من سحنون وغيره ، وكان حافظا للمسائل ، موصوفا بالعلم .

ابراهيم بن عجنس بن اسباط الزبادي

وشقى ، حافظ للفقه ، اختصر المدونة فى عشرة أجزاء ، وسهلها .

قال ابن أبى دليم : وكان من مشاهير الفقهاء وأهل العلم والفهم ، وله رحلة سمع فيها من يونس بمصر وغيره ، وسمع من أبيه ، وقد تقدم ذكره

وتوفى سنة ثلاث وسبعين ، أو أربع وسبعين ، ومائتين ، وقيل ست وسبعين .

وسيأتى ذكر ابنيـــه .

محمد بن سليمان بن محمد بن تليد المعافــري

وشقى ، أبو عبد الله ، وجده تليد مولى لرجل من معافر ، ولـــد بسرقسطة .

روى بقرطبة عن العتبى ، وابن مطروح ، وابن مزين ، وعبد الله بن خالد ، وأبى زيـــد .

وسمع بسرقسطة من يحيى وأحمد ، ابنى محمد بن عجلان ، ومن محمد بن الخشاب .

ويروى عن يونس ، وبنى عبد الحكم ، وهارون الأيلى ، وابـــن مرزوق ، والربيعين ، وأبى يحيى ابن المغربى بمكة ، وخشيش بن أصرم، وعلى بن عبد العزيز .

وقيل انه دخل العراق .

وكان مفتى موضعه ، واليه كانت الرحلة فى وقته .

قال ابن الفرضى : كان رجلا صالحا ، ويذهب فى الأشربة مذهب أهل العراق شديد العصبة للمولدين .

قال ابن أبى دليم وابن حارث : كان رأس فقهاء الثغر ، المتقـــدم فيهم ، يقر له بذلك الجميع ، ويقفون عند أمره ، ولا يعدون فتياه .

ولى قضاء سرقسطة ، وقضاء وشقة ، أيام ثلاثة من الأمراء : محمد، والمنذر ، وعبد الله .

قال ابن حارث : وكان من أهل العلم والرواية .

وتوفى سنة خمس وتسعين ، وقيل سنة ست .

(434) قال * الرازى وابن حارث : بوشقة ، وقال غيرهما : بسرقسطة .

وولى ابنه أحمد قضاء بلده ، بعد أربع وثلاثمائة .

محمد بن سلمة بن حنين بن قاسم الصدفي

أبو عبد الله ، تطيلى ، كان حافظا للمسائل ، أحد الأبدال ، بعيد الصوت فى الخبر جدا .

سمع ، ورحل ، وشارك ابن وضاح فى كثير من رجاله بالقيروان ، ثم سمع منه بقرطبة ، واستقضى ببلده ، وكان يخاطب الأمراء ، فلا يسود أحدا منهم ، حدث عنه محمد بن نصر .

هشام بن عروس

باجى ، من أصحاب يحيى بن يحيى ، وكان فقيها بموضعه .

أحمد بن مدرك القلديني

سمع من يحيى بن يحيى وغيره ، وكان فقيها ، بصيرا بالفتيا على مذهب المالكية ، قاله ابن الفرضى .

وسيأتى ذكر ابنه وحفيده ان شاء الله .

انتهى الجزء الرابع من كتاب « **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** » للقاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ، ويليه الجزء الخامس ان شاء الله .

فهرس المواضيع (١)

1) يحتوي هذا الفهرس على أسماء جميع المترجم لهم فى هذا الجزء ، أو الواردة بعض أخبارهم فيه، ولو عرضا أو استطرادا .

الموضـــوع :	الصفحة :
ومـن أهـل مصر :	

الموضوع :	الصفحة :

*

طبقة ثانية بعد هؤلاء

فمنهم من أهل المدينة :

ومن أهل العراق :

الموضـــوع : الصفحة :

الموضوع :	الصفحة :

الموضوع :	الصفحة :

الموضوع :	الصفحة :

الموضـــوع :	الصفحــة :

الموضوع :	الصفحة :

*

طبقة ثالثة

فمنهم من أهل المدينة :

الموضوع :	الصفحة :

ومن أهل العراق ، والمشرق ، ثم من آل حماد بن زيد ، أئمة هذا المذهب وأعلامه بالعراق :

الموضـــوع :	الصفحـة :

الموضـــوع :	الصفحـة :

الموضوع : الصفحة :

*

ومن فقهاء هذه الطبقة أيضا :

*

ومن المعروفين بصحبة سحنون ممن لم يشتهر بالتقدم فى الفقه من هذه الطبقة ، جماعة كثيرة ، غلب على كثير منهم العبادة والرواية :

فمنهم :

الموضوع :	الصفحة :

ومن هذه الطبقة :

ومن أهل الاندلس :

الموضوع :	الصفحة :

الموضـــوع :	الصفحـــة :

الموضوع :	الصفحة :

الموضـــوع :　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الصفحـة :

مطبعة فضالة - المحمدية

